

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



المجلس الأعلى للغة العربية

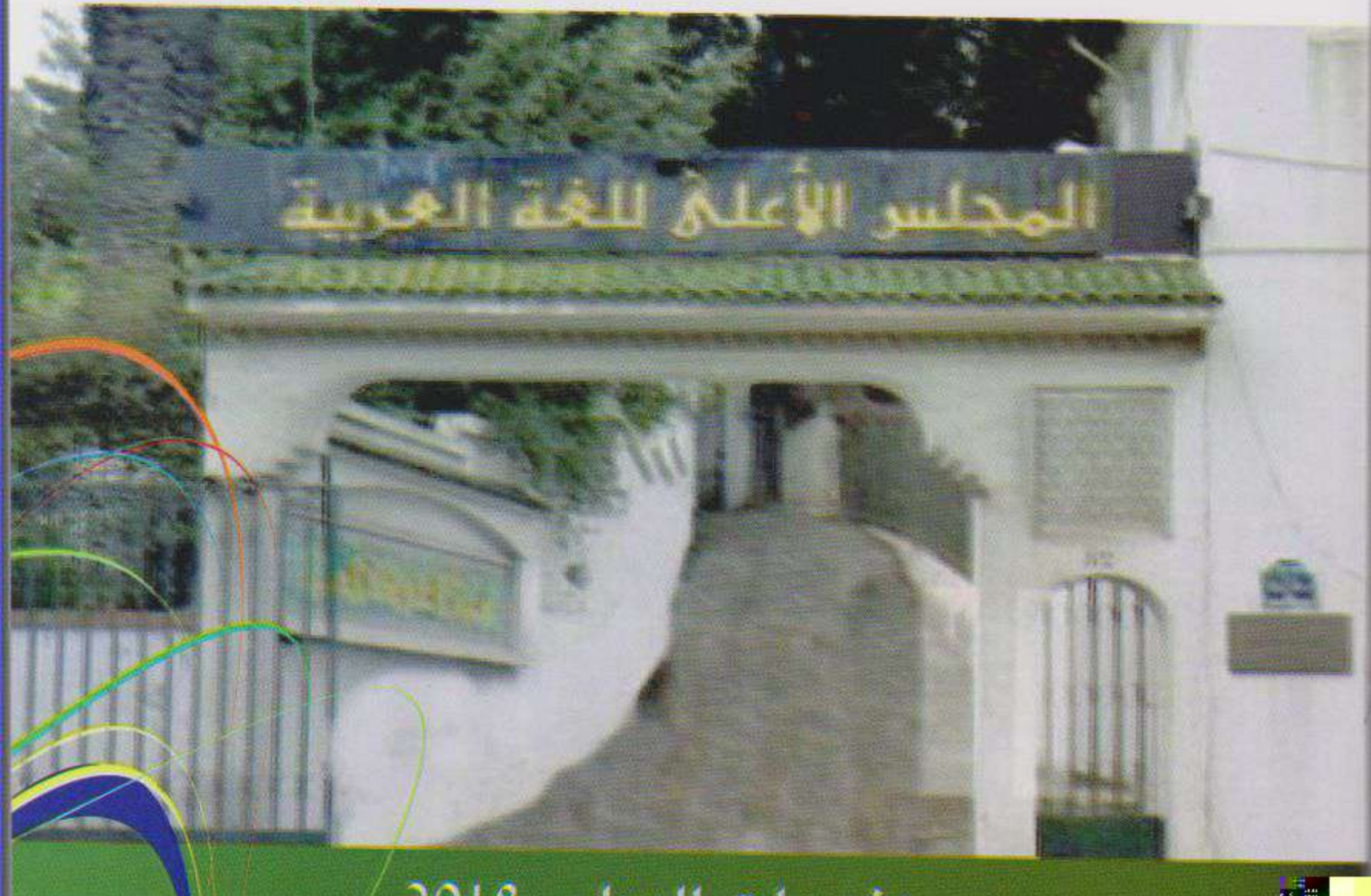
رئاسة الجمهورية



مناسبة وكلمة

أ.د. صالح بلعيد

الجزء الأول



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



المجلس الأعلى للغة العربية
رئاسة الجمهورية

مناسبة وكلمة

أ.د. صالح بلعيد

الجزء الأول

منشورات المجلس 2018

• كتاب: مناسبة وكلمة (الجزء الأول)

• إعداد: المجلس الأعلى للغة العربية

• قياس الصفحة: 24 / 16

• عدد الصفحات: 408

منشورات المجلس

ردمك: 3-37-681-9931-978

الإيداع القانوني: السادس الثاني 2018

المجلس الأعلى للغة العربية

العنوان: 52، شارع فرانكلين روزفلت

ص.ب 525، ديدوش مراد، الجزائر.

الهاتف: +213 21 23 07 16/17

الفاكس: +213 21 23 07 07

الموقع الإلكتروني: www.hcla.dz



تم إخراج وطبع ب :

دار الخلدونية للطباعة والنشر والتوزيع

05، شارع محمد مسعودي القبة القديمة-الجزائر

الهواتف: 05.42.72.40.22-021.68.86.48-021.68.86.49

البريد الإلكتروني: khaledou99_ed@yahoo.fr

الفهرس

9	تقديم للمفكر محمد العربي ولد خليفة
13	مقدمة عامة
	كلمة أُلقيت بمناسبة الندوة المشتركة
17	التمزيغت والعربية تكامل لا تتافر
29	كلمة اليوم العالمي للغة العربية في 18 ديسمبر 2016
33	كلمة في تكريم الأستاذ بلعالم الورثاني
37	القيم الحضارية في التراث الوطني الأمازيغي
43	كلمة أُلقيت في تظاهرة الشباب بمناسبة احتفائية يناير
47	المؤتمر الدولي للغة العربية والنص الأدبي على الشبكة العالمية
49	المُدونة الرقمية للمجلس (مكّنز المجلس/ مج)
75	كلمة اليوم العالمي للغة الأم
81	كلمة أُلقيت في جامعة البليدة
87	كلمة أُلقيت في اليوم العالمي للغة الضاد
93	كلمة أُلقيت بمناسبة اليوم العربي للغة الضاد
99	كلمة أُلقيت في اليوم العربي للغة الضاد بجامعة أسعيدة
105	كلمة أُلقيت في جامعة سيدي-بلعباس
111	الحق في الثقافة
115	كلمة أُلقيت في ملتقى -لغة الفلاحة- في الجلفة

123	كلمة أُلقيتُ في جامعة قسنطينة
	كلمة أُلقيتُ بمناسبة احتفاء جمعية (اقرأ)
127	تعليم المرأة عند جمعية العلماء المسلمين
133	من العربوفونية إلى العربوآسيوية
149	كلمة تأبين في الشيخ الحاج صالح
157	المعجم التاريخي للغة العربية
215	صناعة المعرفة ودورها في خدمة التنمية المستدامة
223	كلمة أُلقيتُ في تكريم الحاج صايب
	كلمة أُلقيتُ في سكيكدة بعنوان (العربية وحركة التاريخ)
227	الماضي المُغنى، الحاضر المُفلق، والمستقبل المُشرق
243	قراءة في أهداف الجامعة الصيفية
253	معمرى الأسطورة
259	أفكار المجلس الأعلى للغة العربية في البحث العلمي
	كلمة أُلقيتُ في افتتاح مجلس اللسان العربي بنواقشوط (تحديات النهوض باللغة العربية)
267	
275	ازدهار العربية في الماضي والحاضر
285	أيّ تعليم للعربية نريد؟
297	الملتقى العربي الأول حول: الهندسة الميكانيكية
303	المدرسة الأندلسية المغاربية بين الإتياع والإبداع
325	نحو مصطلح موحد في العلوم القانونية
331	كلمة اليوم العالمي للغة العربية 18 ديسمبر 2017

341		كلمة أُقِيَّتْ في ملتقى اللغة العربيّة والترجمة
349		كلمة بمناسبة إحياء اليوم العالميّ للغة العربيّة
357		اللغة الوطنيّة المشتركة والتّميّة
363		العربيّة الفصحى ولا بديل
377		المتقّف وخدمة الشّأن العامّ
393		شيخ اللّسانيّات المغفور له عبد الرّحمن الحاج صالح
403		بوخلخال العظيم

تقديم

للمفكر محمد العربي ولد خليفة

يجد القارئ باقية من المحاضرات والدراسات والمداخلات للأكاديمي أ. د. صالح بلعيد رئيس المجلس الأعلى للغة العربية، يخوض فيها العديد من القضايا المعرفية والاجتماعية والكثير مما يشغل الرأي العام الثقافي في الجزائر وفي المنطقة العربية والإسلامية.

وللمؤلف اهتمام علمي متواصل بمسائل اللغة واللسان ومباحث مرجعية منشورة تعدّ بالعشرات تتوء بحملها مكتبة منزله، فقد جمع بين الدراسة والتدريس في الجامعة والمشاركة الفعلية بمقاربات علمية في النشاطات العلمية، وخاصة المتعلقة بعلوم اللغة واللسان داخل الوطن وخارجه.

خلال مسيرته العلمية بين البحث والتدريس والتأليف أصبح للأستاذ الدكتور صالح بلعيد العديد من الطلاب - الزملاء وبعضهم من المريدين الذين استفادوا من مقارباته المنهجية البعيدة عن التعصب والمجادلات الانفعالية التي تنقصها الحجة والقبليّة للحوار.

يتّأس المؤلف المجلس الأعلى للغة العربية منذ بداية السنة الماضية وهو هيئة منصّوص عليها في التعديل الدستوري للسنة الماضية 2016، وحدّد مهامها بوضوح. كما تحدّدت معالم اللغتين الرسميتين ولا تقصّي إحداها الأخرى، فهما مع الإسلام من الأركان الثابتة للهوية الوطنية، وكلّ مزايده على أيّ من الدعائم الثلاثة، يؤدّي إلى صراعات لا جدوى منها، ويجعل من جوامع الأمة قنابل موقوتة أو هويات قاتلة في تعبير أمين معلوف.

في اللقاءات الكثيرة التي جمعتنا بشرائح من الجامعيين والمهتمين بالقضية اللغوية بعد أن تفضل السيد رئيس الجمهورية بتعييني على رأس المجلس الأعلى للغة العربية في بداية العشرية الماضية، كنت ولا زلتُ على اقتناع بأن اللغة، أية لغة، ترتبط مكانتها وإشعاعها بمنتوجها المعرفي، ومدى حقوق الناطقين بها ومستعملها في مجالات الإبداع في العلوم والفنون والآداب وكيف وكم التراكم الذي حققته في مسارها التاريخي.

إنّ للغة قاموساً وتراثاً أشبه بالعملة تقدر قيمتها في السوق بما أنتجه أهلها من الثروات المادية لتصبح قادرة على الدفاع عن نفسها بنفسها في عالم تسوده منافسة لا ترحم، تقوده اليوم التكنولوجيات المعاصرة وحواسيبها العملاقة التي مكّنت عددا قليلا من بلدان المقدّمة من سبر أغوار الفضاء الخارجي وأعماق البحار والمحيطات واكتشاف أسرار جسم الإنسان، ولا شك أنّ ازدهار اللغة وثرواتها الإبداعية تدخل كلّها ضمن منظومة كلية تتبادل التأثير والتأثير كما حدث خلال النهضة الأوروبية قبل حوالي ثلاثة قرون، وما عرفته المنطقة العربية والإسلامية بعد إرهابات ما يسمى النهضة العربية منذ انطلاق حركة التحرر الوطني من كابوس الكولونيالية الاستيطانية أو في صورة الحماية.

يمكن القول بأنّه ليست هناك لغة ضعيفة أو متخلّفة في حدّ ذاتها وأخرى متطورة وقوية منذ نشأتها وتداولها، بغضّ النظر عن التطوّرات الداخلية ومراحل الصعود والنزول التي عرفتها والتحوّلات التي حدثت في محيطها القريب والبعيد، وإنّ الصعود والنزول والتوصيفات المتداولة عند المقارنة بين العربية واللغات المهيمنة منذ أمدّ بعيد تنطبق على الناطقين بها وتوضع في السياق التاريخي الذي عرفته شعوبها.

هذه بعض العوامل التي من المفيد استحضارها لتقدير ما قطعته اللغة العربية من أشواط لاستعادة مكانتها، ومدى حضورها في مؤسسات الدولة وفي الوسط الاجتماعي بوجه عامّ بعد ما يزيد قليلا على نصف قرن بعد انتصار ثورة التحرير الكبرى سنة 1962، فقد أصبحت منذ ذلك التاريخ اللغة الوطنية والرسمية، ومن المعالم الأساسية

للجمهورية الجزائرية الوليدة بعد حرب ضروس وتجهيل وتهميش وتحقير للغة والثقافة الوطنية وهو ما حققته اللغة الأمازيغية في التعديل الدستوري الأخير.

وبعد المصادقة عليه في فبراير 2016، فهي مع اللغة العربية لغة وطنية ورسمية هو في رأينا مبادرة حكيمة للسيد رئيس الجمهورية تشجع كل الجزائريين الوطنيين على ترسيخ أوامر الوحدة بين الجزائريين الذين يجمعهم جذع مشترك وتجربة تاريخية تعود إلى آلاف السنين بما فيها من سراء وضراء.

إنّ تحديات الحاضر والمستقبل تتطلب من كل الجزائريين، مهما كانت خصوصياتهم اللسانية وتقاليدهم المحلية التي هي في الحقيقة ثروة وطنية، اعتبارها المؤرخ وعالم الاجتماع الفرنسي جاك بيرك (J.Berque) وهو من العلماء القلائل الذين يتقنون العربية والأمازيغية في محاضرة ألقاها في معهد العلوم الاجتماعية سنة 1976 بدعوة منا، بأنها أشبه بزربية تمتد في كل أنحاء الجزائر فيها الكثير من الألوان والأشكال لا يكتسب أحدها جماليته بمعزل عن الآخر، وهذا التوصيف صحيح بالأمس واليوم بعد تزايد ظواهر العولمة والشمولية والقبولية (Modling) والاحتواء عن طريق التفكير وتفعيل بذور الصراع والفتن التي غرستها من قبل الكولونيالية لكي تحقق اللغتان العربية والأمازيغية التقدم والحضور الفعلي في المؤسسات وفي الحياة اليومية، من المفيد جدا أن تتعاون المؤسسات المعنية وفي مقدمتها المجلس الأعلى للغة العربية والمحافظة السامية للأمازيغية والمجمع والأكاديمية المنتظرة بالنسبة للأمازيغية في جهد مشترك بعيدا عن الجدليات الثانوية والنقوع السياسي والايديولوجي، وقد قمنا بخطوة متواضعة في هذا المجال بتقديم كلمات الافتتاح والاختتام في المجلس الشعبي الوطني باللغتين العربية والأمازيغية لأول مرة والتعاون في هذا الإطار مع المحافظة السامية للأمازيغية ومسؤولها سي الهاشمي عصاد وهو ما لقي القبول والتشجيع.

تحمل مقاربات مؤلف هذا الكتاب تاريخ ومكان النقائنها وموضوعها، وتدلّ على أنّها ليست ارتجالية أو تشريفية (بروتوكولية) وأنّ له حضوراً فاعلاً ونشاطاً على

الساحات الثقافية في كثير من ولايات الوطن شمالاً جنوباً وشرقاً وغرباً، وخاصة عندما يتعلّق الأمر بمجالات اللّغة واللّسانيات التي تعجّ بالاجتهادات والخطابات بمختلف مستوياتها الفكرية فقد اكتسب الكثير من الاطلاع والتجربة الميدانية منذ أن أشرف على مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر بجامعة مولود معمري بتيزي-وزو والذي مكّنه من الاطلاع والبحث في الاشكاليات اللغوية الحقيقية والعلاقات الجدلية بين العربية والأمازيغية وتراثهما العريق فهو الابن البار لكليهما.

ويحرص الدكتور صالح بلعيد على المشاركة في الفعاليات المتعلقة بمسائل اللّغة واللّسانيات في كثير من المؤسسات المختصة والمجامع والجامعات في المنطقة العربية مشرقاً ومغرباً فواقع اللّغة العربية ومستقبلها اهتمام مشترك لكلّ البلدان العربية، ولا يقلل من الاهتمام باللّغات الأخرى، فاللّغة في رأي عالم اللّسانيات الأمريكي تشومسكي هي في الأساس فكر، وفي الفكر نواة جوهرية تجمع بين كلّ البشر، وتبقى مع ذلك من أساسيات الهوية والخصوصية.

نهى الأستاذ الدكتور صالح بلعيد رئيس المجلس الأعلى للّغة العربية على هذا الوليد الجديد وهذه الحديقة الغناء بقطوفها الدانية المفيدة للمتخصّص أو المطالع المهتمّ بالمسائل اللّغوية واللّسانية بأسلوب المؤلف الذي يمكن وصفه بالسهل الممتع.

د. محمد العربي ولد خليفة. في: 1 أكتوبر 2017.

مقدمة عامّة

يسعدني أن أجمع هذه المدوّنة التي عملت على إلقيائها عبر مختلف المناسبات ووسمتها (مناسبة وكلمة) وهي مدوّنة من الكلمات والخطب والمقالات، بدأتُ كتابتها بعدما أسندَ إليّ فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة مهام تسيير المجلس الأعلى للغة العربية بتاريخ 1 سبتمبر 2016. ومن خلال هذا الموقع، كنت حاضراً في كثير من المناسبات، وكلّ مناسبة تستدعي مني كلمة/ خطاباً والكلمة/ الخطاب يجب أن توضع للمناسبة ولكلّ مناسبة كلمات ذات العلاقة بها، وكلّ كلمة كان يجب أن تكون متوافقة مع المناسبة والحدث، فكلّ مقام كلمات/ خطاب خاصّ. وبذات الطريقة عملت جاهداً أن ألبّي المطلوب؛ بحيث لا تكون الكلمات نمطية، يتغيّر فيها فقط بعض الاستهلاكات، بل كنت أولي المناسبة ما تستحقّ من لغة ومسكوكات خاصّة بما لها من أهميّة، وما يجب أن يقال فيها وأرجو من الله أن أكون في مستوى هذه الثقة التي أولانيها فخامة رئيس الجمهورية لإعلاء صرح العربية والعمل على ازدهارها، وتعميم استعمالها والترجمة منها وإليها.

وخلال سنة واحدة وما يزيد إلّا القليل، مرّت مناسبات وطنية، وأحداث قارّة وكنتُ أدعى للحضور بل هناك مناسبات كان على المجلس الأعلى أن يكون المبادر للاحتفاء بل ليظهر على مستوى الحدث وبخاصّة لما تُطلب منه الاستشارة، وتكون له الكلمة في المقام. وأمام ذلك الوضع لم أقف مكتوف الأيدي بل لم تغب عليّ مناسبة وطنية أو دولية ذات العلاقة باختصاص المجلس الأعلى للغة العربية؛ إلّا والمجلس له الحضور والريادة، كما لم أقف عاجزاً أمام تلبية مطلب استشاري من قبل وزارة من الوزارات أو مؤسّسة وطنية، أو أعطت استعمال الاتفاقيات المبرمة مع الهيئات الوطنية بل للمجلس دائماً صورة المبادرة والظهور بما كان يقدّمه خبراء المجلس في كلّ اتّفاقية. وأقول: حاولتُ أن أكون حاضراً في كلّ المناسبات؛ بتحضير كلمة رائقة تليق بكلّ مناسبة محاولاً عدم الركون إلى الشفاهية، وإلى الكلمات النمطية.

ولهذا عملت على أن تكون كل كلمة تحمل الجديد في مضمونها وفي لغتها وفي أسلوبها، حيث لا يفوتني القول بأنني أحضرت الكلمة تحضيراً يليق بالمقام، وأجتهد في كل مرة على أن آتي بالجديد، خوف الوقوع في القول المكرور وتحريزاً وتحريجاً من مقام المجلس الأعلى للغة العربية، وهو هيئة تابعة لأعلى مقام في الدولة الجزائرية. والعربية أحق أن تمجد بأعلى كلمة أو خطاب يليق بمقامها كلغة الدولة، ولغة مجدها الله بما أولاها من إنزال قوله تعالى بها.

منهجية بناء هذه الكلمات: لقد بنيتها على ما يلي:

- 1- اعتماد المرجعية الدستورية لعمل المجلس الأعلى للغة العربية وهي:
1/1- العمل على ازدهار اللغة العربية.
- 2/1- العمل على تعميم استعمال اللغة العربية في العلوم وفي التكنولوجيا.
- 3/1- العمل على الترجمة من اللغات إلى العربية.
- 2- جمع المدونة زمانياً (دياكرونياً).
- 3- المحافظة على ذات الكلمات كما أُلقيت أول مرة، دون تعديل.
- 4- التقليل من استعمال المظان والأسانيد تسهيلاً للأمر.
- 5- اعتماد منهجية تقيّش المادة بوضعها بين شولتين، وأحياناً لا يُشار إلى ذلك ومنهجيتي في هذا أن كثرة الاستعمال لمسكوك ما يفقد حق الملكية الفكرية ويبقى للمستعمل الحق في الاقتباس دون تصرف أو بتصرف يراه.
- 6- وجود بعض التكرار؛ حيث المناسبات تقترب في بعض أبعادها من حيث الحدث والقصد؛ وأحياناً يتطلب المقام التكرار، بغرض التأكيد، أو يكون ممّا استدعاه المقام.

وهكذا، فمنذ استلامي مهام تسيير المجلس الأعلى للغة العربية، سطرّ خريطة طريق واضحة مبنية على الاستمرارية المتجددة، بتجنيد اللجنة التقنية والإدارية بمعية فرق منطوعة، ومُحفّزهم خدمة اللغة العربية بصورة جماعية؛ لأنّ النجاح صناعة جماعية، وهذا بغية خدمة العربية في أرقى تجلياتها، وسعيّاً إلى ازدهارها

في مختلف المجالات. فالكل مُستنفر للعمل، بجنود مُسخرة من أجل الرقي بالعربية. وكانت هذه الفرق تعمل بتؤدة أزعج أنها مضمونة؛ حيث لم ينكسروا يوماً؛ بل كلما يسخر ساخر إلا ويزدادون عملاً، وكلما يُنتقدون نقداً مبنياً على الصواب يعملون على التهذيب وحسن التسيير. وأشهد بأنه قدّمت لنا الكثير من المطالب اللغوية والعلمية والاستفسارات والاستشارات فُضّيت قضاءً علمياً.

مرة أخرى هذا الكتاب مدوّنة من الكلمات/ الخطب التي ألقيتها في مختلف المناسبات الوطنية، مع مجموعة من المقالات التي كتبتها في نفس الفترة، وذات العلاقة باللغة العربية، فقد دافعتُ من خلالها عن اللغة العربية دفاع المُحاجج؛ بأن اللغة العربية لغة علمية حيّة لها من الخصائص ما للغات الأخرى بل لها ما ليس في اللغات الأخرى؛ دليل دنصرتها، فهي لغة لم تنقرض ولا تنقرض، وهي متواصلة عبر الزمان؛ يفهم ماضيها بحاضرها دون معجم ولا قاموس، وكان القرآن هو الذي أسبغ عليها هذه الدنصرة، كما يحفظها من الضياع أو الاندثار بفعل الزمان وتغير الأحوال.

هي كلمات وخطب ومقالات أظهرتُ فيها قيمة العربية العلمية والحضارية والتاريخية وكيف تتعايش مع التعدّد اللغوي؛ باعتبارها تحظى بالمرتبة العليا تأخذ وتعطي، بل هي اليد العليا التي تُعطي وتُعطي ودائماً تعطي، وأحياناً تُجدد من بعض الجاحدين. كما أظهرت أثرها العلمي في اللغات الأوروبية: الإسبانية والمالطية والفرنسية، وحتى في الكثير من اللغات الآسيوية، ويكفي أن حروفها الآن تستعمل من 38 لغة عالمية، وكانت قبلها تستعمل من 238 لغة. وكنا نقول في كل مرة: العربية بخير.

العربية بخير، ولكنها تحتاج إلى من يخدمها بعلمية، وبخاصّة وأنّ الإرادة السياسية في وطننا، وفي البلاد العربية موجودة وقائمة، والنيّات حسنة في إيلاء العربية مكانتها فهل يهُب أصحابها لتقديم تهيئة علمية في مجال العلوم والتقانة؟ وهل يتحرك أصحابها لمدها بأسباب النهوض؟ وهل يعمل مُريدوها على أن تتال الصدارة بين اللغات الحيّة؟ أما كفانا نقداً وتجريحاً في ذات اللغة العربية؛ فالعيب فينا، ونحن نفترق إلى منهجيات التطوير اللغوي، نفترق إلى طرائق البحث في

كلمة أُلقيت بمناسبة الندوة المشتركة ٧

التمزيغت والعربية تكامل لا تنافر

— المقدمة: يأتي هذا العمل استجابة لمعالي رئيس المجلس الإسلامي الأعلى الذي رأى ضرورة تلاقي هيآت تابعة لرئاسة الجمهورية وهي: المجلس الإسلامي الأعلى + المجلس الأعلى للغة العربية + المحافظة السامية للأمازيغية لتبادل وجهات النظر حول المواطنة اللغوية في بُعدها الثقافي والتكاملي بعدما أصبحت المازيغية لغة رسمية حسب دستور 2016. وإنه من الضروري التفكير في مناقشة هذا الموضوع وإخراجه من ملف المساومات والتركيع والتهميش، ولا شك أنه سوف تحصل بعض التجاذبات الطبيعية، ولكن عندما تنزل أمثال هذه المواضيع إلى المختصين النزيهين تُحلّ الكثير من عقده، وبخاصّة إذا تبنّتها مؤسّسات الدولة وناقشها بصورة ديمقراطية واعية ومسؤولة، فمالها زوال النشّجات، ووراءها النتائج المشجّعات، وخاتمتها إزالة التوهّمات.

ومن خلال هذا الفعل نسعى إلى تأكيد ذلك التمتين والتفاعل الحاصل بين العربية والتمزيغت عبر التاريخ؛ لأنّ ثقافتنا -نحن المغاربة- مشتركة، وقد انبنت في الأصل على الثقافة المازيغية المُرَكّبة من اللّغة المازيغية ومن اللّغة العربية ومن ثقافة الإسلام وهذه الروابط كثيرة، ورابطها متين ومتعدّد، ولها وشائج تاريخية كبيرة. ولهذا يبدو لي أن تكون البداية من اللّغة؛ فاللّغة لها بُعد تاريخي وثقافي وما تحمله من قيم وحضارة.

٧— أُلقيت الكلمة بمناسبة الندوة المشتركة بين المجلس الإسلامي الأعلى + المجلس الأعلى للغة العربية + المحافظة السامية للأمازيغية. الجزائر: 7 نوفمبر 2016 بمقرّ المجلس الإسلامي الأعلى.

وأما مفهوم التثاقف Acculturation والتي تعني الاقتباس لبعض السمات اللغوية أو الثقافية أو العادات والتقاليد أخذاً وعتاءً، ففي ثقافتنا تجاوزت صورة الأخذ، لدرجة المزج والتصاهر والتبادل، وهذا ما حصل لدى الفاتحين العرب وساكنة شمال أفريقيا والذي تحول بعد هذا الزمان إلى المزج الكلي الذي لا يمكن التفريق بين الساكنة. وهذا ما سوف تظهره البنيات القاعدية اللغوية أو العلاقات البينية من حيث التفاعل الإيجابي في كل القضايا التي توضع محل البحث عن الفوارق، فتتعد الفروق في كثير من المقامات. وفي هذا الموضوع سوف أتعرض لبعض الأمور ذات العلاقة باللغة فقط.

وانّه لا يخفى على أحد موقع اللغة الأم/ الوطنية/ القومية لدى كل أمة؛ فهي فخرها وعزتها وماضيها ومستقبلها وجغرافيتها، ولهذا توليها كل الأمم من الأهمية القصوى من حيث ترقيتها وتطويرها، وإنزالها منزلة الغلبة. ولكن يحدث أحياناً أن يكون في البلد أكثر من لغة (تعدد لغوي)، ومن هناك تحدث تجاذبات وصراعات تؤدي أحياناً إلى خلخلة المجتمع، وتبعث القلاقل الوطنية، وهذا ما يحدث في حالة عدم الوعي بالتعدد اللغوي الإيجابي، فتصبح التعددية اللغوية ثنائية قاتلة أو متطرفة، ونتيجتها التهلكة والفرقة.

إخواني في هذا المقام، هناك نقطة هامة يجب أن يحصل الانطلاق منها لمعرفة البدايات الأولى للمسألة اللغوية في الجزائر؛ والتي لم تكن قضية في أصلها، ولا كانت من الخلافات؛ حيث إنّ البربر هم الذين تبنوا العربية عن قناعة، رغم تلك الأهوال والحروب التي شهدوها الفتح الإسلامي، فبربر كثر تعربوا، بينما الذين تلتنوا هم من القلة، بل ليس لهم عدد يُذكر. ومن هنا يمكن أن نعالج المسألة اللغوية إذا لم يقع التهويل والتهيج، وننزل أنفسنا منزلة الاحتكام إلى المنطق وإلى المعاصرة التي تتطلب منا اللّاحق العلمي، بدل أن نراجع أنفسنا في كل مرة وكأننا على خطأ، أو أنّ أجدادنا كانوا على غير صواب؛ ونبدأ في كل مرة من المربع الأول، ثمّ يجب أن لا يقع التخندق

ولا أن ندخل في قضايا التعطيل، فهي ليست لصالحنا، فنحن نعيش التخلف وهل نبقى دائماً في نفس الخندق، فما أحرانا العمل وفق الأبعاد العلمية والمرجعيات الوطنية والحضارية والتاريخية، وفكّ كلّ المشتبهات بقاعدة الاستماع لبعضنا البعض، وحان الوقت أن يحصل اللّوام اللّغوي؛ والثقافي تحقيقاً للتنمية الوطنية، وإضفاء للأمن في مفهومه العام.

ومع كلّ هذا، فيجب عدم تجاهل الخصوصيات اللّغوية من حيث الاستعمال اللّغوي في الأطالس الجغرافية الوطنية الجزائرية، وفي سجلات استعمال اللّغوي لمختلف مناطق الوطن، وهذا ما تفرضه أدبيات الاستعمال وموطن السكن، ونسيان لغات الأمّ بفعل الاختلاط، وما يلحق ذلك من جاذبية اللّغة الثانية، فهذه من المسائل الطبيعية؛ وهو أن يحتكم الإنسان إلى أكثر من لغة، وهي لا تدخل إلّا في باب الإضافات. وكذلك من الضروري تفريغ المسألة اللّغوية من الأيديولوجيات؛ وصولاً إلى عدم إشعال فتيل الاختلاف المؤدّي إلى توسيع الهوة بين أبناء الوطن الواحد، فيكون التعدّد ثراءً نرومه دعماً لعناصر الوحدة الوطنية، فهي متكاملة غير متنافرة.

— محدّدات الموضوع:

1— الإقرار بالتعدّد اللّغوي القديم: إنّ شمال أفريقيا ومنذ الممالك البربرية كانت مزدوجة اللّغات، وقد كان الازدواج اللّغوي نعمة كبيرة؛ لأنّه سمح بالتواصل البيني أو الأجنبي دون عوائق، وهذه خاصية جيّدة حيث أحسن التخطيط لها في ما مضى من الزمان، وكان سلاح ذلك العصر، وتواصل الفعل اللّساني إلى غاية ظهور الدول الوطنية. جميل جداً أن يحصل الازدواج المُستجلب للمنافع، ولا يصنع المآسي، ولا تحصل من ورائه نيز الألقاب، والأجمل في كلّ ذلك أن نحتكم إلى ضوابط تحدّد من الاختلاف، ولا تؤدّي إلى الصراع، فنريد تنمية هذه الازدواجية في إطار استراتيجية تعايش وتكامل لا تصارع وتتافر.

2 — الصراع المفتعل: إنّ ما يسمّى بالصراع اللّغوي كان مفتعلاً من خلال جماعات الضغط حول أطروحات إصلاح المنظومة التربوية، فنتجت عنها خطابات

إيديولوجية خرجت من المطالبة بالهوية الوطنية، وكان من نتائج ذلك "... إضعاف القدرة التكوينية والتربوية والمعرفية للمدرسة الجزائرية؛ بحيث لم تعد قادرة على خلق الامتياز لدى المنتسبين إليها، امتياز يمكنه أن يؤدي إلى تمييز المجتمع ككل⁽¹⁾". وكان كل ذلك إيداناً بفشل تدبير ملف المواطنة اللغوية في بعض أبعاده وغايته التجاذب الذي لا يزال قائماً إلى الآن.

3 — **عدم الوعي بالتكامل اللغوي الطبيعي:** وهو كائن في قضايا اللغتين من حيث المكونات: النحوية والصرفية والدالية والمعجمية، هذا ما تظهره طبيعة اللغتين: العربية والتمزيغت/ المازيغية من حيث الأرومة والتكامل في كثير من القضايا، ومن حيث النشأة والتبادل اللساني؛ لأنّ المنطلق واحد، والتكامل كان موجوداً في أصل وضع اللغتين. ومن هنا يجب الوعي المصاحب بالحديث النوعي الصحيح بأنّ المسألة اللغوية لم تكن محلّ صراع بتاتاً؛ فقد حدثت وضعيات تعايش تامة شعارها: **المازيغية إرثنا والعربية غراء اجتماعي توحيدي، فبالمازيغية كنا وبالعربية نبقي.** وهذا الوعي التام يجب أن يصحبه الرأي الصواب القائل بأنّ حضارتنا حضارة مشرقية لا غربية، كما أنّ أيام الشدة حدثت هجرات إلى المشرق لا إلى الغرب، وهو شعور العودة إلى الأصل. كما أنّ هناك مباعث الاعتزاز الكثيرة التي يجب الافتخار بها على غرار كتاب (مفاخر البربر) فكيف كان أبائنا أسوداً في الحروب، وكيف عملوا على حبّ العربية، والاعتزاز بالمازيغية، وكيف عمل ملوك البربر وعددهم ثلاثة عشر (13) ملكاً بربرياً— على إنزال العربية المقام العالي، وعملوا بها في دولهم ولم ينسوا التميزغت/ المازيغية؛ فكانت لغتهم الوظيفية التي يستعملونها في مناسبات تليق بها، وهذا مبعث الاعتزاز الذي كان عند السلف، فكيف لا يتكامل أو يتعزّز أكثر عند الخلف، فلم لا يكون للسابق فضل التأسيس، وللاحق فضل التطوير؟.

(1) — طيبي غماري، اللغة، المدرسة والهوية الوطنية الجزائرية. الجزائر: 2016 — دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، ص: 8.

4 - الوعي بالمطلب الهوياتي الوطني الإيجابي: يجب أن لا نفهم بأنّ المطلب الهوياتي المعاصر هو نوع من التجاذب أو الاختلاف أو الخلاف أو الانعزال أو التفريق بين الساكنة، بل إنه إقرار بالمواطنة اللغوية الإيجابية ليس إلّا، أو هو إجراء كان يجب أن يحصل، ولكن لم يحن الأوان. وكانت جرأة فخامة رئيس الجمهورية السيد (عبد العزيز بوتفليقة) كبيرة، فأنعم به من رئيس جريء! فلأول مرّة في تاريخنا القديم والمعاصر، ومنذ المملكة المازيغية الأولى يحصل للمازيغية أن تكون لغة رسمية، وهذا من خلال دستور 2016. لقد وقع الإقرار بها؛ وهي تُمارس وتُدرّس ويقع البحث فيها وبها، وهذا شرف عظيم أن نحتكم إلى المنطق الجامع، لا إلى الإلغاء الذي لا يولّد إلاّ الفرقة والضعينة. وبذلك نقول: إنّ المازيغية والعربية لغاتنا، والإسلام ثقافتنا، وبالعربية نمارس وجودنا العلمي والفكري، وبلغاتنا الوطنية الرسمية نمارس وجودنا الثقافي والفني. وهذا الوعي يستلزم الدعوة إلى ضرورة التكامل، والعمل على مزيد من التأدية الجماعية ويعني هذا تعميق المفهوم الوطني للبربرية/ المازيغية، وتصحيح الوضع اللغوي الإلغائي، ولا ندين أيّ أحد بذلك الوضع الذي مرّ؛ لأنّ لكلّ زمان معطياته؛ يعني يجب أن لا تبقى المسألة اللغوية في يد الأجانب يستغلّونها لخلق نعرات بيننا.

5 - التركيز على التعايش اللساني: يجب التذكّر بأمثلة التعايش والتأكيد عليها

من مثل:

- إظهار مواطن القوة في هوياتنا، وتكون قراءتنا قراءات مضيئة لا تحريضية؛
- عدم القياس على الظواهر الانعزالية الفردية، وأحياناً تصدر كردّ فعل، فلا يجوز الاتكاء عليها لتمتين المستقبل؛
- الإقرار الحقيقي بأنّ ساكنة شمال أفريقيا تبنّوا الإسلام عن قناعة، وتعلّموا الدين الإسلامي بتدبّر وروية، ونشروه خارج مواطنهم، وجعلوا لغة الإسلام تتال الصدارة؛
- حصول الوئام والتناسق والتجاور بفعل الإسلام الموحد الذي يرفض الاعتداء مهما كان نوعه؛

- عمل التعايش الاجتماعي على تمتين الروابط اللغوية إلى حد الاستئناس الاجتماعي المتصاهر؛

- إقرار المختصين بالتداخل والاقتراض اللغويين، وأثر العربية ظاهر في كثير من اللغات، وهذا ما يقرّ به الباحث (سالم شاكر) بأنّ القبائلية بالخصوص تأثّرت بالعربية بشكل لافت للنظر يصل إلى 49 % وهو من الدخيل، فكيف الحال في اللغات الأخرى؟ وهذه النسبة في بعض السجلات تصل إلى 65%؛

- الاستشهاد بالقوالب العربية في لغاتنا الشفاهية، وفي المسكوكات، وفي الأمثال وفي النوادر، وفي القاموس اللغوي بصورة عفوية.

6 - العربية والمازيغية ليستا في حالة تعايش، بل في حالة تبادل دائم؛ وما
ينقص هو العمل على تجسيد الإسمنت الوطني كإسمنت يقوي العلاقات بين أفراد المجتمع الواحد كما قال Schnaper ومع ذلك يجب تجسيد هذا المبدأ عبر التنشئة الاجتماعية وتغذيتها المدرسة مهما تعددت ألسنة تلاميذها، وتضيفها جملاً مؤسسات الدولة التي نمثلها اليوم، وتسعى إلى تثبيت المكونات الوحيدة المجرّدة في السلوك الاجتماعي؛ لأنّه عندما ترتبط اللغة بهويات وطنية لا يمكن أن تحصل الفرقة ولا الضغينة ولا الاختلاف ولا الخلاف، وقد يحصل الاختلاف المنهجي لكن الهدف واحد. ومن هنا يبدو لي بأنّه يجب أن نستثمر المطلب الوطني المازيغي في إجراء تكويني يؤدّي إلى التوازن والانسجام مع الراهن والمستقبل. ومن الضروري المحافظة على الخريطة اللغوية المعاصرة؛ بتكليف نفعي غرضه توزيع استعمال لغوي نفعي يمتّاشي وتطلّعات الساكنة. وكلّ هذا يصنع منا الكثير من التسامح اللغوي، وتقديم التنازلات التي تؤدّي إلى حسن التأدية بغية التكامل الذي هو من متطلّبات الأمن في مفهومه العام. ولهذا من الضروري كمؤسسات الدولة أن نكون

يقظين من بعض الهنات أو السقطات المخلّة بالفعل التكاملي، وكان لازماً علينا إعادة النظر في بعض القضايا التي تعمل خارج التكامل من مثل:

1 - ميكيفيلية عدو الأمم: كما نعرف بأنّ الفرنسيين دسّوا أنوفهم في المسألة اللّغوية، وحاولوا إعطاءها صورة التفتيت باتّباع سياسة (فرّق تسد) حيث كانوا يسعون إلى فهم الشعب الجزائري؛ للعمل على تفتيته ضمن سياسة فرنسا الاستعمارية، بأنّ جندّت مئات ومئات من الباحثين والمُستكثّبين والعسكر، وأرسلتهم إلى مختلف المناطق وجعلتهم يكتبون ويفيدون عسكر فرنسا. وقامت منهجيتها الاستعمارية على سياسة البحث عن خلق أو إيجاد الفواصل والتباعد اللّغوي والتركيز على بعض الهنات التي أحدثها العرب أثناء تواجدهم الأولي في الفتوحات الإسلامية الأولى التي شابهها بعض الغموض والتصرفات المخلّة بحسن الأداء العربي الإسلامي. كما كانت فرنسا الاستعمارية تتبنّى أطروحات: التمييز + اللون + تعدّد الأعراق + النزوح + عرب + بربر + أقليات... كما يجب أن لا ننسى أنّ الدعوة إلى كتابة البربرية بالحرف العربي في أوّل أمرها تأتي استكمالاً للعمل بالعرف بدل الشريعة الإسلامية واستعداداً للاندماج وتخصيص منطقة القبائل على أنّها تمثّل البربر كلّهم. وبدأت أعمال تظهر بالحرف اللاتيني في باريس ولندن، ومع هذا فإنّ الكتابة بالحرف العربي كانت الأكثر استعمالاً.

وكما نعلم بأنّه بدأت تلك الدراسات مع العقيد (كاريت) في الأربعينيات من القرن XIX ومع (أرنبيه) ثمّ تلتها دراسات الكنائس، ثمّ جاء (رونييه باسي) وولديه ثمّ (هانوتو) ثمّ (شارل دو فوكو) ... ثمّ تمّ إنشاء كراسي البربريات، ثمّ الاهتمام بالأرشفيف البربري، والأرشفيف المغربي، ثمّ جاءت أبحاث أخرى تزيد في تبعيد ساكنة الجزائر عن بعضهم مثل أبحاث (هانوتو) الخاصّة بجبل جرجرة، ويساعده (لوتورنو) في كتبه (جرجرة وعاداتها) (الشعر الشعبي في الزواوة) (لهجة الهقار). وتوالى مؤلّفات ومعاجم ونصوص بربرية مترجمة إلى الفرنسية ونجدها عند (دومينيك لوسيان). وجاءت تلك النصوص في بدايتها مكتوبة بالحرف العربي ومن ثمّ بدأت الأبحاث التي توصّلت إلى اكتشاف حروف التيفيناغ على يد (أودني

Quadny) الذي قال هناك 19 حرفاً للبربرية، وهذا سنة 1822 عند التوارق ويكتبون بها لغتهم، ثم أضاف (هانوتو) عملاً مماثلاً عند حديثه عن الهوقاريين سمّاها لغة التماشق. كما أدخل هؤلاء الباحثون أنوفهم في الشريعة الإسلامية والعرف والمواريث وأحدثوا خلطاً بينها في القضاء، وفي السجلات، وفي الأسامي وطالبوا بتحرير كلّ السجلات والأملاك والأعراف بالحرف اللاتيني، والتخلّي عن الحرف العربي وصوته... والمهمّ في الأمر أنّ المستعمر خلق نعرات كثيرة أراد أن يزرعها في الشعب الجزائري بخلق استثناءات بين الساكنة "... لقد خلق الرسميون الفرنسيون صورة إيجابية للبربر، باعتباره جنساً قريباً ثقافياً، وجناباً من الحضارة الأوروبية، وبعد ذلك بدأوا في الاستثمار المالي والتربوي في المناطق المتلاعبة بالبربرية لخلق النعرات التي تبقيهم الحكم دائماً⁽¹⁾" ورغم كلّ ذلك فلم تتجح تخطيطاته ولقيت أمثال تلك المحاولات الكثيرة معارضة كبيرة من قبل العلماء المغاربة والجزائريين منهم محمد السعيد الزواوي المدعو (أبو يعلى الزواوي). وهناك معارضة كثيرة حول تلك المظاهر الزاعمة بأنّ ساكنة شمال أفريقيا من أصول جرمانية⁽²⁾...

2- التنصّل من دعاوى التأسيس للأمة المازيغية المتميّزة والمتسامية عن

الأمة العربية: وهذه الفكرة قائمة لدى بعض الفئات التي ترى نخبوية مازيغية لغتها ثنائية: مازيغية + فرنسية فقط. وبمسّ التنصّل تلك الدعاوى المنادية بإقصاء العربية باعتبارها دخيلة، ولا أمل فيها، ولا يمكن الوصول بها إلى العلمية، ومن الضروري صرف النظر عنها، فقد فشلت على أكثر من صعيد، ولا تصلح إلّا للأدب والعلوم الإنسانية.

(1) - Paul Silverstein, Algeria in France Transpolitics Race And Nation. Indiana University. Press Bloomington P 39.

(2) - ينظر: محمد أرزقي فراد، المؤرّخ أبو القاسم سعد الله والأمازيغية من الإجحاف إلى الإنصاف. الجزائر: 2016 منشورات الحبر.

3- رفض التماهي مع مشروع الهوية الغربية الذي تتبناه بعض النخب المفرنسة: تلك التي ترفض كل ما هو لغات وطنية هو من التخلف. وهو تماهي غرضه مسايرة الفرنسية التي هي المخرج في نظرهم. ولكن هذا الطرح في وقتنا المعاصر بدأ يعرف حلحلة في المسألة؛ حيث بدأت هذه النخب تقرر بوطنية اللغتين: العربية والمازيغية وبدأت تقدم تنازلات بحثاً عن هويات فاعلة وبناءة.

4 - التبرئة من تلك الأقوال المغالية والمحبطة من مثل: العربية لغة الشعر والأدب والفرنسية لغة الفعل والتنمية والحداثة، والمازيغية لغة الفن والرقص... أمام هذا الوضع كيف العمل لإعادة النظر في المسألة اللغوية في الجزائر. فلا بد من مراجعة المسائل ويكون البدء بجلد الذات، والوعي بأهمية اللغات الوطنية التي لها الأولوية في التدريس وفي الاستعمال. فدعم اللغات الأجنبية أن يكون بشيء من النفعية بحيث نستفيد منها ولا تكون وسيلة استخلاف أو بديلاً عن اللغات الوطنية فلا نريد غنيمة حرب إذا تصبح قنبلة يُتحكم فيها عن بُعد.

- خاتمة: إنه من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن هناك صراعاً، ولكن لا نهول من أمره، فهو صراع بعض النخب التي لا قاعدة لها، فهي رؤوس بلا أجساد فصراعها عبارة عن ضجيج ضعيف؛ لأن عامة الشعب لا تنظر إلى المسألة اللغوية بمنظور التعقيد أو التميز أو التنافر، فالمسألة عندها مقضية، فكل لغة وطنية وظيفية تقوم بها فترى بأن البحث في هذا الأمر إيقاظ للفتنة النائمة، فالشعب الجزائري لا إثنية فيه، فهو مُنسجم في كل جوانبه، فلا مجال ينفع في الأمر. ولكن لا يعني هذا أن نصم آذاننا عن تلك النخب المنادية بضرورة إيلاء المواطنة اللغوية مكانها اللازم؛ وبخاصة تلك النخب التي لها صورة البناء الوطني في صيغته التكاملية، وهي نخب كثيرة كان يجب أن تشرك في إعطاء الرأي، وفي الإسهام في الندوات، ولا شك أنها منتجة لأفكار ذات نفع وطني عام.

وفي الأخير أروم من هذه الندوة دعوة المختصين غير المغرضين للبحث في قضايا تجمعنا، قضايا الشأن العام؛ قضايا الوحدة، كما لا نعدم الاحتكام إلى فعل الأجداد

الذين نظروا إلى المسألة اللغوية نظرة تكامل لا صراع. وفي هذا المجال لا نعدم تلك المقولة لأبي يعلى الزواوي تـ 1952م، الذي أشار كتابه (تاريخ الزواوة) إلى أن هناك علاقة تقارب كبيرة بين الحميرية والبربرية، كما أشار في كتابه (جماعة المسلمين) إلى العلاقات اللغوية في جوانب النحو والعدد؛ كون البربرية حميرية الأصل. وأما تلك الكتابات الأولى للبربر قبل الإسلام فهي لا تعدو أن تكون مكملّة للحرف الذي كُتبت به، فهذه كتابات القديس أوغسطين والملك يوبال ومن كتب بالرومانية أو اللاتينية أو الإغريقية، فتصنّف ضمن الأدب الأوربي.

ومع كلّ هذا، فإنّه لا بدّ من الخروج من فكر الانغلاق القومي أو الهوياتي وعدم القفز على الحقائق، والإقرار بالهوية الوطنية المازيغية، والتفتح على اللغات الأجنبية وهي ضرورة قصوى تملّوها علينا آليات الانسجام الجمعي الوطني؛ سعياً إلى بناء مستقبل يتجاوز العقبات اللسانية.

— المقترحات:

- 1- الإسراع في تأسيس الأكاديمية التي تهتمّ بلغاتنا، والاحتكام إلى فعل الأجداد.
- 2- الوعي بالهوية الوطنية وما يلحقها من اعتزاز باللغات الوطنية، وضرورة تطوير اللغتين تماشياً وراهن التقانات.
- 3- التعامل مع المعطيات الظرفية بنظرة برغماتية أساسها الوحدة اللغوية في ظلّ التعدّد.
- 4- ضرورة التخطيط اللغوي والتربوي المرحلي؛ انطلاقاً من الهوية الوطنية تسانده البرامج الحكومية في مضمار خاصية التدرّج والتقارب بين اللغات الوطنية.
- 5- الدعوة إلى دمج أقسام الأدب العربي والبربرية/ التمزيجت في الجامعات الوطنية في قسم واحد.
- 6- العمل على جمع التراث الوطني المازيغي وتصنيفه والإفادة منه.
- 7- العمل على إقرار المصطلحات الموحّدة للغات الوطنية.

- 8- ضرورة التبادل الإقليمي بين اللغتين الرسميتين: العربية والتمزيغت.
- 9- تبني أبجدية منسجمة مع منظومتنا التربوية والحضارية والعلمية والتاريخية الجامعة بين اللغتين.
- 10- إقامة المزيد من المؤسسات العاملة على تطوير اللغتين.

كلمة اليوم العالمي للغة العربية

في 18 ديسمبر 2016*

تحت الرعاية السّامية لفخامة رئيس الجمهورية السيّد عبد العزيز بوتفليقة يُحيي المجلس الأعلى للغة العربية اليوم العالمي للغة العربية الذي سنّته الأمم المتّحدة سنة 2012، وهذا احتفاءً وتقديراً للغة قوية وسليمة، ولغة الحضارة الإنسانية؛ ولأقدم لغة سامية، وإحدى اللّغات العشر الأكثر انتشاراً في العالم، ولغة رابعة في الترتاب الدولي في الشّابكة، ولغة المسلمين، وعلى الخصوص لغة العرب.

وإنّه خلال انعقاد الدورة التسعين بعد المئة (190) للمجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو، تقرر إدخال اللغة العربية ضمن اللّغات الرسمية، ولغة العمل في الأمم المتّحدة، ولم يكن يأتي هذا اليوم عبثاً إلاّ بفضل تلك الجهود العربية التي كُتفت في أروقة الأمم المتّحدة من أجل أن يكون للعربية موقع على غرار اللّغات المُعترف بها في التداول العالمي: الفرنسية+ الإنجليزية+ الروسية+ الصينية+ الإسبانية. وقد حصل بالفعل إقرار حضاري وتاريخي؛ بأنّ للعربية موقعاً بين اللّغات الست. وهذا الإقرار الحضاري يُبرز الإسهام المعرفي والعلمي لهذه اللغة ولأعلامها العاملين على تطويرها في مختلف مناحي المعرفة. وبذا يكون احتقاؤنا هذا احتفاءً اعتبارياً لتأكيد مركزية هذه اللغة عندنا بما لها من مقام في مشاريع الدولة الجزائرية، وبما جسّدته الدولة من مؤسسات تعمل على تطوير/ ترقية مجالاتها، بله الحديث عمّا نالته العربية من استعمال في المدرسة، وفي الجامعة، وفي التكوين المهني، وفي الإعلام وفي الإدارة... وبما عند غيرنا من حضور فعلي في الجامعات الغربية

* أُلقيت الكلمة في المكتبة الوطنية بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية في 18 ديسمبر 2016.

وفي مراكز البحوث؛ حيث لها الموقع الاعتباري والعلمي، دون الحديث عن موقعها كلغة أولى أو ثانية وطنية أو أجنبية في كثير من الأمم غير العربية.

وإنّ الحديث عن العربية في الواقع وما حقّقه من مكتسبات، وما تملك من مواصفات جاذبة، بدءاً من الإطار التاريخي وإلى الأهمية المعاصرة، وإلى المجالات الحيوية، لهو من الأهمية التي ننوّه بها على أنّها تتال خطى ثابتة ومضمونة، ولها الموقع الجيّد في نيل المزيد. ولذا، كان علينا بذل الجهد لنقله نوعية للعربية بالعمل على أن يكون لها موقع عالٍ في العلوم وفي التكنولوجيا ونستغلّ وسائل الترجمة لنقل العلوم التي تفتقر إليها في الوقت المعاصر، ونعمل على حلّ المضايقات التقنية التي تقف دون نديتها مع اللّغات المنتجة للعلم.

وها هو اليوم العالمي للغة العربية نعيشه، ونحتفي به باعتبار المعرفة لا تكون بلا لغة، كما لا تكون الثقافة بلا لغة، وكذلك لا تكون الهوية بلا لغة فاللغة هي حجر الأساس في عمليات التفكير والإدراك، وهي السبيل إلى المعرفة، وهي وسيلة التواصل والفهم والتخاطب والتعبير عن المشاعر هي التي تستوعب كلّ ذلك، إن لم نقل إنّها اللسان الفكري الذي يعبر به الإنسان عن أفكاره وآماله وتاريخه، ولهذا تهتمّ الأمم بلغاتها، وتحثي بها تقديساً لمقامها ولموقعها في الهوية وفي الوجود وفي الاستمرارية. وهذا هو الفعل الحضاري الذي تعمل الأمم لصالح لغاتها، فأنعم به من فعل!

أيّها الحضور: وفي هذا اليوم الأحد الثامن عشر (18) من ديسمبر لسنة 2016 ارتأى المجلس الأعلى للغة العربية أن يكون في الموعد ليحتفي بالمناسبة، وهو احتفاءً اعتباري علمي وطني بيوم دراسي خاص؛ غرضه التنبية إلى ضرورة الاعتزاز بالعربية وتكريس الجهود لازدهارها، والبحث عن أفضل السبل التي تؤدّي لاستخدامها الاستخدام الأمثل، وبذل الجهود لتطويرها تطويراً وظيفياً يخدم الجوانب التقنية؛ مع الحفاظ على هويتنا الثقافية، والنظر إلى مستقبلها المرهون بالوعي اللغوي المصاحب للعمل على تقدّمها، والوصول بها إلى أن يكون لها الإشعاع العلمي، ولا يحصل ذلك إلا بتضافر الجهود العلمية والتربوية والإعلامية

والإدارية والفنية، وكلّ المباحث التي من شأنها أن تصل للمتلقى في أيّ مكان في الوطن وفي العالم؛ باعتبار العربية لغة الحضارة الإنسانية.

وإنّ موقع المجلس الأعلى للغة العربية من خلال هذا اليوم هو العمل على أن يكون في الموعد، وهذا ما قام به بتسطير برنامج علمي ثقافي تراثي وشعري مُراعاة لموقع اليوم الذي يتأطر ضمن مصطلح (الاحتفائية) ويطمح أن يعمل على تفعيل الحركة العلمية والثقافية بأمثال هذه المناسبات ذات العلاقة باختصاصه، وبما يقدّمه من منتج؛ يروم منه العمل على أن تتألّ العربية الازدهار والصدارة والتعميم والاستعمال الجيّد وليس ذلك بعزيز، عندما تكون النوايا حسنة مُصاحبة بفعل خدمة المواطنة اللّغوية في أبعادها الحضارية والتاريخية والعلمية والوطنية وهذا ما يتجسّد في برنامج فخامة رئيس الجمهورية السيّد عبد العزيز بوتفليقة.

إخواني: هذه كلمة المجلس الأعلى للغة العربية، وهي مقتضبة؛ تأتي فاتحة لما يتّبع من محاضرة حول (اللغة والهوية في عالم اليوم) إلى جانب ذلك العرض الخاصّ بتلك المطابع التي عملت على الحفاظ على الحرف العربي، وعملت تلك المطابع على نقله إلينا بصورة تقليدية، ووصل إلينا سليماً، ويشهد لها بأنّها ناضلت على هذا الحرف الذي نال موقعاً هاماً، فكان فعل المطابع فعلاً حضارياً ولم يكن ذلك ليحصل إلاّ بتلك الأفكار لأصحابها الذين كانت لهم نظرات استشرافية ورؤى وطنية، فأكرمّ بهم من وطنيين! كما سيكون لهذا اليوم وقع خاصّ بما تُشغّف به آذاننا من شعر تستدعيه المناسبة.

ومرّة أخرى باسمي الشخصي، وباسم الفريق العامل في المجلس أرحّب بكم جميعاً في هذا اليوم الدراسي لما له من أهميّة في خدمة قضايا تطوير آليات اللّغة العربية وهذا ما يضيفي الصفة الفعلية والعلمية لمقامها العلمي والتاريخي والحضاري مع شقيقتها المازيغيات، وهما صنوان متكاملان في إطار التعدّدية الانسجامية، فأنعم به من وحة! وتحياتي لكم جميعاً، وأرجو حسن الاستماع والاستمتاع وأخذ الفائدة المقنعة، والسلام عليكم.

كلمة في تكريم الأستاذ بلعلام الورثلاني^١

ماذا عساني أن أقول في شيخنا محمد الصغير بلعلام الورثلاني، شيخ جليل تقطر منه الأمانى، فقد اجتمعت فيه مجلوبات السعادة: التواضع والعفو والصدقة، فكانت من المعاني وهي وسام الشيخ الغبريني. بلعلام المُحتفى به فقد اكتملت فيه وسمات معاني المحمدية والمحابة والعلمية، وكانت له من الأمور المودودة، ولقد جئنا اليوم لنكرمهُ أحسن التكريم وهو أهل لهذا التوسيم، فتوشّحه جمعية الكلمة، بما لها من دراية وخبرة وأنا جئت لأسمع مآثراته الفضيلة، وأستلذّ بأبحاثه المأثورة، وعهدتُ كلامه الطويل وما يخرج من فيه الجميل فأرى ما ينثره موزوناً، وكأنّها في بحور الشعر مفتوحة فمن سلسلة إلى سلسلة، فالكلام يتصل ولا ينقطع، والأقوال تأتي وتتطبع، أهو مكتبةً متنقلةً، أم خزانة تحمل المتون الجاهزة. ومن خلال كلّ هذا؛ رأيتُ أن ألمّحَ بمُلحٍ من الأدب، عسى أن تتلّ موقعها عند المُحتفى ويكون لها عند الحضور وقعُ الصدى.

إخواني لا أملك سجعَ الكهّان، ولا أنطق بالشعر الفُتّان، بل أنحاز إلى ما يستدعيه المقام، فوجدت نفسي أملك بعض المنافحات، أُلقيها على شيخنا بلعلام علّه يدعو لنا بالنجاح في المهام. فالمقام يستدعي مني بعضَ المنافحات، وذكرَ خصال الشيخ بالتلميحات، ومع ذلك وجدت نفسي ضعيفة، لا حول لها في القبض على المعلومة فكيف أعرف المعروف، وكيف أكون غيرَ مصروف فأراني كالمُخبر عن ضوء النهار الباهر، والقمر الزاهر، وأيقنتُ أنّي حيثُ انتهتُ بي القول منسوبٌ إليّ العجز، مُقصرٌ عن الغاية لما؛ لبلعلام من مواهبٍ عديدةٍ وخصالٍ كريمة، فمهما قلتُ فيه، فأنا عاجزٌ عن الوفاء بالتعبير، وواهمٌ عن استكناه خصائص التدبير، التي يحوز عليها بلعلام المُنير.

^١ — أُلقيت الكلمة بمناسبة تكريم الباحث محمد الصغير بلعلام، من قبل جمعية الكلمة في: 19 ديسمبر 2016.

وهذا بمناسبة الاحتفاء باليوم العالمي للغة العربية

إنّ بلعام الذي تحتفي به جمعية (الكلمة) هذا اليوم، لهو جدير بالتكريم دون لومٍ فأنعم به من رجل همام! وأكرم به من عالم ذي حسام! فصدّقوني تلاحقت عليّ المسكوكات، فأيتها أختار للمقام، وأيتها تعيني عن الزحام، فمن أية زاوية أنظر يا إخوان وكيف أصف الصديق المنان. بلعام في سيرته العلمية خريج زاوية ثغراست بسحنون وطالب زاوية سيدي يحيى العيدلي بثامقرة، درس على الشيخ الجليل محمد الطاهر آيت علجت، فمن مريدي الزوايا، إلى طالبي معهد ابن باديس، ومن قسنطينة إلى تونس ومن تونس إلى الجهاد والنضال.

الأستاذ بلعام طودٌ شامخٌ لا تسلك إليه ولا يُصار، فمن أراد الوصول إليه؛ لا يجد له سبيلاً فمن حيث نظرت إليه تعجز عن أداء الوصف، ولا يمكن أن تقول كل شيء إلا ويُطال الحذف، فهو كالبلور من حيث نظرت، وهو الشيخ من حيث التفت فلا يمكن أن تقي كل الجوانب، وتبقى هناك ثغرات تجانب، فأكتفي ببعض التوصيف وأروم أن تكون من الكلام الوظيف، فهو الفصيح في القول والمُبهر في الفعل، تتفعل له العقول وتذهب إليه الأصول، حيث ترى كلماته تتألّ انثيالاً، ولا تتعقّد اختيالاً؛ حيث تعود السير في الكلام المُهمّد، فلا يقبل مطبات الكلام المُعقّد فلمست فيه إيجابية الفرد المُنتج وقوّة الحكيم المُدمج.

محمد الصغير؛ صغير في اسمه، كبير في عمله، مجاهد ملبٍ لنداء الواجب ومن الجبل مرّة أخرى إلى تونس، ومن تونس إلى سوريا. ومن الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، ويُشمر على الساعدين بعد الاستقلال، ويكون من بُناة الوطن بكلّ اعتدال. ومن يومها لا يزال معطاءً، وفي أعماله وسناءً، وهو الذي يقول: سَأَبْقَى أُعْطِي وَأُعْطِي وَمِنْ ثَمَّة أُعْطِي، ولو أُجِدَّ في ما أُعْطِي. هذا هو الشيخ بلعام المِعطاء فأكبر به من وطني مِضياء!

إخواني وزملائي، أراني في هذا المكان مُقصرّاً، وأنا أختار ما يكون مُفسراً فلم أجد ما هو سطحي، حتى غصت في الأعماق بقلمي، وكدت أغرق في الصيد، ولكنني غطست بعيداً دون القيد، فوجدت المرجان الثمين، في أعمال بلعام

الرصين، فأراني أستاذ اللآلئ، في لُجّة بحر بلا مرافئ فيا له من صيد وفير ويا له من علم مُنير. وجدتُ الموسوعية في المعلومات عندما رجعت إلى تلك المؤتمرات، وما حضرت إلى جانبه من ندوات، وأستذكر بحوثه العلمية في المشداليين، وما يصحبهم من البجاويين وما دبّجه في ابن المعطي، وفي ابن آجروم القرومي وأشهد بالعلمية لمحاضراته عن الطاهر الجزائري، وما قدّمه في الغبريني، وما دوّته في الشيخ السكلاوي، وما جمعه من مدونات جاليتنا في تأسيس المكتبات، وما كانت تحمله من أفكار الكليات، والتي عملت على النهوض في الشام بما سنّه أجدادنا من مهام، وكان ذلك حقاً من فتوحات فعل الأجداد فلهم كلّ المدائح والأوراد. وقد عمل الشيخ بلعلام على التوضيح، في مسائل تحتاج إلى تصحيح، وكان فيها من المنصفين، بل بزّ فيها المُفَنِّدين.

إخواني: تعرّفت عليه جيّداً في مؤسّسة مولود قاسم ناث بلقاسم، ومن خلالها عرفته أنّه صاحب الفضل؛ لأنّه عاش وتربّى في مدرسة الأفاضل وبخاصّة أنّه من مريدي زاويتي الأشاوش، رحمانيتان في الروح، مجاهدتان في النضال واللوح، فلا تذهب إليهما دون أن تأخذ التبريكات، لتعود بالبركات زوايا الخير في بلادنا المحافظة، زوايا الإعمار المُجاهدة، بوسطية الإسلام، وعمّدة لغة الإسلام، عريضة نطق بها الكثير من الأنام فأنعم برسولنا خير الأنام!

السي بلعلام تأطّر في وزارة الشؤون الدينية بمعية سي المولود، وقد أكسبته الصُحبة مزيداً من السرعة المعهودة، وضبطاً في المنهجية الدقيقة، ولو أنّه خريج سورية الشقيقة ولكنّ هذه الأمور تُؤخَذ في مدرسة الزعماء، وفي جامعة العُظماء وفي أركان فنّ التسيير، للخلوص إلى أساسيات التدبير، ومن ثمّ طبق الأمر في الوزارة، وفي رواق الإدارة، وفي منظومة الدائرة، فكان من المُسيّرين الذين أحكموا فنّهم النبيل، ولزم خير سبيل، فخرج منها سليماً بالشارّة، ولم يكن ممّن لحقّتهم الإشارة.

بلعام كما عرفته علمياً، وخبرته كلامياً، كان إذا عبّر حيّر، وإذا أُوجز أعجز وتجدّه يتوهّ في قديمي المواضيع، ويلحق ما هو من الماضي بالحاضر في المراجع فلا يستقرّ له قرار، إلّا عند اتّخاذ القرار، فأراه أحياناً من الذين يقولون: ما تعلّمنا إلّا القليل، فالتعلّم عنده هو التعليل، كما أنّ التعلّم هو ألا يفوتك إشعال الفتيل، وأراه في كلّ مرّة ينصح ويقول: تعلّموا أنسابكم، تعرّفوا بها أصولكم فتصّلوا بها أرحامكم، وهذا ما يُستقى من كتابيه: علماء زواوة، وكان فيهما ممّن أسهم في جمع ذخيرة بجاية.

أيّها الحضور: إنّي هنا لستُ مادّحاً كي لا تحنّوا على وجهي التراب، ولا تقولوا إنّي من أهل جاهزي الجواب، بل أراني مُعيدَ الفضل لذويه، وذاكرَ الرجل بما فيه فصيقي بلعام لا يفیه الخطاب وعندي لا يتنزّل في ما ليس له باب فلا أرمي عليه الزهور وأعلم أنّه لا يمور فينطبق عليه من يقول: أن يكرهك الناس لصراحتك خيرٌ من أن يُحبّوك لنفاقك. فبلعام لا يداري النفاق، ولكنّه يسعى لنيل الرفاق والذين يقولون له أنت هنا على الصواب، وأنت هنا جانببتَ الجوابَ فكلامٌ جيّد يعمل على التزقيع خيرٌ من كلام سيء يعمل على التزفيّع، ومن ثمّ يأتي من يُصنّفه في المداهنات، ويُصبح من كلام الخرافات.

إخواني كلام كثير يُمكن أن يُقال، ولكنّ المقام لا يتسع لكلّ ما يُمكن أن يُقال أختم قولِي بهذا الكلام، عن الشيخ الهمام، فالشيخ بلعام من فطاحلة الباحثين، ومن كبار شيوخنا العاملين، فقد غاصّ في الأصالة، وطوّرها بالحدّثة ولم يشكّ ضيقاً في المعلومات، بل تراحمت لديه الكلمات، وكانت دون مطبّات فأكرّم به من رجلٍ يستحقّ الثناء! ونعم من فكر في هذا الاحتفاء بالفضل لجمعية (الكلمة) التي تعمل على نشر الفضيلة، وتعيدُ لذوي الأفضال الاعتبار، بما تقدّمه من أدوار، فحقاً هي جمعية الكبار.

بلعام أحقُّ بالتشجيع، ونقرُّ له بالتركيّع، وكذا ينطبق القول على من قام بالفعل النبيل، فواصلوا الدربَ الفضيل، فنعماً أنتما في هذا التكريم، ونعماً أنتما بما لكم من التوشيم، وأشهد أنكما أتقنتما فنّ التصديق، وتستحقّان كلّ التصفيق.

القيَم الحضاريّة

في التراث الوطني الأمازيغي^٧

إخواني الحضور؛ سعيد أن أكون معكم في هذا المحفل العلمي الخاصّ الذي تدور أعماله حول (القيم الحضارية في التراث الأمازيغي) وباسمي وباسم زملائي في المجلس الأعلى للغة العربية، أنقل لكم تحايانا الخاصة، مُتمنين النجاح لفعالية هذا المحفل وأقول:

لقد اتّفقتم فنّ اختيار هذا الموضوع، وفي هذا الظرف الذي نلاحظ فيه الحراك الثقافي في مجتمعنا الذي نجده يستعيد ماضيه التليد حسب فعل الأجداد، وإنّ غداً يأتي بالسنة الفلاحية المازيغية، فالأحقّ أن يُحتفى بها كُتُرات وطني صيغ منذ زمان؛ وتحتفي بها الجزائر قاطبة تبرّكاً بسنة الخير والبركات، وسنة تغيير المحال ليتغيّر الحال، وصبغ الأثافي بما يطرد البلاوي، ويكون الكسكس البلدي نصيب هذا اليوم، بما يضحيّ بذلك الديك المسكين. وهكذا كان الأجداد يفعلون، وكان فعلهم نبيلاً، وأنعم به من عمل!

إنّ أجدادنا تركوا لنا قيماً حضارية تجسّدت في خريطة طريق مرّنة تراعي عاملين:

1 — عامل الثابت: وهو ما لا بدّ منه، وينبغي المحافظة عليه، تمثّل في تلك العادات الجيدة التي زكّاها الإسلام.

2 — عامل المتحوّل: وهو ما يوضع في إطار المُعاصرة والبناء عليه ليكون تكملةً لفعل السلف، فلكلّ زمان بعض الخصوصيات مُراعاة للوضع وللمتغيّر

^٧ — أُلقيت الكلمة في ملتقى وطني حول (القيم الحضارية في التراث الوطني الأمازيغي) مدينة البويرة دار الثقافة علي زعموم، بتاريخ: 10 جانفي 2017، واحتفاءً بالسنة الفلاحية يناير.

والجمع بينهما في إطار: الوسطية التي جاء بها الإسلام، وأدرجها في باب (لا ضرر ولا ضرار).

إخواني، صدّقوني بأنّ منظومة القيم البربرية ليست جديدة؛ فتعود إلى ملوكهم؛ وفي أوّل دولة مازيغية عرفها التاريخ (دولة ماسينيسا) وما تلتها من ممالك حتى مجيء الفتح الإسلامي فعرفت تلك الممالك منظومة قيم حضارية أرّخت لعهد كان فيه:

— البحث العلمي حراً؛ يعتمد فيه على التفتح والتناطح في الأفكار والاختلاف في المنهج لا في الهدف، فأنتج ذلك (أبوليوس) صاحب أوّل رواية في التاريخ وهي (الحمار الذهبي) وفق معايير الرواية الحديثة، ويتلوه (القديس أوغسطين) بمقابساته النفسية التي قدّم فيها الجانب الديني للمسيحية التي اعتنقها؛

— ما ترك من بصمات تاريخية تمثّلت في تشييد الموانئ، وفي بناء الأهرامات وتضخيم الأضرحة، وما وجد من وشمات في أقاصي الصحراء وكلّها كانت نقوشاً دالّة على أقوام لهم جوانبهم التاريخية والحضارية، وهي وشمات من الماضي التليد الحامل للجانب اللغوي الذي يؤرّخ لفترة يمكن أن نقول عنها: إنهم مروا من هنا؛

— بناء الإنسان بناءً حراً يعتمد في معاشه على ما تجنيه سواعده، وبذل الجهد في عراك الطبيعة؛ وصولاً إلى السيطرة عليها؛ بإذلال منتوجها وحيواناتها. وهذا المازيغي الحرّ الذي عرفه (ابن خلدون) بأنّه من حالقي الرؤوس، وأكلي الكسكس، ولايسي البرنس؛

— سنّ نظام الأسرة والسلوك العام؛ فلا ظلم ولا تعديّة، وصون الكرامات مضمونة وغلبة رأي الجماعة بمبدأ الشورى... رغم ما وُجد من بعض الهنات التي تُعدّ من الوثنيات بمفهوم الإسلام الذي نسّخ بعض السلوكات المنافية للإنسانية...

كان كلّ هذا وما لم يذكر قد تبلور في مفهوم الوطنية، بما يعكس إسهامات الدول البربرية في قالب واحد يمكن اعتباره تراثاً أمازيغياً من حيث تحيّر المكانية وانتماؤه إلى وطن اسمه الجزائر.

وما إن يأتي الفتح الإسلامي يتبارى الملوك الثلاثة عشرة (13) من البربر؛ فنرى تلك القيم يقبلها الإسلام في معظمها، والبعض منها يهذبها، ويسنّ منهاجاً في سلوك المازيغي مع نفسه ومع زوجه وأولاده، ومع جيرانه، ويندمج المجتمع الفاتح الأقلية في الساكنة الأغلبية، وتذوب الخلافات بالتصاهر، والاحتكام إلى منهج الإسلام، ويحدث الانسجام الجمعي، ومن خلال ذلك قام السلف بما يلي:

— تبنّى الإسلام خياراً استراتيجياً لا حياد عنه؛

— تبنّى لغة الإسلام؛ لأنّ ما لا يتمّ به الواجب فهو واجب؛

— حفظ التراث اللغوي المازيغي بمختلف تأدياته دون حذف أو إلغاء؛

— تبنّى خيار المجاورة والحوار والتعايش بالتي هي أحسن...

ولا نبالغ إذا قلنا بأنّ فعل الأجداد كان على صواب، بل من الحكمة التي أرّخت لفترة تكامل لم تعرف الصراعات القاتلة، رُغم بعض القلاقل في مبدأ الفتح. وخلال كلّ ذلك نتجت قيماً حضارية لا تزال مُحكّمة وفاعلة إلى الآن، ويمكن أن ندرجها في قائمة كنز الأجداد، وهكذا قال لي جدي، ونسرد لكم بعض تلك القيم دون توضيح فيها:

— عدم التعدي على الآخر مهما كانت ديانته أو أصله، أو جنسيته؛

— احترام المعتقد والانتصاف لحسن الأداء؛

— حرمة القتل وسفك الدماء ممنوع باسم الدين والإنسانية؛

— صيانة المال العام، والدفاع عن الشأن العام؛

— العمل بمبدأ (لا ضرر ولا ضرار)؛

— منع التشدد والتراخي في كلّ شيء؛

— الوسطية قيمة حضارية محفوظة؛

— التزام السلوك الاجتماعي المنسجم...

وكلّ ذلك أنتج لنا مجتمعاً واحداً في إطار التعددية الواحدة، وظهرت نبّل تلك المبادئ في:

- مبدأ الشورى (العودة إلى تاجماعت)؛
- الاحتراف بيناير في كلّ ربوع الوطن في ذات اليوم بمختلف التّأديّات؛
- سنّ قانون مساعدة الفقير، ونصرة المظلوم، وردّ الحقوق لذويها؛
- سنّ مواسم الاحتراف تخصّ توزيع اللحم الذي يجب أن يصل إلى بطون كلّ الناس بنظام الاحتراف بالأعياد + عاشوراء + المولد النبوي الشريف + نظام تيمشّط السنوية؛
- ردّ الغارات الأجنبية والدفاع عن حياض الساكنة، ونصرة الجيران؛
- عبادة الأرض، وعبادة العمل، وعبادة أشجار الغلّة، وهذا من خلال التفاني في خدمتها بالتركيز على: الزيتون + النخلة + التينة؛
- سنّ مواسم الراحة وإجراء طقوس الزواج والختان...

تلّم بعض القيم التي لا تزال إلى الآن، وهي في الحقيقة لو نتمسك بها أكثر لأغلّقنا المحاكم ولما كان بيننا منحرفون، ولا وُجد المتسولون، ولما تعقّدت حياتنا المعاصرة. ولكن تلك عند بعض من مُعاصرينا من الماضي الذي عفا عليه الزمان أو دقّة قديمة بتعبير آخر، فأينَ أنتَ أيّها الخلفُ من فعل السلف؟

وكلمة أخيرة أغنم فيها نوعية الحضور؛ حيث أرى شيوخنا، وأئمتنا، وهُدّاة ديننا ونجوم أئمتنا، ونحن نعوّل عليهم في إسداء النصّح، وتقديم المشورة، والأمم تراهن على شيوخ الدين وعلى معلمي المدارس؛ فإذا فسد الإمام، وانهار المعلّم فافقروا على الدنيا الشؤم والانهيار.

أيّها الإخوة - ولا شك - أنكم توافقونني في ما أقول:

- نريد شيخاً وإماماً يخرج من صومعته؛ يخاطب الناس ناصحاً، مُسدياً حسن التدبير؛
- نريد إماماً واعظاً مهدياً، منادياً للخير؛ دون خوف إلا من اختراق حرمة الحق؛

- نريد إماماً يلبس لباس عصره، يكون ابن عصره؛
- نريد إماماً قُدوة ومرجعية في كل سلوكه وأحواله وعائلته؛
- نريد إماماً يخرج من الخطاب المكرور الذي أصبح CD منسوخ في كل جمعة؛
- نريد إماماً وطنياً يعيش أحداث بلده وتاريخه، ويلقي خطابات تمسّ أول نوفمبر/ 19 مارس/ 5 جويلية/ خطابات في تمجيد شهداء التحرير، وفي فعل بطولات المجاهدين...
- نريد إماماً يتدخل لتهذيب التهيج، وردّ الشباب إلى جادة الصواب؛
- نريد إماماً يرتاد نوادي الشباب، وقاعات المطالعة ليحسّ بما تحسّ به تلك الفئات ويشاركهم ظروفهم؛
- نريد إماماً يعمل على إبطال الفشل، ويبعث الأمل، ويحمل عبارة (اشتدي أزمة تنفّرجي)؛
- نريد إماماً مُبدعاً قارئاً مفسّراً ومُجتهداً، مراعيّاً مُقتضيات العصر وضرورات الزمان والمكان؛
- نريد إماماً يعرف استعمال الكپتار، والأجهزة الذكية، ويتعامل معها بما يخدم الدين وترقية دور الإمام المعاصر؛
- نريد إماماً وسطاً حاضراً مُخلصاً مُضحياً في أداء الواجب، لا إماماً ينتظر وقت الصلاة فينصرف دون لفطة للمُصلين؛
- نريد إماماً ينشد الدينَ والدنيا، ويُرغّب الناس في المواطنة...
- نريد ونريد ونريد، ويجب الذي يجب، ولكن هي أقوال كثيرة خرجت من الضمير الجمعي نروم أن تصل إلى القلب، علّنا نعمل على التغيير، فإنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم.

إخواني هي مستلزمات القيم القديمة والحديثة التي سهر عليها أجدادنا، ولو تحدث هذه في واقعنا لنعرف نقلات نوعية في تواصلنا الانسجامي التكاملي ولأحجمنا عن الدعوة إلى مراجعة فعل الأجداد، ولما نادينا بالبحث عن صفاء الدم والعرق، ولما سمعنا من يقول هناك ساكنة أصل، وهناك أجانب، ولما رأينا بعض التهيج المنادي بخراب البلاد. هي بلادنا العزيزة، بناها سلفنا بامتياز فنحن أحق بالمحافظة عليها وتطويرها وتحسينها، والجزائر بلد لا مثيل لها من البلاد وأجمل بها من بلد!

إخواني: لقد أطلت، وهذه كلمتي أرجو أن تنال موقعها عند السامعة، وأسأل الله العفو والعافية، وأستغفر الله لي ولكم، مع ذلك يجب أن نعمل ونعمل ثم نعمل والله يقول: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالِينَ وَالشَّهَادَةُ فَيَنْتَشِرُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ التوبة 105. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة أُلقيتْ

في تظاهرة الشباب بمناسبة احتفائية يناير[♥]

بمناسبة حلول السنة الفلاحية، وفي عيدها أُل 2967 وتحيا هذه السنة في بلدية بني سنوس العريزة، فباسمي الشخصي، وباسم زملائي في المجلس الأعلى للغة العربية نقدّم لكم تحايانا الخالصة بمناسبة هذه السنة الجديدة التي نراها نتفتح على بسمات الجدات وأمل الأمّهات، ودعاء الصالحين والصالحات بتغيير الحال وليصبح الصحو ماطرًا ويكون للخير مبشّرًا وما يتلوه من نعمة الخالق الذي هو مُغيّر الأحوال، ومُبدّد الأقوال.

من بني سنوس المنسوبة للشيخ السنوسي العالم الزاهد التلمساني ومنطقة الوجود المازيغي التي يتمّ فيها الاحتفال السنوي؛ بإقامة جلسات إيرات السنوية منطقة دخلها عبد الله بن جعفر، وبنى فيها مسجداً على أنقاض المعبد الروماني في قرية تافسرت. منطقة المرأة العجوزة اللبوة، ومنطقة مخزون مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة الأمير عبد القادر، منطقة الزيتون والتين والصناعة التقليدية فما أجملك يا بني سنوس! فأنت تحملين صفات الوطن.

هي جزء من تلمسان الزبانية، تلمسان التي أرّخ لها التاريخ بممالكها المازيغيين الكبار وكلّ الذين مرّوا منها تركوا بصمات الجوار. تلمسان المجاهدة التي كانت نافذة الوطن الغربية ليتدفّق منها سلاح الثورة. تلمسان العلم والعلماء المُنجبة لعائلات ابن زرجب والزرهوني، وابن زاغو... وفي تلمسان تصدرّ المشدالي

♥ — أُلقيتْ الكلمة في تظاهرة الشباب التي أنجزتها وزارة الشباب والرياضة ببني سنوس بولاية تلمسان

بمناسبة السنة الفلاحية يناير 2967، الموافق 12 جانفي 2017.

واعتلى التنسي الكراسي، وكان للمقرّي مقام التعالي، فمن وربطها ارتوى الغوثي القادم من منطقة الزواوي، وبمطبعتها الخلدونية تبختر الإبراهيمي...

إنّا في هذا المحفل الخاصّ في بني سنوس الصغيرة مساحة، الكبيرة قلباً وموقعاً بني سنوس المازيغية الوطنية، فمنها تحرك شيشناق بجيشه قاصداً مصر، ولما سمع فرعونها بقدومه لم يكن إلاّ ليخضع، ويقول للمازيغي: سيدي عذراً ما نريد العراك فنحن مع الغرباء مسالمون، وإنّ مصر تُعليّ المقام، وتمنح لكم مفتاح الأنعام، وكان ذلك بشارة بدخول المرابطين أرض الفسطاط؛ بانين القاهرة بكلّ قيراط.

أيّها الشباب الطافح؛ إنّا نحيا السنة المازيغية في هذا المكان الغالي على قلوبنا كثيراً، ولا شكّ أنّ الذين اختاروه لهم أكثر من دالّ؛ فليس للصدفة في هذا الأمر مآل ولعهدي أنّ المازيغيين الذين كانوا هنا، وقد تركوا بصمات شتّى في السلوك الجمعي بلّة الحديث عن عامل اللغة التي بقيت أصواتها على الأفواه ووشماتها على التراث المادي الذي نراه منتشرّاً في ربوع وطننا. وقد يطول الحديث إذا استكنهنا عوامل الزمن الغابر من ملوك الأمازيغ الذي مرّوا من هنا، فهم الساكنة الأولى الذين انبروا يناطحون عوامل الطبيعة لتجود بخيراتها عليهم، فعبدوا الأرض وأثمرت الطبيعة بتلك السواعد المازيغية الفولانية التي لم تكلّ حتى وقع استعمارها. ومرّ من هنا الرومان والفينيق والوندال، والبيزنط، وأدافوا الساكنة الويلات، ومع ذلك لم يرضخوا ولم يندمجوا لأنّهم لم يكونوا من ذلك الجنس، رغم بعض الإبداعات التي مسّت بعض الجوانب الفنيّة في منتوج (أبوليوس) في الحمار الذهني ومقابسات (أغسطين) في مخزونه الثقافي الذي ارتضى المسيحية لنفسه ديناً وسلوكاً. ولكن بمجيء الفاتحين كان الاختيار استراتيجياً وحرّاً، وكان الإسلام، ديناً وكانت العربية غراء اجتماعياً دون عقدة، فحسّن الاختيار وطال المجد ولا يزال وسيبقى، فحسناً فعلتم أيّها الأجداد، وأنعم بفعلكم العظيم! هذا المجد الذي صنعتموها بالتصاهر والتراضي ما نجم عنه ضرر.

أيّها الشباب الطافح، هنيئاً لكم بهذا المزج الاحتفائي بالسنة المازيغية التي هي من مورثنا الثقافي الذي يدخل في الاحتفاء بقيمتنا الحضارية الوطنية العديدة وبتراثنا الكبير الغني، والذي يتماهي في المادي وفي غير المادي، ويؤدّي في كلّ ربوع

الوطن بشعار واحد، ويتأديات مختلفة؛ حيث لا اختلاف في الهدف، بل الاختلاف في المنهج. فذات العادة في تيزي وتلمسان وتبسة وتمنراست وتيارت وذات الطقوس في بليدة وبويرة وبجاية وباتنة وبني سنوس، فأنعم به من وحدة في إطار التعدد!

إخواني الشباب، سعيد أن أكون في محفلكم الكريم مُحْتَفياً بمازيغيتي وعروبتني وإسلامي وبتاريخ أبي، وبعادات أجدادي، وبمواطنتي في ربوع وطني، وأجدي في صحتي رافعاً رأسي قائلاً: أنا هنا وطني، أنا هنا تراثي أنا هنا مازيغي، أنا هنا عربي، أنا هنا عصري أنا هنا عزتي ومجدي، أنا هنا أمام أولادي وأحفادي وأرى الأحفاد محافظين لفعل السلف، وهكذا كنز أبي، وكذلك نقل الأمانة عن جدي، وكم أنا فخور يا جدي باختيارك لهويتي فأنت على الصواب، بل أتقنت فن الاختيار، فما أروعك يا أبي! بأنك صُنْتَ الأمانة كما أوصاك السلف، وهل الخلف في عصرنا يدومون على حفظ الوصايا؟

أيها الشباب الغيور على إرثه، أتصوركم جبالاً شامخة، ومعكم الحياة وهي مدرسة الوطن، وأسألته مفتوحة على فعل الزمن، فهل أنتم موجهونها نحو الأمل لفعل يستوجهه محو الفشل، وتجيبون العصر عن غلبة العمل. وكم أفرح وأنا أجد شباباً طافحين مُتَصَرِّين، فهذا محمد عبد الله فرح، وهذه زهرة هني، وهذا ناصر سالمي... وتطول بي الأسماء، وأقول: من أي البلاد أنتم؟ ويقولون: من أرض الجزائر.

أيها الشباب: إن خير الأمور أوسطها، وأوسط الأعمار شبابها فشرابيين الحياة تبدأ من الشباب؛ لأنه نبض الحياة في عروق الوطن، وما بُنيت الحضارات إلا على كاهله فهو عماد أية أمة، بل سر نهضتها. وإن مرحلة الشباب بما فيها من جرأة وسرعة ومخاطرة وتحدي ونشاط وقوة لتضع على عاتقكم مسؤوليات جساماً في بناء وطنكم والدفاع عنه، والشباب هنا لا يعني جنساً دون آخر، فالذكر والأنثى معنيان وإن التطور الذي حقّقه الجزائر على وفق المعايير الأممية في الحياة المديدة والصحية والمعرفية وسنوات الدراسة والمستوى المعيشي، جعلت الأنثى (المرأة) تبرز وتحظى بمكانتها في المجتمع، ومنها الشابات فهنّ يمثلن نصف المجتمع ولهنّ الذي على الذكور، ولقد تظّن فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز

بوتفليقة بحكمته الرصينة لنقطة مهمة؛ وهي تشجيع المرأة على الإسهام الفاعل في بناء المجتمع خصوصاً في الحياة السياسية؛ حيث أدرج لهنّ حقاً ثابتاً دستورياً تمثل في وجوب التمثيل في القوائم الانتخابية وهي نسبة قلماً نجدها في الدول المتقدمة.

إخواني الشباب والشابات، لستُ هنا رافعاً قائمة الواجبات، ولا في موقع من يمنح التسهيلات وأراني ناصحاً مُرشداً، فأدخلوها في باب: نصّح أبي، وقال لي خيراً، وقد يقول قائل منكم: قد أُستفيد من خبراته المثلى؛ حيث الشباب الآن بين قوسين أو أدنى فإنّ عاركته انفجر، وإن أهنّته انكسر وإن وجهته انغمر فمن الغمر يحصل مزيد العطاء، ومن التوجيه يأتي الفداء، ومن الوسطية تأتي الاسقامة، ومن بناء المثل تنوم المعاملة. فاعضدوا بعضكم البعض، وكونوا قوة واحدة، وساعداً واحداً بيني الوطن ويحقق الآمال المعلقة عليكم والمهام التي لا يمكن لغيركم القيام بها، فأنتم حاضر الجزائر ومستقبلها. ومن باب التأكيد أضيف: لا تخذعنكم المظاهر، ولا تغترنكم الوسائط بالأوامر، ولا تتزاح وعُمياً للأررار، فهي ترزع الكثير من الأضرار، ولا تقبلوا بلداً غير بلدكم، فمن افتقد بلده ماذا وجد، فمن باع بلده، وهل يمكن أن يشري غيره، فهل البلاد تباع؟

أيّها الشباب أنتم الأمل، أنتم المستقبل، فرجاؤنا فيكم، وأنتم كما أنتم صورةً لأبائكم وقد كان آبؤكم صغاراً، وقد حملوا مشاعل الكبار، فسوّموا، ولكنهم قاوموا ونجحوا وما رضخوا، فالوطن أمانة، ولولاه لما كنا هذا اليوم هنا، فكم هو جميل هذا اليوم، وكم هي قيمة الوطن. الجزائر قطعة زجاج كبيرة، فإنّ مسّت هذه القطعة في جزء واحد تصدّعت القطعة وانكسرت، والزجاج لا ينجبر، فحذار السير في مهوي الردى، ولا في بهرج الورى، وقديماً قيل: قبل أن تقعوا في الجريمة أحيطوا أنفسكم بأسرار الوقاية، وبذلك تكسبون المناعة. فلا تقبلوا أن يُستغلّ انفجاركم في الهدم، بل وجهوه إلى الدعم، وكونوا كما أنتم الآن: قبائلي — شاوي — بجاي — أسطايفي — سنوسي — وهراني — بشاري — غرداوي — باتتي — عنابي — قسنطيني — تنسي — سعدي — بلعاسي ... وقلوا جميعاً: أنا جزائري / أنا أمازيغي / أنا عربي / أنا مسلم.

أقول كلمتي هذه، وأحيي نبلكم وتكاملكم، والسلام عليكم.

المؤتمر الدولي للغة العربية ♥ والنصّ الأدبيّ على الشبكة العالمية

باسمي وباسم المشاركين في الندوة الدولية الموسومة: المؤتمر الدولي للغة العربية والنصّ الأدبي على الشبكة العالمية. والتي تعقد مؤتمرها في رحاب جامعة الملك خالد بأبها، المملكة العربية السعودية ننقذ إلى معالي مدير جامعة أبها بكل آيات الشكر والتقدير على حسن الاستقبال، وكرم الضيافة وبشاشة الوجه والذي لازمنا منذ نزلنا هذه الأرض الطيبة أدامها الله.

إنه لمن دواعي سرورنا أن يُختار هذا الموضوع، نظراً لما له من أبعاد حضارية ومعاصرة، وما يعالجه من آفاق مستقبلية؛ حيث يخوض غمار المحتوى الرقمي وما يُضخّ في الشبكة من المكتوب العربي الذي يجعل الحرف العربي ينال موقعاً بين اللغات، وهذا الموضوع بحاجة إلى إعطاء الأهمية القصوى، وأن يقع التنافس في تخزين التراث العربي الذي له مقدار زمني ومكاني كبيران، وفي كل لغات العالم؛ باعتبار العربية لغة الحضارة الإنسانية جمعاء.

وإذ نعتزّ بموقع اللغة العربية في الهيئات الأممية وفي انتشارها، وفي عدد مستعمليها وعدد المواقع بالعربية؛ وما تناله يومياً من زيادة؛ فنتنقل من الرتبة الثانية عشرة (12) قبل 2007 إلى الرتبة الثالثة (3) سنة 2016 ويقع عليها

♥ — أُلْقِيَتْ الكلمة باسم المشاركين في المؤتمر الدولي للغة العربية والنصّ الأدبي على الشبكة العالمية. المملكة العربية السعودية، جامعة الملك خالد، كلية العلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها. أبها بتاريخ:

14 - 16 فبراير 2017.

الطلب، ويطلب ودّها من غير الناطقين بها، وهذا دلالة على عظمتها وقوتها بقوة دينها، والإسلام دائماً في الصدارة.

السادة الحضور: إنّ المشاركين ينوّهون بما تقوم به المملكة العربية السعودية في مجال الرقمنة، وإذ تُسجل لها الريادة في شبكات التواصل العاملة على ترقية اللغة العربية، وهذا بفضل المخابر ووحدات البحث، ومراكز البحوث الجادة التي تضاهي مراكز البحوث العالمية المتقدمة. وليس هذا الأمر جديداً في جامعات المملكة العربية السعودية، بل لها سبق في رقمنة المكتبات والشؤون الإدارية والتعليم عن بُعد، وتعليم العربية لغير الناطقين بها.

أيّها القائمون على هذا المؤتمر في كلية العلوم الإنسانية، وفي قسم اللغة العربية وآدابها، نشنّ ما تقومون به في إطار خدمة اللغة العربية؛ لغة القرآن التي أكرمنا بها المولى عزّ وجلّ، ونتمنى ألاّ نقف هنا، بل نعمل على أن تعود لنا الريادة التي كانت لسلفنا الصالح لنكون خيرَ خلفٍ لخيرِ سلف.

ومن هذا المنبر الكريم، في جامعة الملك خالد أبها؛ نسجل ذلك الخطاب العلمي الذي جرت فيه جلسات المؤتمر خلال اليومين، ونرفع إلى كلّ المسهمين في إنجاح هذا المحفل العلمي كلّ التشكرات لتلك الجهود المميّزة لهذا الفعل العلمي، الذي له سبق نقل العربية الممتلّ في نصّها الأدبي، وكيف يكون لها موقع على الشبكة العالمية، ولم يحصل لها هذا النجاح إلّا بفضل الرعاية السامية لمعالي وزير التعليم راعي الملتقى الأستاذ الدكتور: أحمد بن محمد العيسى وتلك التوجيهات السديدة لجلالة الملك سلمان بن عبد العزيز خادم الحرمين الشريفين.

فيرفع المشاركون في هذا المؤتمر آيات العرفان للمملكة العربية السعودية ممثّلة في جامعة الملك خالد بأبها. والله نسأل السداد والخير والعافية.

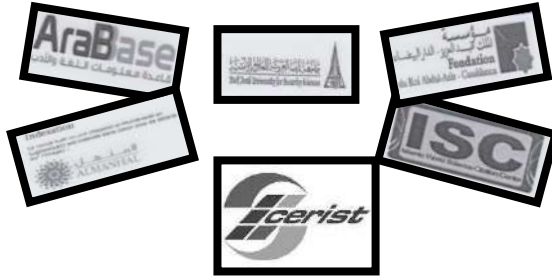
عن المشاركين: الأستاذ الدكتور: **صالح بلعيد**. رئيس المجلس الأعلى للغة العربية بالجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية. فندق قصر أبها: 16 فبراير 2017.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المُدونة الرقمية للمجلس

(مَكْنَز المجلس / مج) ٧

— مقدمة: يمكن القول بأنّ المدونة الرقمية للمجلس الأعلى للغة العربية المُسمّاة (مَكْنَز المجلس/ مج) عبارة عن مكتبة رقمية كبيرة في المجلس؛ غرضها تخزين أكبر عدد ممكن من الأبحاث الجزائرية الجادة والتي تهتمّ بقضايا اللغة العربية وفي مختلف حقولها المعرفية. وقد عرفت ثلاث مراحل تأسيسية هي:

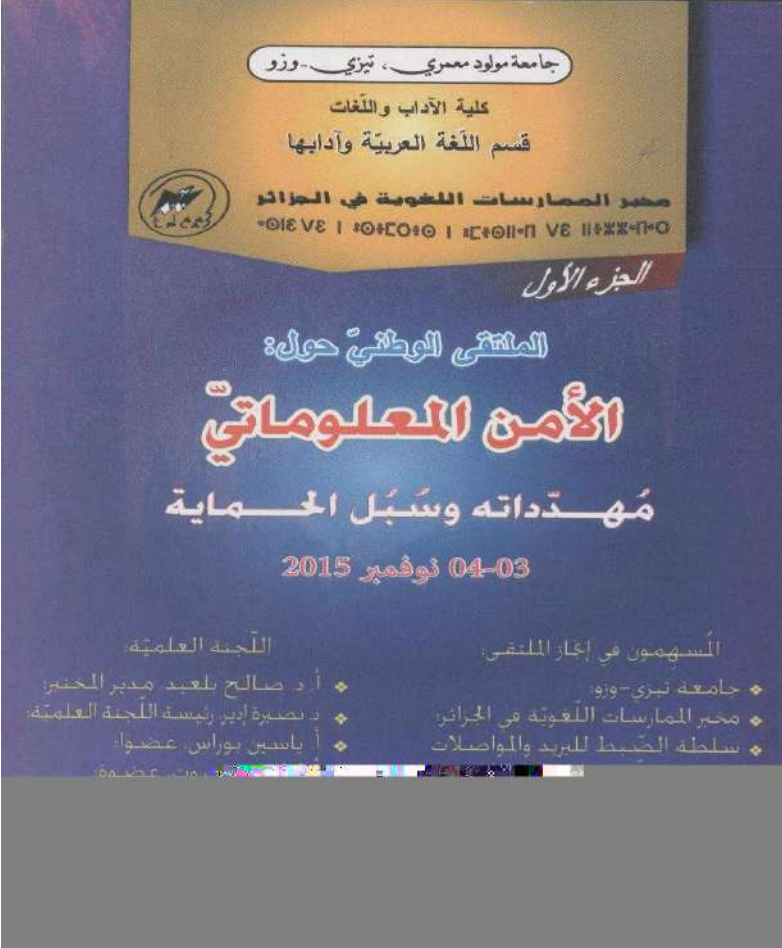
— المرحلة الأولى: كانت خطواتها الأولى في التأسيس لمجلة المخبر (الممارسات اللغوية) وهذا منذ العام 2010 عندما وضعنا القانون الداخلي لمخبر الممارسات اللغوية في الجزائر ومقرّه جامعة مولود معمري، بتيزي-وزو، وقد وقع التنصيب على أن تكون مجلة (الممارسات اللغوية) الناطقة الرسمية باسم المخبر أكاديمية محكمة مُعترفاً بها ومن ذلك الوقت بدأ فريق المجلس العلمي للمخبر في البحث عن منصات يتمّ تخزين المجلة، وبثّها على الشبكات الدولية؛ كي تتال صفة العالمية والتحكيم الدولي، واهتدى الفريق العلمي إلى توقيع اتفاقيات مع الشبكات التالية:

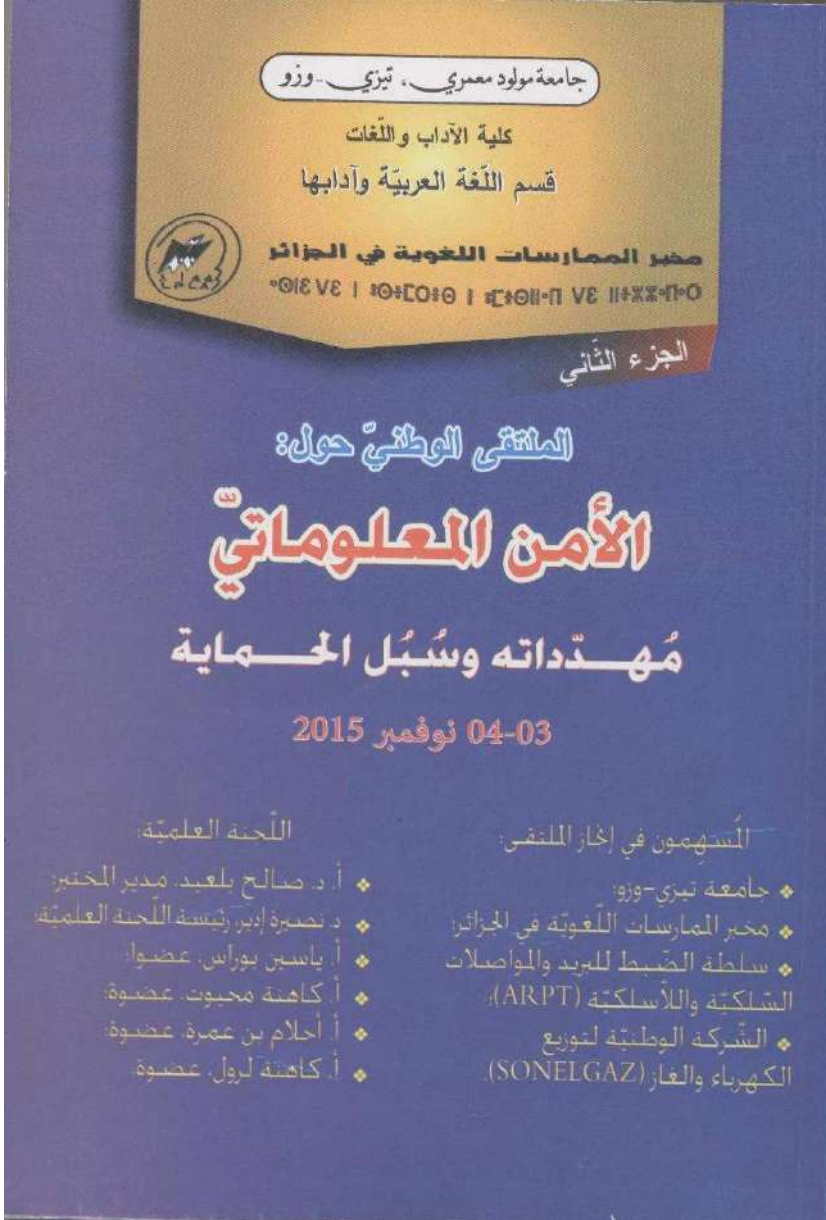


٧ — محاضرة رئيس المجلس الأعلى للغة العربية في الملتقى الدولي للغة العربية والنص الأدبي على الشبكة العالمية. المملكة العربية السعودية. جامعة الملك خالد، كلية العلوم الإنسانية قسم اللغة العربية وآدابها في أبها، يومي: 14 - 16 فيفري 2017م.

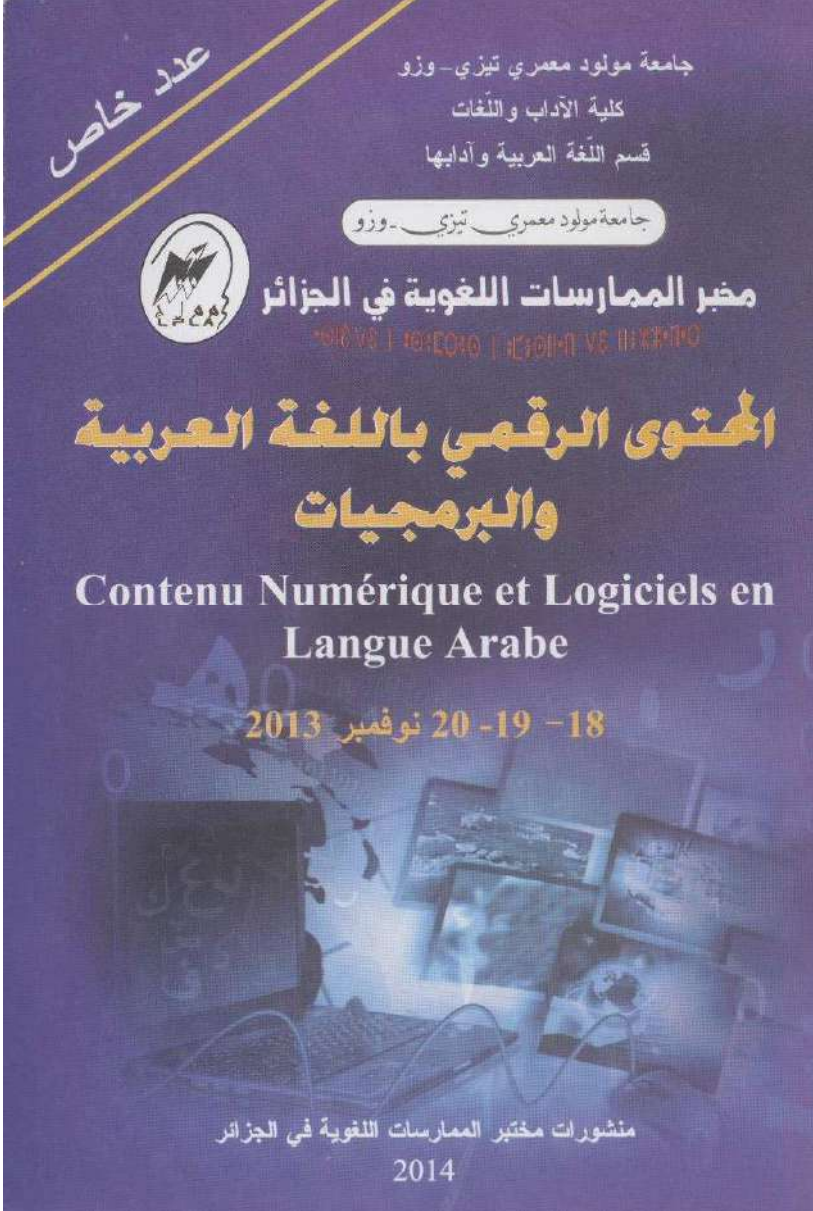
— المرحلة الثانية: العمل على تحسين خدمات مجلة (الممارسات اللغوية) من خلال متابعة المُستجدات الشبكية النمطية وغير النمطية؛ والتي تُعرض علينا من قبل الشبكات العالمية، وبدأنا في تخزين الأعداد الأولى 1-5 في المنصات المشار إليها مصحوبة ببعض الأعمال العلمية ذات العلاقة بالممارسات اللغوية وبخاصة تلك الأعمال العلمية التي تخدم الأمن المعلوماتي والمصطلح، ونشير إلى بعض الأعمال العلمية التي أنجزت في صورة ملتقيات/ أيام دراسية:

— أعمال ملتقى (الأمن المعلوماتي وسبل الوقاية) في جزأين:





أعمال ملتقى المحتوى الرقمي سنة 2014.



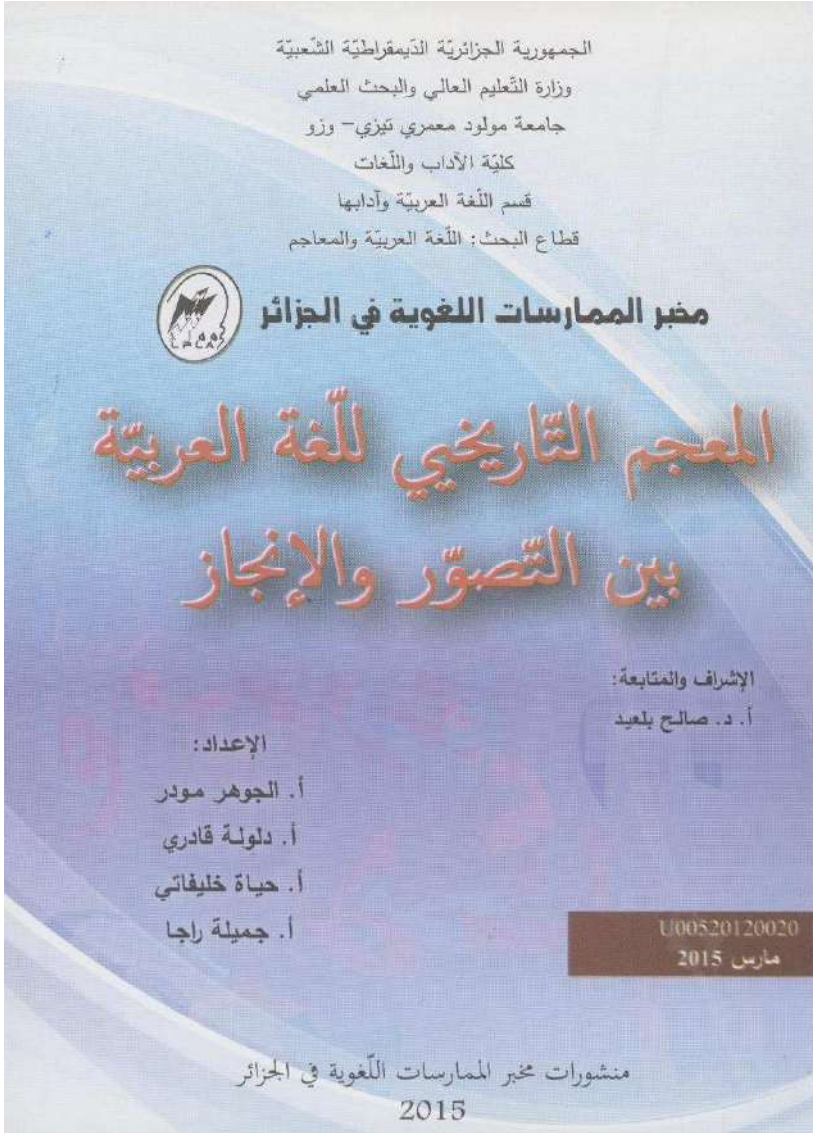
أعمال ملتقى المصطلح والمصطلحية في جزأين:



أعمال ملتقى المعجم التاريخي سنة 2015:



— أعمال ملتقى مصادر المعجم التاريخي سنة 2015:





مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر

مصادر المعجم التاريخي في اللغة العربية

عمل جماعي من إعداد:

أ. د. صالح بلعيد

أ. دلولة قادري

أ. الجواهر مودر

أ. حياة خليفاتي

أ. جميلة راجا

ديسمبر 2015

مشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر

أعمال ملتقى التعليم عن بعد بين النظرية والتطبيق -التجربة الجزائرية أنموذجاً-

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

MINISTÈRE DE L'ENSEIGNEMENT SUPÉRIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU

جامعة مولود معمري، تيزي-وزو

FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES

كلية الآداب واللغات

DEPARTEMENT : LANGUE ET LITTÉRATURE ARABES

قسم اللغة العربية وآدابها

。4HΣHl:⊙÷HC÷V:llΣXX:l。VΣ:⊙l。l

X.⊙V.⊔X|I|C%I%V.XC|H%|C|C%Q|XξЖξ%ЖЖ%

X。*%^&。>X|+⊙%∑H≤□≤|VX%XH。>≤|



مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر

•ΘΙΞ VΞ | ∶Θ∶ΓΟ∶Θ | ∶Γ∶Θ||Π VΞ ||∶ΧΧ•Π•Ο

الملتقى الدولي الأول حول:

Enseignement à distance entre théorie et pratique

-Cas de l'expérience de l'Algérie-

15 - 16 - 17 نوفمبر 2016 م



منشورات مخبر الممارسات في الجزائر 2017

ونشير بأنّه خلال هذه الفترة، نالت (مجلة الممارسات اللغوية) صفة التحكيم الدولي وكان لها الاعتماد الدولي الذي أُعطيَ لنا من المؤسسات التي اعتمدنا منصاتها للبتّ والنشر والتوزيع.

— المرحلة الثالثة: اكتملت في المجلس الأعلى للغة العربية، عندما تأسست المرحلة الجديدة في تسيير المجلس؛ والمُسماة مرحلة (الاستمرارية المُتجددة) بسنّ خريطة طريق مُجزأة إلى ثلاثة أماد؛ وكانت مستمدة من دستور 2016، ومن برنامج فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة، وهي كما يلي:

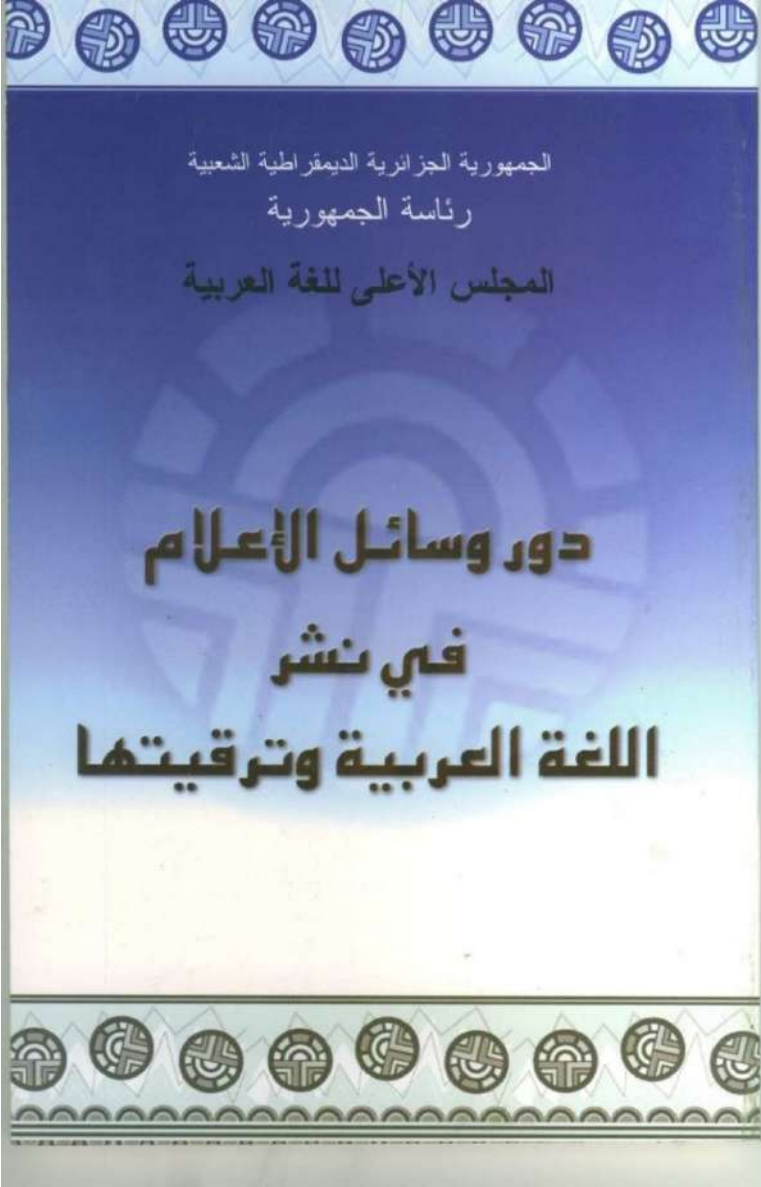
1— المدى المستعجل/ القريب: وقد وقع فيها علاج المسائل العالقة والمستعجلة، ومنها تحسين أداء Facebook التابع للمجلس، وهذا عرف الخطوات التالية:

1/1— تنشيط نوعي لموقع المجلس في Facebook وتسخيره في نشاطات وإعلانات المجلس، وكان ذلك بتغطية مكثّفة، ودون منهجية واضحة؛ لافتقار المجلس لبوابته الخاصة.

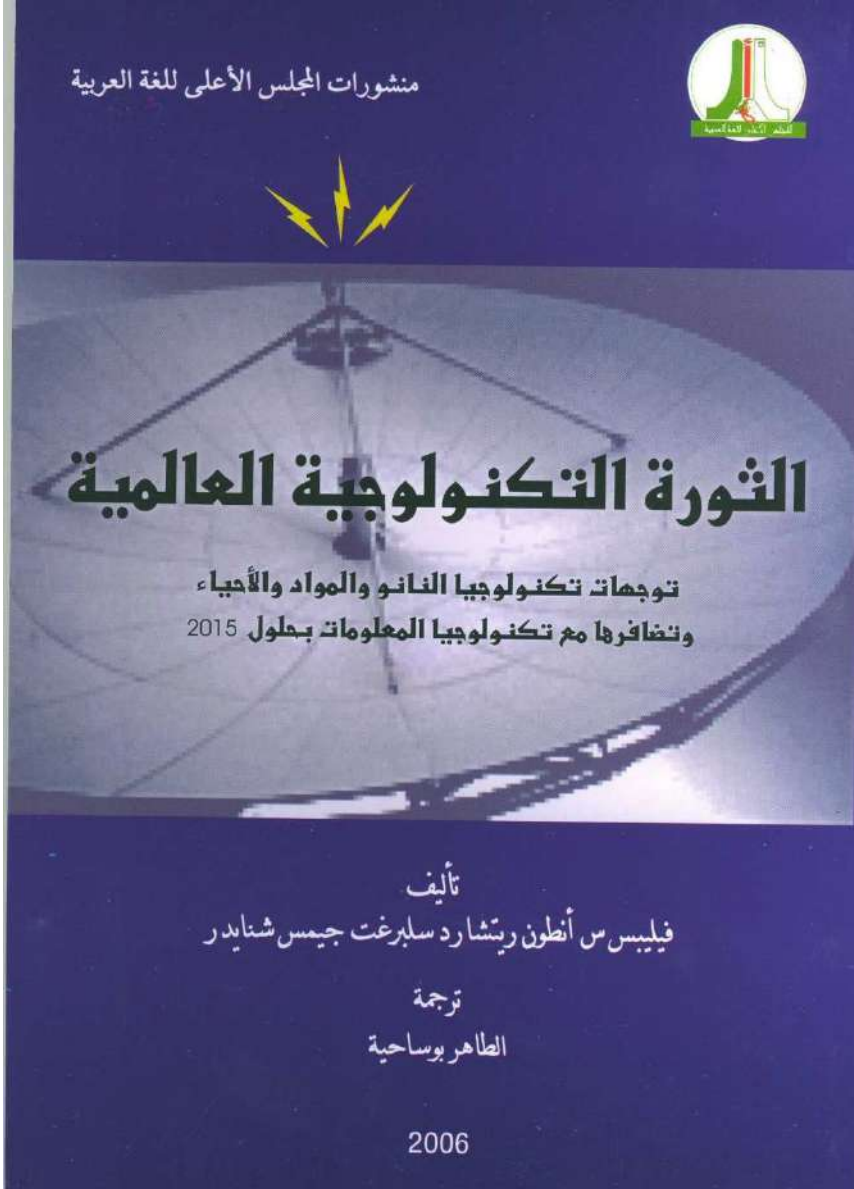
2/1 — التأسيس لبوابة المجلس بصورة جديدة، وفق مقتضيات مهام المجلس الأعلى للغة العربية الجديدة التي ذُكرت في الدستور، وهي: العمل على ازدهار العربية+ العمل على تعميم استعمال العربية في العلوم وفي التكنولوجيا+ العمل على الترجمة إلى العربية.

3/1— جعل مجلتي: اللغة العربية+ معالم للترجمة؛ مجلّتين معتمدين في ذات المنصّات التي تعتمدها مجلّة (الممارسات اللغوية) وخلال شهرين تمّ تخزين كلّ منشورات المجلس مع أعداد المجلّتين: 34 عدداً (اللغة العربية) + 6 أعداد (معالم للترجمة) وفي المجموع = 186 عملاً. ويُضاف إليها أعمال أخرى ذات العلاقة بالمحتوى الرقمي، وهي ثمانية (8):

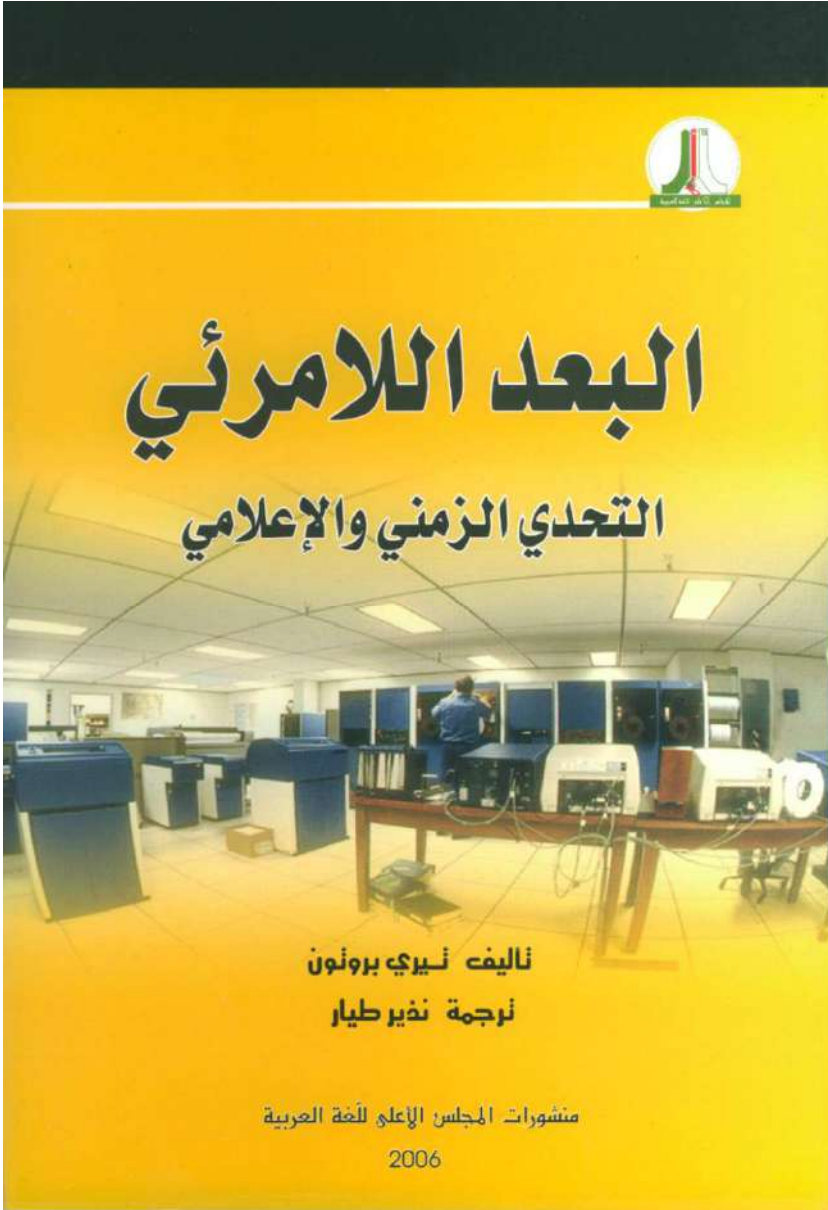
1- دور وسائل الإعلام في نشر اللغة العربية وترقيتها، عام 2004.



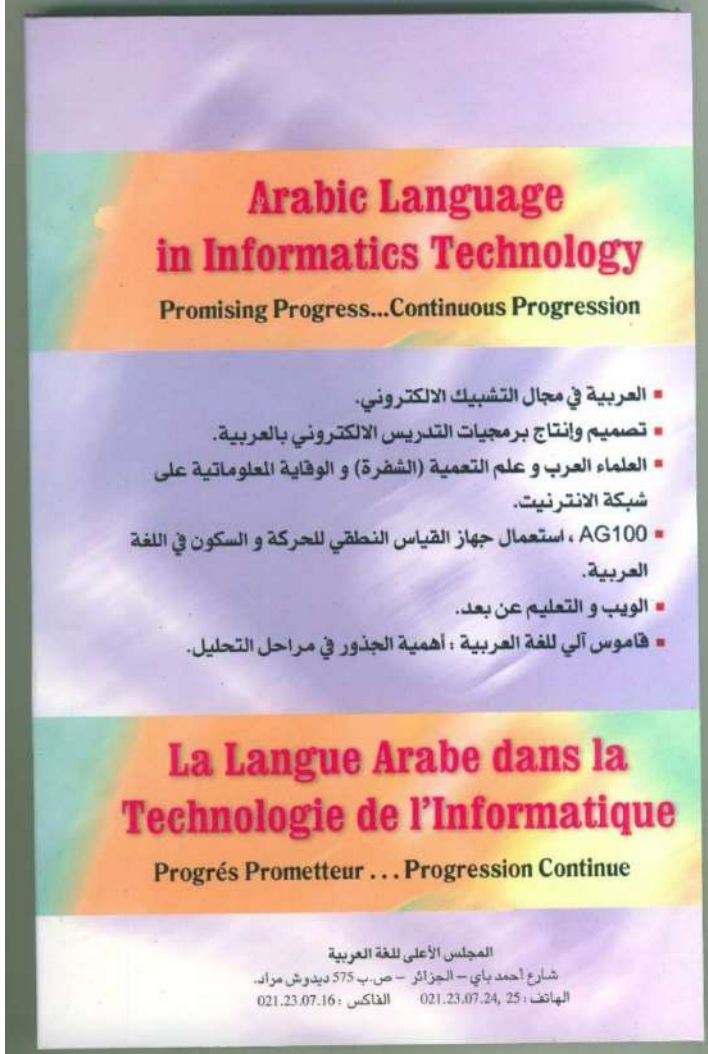
2- الثروة التكنولوجية العالمية، عام 2006.



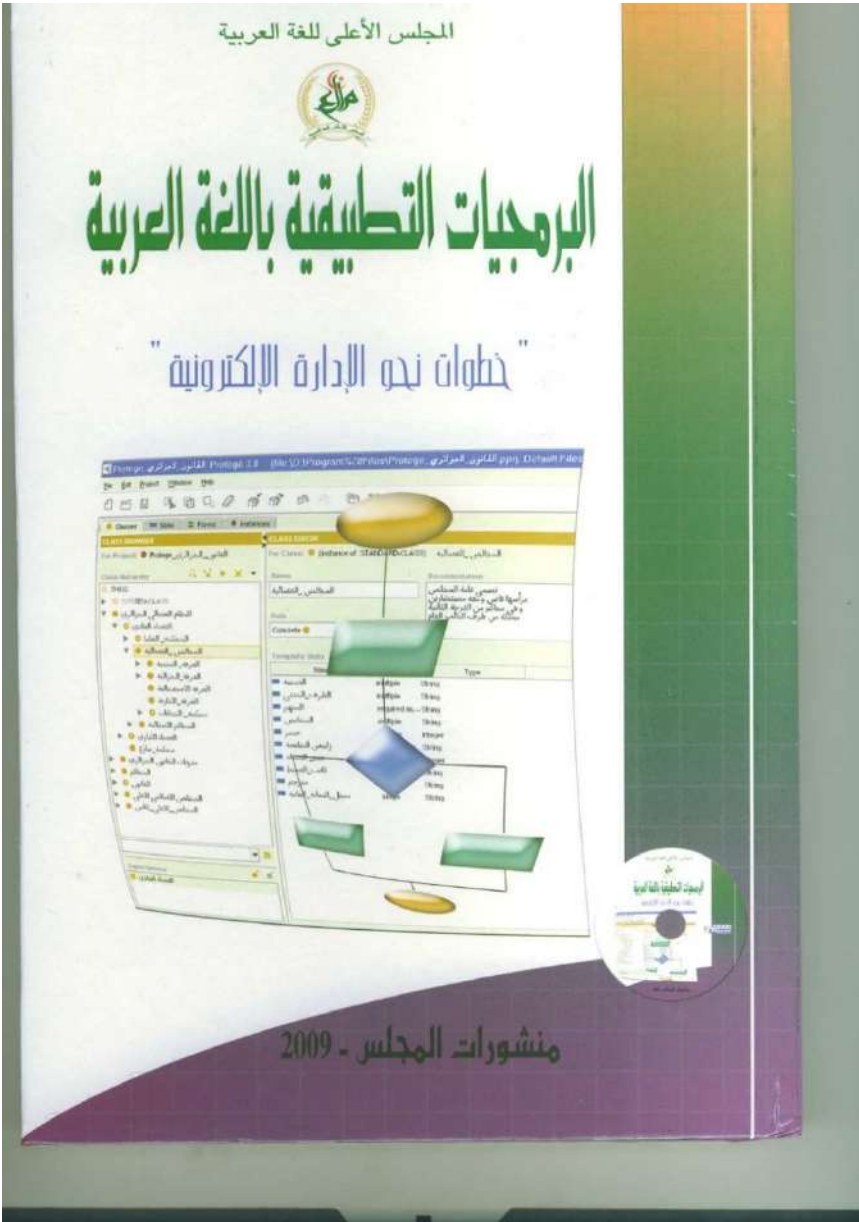
3- البُعد اللامرئي، التميّز الزمني الإعلامي، عام 2006.



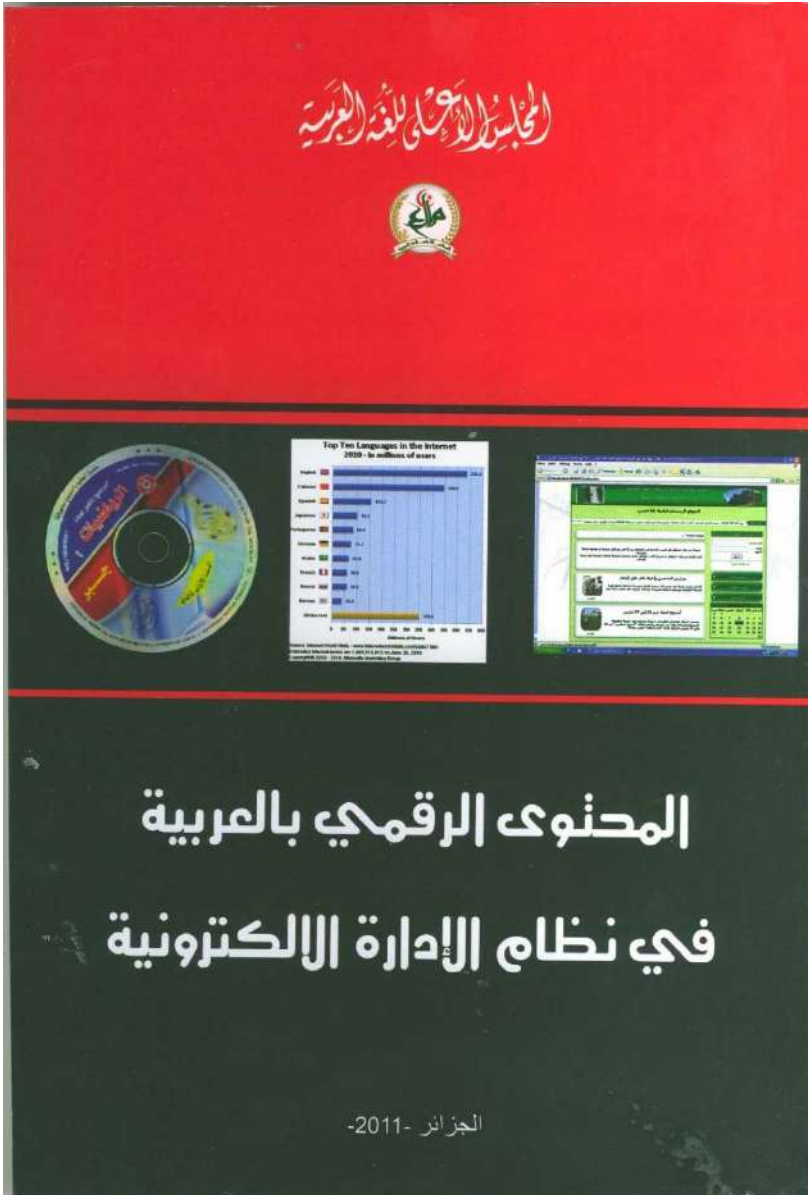
4_ اللغة العربية في تكنولوجيا المعلومات، عام 2007.



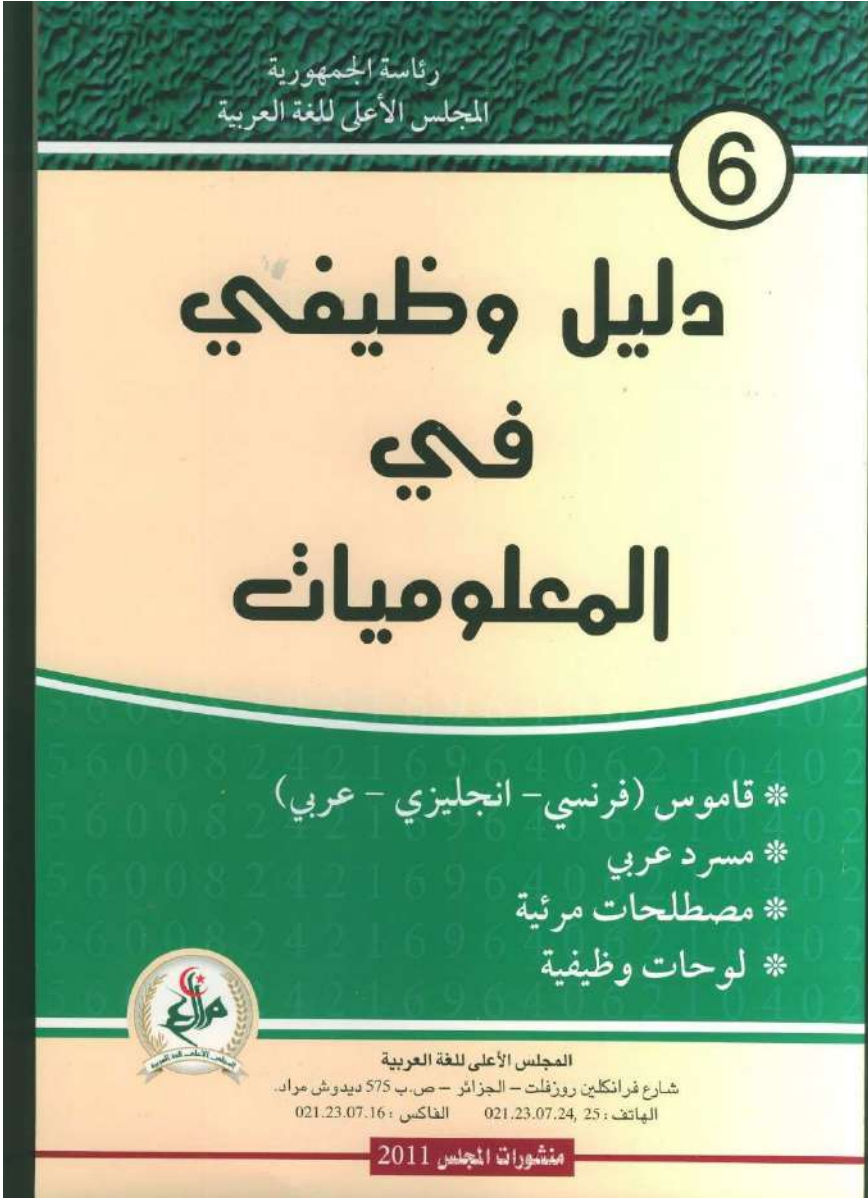
5- البرمجيات التطبيقية باللغة العربية، عام 2009.



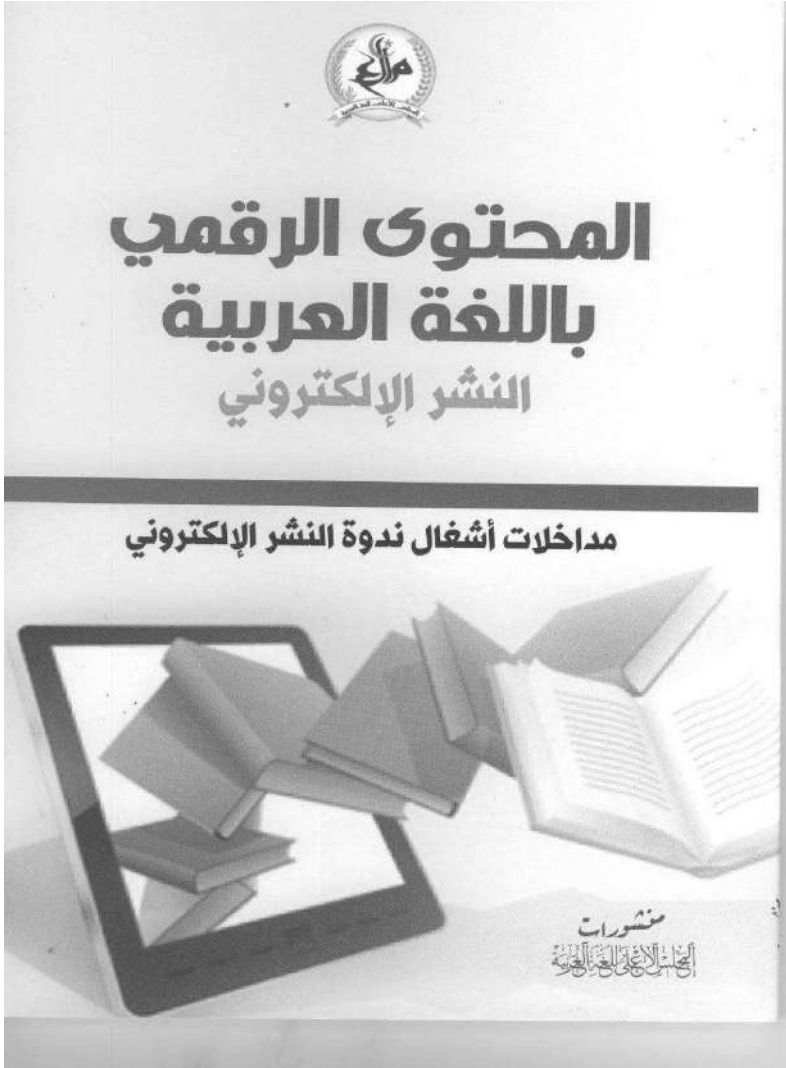
6- المحتوى الرقمي بالعربية في نظام الإدارة الإلكترونية عام 2011.



7- دليل وظيفي في المعلومات: ثلاثي اللغات، عام 2011.



8- المحتوى الرقمي بالعربية العربية، النشر الإلكتروني عام 2014.



2- المدى المتوسط: التأسيس لـ (مَكْنَز المجلس/مج): وقد وقّعنا الاتفاقية مع مركز البحوث في الإعلام العلمي والتكنولوجي ~~لمتابعة~~ لمتابعة آليات هذا المكنز الذي رأينا أن يكون في مبدأ الأمر يحمل أعمال المجلس بنسخ ثلاث: نسخة غلاف (وجه وظهر) + نسخة PDF + نسخة WORD.

ثمّ تتلوه أعمال أخرى ذات العلاقة باللغة العربية، ويكون عبارة عن مرجع كبير في علوم اللغة العربية لكلّ الباحثين. وتتابع الأعمال الرقمية في صورتها السريعة، فعملنا على رفع التجميد الذي لحق بوابة المجلس في موقع شبكي وطني (جواب) والذي كان يعمل بمحرّك بحث Google بدفّق ضحل. ومنصّة (جواب) وطنية تختصّ بعرض البيانات التقنية؛ باستعمال تقنية المعلومات، ومقرّها الاجتماعي العاصمة. ولا نخفي بأننا عشنا أياماً صعبةً لإعادة الأمور إلى مجراها في المدى القريب، وبكلّ تحدٍّ استطعنا علاج كلّ المسائل العالقة بسرعة؛ رغم بعض المضايقات التقنية، وانتقلنا إلى الشبكة الثانية (cerist) تقادياً لأيّ اضطراب.

وفي هذه المدّة نعمل على تحسين خدمات (مَكْنَز المجلس/مج) وقد وقع التتّصيصُ في هذه المدّة على تخزين (1000) عنوان إلى نهاية سنة 2017. ويدخل فيها تلك الأعمال العلمية المكتوبة بالعربية، وتختصّ بميدان العربية في مجالاتها المعرفية الخاصّة والعامّة لمنتوج جزائريين. والعمل جارٍ في مستوى التخزين، وننتظر أن نتجاوز العدد الذي وقع تصوّرنا له.

3- المدى الطويل: يتواصل تحسين أداء خدمة (مَكْنَز المجلس/مج) في العديد من الصور وهي كما يلي:

1/3- تحسين بوابة المجلس بحسب مُستجدات الرقمنة، وما يُطلب من خدمات تُوضع في المَكْنَز.

2/3- إسهام (مَكْنَز المجلس/مج) في الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية وهذا يدخل في عمل المجلس، ونأمل في الوصول إلى تحسين الترجمة العلمية/الشخصية والترجمة الآلية التي تكون عضداً في ازدهار العربية.

3/3- إسهام (مَكْنَز المجلس/مج) في المعجم التاريخي للغة العربية الذي بدأت ملامحه الإنتاجية تظهر في الفريق التابع لاتّحاد المجامع العربية، ولا مانع من تقديم المشورة العلمية في المعجم التاريخي للدوحة.

3/4- إسهام (مَكْنَز المجلس/مج) في الذخيرة اللغوية؛ وهو المشروع الطموح الذي يديره (مجمع اللغة العربية الجزائري) وهذا العمل يطمح أن يعمل بمحرك بحث عربي Arabic Google يُراعي خصوصيات العربية، ويستجيب لكل طلبات الباحثين والطلبة والقراء، ووفق منطق / Logiciel متطور لريح الوقت، واستدراك التأخير.

3/5- الاستفادة من هذه المُدونة الرقمية عند الشروع في إنجاز (موسوعة الجزائر/ سج) وهو عمل كبير، وسبق للمجلس الأعلى للغة العربية أن قدّم مشروعاً في هذا المجال ونأمل أن يحظى بالموافقة؛ لنسجل معلّمتنا/ موسوعتنا الكبرى، وتكون رصيдаً معرفياً مُرقمنا لكل الباحثين عن تاريخ الجزائر من أول مملكة أمازيغية (مملكة ماسينيسا) إلى وقتنا الحاضر.

— منهجية تخزين مكنز المجلس/مج: ستكون عن طريق الرصد/ التحميل/ الحصول (شرط الحصول على النسخة الإلكترونية)/ الدخول إلى مواقع الجامعات الوطنية أو مراكز البحوث والتي فتحت باب التحميل... علماً أننا ننقل فقط الأبحاث الجادة ذات العلاقة بتطوير اللغة العربية والمقدمة من الجزائريين في مختلف المؤسسات التي يتواجدون فيها من مثل: مخابر البحوث/ الجامعات الوطنية/ مراكز البحوث/ أعمال فردية/ منجزات علمية/ براءات اختراع/ كتب متصدرة عالمياً ومن منتج وطني... كما يدخل في هذا المضممار أبحاث الماجستير وأطروحات الدكتوراه، وكلّ هذا يكون مقروناً بتلك الأعمال المؤلفة بالعربية، أو مترجمة إلى العربية، وتخدم وجهاً من أوجه تطوير العربية في مجالاتها المعرفية والتي صنفناها إلى أربعة وثلاثين (34) مجالاً.

- 1- تخزين المحتوى في صورته PDF فقط، مع ملّحقات الغلاف، وبيانات النشر.
- 2- حمايته من الإضافة أو التدليس، وما يلحقه من عوامل التعدي على الملكية الفكرية.
- 3- السماح بحمله مجاناً، بل سنعمل في معارض الكتاب أن تكون النسخة الورقية للعرض فقط، ونقدّم نسخة إلكترونية لكل راغب في أية مدونة في المكنز؛

حيث يقع تخصيص كبتار لهذا الغرض، وهذا في إطار الاقتصاد في الورق ونقاديًا لمتاعب النسخة الورقية التي تتطلب حيزاً ونقلاً مكلفين.

وهكذا، فقد أوجدنا (مكّنز المجلس/ مج) في أصله لغرض تقديم خدمات معلوماتية للباحثين؛ وفيه منتج المجلس الأعلى للغة العربية وأعماله ونشاطاته ومختلف عروضه ومتعلقاته. والحاصل أنّ كلّ هذا تمّ/ يتم بصورة مُرَقَمَنَة عالية الجودة؛ حيث يُمكن (مكّنز المجلس/ مج) مُستعمل الشبكة الوصول إلى منتج المجلس بيسر، ويطلّع على نوافذه، ويأخذ المعلومات المُتاحة للتحميل بالمجان كما يطلّع على مختلف الإعلانات من مثل: إعلان عن جائزة اللغة العربية+ إعلان عن مختلف أنشطة المجلس المُمَنّلة في منابره الثلاثة:

1- منبر فرسان البيان.

2- منبر حوار الأفكار.

3- منبر شخصية ومسار.

إلى جانب تلك الإعلانات بخصوص الملتيقيات الوطنية والدولية والاتفاقيات المُبرمة ومختلف الأنشطة الوطنية والأجنبية التي يُقيمها المجلس...

وهكذا؛ رأينا أنّ ندخل مع هذه التقنية الجديدة في تعزيز الترسانة الجديدة المتعلقة بمجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال؛ والتي تتواءم مع مختلف الاتفاقيات الدولية التي صادقت عليها الدولة الجزائرية، ورأينا بأنّ هذا ما يجعل (مكّنز المجلس/ مج) يقدّم الخدمات النوعية حسب ما نصّ عليه الدستور في (العمل على ازدهار العربية) وفي ذات الوقت يعمل على تطوير الإدارة الإلكترونية والاقتصاد الرقمي، وإلى فضاء رقمي موجود يتّسع باستمرار مع قانون الحقّ في الحصول على المعلومة. ونقف هنا لنقول: بأنّ التطوّر المعاصر يعرف النقّلات النوعية في مجال التبادل الإلكتروني للمعطيات العلمية ذات العلاقة بمنتوج المجلس، وهذا ما تنصّ عليه مختلف التوصيات للحكومة الجزائرية بضرورة تطوير الإدارة الإلكترونية التي تُعدّ تقدّماً اجتماعياً، فإنّه لا بدّ أن يكون في مخزونها معلومات

تستعملها وقت الحاجة، والمجلس هيئة من هيآت الدولة الجزائرية؛ عليه أن يتوفّر على معلومات علمية في اختصاصه يعود إليها المختصّ وقت الحاجة. إذ لا بدّ أن يتأقلم (مكنز المجلس/ مج) مع مُدوّنة القوانين الوطنية ومع مُعطيات الواقع الافتراضي المتطوّر، وفي أقصى حدود صيحات البرمجيات المستجيبة للمطلوب.

– بيانات موضّحة عن (مكنز المجلس/ مج): هومكنز افتراضي تكنولوجي مرقمن تابع للمجلس الأعلى للغة العربية، هدفه عرض بيانات المجلس بصورة تكنولوجية عالية السرعة بنظام Word ويتماشى سيره مع كلّ محرّكات البحث الموجودة حالياً؛ بل يستجيب للمحرّكات القادمة لأننا راعينا فيه التطوّر الذي يحصل في مجال المناطق والتنافس بينها.

إنّمكنز المجلس/ مج يحوي كلّ الأبحاث المكتوبة بالحرف العربي في المجالات التالية:

التاريخ والآثار-علوم الطب - الجغرافية - الأدب - فقه اللغة - البيولوجيا - علم النفس -السيمانيات والتداولية - اللسانيات -البتروال -الاقتصاد - الإعلام -الأرصاء الجوية - علوم البحار - الحروب الإلكترونية - الجيولوجية والجغرافية - التجارة والمحاسبة - التغذية - البيطرة - الدبلوماسية - علم التشريح - علم العمران - محو الأمية وتعليم الكبار - تكنولوجيا المعلومات - السياحة والنقل - تقنيات النانو - الديمقراطية وحقوق الإنسان - العلوم السياسية -العلوم القانونية -علم اللاهوت - إسلاميات - دراسات نقدية - علوم الإدارة -الطاقات المتجدّدة - الكيمياء - الفيزياء - الرياضيات -علوم الحياة - علم الفلك - الهندسة والهندسة المدنية- علم الاجتماع - المعاجم - التسيير - الفنون - السّير - دراسات قصصية -الزراعة - الرياضة-التحقيق -التكنولوجية والتّقانة - علوم البحر - الفلسفة- علم الحيل والصناعة - علم التعمية. وتبقى هذه المجالات قابلة للدمج إذا لم يقع تحميل اللازم من المصادر والمراجع، ويمكن أن يُضاف (مكنز

المجلس/مج) مجالات أخرى، وهذا بحسب ما يُمكن رصده من وجود المادة في المجال وما يطرأ من جديد.

— **خاتمة:** نحن أمام مُدونة رقمية (**مَكْنَز المجلس/مج**) يُراد لها أن تفتح على المستقبل بصورة فاعلة؛ علماً أنّ القوّة الأساسية للشابكة تكمن في تطوُّرها، وتطوّر هذه التقانات يكون بمساحة المُبادرات المُبدعة وأخلاقيات البحث، والبتّ السريع والقويّ ومتابعة المُستجدات، وما يخزّن فيها من مادة.

علماً أنّ هذا الزمان رهانه في كسب ما تديره الآليات وما تضخّه من معلومات في أوعية التواصل الاجتماعي، بل إنّ ذلك ما يعطي للمجلس الأعلى للغة العربية وجوداً كما يعمل على زيادة موقع اللغة العربية في بيانات الشبكات العالمية، ونحن جادون لتوسيع وتنشيط هذا البناء الرقمي للمجلس؛ ليكون نداءً لتلك المواقع الافتراضية العالمية التي تقدّم الخدمات العلمية للباحثين في كلّ صُورها، وتقدّم المعلومة بصورة سريعة وفنيّة وذكّية، وهذا مُبتغانا في تطوير (**مَكْنَز المجلس/مج**). وتحذونا الإرادة القوية ضمن مسار النظرية اللغوية اللسانية/ المرجعية المُعتمدة لدى مُريدنا الذين يعملون على تطبيقها بصورة عقلية؛ بما لها من صفات: الشمول + الاتساق + المنطق + الاتساع في الزمان + الاتساع في المكان + وجود المُريدين + قابلية التكيف.

مشروع (مَعْلَمَة المخطوطات الجزائرية)

يأتي هذا المشروع الموسوم بـ (مَعْلَمَة المخطوطات الجزائرية) في إطار المدى المتوسط والمدى البعيد الذي سطره المجلس في خريطة الطريق لتجسيد البند الأوّل من (العمل على ازدهار العربية) حسب ما نصّ عليه الدستور في مادته الثالثة، ووفق الاستمرارية المتجدّدة التي بدأ تطبيقها منذ سبتمبر 2016 ضمن أطرّها الأربعة = الانضباط + الفعالية + الإتقان + السرعة.

إنّ مَعْلَمَة المخطوطات الجزائرية مشروع وطني يعمل المجلس على جمع مادته حيث وُجِدَتْ، ويقدمها لمن يهتمّ الأمر كمشروع يحتاج إلى دعم وتشجيع؛ حيث

يجمع الذخيرة الوطنية في مدونة مُرقمنة حديثة، وفق آخر تقنيات المحتوى الرقمي. وغرضه ما يلي:

1- جمع التراث الوطني وتقديمه للباحثين/ للقرّاء/ للمُهتمين ووضع قِيَد الدراسة والتحليل والنقد والتحقيق.

2- تعريف الخلف بفعل السلف، وبما تركوه من كنوز تحتاج أن تُبحث في صورة مُعاصرة.

3- تسهيل الحصول على هذا التراث وتقديمه للباحثين تشجيعاً لهم على تحقيقه ووصفه وضبطه وتشفير خطوطه.

4- تقديم المخطوطات الجزائرية للقارئ الجزائري والعربي وللمُحققين لتقديم أطروحات أكاديمية وفق مقاربات عصرية، وضمن منهجيات التحقيق التي أُقرّت من قبل مؤسسات التحقيق.

5- الاعتزاز بالتراث الجزائري لفعل السلف، والعمل على ربطه بالحدثة على أن العلم استمرار لا ينقطع، وأن الحضارة تكامل وتواصل.

6- تعريف القارئ بتلك الكنوز التي أنتجتها الأمة الجزائرية من مملكة ماسينيسا إلى يومنا الحالي.

7- إثراء المكتبات الوطنية والدولية بهذه المعلّمة وفق ما يطرأ عليها من دراسات وتحقيقات.

8 - رقمنة المعلّمة في صورة معاصرة، وفق ما تتطلبه آخر تقنيات الرقمنة.

— منهجية الوصول للمادة: سيكون هدفنا العمل على التواصل العلمي مع:

- المكتبات العمومية - دور النشر الوطنية - الأفراد المتخصّصون - المكتبات الخاصة - الصناديق المغلقة - الزوايا - وزارة الشؤون الدينية - ملكيات العائلات - قصور الصحاري - صناديق الأفراد...

- الرصد في شبكات المَخَابِر المُتَخَصِّصَة؛
- الوصول إلى بعض المَخْطُوطات بطرائق خاصَّة؛
- الحصول على مَخْطُوطات مُرقَّمة، أو مُفَهَّرَة.
- مُخَطَّط المَجالات: تسهيلاً للباحث سوف نَعتمد خُطَّة بسيطة بتقسيم المَعْلَمَة حسب محتوى المَخْطُوطات ضمن المَجالات التَّالِيَة:

الأدب - دراسات قرآنية - تفاسير - دراسات في الحديث الشريف - السيرة النبوية - علم التجويد - علم الفلك - التربية الخُلُقِيَّة - التاريخ والآثار - العلوم الطبية والجراحة - الفتوحات والغزوات - الطبيعة والأعشاب - السَّيَر والأعلام - الأساطير والأغاز - الحِكم والأمثال - الجغرافية والرحلات - الدواوين الشعرية - علم التعمية والحيل.

ويقوم الفريقُ المُنْجَرُّ للمَعْلَمَة بإدخال التعديلات الضرورية على أسلوب عمله انسجاماً مع خُطط العمل التي يفرضها الموضوع، ومنهجية المجلس التي تستهدف ازدهار العربية في مختلف مجالات الازدهار. وكذلك وفق مناهج وأساليب تقتضيها آليات الحداثة؛ لاستكمال الذخيرة اللغوية المتوفرة لدى المجلس وإتاحتها عبر الشبكة.

— شبكة التصنيف:

مخطوطات غير مُحَقَّقة، سيكون لها الشبكة التالية:

مثلاً مجال الأدب:

عنوان المخطوط	مؤلفه	المكتبة	رقمه

ب - مخطوطات مُحَقَّقة:

مثلاً مجال الأدب:

عنوان المخطوط	مؤلفه	مُحَقِّقه	المكتبة	رقمه

_____ المدونة الرقمية للمجلس _____

بطاقة المخطوط

المجلس الإسلامي الأعلى

الولاية: الدائرة: البلدية:

اسم الخزنة:

اسم المفهرس: تاريخ الفهرسة:

رقم المخطوط	
عنوان المخطوط	
المؤلف: اسمه الكامل (شهرته)، مولده ووفاته (التاريخ الهجري/الميلادي)	
موضوع المخطوط	
تاريخ النسخ	
الناسخ: اسمه، مولده ووفاته	
عدد الأوراق	
المقياس	
المسطرة	
بداية المخطوط	
نهاية المخطوط	
نوع الخط	
لون الحبر	
مكان وجود الأصل	
حالة المخطوط: وصف دقيق	
نوع الوعاء (ورق، جلد، ...)	
ترقيم المخطوط	
- هل توجد زخرفة في المخطوط ☐ نعم ☐ لا - هل الكتابة على الورق؟ ☐ نعم ☐ لا - هل توجد تعليقات؟ ☐ نعم ☐ لا - هل توجد حواشي؟ ☐ نعم ☐ لا - هل توجد تعليقات العلماء؟ ☐ نعم ☐ لا	الملاحظات

ملاحظة: المفهرس غير ملزم بملاء كل الخانات إذا تعذر عليه الأمر

ملاحظة: المفهرس غير ملزم بملاء كل الخانات إذا تعذر عليه الأمر

كلمة اليوم العالمي للغة الأم^٢

— مقدمة: إخواني الحضور، إننا نعيش حدثاً فريداً من نوعه؛ حيث نلتقي أركان الهوية الوطنية في هذا اليوم الخاص، احتفاءً باليوم العالمي للغة الأم، وأي حدث حصل، بحضور هذه التلة من الرسميين ومن الباحثين، ومن المهتمين بالفعل الوطني الانسجامي في إطار تعددية لغوية متكاملة، فأنعم به من حدث! فماذا عساني أقول:

تجسيدا لليوم العالمي للغة الأم الذي أقر الاحتفاء به بتاريخ 21 فبراير من كل سنة من قبل هيئة الأمم المتحدة، ها هي المجالس العليا التابعة لرئاسة الجمهورية؛ تحققي بالمناسبة؛ حيث يلتئم المجلس الأعلى للغة العربية، والمحافظة السامية للأمازيغية والمجلس الإسلامي الأعلى خصيصاً لإحياء المناسبة. ويسعدنا أن نتكامل في الحديث عن أهمية المحافظة على لغة الأم الحاملة للهوية الوطنية والإحساس الذاتي الطبيعي والتي شرعت العديد من الدول في تأسيس هيآت ومجالس من أجل إيجاد تدابير لحماية لغاتها، بالتركيز على لغة الأم؛ باعتبارها حاضنة للهوية والاعتزاز والتفاخر، وهي لغة يتلاغى بها الوليد ويرضعها من أمه في بداية تكلماته. ولغة الأم هي لغة المنشأ والاستعمال واللغة الجامعة، ومن هنا وقع الاختلاف في تحديد دقيق في هذا المصطلح.

إن لغة الأم تتدفق من متلاغيها اندفاقاً، لا يمكن أن تكون مثل اللغة الأجنبية؛ حتى لو أتقنها إتقاناً؛ فتكون شخصيته مفتعلة. ولغة الأم هي تلك التي ازدوجت بها شخصية الإنسان، فأصبحت توأمة، وبقية ما أجاده من لغات لا تعدو أن تكون محفوظات يعود إليها عند الحاجة، كما أن استعمال لغة الأم مع المعارف لا تحتاج

^٢ — أُلقيت هذه الكلمة بمناسبة الاحتفاء باليوم العالمي للغة الأم 21 فيفري 2017م. المكتبة الوطنية وبذات المناسبة أنجزنا يوماً دراسياً بمعينة المحافظة السامية للأمازيغية.

إلى وسائط ولا إلى جسور، فالكلام يجري جرياً خفيفاً دون تكلف، فبيني وبين ابن لغتي تكون أبواب النفس مُشرّعة، ذلك أن الشخص عندما يتكلّم بلغته الأم يكون صادراً عن صميم أنه ويكون هو في صفاء ذاته، وعندما يتكلّف الكلام بلغة غريبة عنه، يكون كمن خرج من ذاته وتلمّس وجهاً آخر أو شاب ذاته الصائبة بعض العكر.

وعلى العموم، فقد أصبحت اللغات الوطنية تتبوأ مشروعية حقّ الإيكولوجية العامة للكائن، ويهتمّ بها اهتماماً لمواصلة التناسل والتطور؛ وصولاً إلى الإنتاج وإلى الوحدة لأنّ وحدة الأمة من وحدة اللغة. ومن هنا أضحت اللغات الوطنية عاملاً من عوامل تشكيل المرجعيات الوطنية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّه بقدر ما تكون اللغات الوطنية متطورة وموحّدة بقدر ما تكون الأمة منسجمة.

وهكذا نحن في بلدنا نحتكم إلى لغتين أمّ، بحكم التلاقي والوظيفة والدمج العفوي فقد علّما التاريخ بأنّ المازيغيين والعرب في هذه البلاد قد عاركا معاً الكثير من المطبات والتحديات؛ ممّا أعطى شعباً واحداً مُدمجاً تجاوز كلّ الصعوبات في صيرورة تاريخية مشتركة، وكانت الطريق الأنجع لإبداع الحلول وتجاوز مُعيقات التكامل؛ بدءاً من التصاهر اللغوي إلى القواسم المشتركة المستقبلية. وقد استطاع هذا التصاهر كسر إيديولوجيا الإثنية ومصطلح الإيديولوجية التغريبية الزائفة، والتي تنظر إلى الأصول نظرة احتقارية من خلال خلق نماذج لتزوير التاريخ، ويقول (مولود قاسم) "وفي مجال تزوير التاريخ هناك عدد لا يحصى ممّن يحاولون أن يشكّونا في تاريخنا ويذبذبونا في حاضرنا ومستقبلنا، ولذا علينا أن نحذر ونختار ونحتاط، علينا أن نقرأ كلّ شيء بشرط الحذر والاحتياط واليقظة؛ وذلك لأنّ التاريخ هو أساس الإيديولوجيات كلّها، وليس بهذه الموضوعية والعلمية والنزاهة والحياد والتجرد، وغير ذلك ممّا يدعون إليه⁽¹⁾" ويؤكد ذات الأمر الباحث الجامعي (محمد العربي ولد خليفة) بأنّ "الإسلام والعربية

(1) — مولود قاسم، مفاهيم وصيغ خاطئة عن تاريخنا. الجزائر: 1986، المؤسسة الوطنية للكتاب ص: 18.

والأمازيغية يعني الجزائرية بنظرة غير إقصائية أو تقسيمية للنخبة، وينبغي تجاوز التوزيع حسب اللسان المستعمل؛ فالعربية في الجزائر لغة جامعة، وليست عرقاً ولا إيديولوجية حزبية والأمازيغية لغة تراثنا". وهنا يمكن القول إخواني بأن اللغة في الحقيقة ليست مسألة ولا مشكلة، وتأتي مهمّة الباحثين والمؤرخين في تنقيح وتصحيح ما لم يكن في مكانه؛ باعتماد الموضوعية العلمية.

إخواني الحضور، لا ننكر بأنّ الشعب الجزائري قد عانى من الرومان والوندال والبيزنط، وعاش أياماً عسيرة مع الأتراك، واستعماراً شرساً مُدْمِراً مع الفرنسيين، ويقول المؤرخون بأنّ البربر خسروا في حروبهم مع البيزنطيين في منتصف القرن السادس للميلاد خمسة ملايين (5000000) من الأنفس. وعندما جاء الفتح الإسلامي رافعاً تلك المحبة والمودة بين البربر والعرب؛ امتزجوا واختلطوا بسرعة تضاهي سرعة الفتوحات؛ وكان لذلك أثره الخاص في إعادة تشكيل الروح الجزائرية تشكيلاً حضارياً متميّزاً. وبذلك أعطى الحدث الإسلامي للمجتمع الجزائري صورة جديدة في التاريخ؛ صورة التكامل ومعالجة التحديات الحينية والبينية والقادمة علاجاً موضوعياً؛ كان غرضه الوصول إلى الانسجام الجمعي والعيش معاً، وذلك كلّ من خلال التماسك الاجتماعي والثقافي التي أطرتها الثقافة الإسلامية، ممزوجة بتلك القيم الحضارية المازيغية، وما تبعها من صُور الأعراف المُستحسنة التي أطرت بدورها ثقافتنا الوطنية المُتمثلة في: الاحتفاء الوطني بيناير/ نظام الوزيعات/ الاحتفاء بالمولد النبوي الشريف/ الاحتفاء بعاشوراء/ التعاون في خدمة الشأن العام/ نظام الفقارة/ التضامن في الملمات والوفاء/ نظام تاجماعيث... دون الحديث عن الجانب اللساني المتداخل؛ حيث الأرومة اللغوية تجمعهما؛ فالأعداد هي ذاتها في اللسانين، والأزمة ذاتها والألفاظ الدينية تقريباً عربية 100%، والأمثال والحكم نسبة كبيرة متداخلة في الأداء وفي المعنى... أليس كلّ هذا مدعاة للتأمل في فعل الأجداد الذين تبنّوا العربية خياراً استراتيجياً والإسلام ديناً مثالياً، والتراث استمراراً وطنياً. وهكذا، فبالأمازيغية نبقى وبالعربية نرقى وبالإسلام لن نشقى، بثلاثي العروة الوثقى، فأنعم بهذا التكامل من خلال هذا الملنقى!

إخواني الحضور، باسمي وباسم الفريق العامل في المجلس الأعلى للغة العربية نروم في لاحق من الزمان أن تتكامل أعمال هذه المؤسسات في شكل محاضرات وندوات وترجمات في اللغتين الوطنيتين والرسميتين، ويقع تقاسم الأعباء في ترقية اللغة الأم، ولغة الأم في مقاربات فكرية لسانية على غرار هذا اليوم الذي نستمتع إلى نخبة وطنية عالمة؛ سبق لها أن قدمت محاضرات في هذا المجال، وما هي إلا البداية والبداية تعني إذابة الجليد الذي كان يبين بعض النخبة التي تضع بعض المضايقات الشكلية في مجال التكامل، وعهدي بأن الباحث ينشد الموضوعية، وذلك ما نستهدفه من خلال هذا اليوم الذي يكون فاتحة لعهد انسجامي يدخل في المصالحة الوطنية ومع الذات اللسانية تجسيدا لبرنامج فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة.

وإننا لشاكرون للأساتذة المحاضرين، ولهؤلاء الذين شاركونا بمعارض لوحاتهم وتحياتنا للشعراء، والمبدعين الذين سوف يُشَفِّون آذاننا بما ستجود به قرائحهم. وتحياتنا للأمين العام للمحافظة السامية للأمازيغية، وإلى فريقه، وتنبئهم هذا العمل التكاملي، بل كانوا السباقين للدفع إلى إنجاز التجربة بروح وطنية تحمل صفات الإخلاص والوفاء لفعل السلف، فهم الخلف الذين باركهم السلف. والشكر كل الشكر لمعالي رئيس المجلس الإسلامي الأعلى الذي رحَّبَ بالفكرة بل شجَّعنا على تجسيد هذا الاحتفاء، وكان يؤكد السير في هذا العمل لتحقيق المنجز التكاملي في لوحة متكاملة، فأنعم به من مُشجِّع! بل سبق أن عمل معاليه في إطار هذه الخريطة بعقد سلسلة من الندوات في رحاب المجلس الإسلامي الأعلى، وكانت تروم الدفع بالثلاثي المقدس إلى التجسيد والتكامل.

ولا يفوتنا التنويه ورفع آيات العرفان والتقدير والتبجيل لمعالي الوزراء ولنواب الشعب ولإطارات الدولة وللباحثين ولكل القائمين على ازدهار الجزائر، ولكل من يخدم هذا المكان الذي فتح لنا هذا الفضاء لنلتئم في هذا المحفل العلمي، ولكل من حضرُوا وحضروا، ولرجال الإعلام الذين يُعطون الحدث بروح تشجيعية، وإننا ممتنون للخدمات الجيدة التي تُصنَّع من إعلاميينا، فهم لُمعُ وطننا، والعول عليهم

في نقل الأحداث بموضوعية، والعملُ على الدفع بها لتتألَّ موقعها لدى السامعين. والتحيّات الخالصات لكلِّ الذين سَهِروا من أجل أن يحصل النجاحُ في هذا اليوم والنجاحُ صناعةٌ جماعيةٌ وباركَ اللهُ في جمْعنا هذا. والسلام عليكم جميعاً.

كلمة أُلقيت في جامعة البليدة[♥]

إنّه لمن دواعي سرورنا أن نتقاسم الاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد؛ في البليدة مدينة الورود والجمال، مدينة العلماء من أمثال الشيخ بابا عمر مفتي الجزائر الأسبق وفي مدينة المجاهدين الأشاوس. ومحفلاً هذا؛ يحتضنه صرحٌ أكاديمي مُسمّى بجامعة المجاهد (علي لونيسي) رحمه الله. وإذا كان الاحتفاء باليوم العالمي للغة العربية كونها تراثاً إنسانياً؛ فإنّ الاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد يؤكد أنّ العربية لها ما لها من القيمة المشتركة باعتبارها تراثاً عربياً مشتركاً، يتساق ذلك واحتفاءً الأخير باليوم العالمي للغة الأمّ في الحادي والعشرين (21) من هذا الشهر، والذي يُكمّل حلقة الانتماء من المحلية إلى الإقليمية فالإنسانية.

إخواني الحضور، ماذا أُحدثكم عن العربية التي تعلمون أنّ لها الماضي المشرق ما لها، وتكتنز من التراث ما هو من اللؤلؤ؛ فهي التي أعطت للعالم الخوارزميات ونظارات الهيثميات، وجراحات الزهراويات، ومنتوج جابر بن حيّان في الكيمياويات وفتوحات ابن قتيبة في المنهجات، وابن سينا في الجراحات والإدريسي في الكرويات وعباس بن فرناس في الفضائيات، ونظام علم الاجتماع الخلدونيات، وقصّة ألف ليلة وليلة العجائبيات... ولا نقف على الإطلال الماضيات بقدر ما نريد أنّ للعربية من العظمة ما لها للنهوض أو تلمّس أسباب الازدهار من جديد، وما كان احتفاءً بهذا اليوم العربي إلّا لإعادة الثقة للناطق بالضاد، والتفوّل بالوضع اللغوي رُغم بعض الهنات، ولكن علامات النهوض ظاهرة فتفاعلوا خيراً وهو جزء من النهوض فعلاً.

[♥] أُلقيت الكلمة في جامعة علي لونيسي بالبليدة بمناسبة الاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد. البليدة: 28 فيفري 2017.

إخواني الحضور: لا شك أنّ الألكسو واعيةً بالتحديات الكبرى التي تحيط بالعربية في عصر العولمة الثقافية؛ والتي تُمثل ظاهرةً مُهدّدةً للهويّات والخصوصيات وللتنوّع اللّغوي والثقافي، وهذا ما دفعها إلى دعوة الدول العربية إلى إقرار يوم عربي للغة الضاد يكون في أوّل مارس من كلّ سنة؛ ابتداءً من عام 2007 وضرورة الاهتمام بها في مجالات الثقافة والمعرفة التي أصبحت المعيار الحقيقي لتقدّم الأمم وازدهارها عن طريق التحكّم في التقانات، ووضع البرمجيات وتشجير باب الصّرفيات، وعقانة النحويات والاستفادة من الترجمات؛ وصولاً إلى فتح باب الإبداعات.

أيّها الجمع الكريم، إنّنا لا نريد أن تكون احتفائياتنا رقمًا جديدًا في سلسلة الاحتفائيات الشكلية، ولكن نروم من هذا اليوم الدراسي طرح مسائل العربية العالقة طرحاً علمياً وتجنّب عرض المشكلات التي أبدع فيها بعضنا، ونتوجّه رأساً لإبداع الحلول، وتقديم الوسائل الكفيلة بالإجراءات إجابة عن هذه المشكلات وإلى المنهجية بصورة علمية أكاديمية بمُراعاة ما يتماشى والغاية الكبرى؛ وهي خدمة اللغة العربية. أيّها الجمع المؤقّر، إنّ الجزائر هي البلد الوحيد الذي يمنح اللغة موقِعاً رسمياً كبيراً وعياً منها بأهميّة المسألة اللغوية، ولذلك خصّصت لها ثلاث هيئات تابعة لرئاسة الجمهورية؛ وهي المجمع الجزائري للغة العربية + المحافظة السامية للأمازيغية + المجلس الأعلى للغة العربية الذي أصبح مؤسسة دُستورية، ودُعِمَ بمهام جديدة تتمثّل في:

— العمل على ازدهار اللغة العربيّة؛

— العمل على تعميم استعمالها في الميادين العلميّة والتكنولوجيّة؛

— العمل على الترجمة إلى العربية.

وإنّ ما يقوم به المجلس هو ترجمة لبرنامج فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة في إطار تجسيد المواطنة اللغوية، فأكرم بها من مُواطنة! والمجلس يقوم على رفد العربية لتزداد في القيمة المضافة المعرفية بدرجة أولى ويدعو إلى ضرورة منح العربية موقعها الحقيقي المنسجم مع الدستور والواقع في الدرجة الثانية.

ولا تعني دسرة المجلس أن مهمة تطوير اللغة العربية وتحويلها إلى لغة المعرفة مقتصرة على هذه الهيئة؛ بل إنها تشمل وتخص الجميع، ولا يتم هذا إلا بتكاتف الكل وبخاصة من يهمة الأمر من المثقفين والأكاديميين وأعضاء المخابر في مختلف التخصصات، بما فيها العلمية والتقنية، لأن الآداب واللغات وإن كانت الخلفية والمنطلق للغة العربية، فإن للعلوم والثقافة أهمية لا تقل عن الآداب، ولا سيما في عصرنا الحالي الذي أصبح فيه المقياس الحقيقي للتطور هو مدى تحكم اللغة في الثقافة وفي العلوم وفي ولوج مجتمع المعرفة، وكذلك الحصول على المواصفات النوعية الأكاديمية العالمية في التصنيف الدولي الخاص بمواصفات الإيزو / ISO في الجودة الأكاديمية.

إن المجلس الأعلى للغة العربية ينطلق من مبادئ ومرجعيات؛ ومن أهم مبادئه أنه لا توجد لغة متقدمة أو متخلفة بذاتها، وإن التقدم والتخلف من صفات الناطقين بها والعربية تقدمت وأصبحت لغة الإبداع في العلوم والفنون والآداب في عصرها الزاهر وكانت لغة عالمية بمفهوم العولمة الآن وتراجع منتوجها في المجالات المعرفية عندما أصيب العالم العربي والإسلامي بالركود والفتن والتسلط الأجنبي. وعليه، فإن اللغة العربية بما تملك من إمكانيات ذاتية لقادرة على استيعاب العلوم والمعارف، وبإمكانياتها الحالية إحدى اللغات المعتمدة في هيئة الأمم المتحدة، واللغة الأولى في ستة عشرة (16) دولة أجنبية، واللغة الثانية في ست وعشرين (26) دولية أجنبية والثالثة في الاستعمال العالمي، والرابعة على الشبكة، والثامنة في لغات العلم، ولغة العبادة لأكثر من مليار ونصف من المسلمين، فأنعم بها من عربية تفرض وجودها العددي عاما بعد عام!

السادة الأساتذة الكرام، إن المجلس الأعلى للغة العربية من خلال مهامه يحتكم إلى آليات يمارس من خلالها أنشطته، فهو ينأى عن منطق الشعبوية والانسياق وراء الأحكام العاطفية التي تتحو نحو السوداوية المفرطة، وإنما يعتمد سياسة علمية هادئة تتلمس مواضع الخلل والداء؛ فيقترح الحلول ويقدم الاستشارات، بعد تلمس كل المضايقات والهتات، وما يحتاج إلى سد الثغرات. ومن وراء ذلك يعمل على توسيع الاستشارات مع النخبة الوطنية التي تقترح الأفكار وتقدم الحلول، ولهذا فالعهدة في كل

هذا تقع عليكم أنتم الأكاديميين أو الباحثين أو مسؤولي المشاريع، وعلينا حملُ أمانة التحسين والجودة وعلى الطلبة تقع أمانة القبول بالتغيير للأحسن. فنجتهد جميعنا لنضع الدواء المناسب ونقول الحقيقة العلمية، ونزرع الأمل الذي يتبع بالعمل ونعالج الأمور بما هو أليق، وفي ذات الوقت لا ننكر الصعوبات، ولكن لا نبقيها دون تقديم العلاجات.

ولهذا، زملائي الأساتذة، أماننا جملة المضايقات التي نروم أن تُعالج في المخابر وفي الاجتهادات البينية، وعلى مستوى الاستشارات، ومن حقّ العربية علينا أن نبوئها المكانة التي تستحقّها بين اللغات، بالإبداع فيها وبها وملاحقة تقنيات العصر، ورفع المضايقات التقنية في قضايا الشكل، وفي تطوير مجال الذكاء الصناعي، وتخصيص محركات تتعرّف على خصوصيات العربية، وفي إبداع المصطلح العلمي، وفي التشجير الآلي وفي المحتوى الرقمي، وماله علاقة بالترجمة الشخصية أو الآلية. وكلّ هذا الاجتهاد يدخل في القيمة المُضافة للرفع من مردود تصنيف العربية بين لغات العالم وفي ذات الوقت يدخل في تصنيف الجامعة بما لأطرها من إبداع، وبما يحوزون من جوائز عالمية.

أيّها الجمع الموقر، من لم يشكر الناس لم يشكر الله؛ لذلك؛ نشكر معالي وزير التعليم العالي على اختياره هذه الجامعة، وما كان الاختيار صدفة، بل لغرض علمي ونفعي؛ حيث تحتكم هذه الجامعة الفتية لكفاءات وطنية مشهود لها بالعلمية والإنتاج بل إنّ بعضاً من إطارات هذه الجامعة من القامات والخبرات العالمية التي تُستشار في المنظّمات الثقافية العالمية فأنعم بهم من كفاءات! ويمتدّ الشكر للفاضل رئيس الجامعة الأستاذ الدكتور (شعلال) الذي لا يبرح يسأل عن تنشيط أيام دراسية مع المجلس وعهدي أنّه كان يصرّ على هذه الشراكة العلمية، ونقرّ له بذلك الحماس الفياض فهنيئاً سيدي مدير الجامعة على هذا المسار العلمي لجامعة علي لونيس ويتواصل الشكر لأخي العزيز الدكتور (بوحساين) الذي عرفناه منذ أمد طويل، فهو من المُخلصين الأكفاء والعاملين والعالمين الذين يحملون همّ تطوير العربية منذ عرفناه فأنت يا سي (بوحساين) من الأفضل، والله نسأل أن يمدّك بالصحة بمئات الأُرطال؛ لتبقى من سدنة العربية، فبورك في نشاطك. والشكر يكبر أمام زميلاتي

وزملائي الذين لولاهم ما كنا هنا، وهم الجيل الذي حمل أمانة تفعيل الجامعة، وإنّي أنحني إجلالاً لمقامكم جميعاً وأقرّ أنّ مقامَ تصنيف جامعة البليدة وطنياً لم يكن إلاّ بأفعالكم العلمية التي تشهد على أنّكم قدّمتم قيمةً مضافةً للبحث العلمي، وأسهمتم في مُخرجات الإطارات الجزائرية وهذا شرفٌ كبيرٌ، فأنتم من الكبار، فأكرم بكم من كبار! ولا يمكن أن نقف هنا إلاّ بتتويه كبير لهذه الوجوه الشابة وجوه الأمل، رجال المستقبل، شباب اليوم، طلبة هذه الجامعة فعليكم العول، وانشروا الأمل، وكونوا أبناء عصركم ومصركم، وافتحوا نوافذ غرفكم لتتهوئ، دون أن تسمحوا للرياح أن تهزّ كيّانها، لا تتغلّقوا دون التحكّم في الكبترة والمنطقة والفسبكة والتوترة واليوتيوبية والويحة والسمرتفونية، وأفيدوا منها واعملوا على تطويرها وبناء المحتوى الرقمي التماثلي، وتجويد مكانزنا التراثية، بل وافتخروا بها؛ وبخاصّة عندما تقرّبون متوننا القديمة لتقانات العصر، واستغلالها في الخصوصية الضامنة لنفاخ العربية والعروبة التي تتماشى مع المزوغة والإسلام.

وأريد التأكيد على دور الطالب الجامعي الذي نروم أن يكون صاحب مشاريع ومقترح أفكار ومتجدّر في أصوله، فأتمنّله كالشجرة التي تغيّر أوراقها، ولكنّها لا تغيّر جذورها فكونوا الخلف المضيف لخير السلف المضيف وأضيفوا ما لم يكن عند السلف لبناء حضارة الاستمرار، فلو لم تكن البذرة لما كانت الثمرة، ولا تكونوا سبّهاً في لغاتكم، بل لا تنتقادوا باللحن كما يتقادع الفراش في النار، اخرجوا من سقطات لواهجنا، وخليط لغات أحياننا ولا تسقطوا في الهجين اللغوي، أو تقبلوا دعوى تقريب الفصحى من لغة الشارع، فتصبح بعد ذلك اللغة العربية تجتلب أمشاجاً من شوب اللغات، فتكون لغة تُخرق ولا تُخرق ولا تحرق. اعملوا على الرفع من الفصاحة، ولا تنزلوا العربية من الرتبة العالية، ولا تجعلوها في المنسية والزموا دواوينها وما أنزلها الله من القداسة، ووظّفوا الكلام الصحيح، واكشّحوا الكلام الفاسد وأبدعوا في محتوى جلالة الملكة، فلا لذة في كلام جديد إذا قيس على محاكاة البيغوية.

وأخيراً، باسمي وباسم زملائي في المجلس الأعلى للغة العربية، نُمَنِّج جهودكم ونشُدُّ من عزيمتكم، ونبقى نقدِّم لكم ودُّنا للشراكة المستقبلية فلنتكاتف وليعضد بعضنا بعضاً لنخدم لغتنا العربية لساناً وتراثاً وثقافةً، ولنستغل المساحة الواسعة المادية والمعنوية التي توفرها لنا الدولة؛ لنجعل من لغاتنا لغة العلم والمعرفة والحياة، بإقرار إلزامية الرجوع إلى مؤسَّساتنا المفتية في الشرعية اللغوية؛ حيث تغور اللغة واجب حراستها منا وعلينا جميعاً.

وإنِّي لكم شاكر على هذا اليوم الدراسي، الذي ظهرت مخائل النجاح من البداية ونسأل التوفيق للجميع، ومن خلال هذا المنبر أعلن بداية الأشغال ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالِينَ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْشَرُّ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٠٥﴾ التوبة. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

كلمة أُلْقِيَتْ في اليوم العالمي للغة الضّاد^١

إنّ اللغات وسيلة للتواصل البشري، ولكلّ أمة/ شعب لغةً ينماز بها عن غيره وعبرها يتدافع أمام الآخر، ويفتخر بما له من خصوصيات لغوية تجعله حاملاً لسمات لسانية هي الهوية التي يعمل على الارتقاء بها، وكلّما ارتقى ارتقت لغته وكلّما انحطّ انهارت لغته، وقد تدخل في باب الهُجران. لكنّ الشعوب المُنافحة للغاتها تصمد أمام الصدمات وحركية التاريخ، وتبقى مُعزّزة بلغاتها وتنافح من أجلها لإعادتها إلى الإعمار من جديد فتعترّ أيّما اعتزاز بأصالتها، وتعمل جاهدة من أجل الحضور الوطني والدولي للغاتها حيث الزمانُ دولٌ، فلا قبول للأمر الواقع الذي ليس واقعاً لأنّه قابل للتغيير.

وعهدنا في هذا الأمر أنّ العربية رُغم ما عرفته من هزّات وهنات، ها هي اليوم في هذا الزمن تعود بعودة الاعتزاز الداعي إلى العمل على ازدهارها، وإلى تركيب الإنتاج الموصّل إلى النوعية، وتراها تحتلّ مكانةً بارزةً على خريطة اللغات وعلى مستوى امتدادها الجغرافي وعلى مستوى عدد الناطقين بها كلغة أولى أو ثانية، وعلى مستوى مقامها الديني والتراثي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي.

إنّ العربية من اللغات الأكثر في عدد الناطقين بها، وهي الأولى عالمياً كونها لغة الحضارة الإنسانية، وليست لغة العرب أو لغة المسلمين فقط، فقد كتب فيها وبها العربُ وغير العرب، كما كتبت، وتتلى بها الديانات السماوية، وهي خامس لغة من اللغات الست العالمية المتداولة في الأمم المتحدة وفي وكالتها العالمية وهي لغةٌ واسعةٌ للعمل الثقافي بلا نكران لما لها من مقام بين اللغات ولما تحوز عليه من

^١ — أُلْقِيَتْ الكلمة بمناسبة اليوم العربي للغة الضاد. المكتبة الوطنية في 1 مارس 2017 وهذا في إطار اليوم الدراسي المشترك مع وزارة الثقافة.

معارف، حتى برزت الحاجة إلى أن تمدّ جسور التعاون المشترك بينها وبين اللغات العلمية، وليقع الاهتمام بها، وتأتي تلك اللغات بما لها من منظمات لتخصّص لها أياماً يُحتفى بها؛ وبخاصّة أن بعض المنظمات الدولية قد واجهت عوائق عملية في استخدامها داخل أروقتها، وفي الفضاء الاجتماعي الذي تعمل فيه.

وفي كلّ ذلك المخاض الدولي؛ فإنّ المجلس الأعلى للغة العربية بدأ يضع خطّته الاستراتيجية، وبرامجه التنفيذية في أهمية العمل مع الوزارات الوطنية ومع المجالس العليا ومع الإدارات المحلية، ويقوم جسور حسن التأييد البينية مع كلّ من يطلب منه الاستشارة في إطار إنجاز المشاريع المشتركة، ومنها ما نشهده اليوم من الاحتفاء المشترك مع وزارة الثقافة التي فتحت لنا قنواتها وفضاءاتها الثقافية لتحقيق الأهداف المشتركة، ومن ذلك دعم فعاليات الاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد؛ حيث رحّب معالي وزير الثقافة بتنشيط مشترك لهذا اليوم الدراسي ودعا إلى مزيد من الفعاليات العلمية؛ لتعزيز قيمة العربية، ودراسة واقعها بغية تجسيد الخطط والمشاريع المستقبلية. ويسعد المجلس الأعلى للغة العربية، أيّما سعادة وهو يشرف على مدّ هذا الجسر مع وزارة الثقافة؛ باعتبارها حاضنة للثقافات الوطنية وللتراث الوطني المادي وغير المادي وكلّ ما يخدم تعزيز المواطنة اللغوية ونروم أن يقع مثيلاً له مع كثير من الوزارات التي نقدّم لهم نداءً من خلال هذا اليوم بأننا مستعدون لتقديم أفكار نوعية في خدمة العربية بل وفي حسن الأداء، كما نستفيد عندما نتلقى طلب استشارة بخصوص عمل المجلس ونعمل جاهدين أن نكون في مستوى خدمة هذه اللغة الشريفة.

إخواني الحضور؛ ماذا أحدثكم عن العربية؟ إنّ العربية لها عدّة عشّاق يتنافسون في طلب ودّها، فأكرّم بهم من عشّاق! عشّاق ينظرون إليها على أنّها علامة فارقة ينماز بها الشعب العربي، فلا تسامح فيها مهما كان مستواها. عشّاق يهيّمون بها ويعبدونها ويبدعون في منتوجها الأدبي إسوة بالسلف الصالح. عشّاق يخترعون فيها وبها لتكون لغة علمية من الطراز العالي لتستجيب لمتطلّبات العصر. عشّاق يأملون أن تستفيد من اللغات الأجنبية وتفتّح على الترجمة منها وإليها. عشّاق

ينافحون من أجلها ولا تقرّ لهم العين إلا ويرونها لغة المحيط والإدارة والمحاسبة وتكون لها السيادة في كلّ المؤسسات الوطنية. عشاق يدفعون عنها مختلف الحوادث اللسانية ويمقتون الهجين اللغوي. عشاق يروّون ضرورة التبادل الأصلي بينها وبين المازيغية لكشف خبايا التأثير والأثر؛ وصولاً إلى حقيقة الأرومة اللغوية. عشاق غيرون مخلصون منافحون فما موقع المجلس أمام هؤلاء العشاق؟

لقد ارتأى المجلس الأعلى للغة العربية أن يجمع كلّ آراء العشاق؛ لأنها تدخل في استراتيجيته الأنوية والقادمة، ويحاول أن يكون في مستوى تلبية مختلف الرغبات بما له من مشاريع ومبادرات هادفة إلى الدعم العلمي والمعنوي للغة العربية، وحثّ مختلف الجهات على تقديم الأفكار ذات العلاقة بازدهارها، وجعلها مُعمّمة في العلوم وفي التكنولوجيا وفي مجال الترجمة لسدّ الثغرات.

إخواني الحضور، إذا حدّثكم عن العربية سوف أحدّثكم عن أهميّة الاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد، كونّ العربية تعكس الهوية، وتنقل الفكر والحضارة وتمثّل الأبعاد السياسية والامتدادات العالمية، ولا بدّ أن أذكّركم بما يلي:

إنّ العربية لغة عمل في المنظّمات العالمية منذ 1973م، ليس كونها اللسان الناطق للمجتمع العربي، بل هي لسان الحضارة الإنسانية الأقدم الذي بقيت دواوينه دون تشويه.

إنّ العربية لها أهميّة في حضورها في مختلف المحافل العلمية الوطنية والعربية والدولية وما لها من رصيد معرفي مشترك لا يوجد في غيرها من اللغات.

إنّ العربية لها أهميتها الخاصّة؛ كونها لغة مشتركة وموحّدة وجامعة، ولها فضل نزول القرآن بلسانها، وهو ديننا الحنيف والمقدّس.

إنّ العربية لما لها من خصوصيات ومواصفات طبيعية قابلة للتعامل مع المناطق الشجرية التي تتعامل بها الآلات التقانية المعاصرة.

إنّ العربية لها ما لها من الحضور في المؤسّسات العربية، وفي الجامعات الغربية وفي الوكالات الأممية، ونعلم بأنّ في مقرّ الجمعية العامة للأمم المتحدة هيئة تهتمّ بالمناطق المتلاعبة بالعربية كلغة أجنبية أولى أو ثانية.

إنّ العربية بما لها من مخابر تقوم على رفدها، وبخاصّة تلك الروافد العلمية الوطنية والعربية والدولية؛ كونها لغة لها من الخصائص الطبيعية ما يجعلها لغة عالمية تعود إلى ازدهارها وتتفوّق، وهذا ما تستشره كبريات الدراسات الميدانية.

إنّ العربية بما لها من دعوات العناية بدراسة البيئة اللغوية النموذجية التي تكون مُعبّرة عن استعمال طبيعي حقيقي؛ يكون نموذجاً يُحتذى في البيئة العربية والعالمية.

إنّ العربية بما لها من أهميّة التعامل مع الوظيفة الرمزية عند تحديد السلوك اللغوي في العلاقات البينية أو العلاقات الدولية، بإقرار مبدأ المساواة اللغوية وحقّ التنوّع اللغوي وتشجيع التعددية اللغوية؛ ضمن الوظائف اللغوية وحسب المقامات والخصوصيات والحمولة الثقافية.

إنّ العربية باعتبار إرثها الحضاري ومخزونها الثقافي وحيويتها ومقياس تفاعلها مع المحيط العالمي هي القادرة على نقل الأفكار الحضارية التي تُعبّر عن الميزات والخصوصيات للأمة العربية.

إنّ العربية لما لها من موقع الندية أمام لغات العلم ولغات العولمة، فلا يقع الصمود إلّا بها؛ لما لها من حمولة معرفية جاذبة قائمة أصلاً على الخدمات اللغوية منذ قديم الزمن، وازداد بنزول القرآن، فحصل الازدهار الذي لا مثيل له في أيّة لغة من لغات العالم.

إنّ العربية لما لها من خصوصيات صرفية ونحوية وثقافية، وما لها من مؤهّلات صامدة أمام تكنولوجيات العصر، حتى أمام النانوتكنولوجي، فتستجيب لكلّ المسارات الذكية التي تحملها الطرق السيّارة للنقانة، بما لها من تشبيك عولمي

مُرقَمَن، وما يُضخّ في مُحتواها بصورة مُطرّدة بلّة الحديث عمّا تحمله من روائع وموسوعات ومعاجم؛ تجعلها بحرّاً لا ينضب؛ تُفيد منها كلّ اللغات.

هذا قليل من الكثير، ممّا يمكن الحديث فيه عن موقع العربية، ومع ذلك فما لا يُدرك كلّهُ لا يُترك جُلّه، فلإدراك كامل لأثر هذا الفعل الثقافي لهذا اليوم يقع الحديث عن مستقبل العربية في ظلّ التواصل المعرفي والتوثيق بالعربية وأهمية التنوّع اللغوي في التعبير عن الفضاءات الحيوية للمجتمعات، ودور العربية في خلق التنمية المستدامة والاقتصاد القائم على تحقيق مجتمع المعرفة.

ومع كلّ ذلك فإنّ المجلس الأعلى للغة العربية يعمل بتوّدة مضمونة على أن يكون له حضورٌ في مجال تطوير فعاليات العربية بـ:

1- إنتاج أفكار وتقديمها لمن يهتمّ الأمر، والداعية إلى تطوير العربية على مستوى متّنها وأدواتها وموادها اللغوية المُعاصرة.

2- العمل على حمايتها من التهجين والتجاوزات المشينة، واقتراح البدائل النوعية.

3- تدبير مزيد من شؤونها، وتدارس مختلف التحدّيات التي تواجهها في وطنها والإسهام في بلورة مشروع وطني مُتكامل لترشيد الحقل اللغوي، تُسهم فيه فعاليات مدنية وثقافية ومؤسسات أكاديمية واقتصادية وتقنية.

4- مزيد من الندوات والمؤتمرات والأنشطة التي تعمل على ازدهارها واقتراح البدائل النوعية المطابقة للمواصفات العلمية الدولية.

إخواني الحضور، نرجو أن تكون هذه الفعالية الثقافية مفتاحاً لأعمال علمية لاحقة والتواصل الدائم في خدمة الشأن العام، ونروم منها تجسيد برنامج **فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة** في العمل على ازدهار العربية من خلال الاهتمام باللغات الوطنية في مسعى تفاعلي يُراد له إنزال اللغتين الرسميتين ضمن التعددية المشتركة التي تزيد من متانة المجتمع الجزائري لما له من عُرف

في سابق من الزمان، وما حصل الضيم اللغوي أبداً، وهذا عبر ما بناه السلفُ الصالحُ، فهل نكون فعلاً خيرَ خلفٍ لخيرِ سلفٍ؟

وختاماً أزكي خالص الشكر والعرفان لمعالي وزير الثقافة الذي يرفع الثقافة وإلى فريقه النشيط، ونشهد لهم بأنهم يتقنون فنَّ أداء المهام الثقافية على ما يرام فأقول: بوركِت الجهودُ البينية، وشُدَّت خطواتُ المخلصين، وأخلص الشكرَ لكلِّ الذين حضروا وحضروا ولمن سوف يحاضرون في هذا اليوم الدراسي وأقول: عهدي أن تبقوا معنا مُخلصين، وذلك ما يخلق فينا عزيمةً المزيد من الحضور في مختلف الفعاليات الوطنية والدولية. والشكر يمتدُّ إلى الصحافيين الذين يعملون على أن تتألَّ أقوالنا وأفعالنا مقامها اللائق، فأنعمُ بهم من صحافيين يعملون على خدمة الوطن! وتحياتي الخاصة إلى أولئك المُخلصين من جنود لا تنام عيونهم فهم حراسُ هذا الوطن المُفدى، فإله نسال أن يحفظهم ويزيدَ من همهم. والسلام عليكم جميعاً.

كلمة أُلقيَتْ بمناسبة اليوم العربيّ للغة الضّاد^١

إنّه لمن دواعي النجاح المضمون لهذا اليوم الدراسي أن يكون في جامعة الأمير عبد القادر، وفي مدينة العلم والعلماء، مدينة قسنطينة الشّماء، مدينة المازيغيين الأحرار. فماذا تنتظرون أن أحدثكم عن اختيار هذه الجامعة؛ ليحتفيّ المجلس الأعلى للغة العربية، بمعية هذا الحصن العتيّد الذي يُضاهي في الرّفعة العلمية مقام الأزهر والزيتونة.

إنّ ترشيح معالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي للاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد في هذه الجامعة لم يكن ترشيحاً عشوائياً؛ إنّما بُنيَ على ما لهذه الجامعة من أساتيد وكفاءات وطنية وباحثين قدّموا بصّمات الجودة في أعمالهم الأكاديمية. نخبة متميّزة تحوز عليها هذه الجامعة، وهي التي قامت على رِفد العربية منذ بدأت هذه الجامعة الإسلامية في دفع مُخرجاتها إلى سوق العمل فكانت تلك المُخرجات ذات تأهيل عالٍ، ولها من الدراية اللغوية ما أضافت للعربية من إضافات محكمة كان لها ما كان من الفعالية في الضبط والدقّة والتحرّز والتحقيق والحضور في الوطن وفي خارج الوطن.

لقد جاء ترشيح هذه الجامعة لتحفّي في الأوّل (1) من مارس لعام 2017 تجسيدا لتلك التوصية التي أقرّتها الأكسو في سنة 2007 بسنّ الاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد، وهذا إقرار من الوصاية أن يكون هنا، لما لهذه الجامعة من عُرْف علمي يمتاز بصورة خاصّة في حسن أداء المواطنة اللغوية، فأنعم به من فعل مُتميّز، وفي جامعة مُتميّزة!

^١ — أُلقيَتْ الكلمة بمناسبة الاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد. قسنطينة: 2 مارس 2017، في إطار الشراكة مع جامعة الأمير عبد القادر. وأنجزنا بالمناسبة يوماً دراسياً.

لقد جمعت هذه الجامعة بين المحاسن، وحطّ المجلس الأعلى ثقله فيها ولم يُراهن على حصان قد يعثر، بل ربح البيع من البداية، وما أجمل أن تتركب رهان الجودة في جامعة الجودة.

إخواني، كلّم تعرفون قيمة اللغة الوطنية والرسمية، وتعرفون مقام العربية في حياة الأمة؛ باعتبارها الأداة التي تحمل الأفكار، وتنقل المفاهيم، وعبرها تقيم روابط الاتصال بين أبناء الأمة الواحدة، وبها يتمّ التقارب والتشابه والانسجام، فلا شكّ ودون منازع بأنّ للعربية خصائص لا توجد في غيرها، ولهذا لها المقام العلي في مجتمعنا، وتعامل معاملة خاصّة؛ حيث أنزلها الاستعمال والوضع اللغوي مكانة مقدّسة منذ مجيء الفاتحين لهذه الأرض، بل باركها الأجداد بأن أبدعوا فيها وبها وعملوا على تعلّمها وتعليمها وإفانها والإنتاج فيها، وازدادت قيمتها المعنوية والرمزية في أنفسهم بفعل الزمان، ووقع احترامها أيّما احترام.

وفي كلّ هذا لا ننكر أنها تواجه تحديات حقيقية تتطلب جهوداً مكثّفة ومستمرّة لفترة؛ حيث تناقصت فيها مجموعة من المواد العلمية، ولم تستطع متابعة مُستجدات العصر في زمن من الأزمان، وكان كلّ ذلك في هذا الوقت من موجبات الاستدراك تُشارك فيها جهات مُتعدّدة حتى تواكب العربيّة مقتضيات الراهن. والراهن يتطلّب زيادة مخزون محتواها الرقمي، وسرعة الوصول إليه، وإنّنا بحاجة إلى أدوات تقنية ومعلوماتية تعتمد تطبيقات وبرمجيات وأنظمة معالجة؛ تتلاءم مع خصائص العربية، وتحليلها، وبخاصّة محرّكات البحث العربية والمعاجم المعاصرة المُحيّنة باستمرار. ومن الضروري البحث عن آليات التواصل بفعل ما تعيشه اللغات العلمية من فيضان المعلومات، ويجب علينا دراسة المستجدات ووضعها في إطارها الصحيح، وإضفاء الحيوية عليها، ومُسايرة حتمية التطوّر وروح العصر.

إخواني الحضور، مرّة أقول: إنّنا اليوم نحتفي باليوم العربي للغة الضاد، وهذا عرفان لما لهذه الجامعة من إطارات تقوم على خدمة البحث العلمي، وما لهم من مخزون المحتوى الرقمي من خلال أبحاثهم الخاصة، ومنتوجهم الوظيفي الذي

يغذي نهم الطالب. وأعرج في هذا القول بأنّ من أهمّ أسباب النهوض بالجامعات وتطويرها تفعيل دورها في النشاط العلمي، والجامعة لها رهان وطني تكسبه بما لها من رُتبة وطنية وبعْد الأبحاث العلمية، وبراءات الاختراع وبمخزونها الشابكي. الجامعة بما لها من مناهج حديثة تتواءم مع تقدّم المعرفة الإنسانية والعناية بالتأليف الأكاديمي والتحرّر من سلطة المقرّر الجامعي الضيق الذي يُحجّم أحياناً المعرفة، وفي آخر الأمر يتحوّل إلى مُلخّص يتوارثه الطلبة. الجامعة بما لها من جودة التعليم، وتُقاس بكفاءة الخريجين ومدى فوزهم بالجوائز الوطنية والعالمية. الجامعة بما لها من نوعية أعضاء هيئة التدريس؛ من حيث تمكّنهم وكفاءتهم ونتائجهم البحثي، ومدى الاستشهاد بأبحاثهم بالإضافة إلى الاهتمام بمُخرجات البحث العلمي، ويتضمّن الأبحاث المنشورة في أفضل وأعلى المجالات التي لها السمعة العالمية، وأفضل الأبحاث ما كان تطبيقاً مُضيفاً. وأصدقكم القول بأنّ هذه المعايير متوفرة بنسب مُعتبرة في هذه الجامعة كما أنّ رصيدها الطلابي يتوفّر على معطيات عالمية قياساً لتلك الأبحاث الميدانية التي رصدت حُسن أداء طلاب جامعة الأمير، وفي عيّنة معتبرة أشادت بنوعية الخريجين، وبنوعية المستوى العلمي المتميّز، وتلك شهادات معتبرة جعلت جامعة الأمير تتال المقام القابل للمواصفات العالمية. فمزيداً من التألّق زملائي الأساتيد، ومزيداً من السمعة العلمية التي أنتم جديرون بها في المحافل الوطنية والعالمية.

وأما بخصوص الطلاب أقول: عودتنا قسنطينة على الصدارة، فما محمد فرح والطبيبة زهرة هني، والمبدع صالح ناصري، ومقرئ قسنطينة إلّا عينات النشاط الوطني في إطار إحراز الجوائز العالمية، والذين تفخّروا بهم الجزائر، فأنعمّ بهم من رجال المستقبل! ومع ذلك يجب بذل المزيد من الحصول على جوائز أعلى.

إخواني الطلاب، ومن خلالكم أتوجّه للمتصدّرين بتحايا المجلس الأعلى للغة العربية على هذا التصدّر والنجومية، كما أتوجّه لكم بالتحيات الخالصات وأحثّكم على بذل المزيد لتحقيق النجاحات، وأقول لكم:

- ارفعوا سقف الطموحات، وعليكم الاجتهاد فهو سرّ النجاح؛
— انظروا للمستقبل الواعد بالأمل المصحوب بالعمل؛
— أسقطوا من قاموسكم السين وسوف وقد كان... فهي ممهّدت التكاثر وبداية الفشل؛
— لا تقولوا (كان أبي) إلا نتيجة لما تضيفونه، وعند ذلك افتخروا وقولوا: نحن
الخلف لخير سلف.

وهكذا نريدكم أن تكونوا كما قالها علامة الجزائر (ابن باديس) ونحن نشرف على الاحتفال بيوم العلم الذي نروم أن يكون قيمة مضافة في الاعتزاز بلغة الضاد فنريد منكم ربح الوقت كما كان السلف يستثمر في الوقت؛ لأنّ الزمن بطيء جداً لمن ينتظر وسريع جداً لمن يخشى، وطويل جداً لمن يتألم، وقصير جداً لمن يحتفل، لكنه الأبدية لمن يحب عمله، فأين محلّكم من كلّ هذا؟

زملائي الأساتذة، إنّنا ممنونون لكم، وبما سوف تقدّمونه في هذا اليوم الدراسي الذي نستمتع فيه لثلة من الباحثين الذين يفتحون الآفاق في معالم حسن الأداء اللغوي لعربية القرآن، وعربية الحضارة البشرية، وعربية القارات، وعربية التقانات المعاصرة، وعربية المستقبل فهل نكون أكفاء وفي مستوى خدمة هذه اللغة؛ لغة الضاد؟ ونعمل على حلّ تلك المضايقات التي تنتظرنا، وهل نعمل أن تكون العربية لغةً يُشَدُّ ودّها، ويقع الاستثمار فيها، ويتدافع عليها الطلب من غير الناطقين بها وهل يقع كلامنا في محلّه ليكون قيمة مضافة لا يقع في سوق القول المكرور، وهل يمكن القول بأننا نعمل من أجل النوعية والندية لهذه اللغة التي تنتظر منا الكثير؟

هذا قليل من الكثير مما يمكن الحديث فيه عن موقع العربية أو عن مستقبلها ومع ذلك فما لا يُدرك كلّ لا يُترك جُلّه، فلإدراكٍ كاملٍ لأثر هذا الفعل الثقافي لهذا اليوم يقع الحديث عن مستقبل العربية في ظلّ التواصل المعرفي والتوثيق بالعربية وأهمية التنوّع اللغوي في التعبير عن الفضاءات الحيوية للمجتمعات، ودور العربية في خلق التنمية المستدامة، والاقتصاد القائم على تحقيق مجتمع المعرفة، وبكلّ هذا نسأل أنفسنا هل تعود العربية إلى سالف ازدهارها؟

تلكم هي الأفكار التي نروم أن تكون محلّ مشاريع وطنية وعربية؛ نعمل بالشاركة مع الجامعات، ومع المختصين، وعهدي في هذا اليوم الدراسي أن يكون مفتاح التواصل البيني للعمل في شراكة وطنية؛ بغية الوصول إلى استكناه القضايا اللغوية العالقة ومعالجة القضايا الشائكة، وليس ذلك بعزیز إذا وقعت مؤازرة المؤسسات الوطنية في خدمة الشأن العام، مع المنتجين للأفكار في قضايا خدمة الهوية والعربية هوية وطنية وتدخل في الشأن العام، ألا نمُدّ لها أيدينا جميعاً لتجسيد لغة الهوية الوطنية؟ وهذا الفعل من الخطط العلمية التي يقوم المجلس الأعلى للغة العربية على تجسيدها؛ من خلال خريطة طريق مُستقاة من برنامج فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة وعهدنا على تجسيدها وفق متطلّبات التوجيه والترشيد والتدبير، ونحن في هذا الاتجاه فاعلون.

أكتفي بهذا المقول، وأسكتُ عن الكلام المُباح، وأتركه لمن يُحدّثنا عن الإقامة التقنية وعن تشكيل اللغة المعاصرة، وعن الفهرسة الإلكترونية ومدى إسهامها في حفظ أمثل للنصّ الأدبي الرقمي، وهذا مبتغانا في تحقيق الجودة اللغوية في ظلّ الواقع الافتراضي الشبكي الذي لا مقام للغات لا تنتصرُ للحدث المرتبطة بالأصالة.

وفي الختام أُركي خالص الشكر والتقدير لصاحب الفضل معالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي على حسن الاختيار والتوجيه السديد، وإلى البروفسور (السعيد دراجي) مدير الجامعة، وإلى فريقه النشيط، وإلى كلّ الأساتذ الحاضرين وبخاصّة الذين سوف يُرافعون عن أبحاثهم العلمية الصارمة الجادة وإلى أولئك الذين يُشنّفون آذاننا بمُتّع الشعر، وما تجود به خواطرهم من فذلّكات أدبية؛ لأنّ المقام مقام الاحتفاء. والشكر يتواصلُ ويمتدُّ إلى كلّ الحاضرين والفاعلين في هذا اليوم الدراسي، وإلى كلّ الطلبة وإلى كلّ القنوات التي تنقل أصواتنا، وتعمل جاهدة من أجل سبق الجودة، فأنعمَ بهم من صحافيين! وإلى تلك العيون التي لا تنام وهي تسهر من أجل التّأمان، ومدّ جسور التواصل المعرفي، فنحن لهم من الشاكرين، وإلى كلّ الفاعلين العاملين في العَلن وفي الخفاء، فنحن مدينون لهم لما

كلمة ألقىت بمناسبة اليوم العربي للغة الضاد

يُقدِّمونه من جلال الأعمال. وفي الأخير نسأل الله أن يسدَّ خُطانا، ويزيدنا نوراً
على نور، وبالتوفيق من الله يحصل النجاح.

والسلام عليكم يا ملاح.

كلمة أُلقيَتْ

في اليوم العربيّ للغة الضّاد بجامعة أسعيدة*

ينال المجلس الأعلى الشرفُ بأن يحطّ اليوم في هذه الجامعة، ويكون طرفاً في الاحتفائية التي تُقام بمناسبة الاحتفاء باليوم العربي للغة الضّاد، بترشيح هذه الجامعة من معالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي، ولم يكن الترشيح صدفة بل كان مدروساً ومختاراً لما لهذه الجامعة من كفاءات ومخابر وإمكانيات علمية؛ تضمن النجاح لمثل هذه الفعاليات. وفي هذه السانحة يجب ردّ الأفضال لذويها ونرفع لمعالي الوزير آيات الشكر والتقدير على تعاونه الدائم مع المجلس الأعلى؛ والذي سبق أن أسهم في شراكة علمية، وبالذات في إحياء اليوم العالمي للغة العربية في الثامن عشر (18) من ديسمبر الماضي، كما قد أمر قواعده في جامعات: بومرداس، وتيزي-وزو، والمدرسة العليا للأساتذة باستضافة البروفيسور (علي القاسمي) في سلسلة من المحاضرات بدعوة من المجلس، ونرجو في لاحق من الزمان أن يتواصل هذا التعاون في إنجاز ملتقيات وأيام دراسية، ولم لا يمسّ مثل هذا التعاون جوانب الفكر والطبع والترجمة، وإقحام المخابر الوطنية لتكون شريكاً مع المجلس الأعلى للغة العربية. كما أتوجّه بالشكر الخاصّ إلى السيد المحترم رئيس جامعة أسعيدة على احتضانه فكرة إحياء هذه الاحتفائية، وإلى فريقه الممثل حيوية؛ حيث وقعت السرعة في التهيئة اللازمة لهذا المحفل. وقد كان اختيارُ السيد رئيس الجامعة لمخبر (الترجمة والتأويل في ظلّ التواصل المتعدّد اللغات) اختياراً مدروساً، هذا المخبر الذي تترأسه الفضلى الأستاذة (عمارية حاكم)

*- أُلقيَتْ الكلمة بالنيابة عن رئيس المجلس الأعلى للغة العربية، بمناسبة الاحتفاء باليوم العربي للغة العربية. جامعة مولاي الطاهر بأسعيدة، في 6 مارس 2017، في إطار اليوم الدراسي المشترك بين الجامعة والمجلس الأعلى للغة العربية.

التي عهدنا فيها الجمع بين المحاسن: العلم والجدية والإخلاص والجودة والتوجيه وخدمة الشأن العام، وبابتسامتها المعهودة، واستقبالها الحار. ويمتدّ الشكر إلى الإخوة المحاضرين الذي استجابوا للاحتفاء، ولأساتذ الجامعة الذين حضروا معنا وجنّدوا طلابهم، وبكلّ الحاضرين كلّ بدرجة وبصونّ مقامه. والشكر الجزيل للطلبة الذين حضروا والذين سوف يحضرون، ولولاهم ما كنا هنا فنرجو الاستفادة والإفادة والمذاكرة، واغتنام الفرص في مثل هذه المناسبة.

الزميلات والزملاء، إنّ الاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد الذي أقرّته الأكسو سنة 2007م يكتسي أهمية خاصّة هذه السنة، حيث يأتي في إطار التعديلات الدستورية التي بادرت بها فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة وهذه التعديلات عزّزت من مكانة المجلس فأصبح هيئة دستورية، وأوكل له المهام التالية:

- العمل على ازدهار العربية؛
- العمل على تعميم استعمال العربية في العلوم وفي التكنولوجيا؛
- العمل على الترجمة من اللغات الأجنبية.

ومن وراء كلّ هذا يعمل المجلس على تحقيق هذه الأهداف الدستورية؛ بتعاضد الكثير من المؤسسات ذات العلاقة، وبخاصّة الجامعة لما لها من فضاءات البحث والإنتاج والتكوين. ولذا فإنّنا نعلّق الأمل على أن تتألّ العربية المكانة اللائقة بها في الجامعات، باعتبار الجامعات حاضنة للمتون اللغوية وللأبحاث التطبيقية والدراسات الميدانية، فنجاح اللغة العربية في الجامعة نجاح لها في سوق اللغات العالمية. وعلى هذا الأساس، فإنّ الجامعات الوطنية والمجلس الأعلى للغة العربية يعقد أمثال هذه الشراكة البيئية للإسهام في تحقيق التنمية الشاملة التي ستظلّ عرجاء إذا لم تستند على اللغات الوطنية والرسمية، وقد أثبتت الأمم الناجحة أنّها استثمرت في لغاتها وبلغاتها فحققت ما لم تحقّق اللغات الأجنبية التي كانت لها السيادة قبل لغاتها، كما أنّ ولوج مجتمع المعرفة لم يحصل في أيّة دولة إلاّ باللغات الوطنية.

إخواني، كان علينا أن نفتح باب الحديث عن لغة الضاد في مثل هذا اليوم ونشفع ذلك ببعض الفلذكات التي يستدعيها المقام، لنقول: كثرت السهام على العربية طعناً ولكن خاب

من يحملها، كما كثرت التشويشات والتعطيلات وتأخير التعميمات، ونعلق عليها كل التخلّفات، ونخفي نقاعسنا وإهمالنا للغاتنا الوطنية والرسمية، وفي ذات الوقت تحقّي الأمم ونفتخر بلغاتها، وننكر نحن بأنّ العربية وزعنا دمهّا، وألغينا الاعتزاز بها ولم ندخلها في مجال العلوم، ونقول: إنّها لغة الآداب ليس إلّا. لقد أغفلنا خدماتها، ولم نُشر بأنّها الواقعة من الضياع والتي هو هي شريان الحضارة، وسفينة تجرّ بأسّرة الحروف العربية نحو موانئ الأمان والخلود، وهي الأرومة التي تحافظ على مفصل الإيمان والعقيدة، بل هي النسغ الذي ينقل غذاء العقل والروح من الجذور العميقة لوجودنا إلى شجرة الحياة فالعربية شجرة تغيّر أوراقها، لكنّها لا تغيّر جذورها، وبهذه اللغة اجتمع لنا أكثر من ستين (60) ألف مُجلّد في خزانة قرطبة، ولم يكن القرن الثامن قد انقضى وهذا كلام المستشرق (لوسي انلوكلير). وكان حريّاً علينا نحن الباحثين - معرفة التحدّيات التي تواجهها وما يعترضها من نقص مرونتها في ظلّ ثورة الاتّصالات وكيف نجعلها تصدّ محاولات الغزو الثقافي واللغوي بالعلم والتجارب، ونعمل على استيعاب الدروس الجديدة لعلم اللغة الذي يبحث في قابلية تطبيق المنطق الرياضي على اللغات البشرية، ونسير بها إلى الأمام، ولو بخطى الهوينى، شرط أن تكون مضمونة.

أيتها الأستاذات، وأيتها الأساتذة والطلبة، إنّ مسألة تطوير العربية ليست مرتبطة بالمؤسّسات العاملة على تطويرها فقط، بل منوط تطويرها علينا جميعاً، رغم أنّ المختصّين أولى، ولكن لا بدّ من إشراك المجتمع اللغوي الذي يتنفّس هذه اللغة ويدرك إشكالاتها، وي طرح على نفسه أسئلة الخطر: ما موقع العربية من اللغات المهدّدة بالانقراض؟ وهل العربية في خطر؟ وفي ذات الوقت نلوم أفكارنا على تسامحنا اللغوي وعدم متابعة فعل السلف الذين قالوا: العربية وضع واستعمال؛ أي العربية نظام وحرية واللغة تُعلّم في ذاتها ولذاتها، وأنّ السمع أبو الملكات اللسانية ولذلك فالخطّة البتراء يحتاجها الإصلاح اللغوي، وإلا سيُطبع إدراك البقية إلى الهاوية وإلى استقطار المعارف الشائعة التي لا يتقوّى بها عقل اللغة في بحر العولمة المسجور. وعهدي بأنّ هذا لا يردعه إلّا بصنع أفكار مبتكرة نافعة، فلا منجاة ولا عاصم لنا اليوم إلّا بإصلاح ألسنتنا وما تقوله كلماتنا من عوج؛ باستنفار

أولي العزم الذين أعرقوا في البحث عن كنوز الفصحى؛ لإقحام دياجي النشئت للغوي، والعودة بأبناء جلدتنا إلى الصواب، ومضاعفة فصل الخطاب، وزرع الأمل بدل القنوط، وأنّ الخير قادمٌ لا محالة.

إخواني الحضور، من خلال هذا نقول: هل عملنا في وقتنا المعاصر على تكوين شعراء مصاعفة؟ وهل وسّعنا آفاق مبدعينا في العلوم؟ وهل حاربنا الفساد اللغوي؟ ونعلم بأنّه إذا فسدت اللغة تُفسد المعاملات، وهذا (كونفوشيوس) لما ساءت أحوال الصين دعا إلى تصحيح اللغة، كما أغفلنا جانباً هاماً وهو ربط اللغة بالفكر المبدع، لأنّ تمام الربط هو الذي يخلق الأفكار الأبدكار والأثمار الناضجة؛ وهي التي تحوز على البيان في شتى مناحي الحياة. كما كان حرياً بأنّ طرح أسئلة التطوير ضرورة، فهل عملنا على الرفع من مكانة العربية كي لا تجتلب أمشاج الألفاظ من شوب اللغات الأجنبية؛ لتُصبح تخرق ولا تُخرق، وهل أبقينا على علوّها في الرتبة العالية ولم نُزلها إلى الأسفل؛ بدعوى تقريبها إلى لغة العوام؟ هل أبعدناها عن سقطات لواهجنا، وخليط لغات أحياناً؟ هل حرصنا ثغورها من التبدلات المارقة؟ وهل اتّبعتنا الكلام الصحيح، وكشّحن الكلام الفاسد وأبعدناها عن المحاكاة التقليدية التي لا لذة في كلام جديد إذا قيسَ على محاكاة الببغاوية.

إخواني، بعض منّا يعمل على التعطيل، فكيف لمن ألقى في الماء مكتوفاً ونقول له: يّاك يّاك أن تغرق في الماء، وما نزال في بحوثنا نبحث عن حجر سنّمار وبذلك ضاعت منّا الفصاحة، فجعلناها سبهاً، نطوي عنقها ونلوي رجليها، ونقول لها: كوني هكذا، وننقاد باللحن كما يتقادع الفراش في النار واليد الواحدة لا تصفّق إلّا بأختها والرمية لا تكون من غير رام وما نزال نبحث في استبدال الكلام بالكلام، فتلك هي الطامة التي لم نخرج منها ولو بالملام. وكان يجب رصد امتداداتها تاريخاً وواقعاً واستشراف مستقبلها؛ باعتبارها اللغة المصيرية لغة الحياة والاجتماع والاقتصاد والسياسة والتربية، وتعزيز ما من شأنه تثبيتها والاهتمام بامتداده، والعمل على تقريبها للراغبين في تعلّمها والتبنيه تجاه تدافعها مع اللغات الأخر، والسير بها كلغة الأمة وفق خطة استراتيجية معلنة تعزّز محلّها الوطني

والدولي، وتحيي ثقافتها بما يُطاول مقتضيات العصر والوعي بموقع العربية في سياق التفاعلات الفكرية العديدة التي تناقش اللغات ومصيرها، وكما يقول (كينش هيل) "حينما تفقد اللغة تفقد حضارة، وعند ذلك تفقد ثروة عقلية وعملاً فنياً".

إخواني، لا نسود الوضع، ولكن هو لوم للضمير الجمعي، ليحصل التغيير فالعربية بخير، وأن كثيراً من الأوضاع اللغوية تحسنت، ولكن ما أوجنا إلى تكاتف الجهود من جديد، ونعمل على فتح بيوتنا ليتجدد الهواء، دون أن نسمح للريح بهزّ كياننا، ولا يعني هذا أن ننغلق دون استعمال اللغات الأجنبية، أو ما له علاقة بمنتجات العصر، مثل: الكبترة والمنطقة والفسبكة والتوترة واللويحة والسمرتوفونية، بل أن نغمس فيها ونعمل على تحسين لغتنا بها، كما نعمل على حسن توظيفها لبناء المحتوى الرقمي للغتنا وزيادة تجويدها، واستغلالها في الخصوصية الضامنة لنفاخ العروبة. إن العربية بحاجة إلى التفتح العلمي، وإلى الاستفادة من اللغات، ولا يعني الذوبان فيها. إن العربية تحتاج إلى مشاريع كثيرة وتقديم الرأي القادح الذي لا يترك ريباً إلاّ وضح الأمر وقدم الحل. وإن أحسن هدية يمكن تقديمها للغة العربية هي الاعتزاز بها، والعمل على استعمالها وتوظيفها في جميع ميادين الحياة اليومية، وهذا كفيل بحلحلة الكثير من النقائص والصعوبات ورفع المضايقات. ولذلك نحن مُتقائلون من الوضع اللغوي، رُغم بعض الهنات لكنّ علامات النهوض ظاهرة، عندما ترى وتسمع الحديث عن المكانز، والبحث في المدونات المرقمنة، وفي الذكاء الصناعي والبرمجيات والترجمة الآلية، والصناعة المعجمية، واستعراض خطوات تنشيط اللغة العربية في ظل روافدها الذاتية وطرائقها التربوية، وترى مشاريع الدكتوراه في أطراد ومُخرجات الجامعة في ازدياد، فيحدونا الأمل بأن تجد العربية روافدها الثقافية في الإرث الكبير ممّا خلفه لنا علماء اللغة والمبدعون والشعراء وأهل الفكر والمعمار العلمي، فلا تطفيف في بنائها ولا في مضمونها، وإنّما هو إقرار بأنّها لغة العلم في الماضي، فكيف تضيق عنه في الحاضر. وكان على هذا الجيل التعرف على فعل السلف واستيعابه واستكمال بنياتها بناءً على معطيات العصر وواقع التقدّم، ومتطلبات مجتمعات المعرفة.

وكان علينا كذلك استشراف مستقبل العربية في ظلّ مستقبلات العولمة التي لا تقبل الكرسي الشاغر، فلغة مُقعدة لغة مُقرضة، ولغة مُفتقدة لغة مُتخلّفة، ولغة غير علمية تبقى أسيرة الماضي، وعلمنا الأجداد أنه لا يوجد المستحيل ولا يوجد في اللغة جنين يعمل على تخلفها إنما يوجد فكر مُتجبر يعمل على تعطيلها، وذلك ما نروم الخروج منه، والعمل على أن تتألّ لغتنا مقام الندية والزيادة عما كانت وما عليها من زُبر الحديد من اللغات العلمية. وعلينا قطف ثمارها بالعمل والأمل والصبر، كما قال القدامى:

دبّيتُ للمجد والساعون قد بلغوا جهدَ النفوس وألقوا دونه الأوزار
فكابوا المجد حتى ملّ أكثرهم وعاق المجد من أوفى ومن صبرا
لا تحسب المجد ثمراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

أيّها المحفل العلمي، لقد أطلت في هذا الاسترسال الذي دفعني إلى تطريس هذا الاستيسار والذي جرى تحبيره ودون اقتدار، لما في القلب من الفيضان، الذي يؤدّي في بعض الأحيان إلى التيهان، ولكن نحمّد الله أنّ المخلصين يعملون وأنّ الجادين يُنتجون وأنّ في هذا الجمع من الباحثين المُبدعين، ولنقول لهم بُوركتم بركة المُتميّزين. ولا بدّ من التنويه بالأعمال اللسانية والتربوية والترجمية والتواصلية وما يتبعه من التعددية اللغوية والتي تتجزّ في هذه الجامعة فلعمري لها قيمة مُضافة، بما يُخطّط في السياسات اللغوية أو السياسات التربوية، وما يُنجز في جامعة سعيدة من توحيد في وضع وتوثيق المصطلحات.

وأختم لأقول: أيّها المحاضرون، إنّ الشكر لكم عابقٌ على البحث في موضوعات هذا اليوم الدراسي، ولكم كلّ الامتنان على حرصكم ومتابعة إنجاز مهمّات الازدهار اللغوي للعربية، وتقديم مقاربات علمية، وحلول إجرائية؛ تُقضي في النهاية إلى زيادة القيمة العلمية التي تحملها العربية، ونقول لكم: زبونا تالفاً زبونا.

وفّقنا الله جميعاً لخدمة هذه اللغة، وسدّد خطانا، وأثاب مسعانا، وبارك الله فينا وفيكم وحفّت الملائكة مسعاكم، والسلام عليكم.

كلمة أُلْقِيَتْ في جامعة سيدي - بلعباس^٢

إخواني الحضور، دعوني أقول: إنه لمن دواعي سرورنا أن نحضر هذا اليوم الدراسي حول اللغة العربية، والذي أحسنتم اختيار توقيت هذه الفعالية التي تأتي بمناسبة هامّة عربية ووطنية. فالمناسبة العربية تخصّ اليوم العربي للغة الضاد الذي سنّته الألكسو منذ سنة 2007م وتوصي بضرورة الاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد، تعزيزاً للغة العربية التي حملت من تراثنا ما حملت، فهي الماضي التليد وهي الحاضر المجيد وأحقّ بهذه اللغة التكثير من المناسبات العربية والعالمية. ومن المناسبات الوطنية نحن في بداية شهر الربيع؛ وهو شهر الأمل والاختصار والخيرات، وهو شهر الشهداء، وفيه حصل الانتصار على العدو المغوار، ويعقبه يوم العلم، في شهر العلم والتراث، فيا له من الجمع بين المحاسن في هذا الشهر.

إخواني ماذا أُحدثكم عن موضوع هذا اليوم الدراسي، الذي أجد إشكاليته مهمّة للغاية (اللغة العربية وتحديات العصر) وهي إشكالية مردود العربية في الراهن ودورها أمام اللغات، وفي ظلّ الثقافات المعاصرة، وكيف يمكن أن ترفع للعربية عنها تلك المضايقات التقنية، لتستجيب للمعاصرة في ظلّ التجاذب اللغوي أمام اندحار وانقراض اللغات، وفي ظلّ حرب اللغات، وكيف يمكن للغة أن تزدهر وهل تنتحر أو تصبح في ما مضى من اللغات، بل كيف تتجذّر فيها الهوية العربية الأصيلة، وما هي أبعاد المواطنة اللغوية وإلى أيّ حدّ يمكن الرهان على اللغات الوطنية وما هي الحدود الدنيا التي لا تسامح فيها... هي أفكار يمكن أن تُطرح في هذا اليوم، ونروم أن نستمع إليها جُملة وتفصيلاً بُغية الإفادة والاستفادة والمذاكرة.

^٢ - أُلْقِيَتْ الكلمة بالنيابة عن رئيس المجلس الأعلى للغة العربية. جامعة جيلالي اليابس بسيدي-بلعباس، في 7 مارس 2017، في إطار اليوم الدراسي حول لغة الضاد.

وإذا كانت هذه الإشكالية على هذا المنوال، دعوني أُلّ: إنّنا نحن الجامعيين - كيف يمكن لنا أن نقدّم الوصفة العلمية لجامعاتنا في المقام الأوّل وكيف يمكن أن نتصدّر، بل ما هي الوصفة العلمية التي تصدرت بها جامعة آراهوس بفنلندة. بالفعل نالت هذه الجامعة الريادة بما لها من: - كفاءات عالمية - حصولها على الجوائز العالمية - طلاب يحوزون على التفوّق في لغتهم وبلغتهم - تفوّق في المحتوى الرقمي كثرة البراءات، الإحراز على الجوائز العالمية... وذات الشيء في إيرلندا وبريطانيا والسويد وأمريكا والهند واليابان وكوريا الجنوبية... فما موقع جامعاتنا من هذا التصنيف؟ ومهما يحمل التصنيف من توجّهات سياسية، فإنّ جامعاتنا لا تلاحق الركب، فأين الخلل؟

ولهذا أ طرح مجموعة من الأفكار، وهي عبارة عن تساؤلات، نروم أن تأتي إجابات من الباحثين في لاحق من الزمان:

- كيف تتال جامعاتنا الصدارة؟
- كيف تتال موقعاً في التصنيف العالمية لتصبح جامعات معيارية؟
- كيف تحوز على الجوائز العالمية؟
- كيف تحصل فعالية الجامعات مع المتغيّرات؟
- كيف تتماشى الجامعات الوطنية مع العولمة؟
- كيف تتماشى الجامعات مع الشبكات العالمية؟
- ما محلّ الأستاذ الجزائري في التصنيف العالمي؟ وما دور الطالب الجزائري في ذلك؟
- كيف يكون للغة العربية موقع في هذا المخاض؟
- وإنّ الإجابة عن هذه الأسئلة كبيرة وكثيرة، ولكن يمكن الخلوص إلى ما يلي:

- النجاح صناعة جماعية؛
- ضرورة تفعيل المخابر الوطنية لأنّها من تفعيل الجامعة؛
- تفعيل هيئة التدريس الوطنية بناءً على المواصفات الدولية؛

— تفصيل الطلاب ليكونوا شريكين في أداء الدروس + في تقديم الخدمات.
وإذا وقع الحديث عن الجامعات المعيارية، وكيف تتال الصدارة، فما موقع جامعة سيدي-بلعباس في التصنيف الوطني؟

تتصدّر جامعة سيدي-بلعباس بما لها من تنافس وطني: باب الزوار/ تلمسان/
سيدي-بلعباس. فمنذ عامين تصدرت بناءً على المواصفات التالية:

— تصنيفها بين الجامعات العربية والمغربية؛

— ما تحوزه من المحتوى الرقمي الذي جعل مردود وزارة التعليم العالي يأتي
في الرتبة الثانية بعد وزارة البريد وتكنولوجيا التواصل؛

— كفاءة مخرجها؛

— ما تحوزه من جوائز وطنية؛

— الكفاءات الوطنية في هيئة التدريس بما لهم من الأستاذية؛

— سرعة الاستجابة للتقانات المعاصرة؛

— التعامل البيني بالشابكة؛

— عدد الأبحاث والأطاريح وبراءات الاختراع؛

— ما تحوزه المنطقة من صناعات متطورة؛

— المشاريع والأبحاث المرتبطة بـ: علوم الطاقات المتجددة + علوم التربية +
علوم البيئة.

أمام هذه تصدرت جامعة سيدي-بلعباس، ولا تزال بين الريادة أو ما يقرب منها
فنعم الجامعة هذه! وإذا كان التصدر لها؛ فإنه ليعود إلى القائمين عليها وبخاصة
الأساتذة الذين يعملون بعلمية من أجل السبق والتطوير وطلب النوعية فأنعم بكم
أيها الزملاء!

وإذا كنت قد ركزت على تصنيف الجامعات، فالأجدد بي أن أخصّ (مخبر
تجديد البحث في تعليمية اللغة العربية في المنظومة التربوية الجزائرية) ولماذا؟

لأنني أراه يجيب عن رهان الجودة في التربية والتعليم. وبصرت بأنه يراهن على جودة التربية ويعمل على الانتقال من التعليم التقليدي إلى التعليم المعاصر وربّما التعليم عن بُعد وهو رهان العصر، كما أنّ المخبر عهدناه يعمل بالمشاريع ويقدم أفكاراً نوعية. وفي ذات الوقت فهو مختبر عتيد يعمل على حسن الأداء التربوي باللغة العربية.

وأنقل إلى النقطة الموالية، ما موقع اللغة العربية في هذا الزخم الحضاري الذي تفنّد فيه اللغة المُقعدّة، واللغة التي تفنّقر إلى العلم، لغة في طريق التراخي والتراخي نافذة الإهمال، فهل هذا هو الحل؟ ونعلم بأنّ العربية تتطلّب منا الآتي:

- الاعتزاز بها؛ باعتبارها لغة الأمّة، ولغة الدين والدولة والدنيا؛
- العمل والعمل ثمّ العمل المصاحب بالمشاريع والأمل؛
- تركها في عليائها لنصعد نحن إليها، ولا نريد أن تنزل إلينا؛
- حملها على خوض غمار العولمة، والتماهي مع اللغات؛
- الترجمة منها وإليها، ودفعها إلى النمطية العالمية في إنتاج المصطلح والترجمة الآلية؛
- مزيداً من المختبرات اللغوية والهيآت المحافظة على متنها والعاملة على تطويرها؛

- حلّ إشكالاتها التقنية الضرورية، وإنتاج المصطلح الموحد؛
 - الإبداع في أدبها وعلومها، وفي كثرة براءات الاختراع؛
 - تكاتف جهود الجميع؛ لأنّ العربية قضية عامّة.
- وكلّ هذا يستدعي الرهان على:

- 1— بناء مدرسة الجودة، وقاعدة أساس.
- 2— إعلام معاضد مُناجح مؤازر للاعتزاز باللغة والمواطنة اللغوية.
- 3— تعاضد الوزارات والهيآت اللغوية لبناء قاعدة معرفية.

- 4- استصحاب المشاريع التنموية بمشاريع تدعيم العربية.
- 5- الشراكة العامة كل في اختصاصه؛ وصولاً إلى الخدمة النوعية في المجال اللغوي.
- 6- الدعم المادي المقبول لتجسيد المشاريع.
- 7- السير بالمرحل بعد إجراءات التقييم والتقويم.
- 8- استشراف اللاحق من الزمان، وبناء مشاريع على الآماد الثلاث.

وفي هذا اليوم، ينال المجلس الأعلى الشرف بأن يكون هنا، ويسهم في هذا اليوم الدراسي الذي يُنظّمه (مخبر تجديد البحث في تعليمية اللغة العربية في المنظومة التربوية الجزائرية). هذا المجلس الذي سنّ خريطة طريق في تطوير العربية، والرفع من مستواها العلمي وأدائها تجسيدا للمادة الثالثة (3) من دستور 2016 والتي تنصّ على العمل على ازدهار العربية، وها هو المجلس يشهد هذه الفعالية العلمية بعدما عاد من جامعة الطاهر مولاي بسعيدة؛ وقد احتفى باليوم العربي للغة الضاد. ها هو المجلس الأعلى معكم جاء ليحضر في هذا المحفل العلمي ويستفيد من أفكار الباحثين والعاملين على خدمة العربية. جاء المجلس وهو يمدّ يده لكل الأساتذة والباحثين بُغية التعاضد وانتقاء الأفضل، ونشدان الحقيقة وتدبير الأفكار، واستكناه الفصل والوصل، وهذا ما يُخطّط لتحقيقه للوفاء ببرنامج فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة في إطار تفعيل البحث الجامعي وفق ما يخدم التنمية المستدامة؛ في ظلّ انفتاح الجامعة على المحيط الاجتماعي والاقتصادي. ولا يخفى عليكم بأن الجامعة كان عليها أن تخدم المحيط بكلّ حقوله، وتكون قاطرة التوجيه، ومنتجة المُسرّين، وحاملة المشاريع وكان عليها تحقيق هذا في نظامها العلمي والبحثي الوطني والعالمي؛ لتكون في مستوى النديّة للجامعات المعيارية المنتجة للمعرفة التي أصبحت عملة يُراهن عليها؛ باعتبارها تعمل على إنتاج مُجتمع المعرفة.

هذه كلمة المجلس الأعلى للغة العربية في هذا اليوم الأغرّ، ونرجو أن نكون في مستوى طموحات كلّ العاملين على خدمة لغة الضاد، في يوم الضاد وبورك في ما

تقومون من أجل لغة الضاد، وهي اللغة التي تُؤوينَا وتَجْمَعُنَا وتُوحِّدُنَا، وهي هُويتُنَا
ومَفْخَرَتُنَا وإِرثُنَا وعِزَّتُنَا وغِراؤُنَا. والسلام عليكم جميعاً.

الحق في الثقافة ♥

— ديباجة: باسمي، وباسم المجلس الأعلى للغة العربية، أوجه التحايا الخاصّة لهؤلاء الذين حضّروا لهذا الفعل النبيل المتمثّل في تنشيط فعالية (الحق في الثقافة) في مناسبة الاحتفاء باليوم العالمي للشعر المُصادف 21 مارس من كلّ سنة. وبدعوة كريمة من جمعية الكلمة للثقافة والإعلام، نسعد بهذا الفعل الثقافي الذي يدخل في ربيع الثقافة الجزائرية، وما يلحقه من شهر التراث. وهكذا تقرن هذه الجمعية بيوم خاصّ؛ وهو الذكرى الأولى لدسترة (الحق في الثقافة) المنصوص عليها في دستور 2016. وهذا الدستور الذي بادر به فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة، ونجد فيه إضافات نوعية لم تكن في سابق الدساتير ويقرن هذا اليوم بتكريم خاصّ لفخامته؛ وهو جدير بألف وسام؛ لما يولييه من رعاية للشأن العامّ.

إخواني، وردت كلمات (حقّ/ الحقّ/ حقوق/ الحقوق في دستور 2016 في خمسة وخمسين (55) موقعاً، وهذا إن دلّ على شيء، فإنّه يدلّ على الربط العميق بين الواجب والحقّ؛ فالواجب يستدعي الحقّ، والحقّ مرهون بأداء الواجب. ويجدر بنا التذكير في هذا المقام، بأنّ الفرد -أيّاً كان- له حقوق طبيعية كفّلها الحقّ الإلهي بالفطرة، وهي هبة من الله لكلّ فرد من الجنس البشري، لا تُنزع منه، ومن حقّه أن يكون على دراية بها، في حين يجب على المجتمع وقوانينه وسلطاته أن تُؤمّن الشروط المناسبة لجعل ممارستها وصيانتها أمراً ممكناً، مع محاربة الحواجز التي تحوّل دونها أو تنتهك حرمتها هذا من جانب ومن جانب آخر، فإنّ هناك حقوقاً يحرزها الإنسان بعمله، وتُمثّل الحقوق الطبيعية الأساسية المرتبطة بنشاطه أو

♥ — أُلقيت الكلمة بمناسبة اليوم العالمي للشعر. فندق الأمير بشراكة. بتاريخ 21 مارس 2017.

وظيفته؛ وهي حقوق فردية مُكتفية بذاتها، وليست مُطلقة وأحياناً تخضع لقوانين المجتمع الذي يعيش ذلك الفرد. وللتذكير بحقوق الأفراد المحفوظة، هي:

- 1- الحق في الحياة.
- 2- الحق في الحرية.
- 3- الحق في الكرامة والإنسانية.
- 4- الحق في الملكية الخاصة.
- 5- الحق في الزواج وتكوين الأسرة.
- 6- الحق في الثقافة.

-**الحق في الثقافة:** باعتبار أن الثقافة مرآة الشعوب، فهي المِحرار الذي يُقاس بها مدى وعي الشعب ومساهمته في المنجز الحضاري، فقد كانت الكثير من الشعوب تُولي الأهمية الكبيرة للفعل الثقافي باعتباره مرتبطاً بالازدهار والحضارة ومؤشراً لبناء الأوطان. ولذلك نجد في دساتير الأمم التركيز على هذا الجانب

تتفدية للتوعية، ونشر المعلومات الموجهة للجمهور؛ وبخاصة الشباب؛ في برامج تعليمية وتدريبية محددة في إطار الجماعات والمجموعات المعنية.

ولا نريد التفصيل في الأمر، بقدر ما يتضح ذلك من الدستور الذي يُكرّس صراحةً (الحق في الثقافة) ويُسند للدولة ضمان وصول هذا الحق إلى كل الساكنة وبذل العناية في تشجيع الإبداع الثقافي، والذي يجب أن يكون وطنيا هذا من جهة ومنفتحا على الثقافات الأخرى من جهة أخرى، وهذا ما يدخل في تدعيم الثقافة الوطنية بما لها من خصوصية، وتدعيم الحق في الثقافة بالحقوق المجاورة له بتكريس بعض المرفقات من مثل:

— حق حماية الثقافة؛

— حق الإبداع؛

— حق الانفتاح على الحضارات؛

— حق احترام حضارات الشعوب؛

— حق حماية البيئة...

ومما يمكن التركيز عليه في خاتمة هذا الحديث، التذكير بما يمتاز به الدستور الجزائري في هذا المجال بأنه ينص على الحق في الثقافة؛ باعتباره حقاً أصيلاً للشعب الجزائري، وهذا الحق هو الذي صنع الجزائر واسم جزائر الشهداء. ولذلك، فالحق الثقافي هو خدمة عامة، وتضمن الدولة وصولها لمُستحقيها، وليست سلعة تخضع لاعتبارات الربح والخسارة. وإذا أردنا لهذا الوطن أن يستعيد ازدهاره الثقافي والحضاري أكثر فأكثر؛ علينا الوقوف وراء تامين الحق في الثقافة، وما يتعلّق بها من موضوعات: اللغة والإنتاج الثقافي، والفني، والمشاركة في الحياة الثقافية والتراث الثقافي، وحقوق الملكية الفكرية وحقوق المؤلف، بالإضافة إلى موضوعات أخرى...

ولا بدّ من التنويه بصاحب الفضل فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة الذي سهر أن يكون دستور 2016 يحمل خصوصية الحق في الثقافة؛

وهي من حقوق المواطنة، على اعتبار أن الثقافة في كُنْهها تشكّل العمود الفقري لكل نشاط إبداعي؛ لأنّ الثقافة هي في جوهرها تعبير عن رأي مُعَيّن في شكل من أشكال المواطنة. وهكذا نرى ضمان الدولة هذا الحقّ الدستوري بما يتدعّم من الحقوق الأخرى الملحقة كالحقّ في الإعلام، والحقّ في النفاذ إلى المعلومة. وفي كلّ هذا؛ فإنّ قراءة عامّة لفصول الدستور الجزائري نراه يقرّ **بالحقّ في الثقافة** ويدعّم ذلك بجملة من الحقوق والحريات المُجاورة له وما علينا إلاّ تفعيل هذا الحقّ؛ عبر الإطار القانوني الذي يشجّع على الفعل الإبداعي المُضيف لا المُضيف. والسلام عليكم.

كلمة أُلقيَتْ

في ملتقى -لغة الفلاحة- في الجلفة[♥]

أودّ في البداية أن أعرب لكم عن سعادتنا لانتقال المجلس الأعلى للغة العربية إلى هذه الولاية المُجاهدة والتي سجّلت بطولات خالدة، عبر أمجادها التالدة. ولاية الجلفة العتيّدة، بما لسهوبها المديدة وما تعرفها من حراك مأمول بفعل مسيرِها الأصول. دون الحديث عمّا يعرف به ساكنة الحضنة والهضاب العليا، من شيم غُليا، فأنعِم بهم من ساكنة أهل الشهامة! وأصحاب الفخر والفهامة!

إنّ المجلس الأعلى للغة العربية الذي شرفني فخامة السيد رئيس الجمهورية بإدارته تعزّزت مكانته في دستور 2016 بأن أصبح هيئة دستورية له قوّة الاقتراح والمبادرة بالمشاريع مع المؤسّسات والوزارات، ومع أطراف وطنية بُغية النهوض اللغوي والبحث عن أفضل السبل لتطوير العربية وتحسين منتوجها وتحبيبها وتعميم استعمالها في مختلف فنون المعرفة. وفي هذا الإطار، فإنّ المجلس عقد اتفاقية تعاون مع وزارة الفلاحة والتنمية الريفية والصيد البحري؛ لإنجاز أدلّة باللغة العربية في قطاع الفلاحة وما يتعلّق بمنجزات وضع القواميس المتخصصة، وجمع المدوّنات اللغوية بمسكوكات ومصطلحات الفلاحة؛ وبخاصّة تلك التي يكثر تداولها والنظر إليها من زاوية التحليل والنقد والتعديد، مع تعرفه تلك المصطلحات من تطوّر عبر التاريخ، وما يتمخّض من ألفاظ وتراكيب جديدة، إضافة إلى ذلك الكمّ المسكوكي من الألفاظ الفلاحية الخاصّة بالبيئة الجزائرية. وفي هذا المجال نسعى

♥ - أُلقيَتْ الكلمة بمناسبة الملتقى الوطني حول (لغة الفلاحة) المنظّم بين وزارة الفلاحة والتنمية الريفية والصيد البحري والمجلس الأعلى للغة العربية. الجلفة 29 مارس 2017 في المعهد التكنولوجي المتوسّط الفلاحي المتخصّص.

إلى فتح ورشات لجمع المستعمل اللغوي الوظيفي في ميدان الفلاحة، وهو ميدان غني ويحتاج إلى تطويره وتحسينه وجمعه في أدلة وظيفية يستعملها الباحثون والمختصون وأهل الفلاحة في الحالات العادية لتكون مصطلحاتها ومسكوكاتها تجري في لغتنا بصورة طبيعية جداً.

ولهذا الغرض جاء هذا الملتقى الوطني، وتم اختيار ولاية الجلفة لعقده في عاصمتها؛ لوجود إطارات كفاءة في هيئة التدريس في هذا المعهد التكنولوجي المتوسط الفلاحي المتخصص، ومن خلال أساتذة جامعة الجلفة، ومراكز البحوث ونأمل في مزيد من الشراكات العلمية مع وزارة الفلاحة والتنمية الريفية والصيد البحري؛ والتي أسهمت بشكل إيجابي في ما ننجزه اليوم. ومن خالكم نزجي خالص الشكر والتقدير لمعالي وزارة الفلاحة والتنمية الريفية والصيد البحري؛ على تلك التسهيلات والتيسيرات التي قدّمها للمجلس الأعلى للغة العربية من أجل أن يُعقد هذا المؤتمر، بله الحديث عن تلك الفرقة المتخصصة التي تجتمع في رحاب المجلس من أجل إنجاز بعض الأدلة ذات العلاقة بلغة الفلاحة وإليهم يعود الفضل في هذا الملتقى، وقد سهرنا على إشكالياته وفرضياته وعلى وضع لجانه واقتراح المحاضرين، ولولاهم لما كنا اليوم في هذا المحفل العلمي فلم منا كل التحايا والتقديرات المشكورات.

إخواني الحضور، كلّم تعرفون ما يشكّله قطاع الفلاحة من الأمن الغذائي إن لم نقل إنه قاطرة حقيقية للتنمية الوطنية في المقام الأول، وله أفضال على التنمية العالمية؛ لما يقدمه قطاع الفلاحة من صناعة فلاحية يستطيع سدّ رمق الكثير من البشر. كما يعدّ هذا القطاع المصدّر الأساس لخلق اقتصاد متنوّع وتنافسي، حيث الفلاحة والزراعة من أهم القطاعات الاقتصادية التي تعتمد عليها الدول في توفير الغذاء وفرص العمل. ويرتبط بالزراعة مفهوم الفلاحة، فالفلاحة هي الأنشطة التي تتعلّق بالإنتاج النباتي والإنتاج الحيواني، وأما الزراعة فتختصّ فقط على الإنتاج النباتي والمحاصيل الزراعية. والفلاحة مهمة جداً في دفع عجلة الصناعة والتجارة معاً، فقد تطوّرت أساليبها ومفاهيمها وأدواتها تطوراً واضحاً من الأساليب التقليدية

إلى الأساليب العصرية، حيث اختلفت الأدوات الزراعية اختلافاً كبيراً، فما هي أدوات الفلاحة القديمة؟ وما هي أدوات الفلاحة المعاصرة؟ وما هي الأدوات اللغوية للغة الفلاحة؟ وما هو خاصّ بلغة المنطقة؟ وما يُقال في منطقة لا يُقال في أخرى؟ وكيف استطاعت اللجان العلمية تفعيل النشاط الفلاحي عبر ذلك المنتج المتنوّع؟ وكيف انتقلت لغة الفلاحة من أسلوب بدوي، إلى أسلوب حضاري؟ وهل يمكن الاعتماد عليها كما هو الحال عليه؟ وما هي الرهانات اللغوية الجيدة التي يمكن اعتمادها ليحصل لنا التفاهم مع الآخر؟

إنّ الرهان الآن يقع على المختصّين، كيف نكسب هذا الرهان التنافسي؟ وما هي آلياته المعاصرة؟ وبأية لغة يحصل ذلك؟ تكلم بعض الفرضيات التي يمكن أن تظهر من خلال ما يطرحه المختصّون. وفي هذا المقام، أرى أنّه لا يمكن أن يحصل التمكين اللغوي الجيد إلا بتطوير القطاع الفلاحي في صوره المعاصرة، من خلال الاستثمار أولاً في الموارد البشرية وتنمية قدراتها، واستيعاب كلّ تطوّر لغوي يحصل في المجال الفلاحي، والتحكّم في النقائات اللغوية الحديثة وتطويعها وتحديث لغة التواصل بما يخدم المواطنة اللغوية؛ لأنّه لا تطوّر نوعي ولا تنمية دون توظيف اللغات الوطنية، وجعلها لغات عمل وتخابط. ولعلّ من بين الصعوبات التي تعترضنا اليوم مشكلة توظيف وتوحيد استعمال المصطلح الفلاحي في هذا القطاع المتعدّد اللغات (لغة التقني لغة الفلاح، لغة البيطري، ولغة الإداري...) فهل اللغة العربية الموظّفة لدى هذه الفئات صالحة لتوصيل المفاهيم العلمية والتقنية والمعاني الحديثة إلى مُستعملها؟ وهل يمكن لها أن تكون لغة قادرة على التعبير عن المدلول النظري أو العملي التطبيقي بمفهومه الحديث؟ أم يمكن اللجوء إلى لغة وسطى لحلّ الإشكال؟

وإيماناً من المجلس الأعلى للغة العربية، بضرورة أداء المهام المنوطة به تطبيقاً للنصوص المحدّدة لصلاحياته، في اقتراح أفكار علمية، وتقديم يدّ العون المنهجية والمساعدة لمختلف القطاعات في حدود الاختصاص، والعمل معاً على تعميم استعمال اللغة العربية، وتذليل العقبات اللغوية التي تعاني منها وحلّ

الإشكالات المطروحة لازدهارها في الميادين العلمية والتقنية، فإنه يعمل بكل ما أوتي من جهد علمي ومادي من أجل تقديم أفكار في هذا المجال، بعقد الشراكات العلمية مع وزارة الفلاحة والتنمية الريفية والصيد البحري، ومع مختلف القطاعات عن طريق إنجاز منصات علمية تخصص لقطاعات تطلب منه المشورة، وفي ذات الوقت يقترح على من يهّمه الأمر خريطة طريق لإنجاز ما يراه ضرورياً أو ملحاً حسب حاجة المجلس التي يخولها له القانون، وما يراه يحتاج إلى تجسيد تطبيقاً لمهامه الكبرى وهو. **العمل على ازدهار اللغة العربية**؛ وهي المهمة الكبرى التي يعلّق عليها الآمال لتعميمها في مختلف القطاعات.

ومرة أخرى ارتأينا تجسيد شراكة علمية مع وزارة الفلاحة والتنمية الريفية والصيد البحري من خلال تنظيم الملتقى الموسوم **(اللغة العربية وتحديات استعمال المصطلحات التقنية في المجال الفلاحي)** بهدف تسجيل الإنجازات التي تمت من قبل وزارة الفلاحة والتنمية الريفية والصيد البحري، والوقوف عند النقائص والصعوبات التي تواجه المصطلح العلمي والتقني في الميدان الفلاحي وتقديم الأفكار ذات العلاقة، والعمل على تفعيل المصطلحي لآليات إنتاج نمطي للمصطلح، علّه يسهم في تفعيل جديد للغة العربية من منظور التوظيف الجيد ووفق بنيات قاعدية تمزج بين قواعد اللغة العربية وخاصيات الاستعمال الميسر وفق اللغة وضع واستعمال. ويهدف الملتقى إلى:

- التعرف على أنظمة المعارف العلمية، وتشخيص واقع المصطلح العلمي والتقني في القطاع الفلاحي؛

- وضع منهجية جمع جديدة وتبويب المصطلحات المتداولة في المجال الفلاحي؛

- الإسهام في وضع مصطلحات علمية وتقنية لمواكبة التطور في القطاع الفلاحي؛

- المساهمة في إنجاز ترجمة موحدة للمصطلح اللغوي الفلاحي؛

- العمل على إنجاز قاموس وظيفي للمفاهيم والمصطلحات العلمية والتقنية للقطاع الفلاحي.

أيها الحضور الكرام، إنَّ المجلس الأعلى للغة العربية وبالتعاون مع وزارة الفلاحة والتنمية الريفية والصيد البحري، يسعيان إلى توسيع استعمال اللغة العربية في مختلف مرافق الحياة الفلاحية، والعمل على ازدهارها وتطويرها وترقيتها لتواكب التطورات العلمية والتكنولوجية السريعة، والوصول إلى تلك اللغة المشتركة التي يفهمها التقني والفلاح والمهندس والبيطري وتاجر الخضر والفواكه... في إطار تعاضد بيني لتحقيق استراتيجية خدمة الشأن العام، واللغة من الشأن العام. وإننا نرى بأن هذا القطاع من أهم القطاعات الأكثر ثراءً في المصطلحات ويستدعي لغة مشتركة، وهي التي تكون لُحمة بين المنتج والمستهلك بين الفلاح ومُخترع الآلات، فكُلما كانت اللغة المشتركة واحدة اقتربَ الفهمُ وزاد الإنتاجُ وتسارعت وتيرتهُ ويحصل الفهمُ الدقيقُ. ذلك ما نستهدفه من خلالكم أيها المُختصون، فنروم الوصولَ إلى تقديم صفات علمية؛ تكون واسطة العقد في لغة الفلاحة التي نحتاجها جميعاً؛ وصولاً إلى لغة موحدة لا لبسَ فيها، تجعلنا جميعاً نُولي الأهمية التي يستهدفها هذا القطاع الذي يحتاج إلى دعمكم وتعزيز وطني من قبلكم وإلى تعاضد الجميع؛ لربح إنتاجية القطاع الفلاحي، وزيادة منتوجه، إن لم نقل زيادة حجم صادراته.

إخواني إذا سمحتم لي يجدر بي التنويه بما أنجزته وزارة الفلاحة والتنمية الريفية والصيد البحري من أعمال سابقة، وعهدي بها أنها أنجزت في مرحلة متقدمة، وكان لها بعض الصدى وطنياً، ولدى الدول العربية، وفي وقتنا المعاصر تحتاج إلى تحديث وإلى إضافات، فقد جدَّ الكثير في لغة الفلاحة التي تطوّرت عبر الزمان، ونسمع الآن كلمات ومسكوكات من مثل: نباتات الأزهار - أشجار الزينة - فلاحه البساتين - المشاريع الفلاحية - الاستثمار الفلاحي - الزراعة الصحراوية - الفلاحة الريفية - العقار الفلاحي - الطماطم الصناعية - الامتياز الفلاحي - نموذج الري الأكثر استدامة - المستثمر الوهمي - بنجر السكر - منح القروض - أملاك الدولة - الدعم الفلاحي - الأمن الغذائي - التقويم الفلاحي - التقويم الأعجمي - المنكوش - التقويم الأمازيغي - الشعب الأساسية

الفلاحية - الأشهر الفلاحية - أيام الزبر - التعشيب - الشاعوب - الحاشوشة -
الكالوشة - تجهيز الأرض - النباتات المحروقة - التنوع البيولوجي - الماكنة -
قنوات الري - شبكة الري - التذرية - فول الصويا - الشوفان - الحفارة -
مشط الأرض - اليد العاملة - صناعة الزيوت. التصنيع الفلاحي - التكبيس -
ترشيد استعمال المياه - دعم البنك الفلاحي - السقي المحوري السقي بالتنقيط ...
وهنا أغفل الكثير من الأسماء ذات العلاقة بالخضر والفواكه وأسماء بعض
المصنوعات الفلاحية، وما يترتب عنها من الصناعات العجينية، وما يلحقها من
تلك الأسامي المكونة، وتلك التسميات الهجينة، والخليط اللغوي الذي أشبعت
مصطلحاته هذا الميدان الواسع. هي بضع كلمات تُستعمل في واقعنا الفلاحي
ونقرأ بعضها في مؤلفات أساتذتنا، ونجدها موظفة في صحفنا فإلى أي مدى تتال
الاستعمال الفعلي؟ وما هو موقعها من القاموس اللغوي؟ وإلى أي مدى لها أن تتال
صورة التوحيد المصطلحي؟

تلكم هي بعض الانشغالات التي يعالجها هذا الملتقى، إلى جانب المشاريع
الكبرى التي تكون محل مناقشة، ونأمل أن تتدخل المخابر المتخصصة، ووحدات
البحث الوطنية؛ لفتح مشاريع في هذا المجال وتكوين أطر متخصصة؛ حفاظاً على
اللغة المؤحدة والجامعة، وسعيًا إلى الرقي بلغة الفلاحة إلى صورة الفهم الصحيح
وعدم التضارب بين الدال والمدلول، والخروج من الاعتباطية المصطلحية، إلى
مداليل واضحة يُراد منها التوحيد المصطلحي الذي تقبله الآلات المعاصرة، وفق
برمجيات التتميط المصطلحي. ولا شك أن مؤسسات عربية سبق لها أن أنتجت
مصطلحات موحدة في هذا المجال، من مثل مكتب تنسيق التعريب ولكن يحدونا
الأمل بأن عملنا سوف ينماز عنها بما يلاحق من تقانات العصر وما تحمله بعض
المصطلحات من خصوصيات جزائرية، وما نصممه من القواميس التي نستهدف
أن تكون لها الصدارة في ما تحمله في متونها.

وعلى العموم، فليست بالمسألة التي تُفسد للود قضية، بقدر ما يمكن تبادل
الأفكار من خلال هذا المحفل العلمي، ولا ننسى الاستفادة من نجاحات لغات الأمم

ولا نبدأ في كل مرة من الصفر، وهذا ليس من الحضارة، فنحن نرؤم الاستمرارية المتجددة التي استبقينا محاورها من برنامج فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة. والذي كان الحارس الأمين على أنّ اللاحق لا ينسى عمل السابق وأنّ الفضل يعود للسابق، ولولا العجلة لما كانت السيارة، ولولا النار لما كان الحديد، ولولا الشيخ لما كان المريد، ولولا الكتاب لما كانت الجامعة.

أرجو أننا قدّمنا ما يمكن أن تقع عليه الانطلاقة الأولى، ونأمل أن تتواصل الأعمال قيد الإنجاز مع استكمال تسطير المشاريع القادمة. والله نسأل التوفيق لبلدنا، والازدهار للغاتنا الوطنية، وشدّ العزم لفرقنا والنجاح لملتقانا، والبشرى الحسنة لحضورنا. ولكم مني ومن إدارات المجلس الأعلى للغة العربية كلّ الودّ وخالص التقدير، وعظيم الشكر على الاستجابة السريعة لحضور هذه الفعالية فأنتم جميعاً من أصدقاء المجلس، ومن العاملين على ترقية المواطنة اللغوية فأنتم الكرام فأنعم بكم يا كرام! وعهدي أنّ الكرام سينتصرون، وأنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون.

وفي الأخير أعلنُ افتتاحَ أشغالِ هذا الملتقى الوطني بقوله تعالى ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾  ١٠٥ التوبة. والسلام عليكم جميعاً.

كلمة أُلْقِيَتْ في جامعة قسنطينة ♥

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً، وبعد؛

باسمي، وباسم زملائي في المجلس الأعلى للغة العربية أنوّه بأهميّة الموضوع المختار لهذا المحفل العلمي، وفي هذه المدينة العتيقة؛ مدينة ابن باديس العظيمة أقف كثيراً في رحاب الشيخ المصلح، الذي يرى المستقبل بأفكار المفلح، وقد أخذ راية المعارف باليمين، واشتهر بالبروز بين العاملين فألهم حسن التدبير، بأن أقام منهاج العربية على الضبط والتقدير، وكان سبيله في ذلك موازين البيان، وخصّها بالمنهج من مذاهب اللسان، وأطلق لها أعنة الفصاحة؛ فأنشط عُقل شواردها صراحة، وميّزها بمعاني الجلالة.

إخواني في هذا اليوم المشهود، السادس عشر (16) من أفريل الذي يصادف يوم العلم، يوم وفاة عالمنا الهمام، الذي وقف مع ثلّة من أصحابه شامخين؛ يذودون عن فسحات الدين، وتوسّع العربية المكين، وانتدبوا أنفسهم قانعين، رغم عثار ذلك الزمان الضنين، واستصرخوا الشعب الجزائري، فما خذلوه، بل كانوا الحماة فدافعوا عن الحمى حتى أخرجوا العتاة، وبلغوا البلاد شواطئ النجاة.

أيّها الحضور، يتقدّم المجلس الأعلى للغة العربية بالتحايا الخالصات وبأجمل التهاني المخلصات للسيد رئيس جامعة الأمير، وإلى فريقه على المنجز العلمي في الثاني (2) من مارس لهذا العام، الذي نالت أصدائه كلّ هامّ، فكانت المعية المنجزة ألمعية، وسجلت النجاح البهية، ونبارك لأنفسنا الشراكة البينية وعلى هديها نسير

♥ — أُلْقِيَتْ الكلمة في جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، بمناسبة انعقاد الملتقى الدولي حول (ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الأمازيغية) في 16-17 أفريل 2017 تنظيماً مشتركاً: المجلس الأعلى للغة العربية + جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة.

في هذا الربط الجديد، بأن نزيد في تشاركنا ونستزيد، ونلتقي اليوم للحديث عن
ترجمات معاني القرآن، من لغة عدنان إلى مازيغية الأجداد، ومن لحقهم حساب
الأعداد. فالشكر وألف شكر يا سيدي رئيس الجامعة، ونروم أن تتعاضد جهودنا
دائماً لخدمة الشأن العام، واللغة شأن عام، فأنعم به من خدام الشأن العام!

أيها الجمع الكريم، أقف قليلاً لأتحدث عن المشاريع الثنائية، ونحن بحاجة إلى
تمتينها وتكثيفها والتخطيط لها، والوعي بنتائجها؛ حيث الشراكة الناجحة، لا تكون
إلا بالمشاريع التي تأخذ حسن التدبير وما يلحقها من حسن التسيير. وهذا عهدنا في
المستقبل، بأن نعمل على التخطيط الدقيق، دون إغفال التفصيل العميق. الله نسأل
أن يعيننا على تحقيق المراد، للظفر بغايات الأجواد. وأن يضاعف لنا مع السابقين
ثواب سبق، ويزيدنا مع اللاحقين كرامات الحق. وهكذا، يتشرف المجلس الأعلى
للغة العربية أن يمتن العلاقات العلمية مع جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، ومع
المعنيين بشؤون العربية ويمدّ يده لكل طالب يبغي وجه التعاون؛ الذي يخدم العربية
بحثاً ودراسةً وتصحيحاً واستشارةً ومنهجاً.

إخواني، أنقل إلى موضوع هذا المنتدى الذي لا أريد التفصيل فيه، ولا أريد
الإطالة فقد طرست محاضرة تلقى في وقتها، ولكن يمكن التركيز في هذا المقام
بأن ترجمة معاني القرآن سنة حميدة فعلها السلف، ما بال الخلف لا يحذونها
بالإضافة، وهي من الأشياء التي لا مجال للإسراف في الحديث عن محاسنها؛
لعالمية القرآن الذي يجب أن يكون لمعانيه موقع في كل الألسنة البشرية، والألسنة
متعددة وهبنا الله إياها آية ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَخْلَفَ السِّبْغَةَ
وَأَلْوَنَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ (الروم: 22). وفي هذا المجمع وغيره دعوة
إلى ضرورة توسيع الترجمة إلى كافة اللغات فما موقع ترجمات معاني القرآن إلى
المازيغية؟ وما هي المواقع التي حققتها الترجمات قيد الاستعمال؟ وهل هناك
دراسات التقييم والتقويم؟ ألا توجد انتقادات أو استدراكات عليها؟ وما هي أولويات
الترجمة إلى المازيغية؟ وما هي الصيغ اللغوية المناسبة للترجمة؟ وما هو الحرف
المناسب لكتابة تلك الترجمات إلى المازيغية؟ هذه وأخواتها من الانشغالات التي

نروم أن تحيب عنها المحاضرات التي تقدّم من أفذاذنا العلماء، ومن صنّاع
ترجمات معاني القرآن إلى المازيغية الذين كانت لهم أفضال السبق والظفر
بحسنات الفعل الترجمي، وبخاصّة أولئك الذين حملوا أمانة الترجمة على أنّها
استكمال للأصل، من حيث تتبّع خصائص اللغة العربية، ومن حيث كتابة
الترجمات بالحرف العربي.

إخواني، كنت دائماً أقول: إذا أردتم أن تكون المازيغية لغة الجزائريين
فحرّروها من بعض المتشدّدين وهي ليست دعوة شرقية أو غربية، بل رأي
جزائري يريد الاستقرار والتواصل، ويريد الازدهار لأوطاننا المغاربية، وقد قدّمت
الكثير من الدراسات في هذا المجال، ومع ذلك أعترف بالقصور والتقصير؛ ولكنّي
أسمح أن أقول: هذا ما زبّره من قبلي، وقد أفتوا علمياً بحكمة ترتيب المسبّبات
على الأسباب. ويقول خبراء المازيغية إنّ ما يزيد على سبعين من المائة من ألفاظ
المازيغية أصلها من اللغة العربية، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على أنّ كلا
من العربية والمازيغية عاشتا في وئام وانسجام ولا يجب أن نحمل أية عقدة من
الحرفين التيفيناغي والعربي رغم أهميّة خطّها التيفيناغي وهو أولى بها من غيره
والذي يراه البعض بأنّه لن يكتمل حقّها العلمي إلّا به. وصراحة أقول: إنّّه لا
مستقبل للمازيغية خارج حروفها أو الحرف العربي. وإنّه لا بدّ أن تعطى الكلمة
للمختصّين والخبراء ليفتوا في المسألة بما يعتمدونه من المرجعيّات الحضارية
والعلمية والتاريخية، ونظر إلى المسألة نظرة إيجابية حيث المازيغية لغة وطنية
ورسمية لها مكانتها في دستور 2016، وفي برنامج فخامة الرئيس عبد العزيز
بوتفليقة والمجلس الأعلى للغة العربية من مهامه العمل على أن يتعامل مع اللغات
الوطنية تعامل تبادل المنافع؛ للوصول إلى انسجام وطني لغوي نوعي. وإنّنا في
المجلس الأعلى للغة العربية نلتزم بمهامنا الدستورية ونحترم الهيئة المشرفة على
الأمازيغية، ونعمل معها في إطار حسن تدبير المواطنة اللغوية.

إخواني؛ إذا كان في نيتنا خدمة الذات الثقافية اللسانية المازيغية، فننظر إلى
النموذج اللغوي المازيغي؛ فهو شبيه إلى درجة كبيرة جداً باللغة العربية واللغة

القبطية واللغة العبرانية؛ وهذه النماذج اللغوية لم توضع هكذا اعتباطاً؛ بل انطلاقاً من التشابه في الأصوات بين العربية والعبرية والقبطية والمزيغية، وعليه وضعت هذه اللغات في نفس النموذج. إنها ليست أفكار نمطية أو توحيدية، أو هي إلغاء لأفكار المختصين، هي أفكار نريد من ورائها الوصول إلى مازيغية توحدنا وتقربنا من ديننا ومن اللغة الجامعة وننظر من خلالها إلى ما نحن فيه من:

أولاً: الوحدة الوطنية والانسجام الجمعي.

ثانياً: وطننة الأمازيغية لغة الجزائريين.

ثالثاً: أبجدية التيفيناغ أصيلة.

رابعاً: أبجدية الحرف العربي مقاربة.

هذا غيظ من فيض، أريد من خلال هذه الافتتاحية أن أقول: إننا لا بد أن نسعى إلى رسم خريطة طريق تجعلنا كباراً مثلاً كان سلفنا الصالح كباراً تجعلنا نواجه التحدي المعاصر بلغة العصر، ونرجو أن تكون العبرة بعموم الكلام لا بخصوص الأسباب؛ لأن الأسباب - في بعض الأحيان - لا تدخل في باب رد الاعتبار، بل تزيد المحن على الإحـن، فهي بلاء تبيد ومحنة تزيد.

إخواني الحضور، هذا كلامي الأول، رتبته بحسب مقتضيات الأحوال وما اقتضته الحكمة من مسببات الحال، على أن الدال على الخير كفاعله وعسى أن ننتفع من كل قول يعمل على تمتين الوحدة الوطنية، وأن نختلف في الرأي وفي المنهجية، لكن أن يجمعنا مكان الوصول، نختلف ولا نخالف نقبل رأي الآخر ضمن متعلقات تراتبية خدمة الوطن. والسلام عليكم جميعاً.

كلمة أُلقيَتْ بمناسبة احتفاء جمعية (اقرأ)♥ تعليم المرأة عند جمعية العلماء المسلمين

— ديباجة: يحصل الشرف أن تبادر رئيسة (جمعية اقرأ) إلى عقد لقاء تكريمي وهذا بمناسبة الأحداث العلمية الكثيرة لهذا الشهر، فمن يوم العلم إلى شهر التراث وإلى ربيع الثقافة الوطنية، فإيا لها من مناسبات تلاحقت وتزاحمت في حلقة جامعة اقرأ واقرأ ثم اقرأ، وهذا هو الفعل العلمي الذي تقف وراءه (جمعية اقرأ) اقتداءً بجمعية العلماء المسلمين التي أعطت للإصلاح الاجتماعي الأولوية؛ لأنه قاطرة القضاء على كل الآفات، فكما يُقال: شعبٌ يقرأ؛ شعبٌ يتحضّر / شعبٌ يقرأ؛ شعبٌ لا يستعبد / أمةٌ تقرأ؛ أمةٌ تتال العلا.

إخواني الحضور، عند الحديث عن دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في التربية والتثقيف وتنشئة الأجيال الصاعدة على حبّ التعليم والتحلي بالنبل وفضائل الأخلاق والصبر والمغالبة والمجاهدة وحفظ النفس والمال والعرض، وكلّ ما يدخل في باب تكوين المواطن الصالح، فلا جدال في ما قدّمته الجمعية من قيمة مُضافة في يومها، ولا تزال آثارها في ذلك الجيل الذي كوّنته في رحاب معهد ابن باديس بقسنطينة ومع تلك الوفود التي كانت توفدها الجمعية إلى الزيتونة وفاس والقاهرة وبغداد والكويت للتعليم والتثقيف ونيل الشهادات؛ بُغية الوعي والتطوير والترقية والنهوض باللغة العربية والعودة إلى الوطن للتعليم وتسلم المشعل. فلقد استثمرت

♥ — أُلقيَتْ الكلمة بمناسبة احتفاء جمعية (اقرأ) بيوم العلم. قصر الثقافة في 18 أبريل 2017.

الجمعية أيما استثمار في التعليم، ولم يكن خاصاً بالذكور، وإن كثر عددهم حسب طبيعة تلك المرحلة، ولكن للبنات نصيباً مُعتبراً بله الحديث عما أسسته من:

1- مدارس البنات: رغم أن تعليم البنات في ذلك الوقت كان يفتقر إلى المُتدرسات ولكن سرت حركة الإصلاح في الاهتمام بنصف المجتمع، فلا يمكن أن ينجح الإصلاح بطرف دون آخر، وعبر عنه ابن باديس بمثابة الطير الذي لا يمكن له أن يطير بجناح واحدة، فلا بد له من جناحين كي لا يسقط وإلا فهو ساقط. ولقد كان الأمر في البداية صعباً، حيث وقع التركيز على منهجية إقناع الأولياء وعلى تصحيح المفاهيم وإعادتها إلى نفاثها، ومسايرة تطوّر العصر بما لا يتنافى وقيم الدين. وبعد موافقة الآباء على إرسال بناتهم إلى المدرسة؛ وكانت الخطوة التي أذابت الجليد؛ بأن فُتحت أقسام للذكور وأقسام للإناث. ولم يقف الأمر عند هذا الحد؛ بل كانت تدعو الجمعية في برامجها لانخراط البنات في كل نشاطات المدرسة، وفي فرق الأناشيد والمسرح، والإسهام في إحياء المناسبات الدينية. وفي ذلك المخاض استطاعت الجمعية أن تفتح مجموعة من المدارس الخاصة بالبنات ومن أشهرها: مدرسة عائشة في تلمسان، ومدرسة تهذيب البنات في البليدة ومدرسة شريفة في الجزائر.

ولم يقف تخطيط أعضاء الجمعية في هذا الأمر، بل كانوا يرومون تشجيع الطالبات للتعليم في البلاد العربية، ولكن صدمت التشجيعات بعدم وجود أقسام خاصة لتدريس البنات، حتى وقع ابن باديس على السيدة (عادلة بيهم) حفيدة الأمير عبد القادر، ووقع الاتفاق على إيفاد عشر (10) طالبات وهن: سليمة بن البرج سليمة حافظ، نعناعة ونيسي، حليلة ونيسي، فاطمة صويلح، فلة بوالبارود الرامضة بوعبد الله، فاطمة رودسي، عائشة دمق، ياسمينة دمق. ومع ذلك لم يتحقق التخطيط بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية. وفي هذا نقول الأستاذة زهور ونيسي: "... إن العلامة الراحل كان حريصاً الحرص كله على تعليم المرأة وتخصيصه لساعات معينة من الدروس التي كان يقدمها للنساء والفتيات ورغبته في إرسال مجموعة من الطالبات إلى سوريا لمدرسة حفيدة الأمير عبد القادر لإتمام دراستهن لولا أن

الأجل وإفاه، مؤكدة أنّ ابن باديس لعب دوراً عظيماً في تعليم المرأة، وهو أول من فتح لها أبواب العلم والمعرفة، وأول معلّّات في الجزائر تتلمذن على يده هنّ: نعناعة بشكري، ونعيمة عمروش، وحورية عربية، رحمة الله عليهن، بقسنطينة كأول رائدات للتعليم بالجزائر."

2- تأسيس جمعيات نسوية: ما كان يجب أن ننظر إلى تأسيس جمعية للنساء بالمنظور المعاصر؛ حيث المتغيّرات لا تقبل المقارنة، وأنّ أوجه الشبه بعيدة، ومع ذلك فتذكر المصادر بأنّ جمعية العلماء عملت على تأسيس جمعيات من مثل: (جمعية نهضة المرأة المسلمة) و(جمعية الفتاة العربية المسلمة) والشعار الذي كانت تحمله الجمعيات النسوية آنذاك: "أرشدونا إلى الطريق الذي يمكننا تتبعه لنتحمل مسؤوليتنا معكم في النهوض بأمّتنا حتى تحتلّ مكانها اللائق بين الأمم المتقدّمة ونُشيد مجدّ إفريقيا الشمالية". وفي الحقيقة؛ فإنّ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد أسهمت بشكل مباشر في تطوير وترقية المرأة، حتى لمعت أسماء في مجال التعليم والصحافة والعمل الخيري، رغم أنّ بعضهن كنّ يعملن في الخفاء أو بأسماء مستعارة، فبقين في الكتمان الذي أدخلهن قاموس النسيان. وهناك من بقين يقاومن التغييب، وفرضن أنفسهن بالعلم والكتابة من مثل الأستاذة القاصّة (زهور ونيسي) أطال الله عمرها. وكانت لمعة نجمة ساطعة وعملت في التعليم والصحافة، ونالت رتبة معالي الوزارة. وما أعرف أنّ لها رصيдаً من القصص والروايات والمذكرات من مثل: الرصيف النائم - على الشاطئ الآخر - من يوميات مدرسة حرة - لونجا والغول - عجائز القمر - روسيكادا - مسار امرأة.

3 - برنامج الجمعية في ترقية المرأة: لقد توزّع نشاط الجمعية على الركائز التالية:

1/3- الإصلاح الديني.

2/3- الإصلاح الاجتماعي.

3/3- التربية والتعليم بالمجان.

4/3- الإقناع والحجّة.

5/3- تأسيس الجمعيات الخيرية.

6/3- الإعلام والتصدّي للاستعمار.

7/3- التصدّي للطريقة والتدجيل.

وفي كلّ هذ البرنامج الكبير والطموح، كان التخطيط هو عُمدة الجمعية؛ بالتركيز على الشباب والمرأة؛ ليقع إصلاح فعلي للمجتمع، ولا بدّ من الاستثمار في تغيير الذهنيات الذي لا يأتي دون مسح الجهل والتخلّف، وقد تجلّى ذلك في شواهد عديدة نذكر منها قول (مصطفى حلوش) "... ومن المؤسّف المُحزن أن تكون الأمّ هي المدرسة الأولى جاهلة لا تُعلّم، وناقصة لا تُكمل، وآسف من ذلك وأحزن أن يُضاف إلى جهلها ونقصانها جهل الرجل ونقصانه، فنبقي مدرسة الأسرة عاطلة، لا من ناحية الرجل ولا من ناحية المرأة... لهذا إن أردنا حياة هنيئة وسعادة راضية أن يكون الدين أساساً للتعليم وأن يشمل الرجل والمرأة على السواء، وأن يكون التطبيق فيه أكثر من النظر". وما يمكن أن يستنتج من هذا بأنّ الجمعية كانت تراهن على تعليم المرأة لمحاربة الفقر والجهل والاستعمار؛ لما تمثّله المرأة من رمز للمستقبل؛ فهي مصدر الشخصية الوطنية التي تجب المحافظة عليها حتى لا يستغلها الاستعمار لصالحه أو يمسّخ مقومات شخصيتها. فأول ما كان يراه ابن باديس قوله المعروف "إذا أردتم إصلاحها الحقيقي فارفعوا حجاب الجهل عن عقلها، قبل أن ترفعوا حجاب الستر عن وجهها، فإنّ حجاب الجهل هو الذي أخرها". ونرى فكرة ابن باديس في المسألة جادة من منظور أنّ جهل المرأة قضية خطيرة، بل مشكلة اجتماعية وحضارية في آن واحد، وتعني المجتمع كلّ فلا بدّ من التنادي لعلاج المشكلة من منظور التجنيد الفعلي الجمعي للإصلاح الذي يبدأ من محاربة الجهل لدى المرأة. وهذه هي خريطة طريق الجمعية منذ ظهورها وهي تحاول جاهدة توفير العلم، بكلّ ما تتوفّر عليه من وسائل وإن كانت محدودة آنذاك ولكنها تعمل على تهيئة الظروف والمناخ النفسي والاجتماعي، والثقافي للنهوض بالمرأة الجزائرية. وبذلك، فرغم الصعوبات التي اعترضتها إلّا أنّ هذه الصعوبات

لم نشأ من عزيمتها لبعث صحوة متعددة الجوانب، أو نهضة جديدة في المجتمع الجزائري، وكانت المرأة الجزائرية تمثل جانباً هاماً في الإصلاح الاجتماعي.

إخواني، من بين المنغصات التي كانت تقلق ابن باديس، هذا السبات في الجهل الذي مسّ شريحة هامة في المجتمع الجزائري، فكيف يمكن مسحه وإحداث قطيعة مع الجهل، ولا يكون إلا بما للجمعية من اهتمام بموضوع تعليم المرأة، لأنها شقيقة الرجل؛ وتشكل نصف المجتمع، وهي الركن الركين الذي يقوم عليه بناء الأسرة؛ فإهمال تربيتها وتركها جاهلة هو هدم لهذا الركن، وتفكيك لبنية الأسرة وإضعاف لقدرتها على الاضطلاع بمسؤوليتها التربوية والاجتماعية. ولذلك أولى ابن باديس تعليم المرأة اهتماماً كبيراً، مدركاً الخطر المحدق بالأمة الجزائرية إذا تركت المرأة بغير تعليم.

إخواني، مهما يكن الأمر في الماضي الذي كانت البنت الجزائرية لم تتل التعليم بشكل عام، فإن بصيص التعليم آنذاك هو الذي أنار على الجزائر الحديثة بأن تعم إلزامية التعليم كلّ الجزائريين، وأنّ الفضل للسابقين الذين تركوا بصماتهم في هذا الميدان. وإنّ المرأة الجزائرية بفضل المخلصين الآن لها تعلّمت وأخذت النصيب الأوفر من التعليم، ولها مكانة بارزة على كلّ المستويات، وأضحت أكثر وعياً والتزاماً، وتنال مواقع التصدّر والرفعة والقيادة فهذه قائمة صغيرة من تلك الأسماء اللامعة في بلدنا وفي الخارج: (أحلام مستغانمي + زهرة هني + عائشة باركي + خليدة تومي + نادية لعبيدي + ربيعة جلطي + إنعام بيوض + زينب الأعوج) وأملنا كبير في هذه الأسماء لينتجن الأفكار، ويقمن بإنجاز المشاريع التي تخدم مدرسة الحياة المعاصرة، فلا مستقبل دون تخطيط، ولا تطور دون أصالة ولا انتصار دون صبر ولا حياة سعيدة دون تعب ولا تسهيلات دون تذليل الصعوبات.

— خاتمة: رأيت أن أختتم قلبي بمُلح من الأدب، وليس إمتاعاً لذوي الأبواب والأرب وما أقوله حقيقة، ولا تظنّ أنه تسلية. فلقد لبّيت الدعوة، وهذا ما اقتضته الحكمة؛ لأقول لهذه المرأة الفحلة بأنك رجلة تتكلمين في الأفكار، يا عائشة الأبيكار.

فنادرًا ما نجد من ينظر إلى الأعلى، ويروم غاية المنتهى يا سيّدي نبارك لك نشاطك في السهول وفي الأعالي، وتستهلين كلّ التعالي.

سيّدي، بجمعية اقرأ البسيطة؛ نلت المقام، وفُزت بنساء هِمام، فأرى كلّ الثلاثاء العرائس، يقصدن المدارس، ويحملن الحقائب ناضرات، إلى معلماتهن واصلات ولذلك حيّيت المبادرة، فأنت تزرعين البذرة؛ التي ستُصبح ثمرة، فربح البيع، ربح البيع، وهو من الربيع، باستثمارك في التربية وقطفك للثمرة، وهذا فعل السلف فسوف يكتب عليك التاريخ بأنك من الخلف، خلف يراهن، على سلف لا يداهن فكلّكم ناجح، وكلّكم فالح. ونشهد لك بما شهد الذين قالوا:

ومليحة شهدت لها ضراتها والحسن ما شهدت به الضرات
ولو كان النساء كمن ذكرنا لفُضلت النساء على الرجال
فلا التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

يا سيّدي باركي، واصلي الدرب على التمام، فأنت في الخطّ المُرام، فقد تعودت السير في الطريق الممهّد، وأعرف أنك لا تقبلي إلا الطريق المُمدّد وعهدناك أنت كما أنت، مناضلة رفّع الأمية ترومين مسح الجهل عن الأمة فبورك في الجمعية وبارك الله في هذه الندوة، وشكرًا لكلّ من فكّر في هذا اللقاء، بأن جمعنا على الصفاء. وهكذا نكبر ونتعلّم وننجح ونحب، والدنيا تُعلّمنّا: لن نتعلّم دون أن نخطأ ولن نتعافى دون أن نتألّم، ولن ننجح دون أن نفشل، ولن نحبّ دون أن نفقد، وليس كلّ سقوط نهاية، فسقوط المطر أجمل بداية، فأنعم بها من جمعية اقرأ! وأنعم بها من امرأة أرباً!

مِنَ العِروْفونِيَّةِ إلى العِروْأسيوِيَّةِ^٥

— **مَقْدَمَةٌ:** يعدّ تعليم اللّغة العربيّة لغة ثانية مجالاً متخصصاً في مجال اللّسانيات التطبيقية. ويدعو القول بهذا التّخصّص إلى افتراض وجود فروق تميّزه عن تخصّصات أخرى نحن في حاجة إلى تحديدها والتّصريح بها، وعمل الأدوات المنسجمة معها؛ سواءً على مستوى إعداد المقررات، أو وضع الكتب التعليمية المستخدمة في التدريس، أو وضع المعاجم ذات الصّلة بتعليم العربيّة لغة ثانية. كما أنّنا بحاجة إلى مزيد من استعمال التقنيات الحديثة في تعليم العربيّة لغة ثانية؛ حيث تطوّرت اليوم وسائل التعليم وأصبحت تعتمد تقنيات حديثة متطورة فإلى أيّ مدى أفاد تعليم العربيّة لغة ثانية من هذه التقنيات، سواءً على مستوى الاختبارات في المقررات أو على مستوى إعداد الدروس وأدائها؟ كما أنّ العربيّة بحاجة إلى صناعة المعجم الخاصّ بها كلغة ثانية؛ حيث نلاحظ أنّ التجارب المعجميّة المهمّة بهذا المجال قليلة لا تكاد تذكر. فما أسباب ذلك؟ وهل من محاولات جديدة بهذا الشأن؟

تتحدّث المداخلة عن ضرورة التفكير في آليات تعليمية أخرى لتوصيل العربيّة لغير أهلها، وبخاصّة للمتعلم الذي يملك لغته الأولى، فلا شكّ أنّه يلتزم بخصائصها وفي كلّ مرة يعود إليها، أو يجري المقابلات، وكيف نعمل على إمداده بما يحتاج إليه من ألفاظ ومسكوكات ومصطلحات ولغة... لغة تحت الطلب لغة اختصاصية. وقد جرت الكثير من التجارب مع الفرنسية والإنكليزية، وأثمرت مزايا كثيرة ولكنّ في محصّلة التجريبتين أنّ العربيّة هي التي تستقبل وتتأثّر فهي المستقبل دائماً. ومن خلال هذه المداخلة نروم اقتراح بديل — نزع أنّه نوعي — وهو الخروج من

^٥ — أُلقيت المداخلة في الملتقى الدولي المنظم من قبل (المؤتمر الدولي للغة العربيّة) دبي: 1-4

مايو 2017، فندق الروضة بدبي.

التجارب الفاشلة التي عاشتها العربية من لغات القطبين القديمين: الفرنكفونية والأنكلوفونية. رُغم أن العربية عايشَت الإسبانوفية، وغيرها من اللغات الشرقية، ولم تنمَ ولم تذبْ فيها، بل كان لها وقع في ترك بصماتها في تلك اللغات. ولكن اللغتين: الفرنسية والإنكليزية تركتا أثراً في كيانها.

وبالنسبة للموضوع، فإن كلمة (العربوفونية) أطلقها (Jack Lang) مدير المعهد العالي العربي IMA في ندوة حول الفرنكفونية، بحضور جُلّ النخبة الفرنكفونية العربية، وكان يدعو فيها إلى حوار الند، أو حوار المكافئ، والخروج من التبعية أو الاضطهاد الفكري الذي تمارسه الفرنسية على لغات الشعوب التي خرجت منها سياسياً ولم تخرج فكرياً. ولذلك نقترح من خلال هذه الندوة العالمية العمل بمنهجية تدريسية جديدة وهي أن نتجه إلى جمال الشرق وإغوائه، وأن نعمل على ترميم جسر التواصل القديم بين العرب والآسيويين، ويكون البدء بالاتصال اللغوي التربوي/ الديدانتيكي، فاللغة هي فاتحة التكامل، وبخاصة في وقتنا الحالي الذي نشهد فيه الإقبال الكبير على تعلّم العربية في آسيا؛ حيث تُنشَدُ العربية في ذاتها لما تحمله من دين ودنيا، وهناك من ينظر إليها على أنها لغة حاملة لثقافة وحضارة عريقة، فلا بدّ من إدراك المفاهيم التي تشكّلت منها العقلية العربية القديمة والمعاصرة، وهذا ما يسمح لهم باتخاذ اللازم عند صناعة القرار. ولهذا رأينا استبدال (العربوفونية والإنكلوساكسونية) بكلمة (العربوآسيوية) وهذا لاعتبارين:

— الاعتبار الأوّل: للخروج من التبعية الغربية في تعليمية اللغات الأجنبية الغربية فنحن لا ننتمي إلى الغرب، وحضارتنا شرقية، فقد عشنا مع الغرب ما يقرب من قرنين فلم نستقدّ منه شيئاً يجعلنا في موقع المقابل المكافئ.

— الاعتبار الثاني: لإعادة التجارب التدريسية الناجحة مع الآسيويين، ووضع ميكانيزمات التكامل والتعايش والتعامل مع آسيا؛ بحكم ما يجمعنا من قواسم مشتركة وبدون شكّ سوف تحصل الاستفادة البيئية، وقد يحصل المقابل المكافئ

ويُضاف إلى ذلك أنَّ تعليمَ العربية في آسيا يعمل على ترسيخ الهوية العربية الإسلامية عند الشعوب الإسلامية الآسيوية، واكتساب لغة دينهم.

وأمام هذا، كان لا بدَّ أن يقع الحديثُ عن بعض الخصائص اللغوية التي جعلتنا نقع في شرنقة اللغات الغربية، ونتماهى فيها، بفعل ما تحمل من تجاذبٍ أو غزوٍ أو تبعيةٍ؛ تجعلنا لا نخرج من فقه المصالح المرتبطة بالغرب دون غيره من الشعوب وأنَّ المنفذَ للعلم لا يقطر إلّا من اللغتين: الإنكليزية/ الفرنسية، ومن هنا سوف نعمل على توضيح بعض القضايا ذات العلاقة بالموضوع في هذه النقاط:

1- التجاذب اللغوي القديم والحالي: يدخل هذا الموضوع في الحديث عن التجاذب اللغوي للغة القطبين القديمين: قطب فرنسا، وقطب بريطانيا، وهما من الأقطاب التي تُهيمن ثقافياً على الوطن العربية بهاتين اللغتين فقط. فكانا بحقَّ من الأقطاب التي استثمرت في الوطن العربي لدرجة الاحتواء وتقسيمه إلى تيارين معروفين هما:

1/1- تيار الفرنكفونية: وهو النمط الفرنسي المُستحوذ على شمال إفريقيا وبعض الدول الإفريقية وما له من امتدادات في أوروبا وأمريكا الشمالية. وهذا التيار له امتدادات كبيرة في 56 دولة اتخذت الفرنسية لغة الرسمية أو لغة التعامل العلمي أو لغة النخبة أو اللغة الأجنبية الأولى.

2/1- تيار الأنجلوساكسونية/ الإنجلوفونية: وهو الامتداد اللغوي للإنكليزية في بلاد المشرق العربي، ودول الخليج، وكلِّ الدول التي تنضوي تحت التاج البريطاني وسابقاً كانت تسمّى ببلاد لا تغربُ عنها الشمس؛ حيث لغتها موجودة في كلِّ بقاع العالم. والآن أضحت اللغة العالمية المُعولمة التي تستحوذ على ما نسبته 97% من دِفْق الشابكة.

وفي ظلِّ هذين التيارين المُتجاذبين، كانت كلُّ الدول العربية مناطق نفوذ أجنبية لهما، بل امتدَّ نفوذُ اللغتين في القديم، فلم تتركاً للعربية فرصة الظهور بحكم الاستعمار وما يفرضه من قوّة ومسخ وإلغاء، وفي الحديث يقوم على فرض أنماط وسلوكات تدخّل في وضع البرامج المدرسية، وغلق مدارس، وفتح شُعَب حسب

المخطّط له، وأخذ النماذج الغربية على أنها نماذج عالمية، مثل نظام LMD المطبّق عندنا وفي بعض الدّول العربية، والأخطر من كلّ هذا خلق نمطين من المثقّفين: معرّب — مزدوج/ فرنكفوني — أنجلوفوني. وجعلت هذه الدول من نخبتنا، وهم الرؤوس لا يفهمون لغة الشعب، والشعب لا يرقى إلى فهم لغة النّخبة فحصل التفريق بين ولّدين (2) من أب وأمّ واحدة. ونعرف أنّ هذه الدول سبق أن أجرينا معها تجارب كثيرة، فاستقدنا بعض الاستقادات، ولكنها لم تُمكن الدول العربية من إنتاج العلم في أوطانها، بل كانت وما تزال تريدونا أن نكون مُستوردين لا مُنتجين. والحقيقة تُقال فإنّه لم تستقد دولة من الدول العربية إلاّ الفتات اللّغوي ممّا تتكرّم به الفرنكفونية/ الأنجلوساكسونية من منّح دراسية، وبعثات علمية وصناعات تجاوزها الوقت وبراءات اختراع غير ذات جدوى، وتبشيرات لغوية مُخيفة وإقامات لسانية، وما يلحق ذلك من تركيع لغوي للغة العربية.

وفي هذا التركيع، أسهمت بعض النّخبة الوطنية في بقاء الوضع اللّغوي على ما هو عليه أثناء الاستعمار ورأت أنّ العصرية لا تكون إلاّ باتّخاذ اللّغات الأجنبية لغات علم، وأنّ العربية لا علم فيها، وتبقى فقط لغة التّراث والشعر والتّأبين. ويتناسى هؤلاء بأنّه لم تقم قائمة لأمةٍ بغير لغتها/ لغة الأّمة، ولم ترتق أمةٌ خارج اللّغة الوطنية. ولكن بكلّ أسفٍ نرى نخبتنا غارقة في التماهي مع لغة الأجنبي/ لغة العدو بالأّمس وهنا العقدة التي لا تزال تعلّق بالنّخبة العربية وبذلك نرى الفرنسية والإنكليزية تشعلان في دُول الاستقلال أكثر من دُول الاستعمار.

وكما هو منصوص عليه في العنوان، فإنّنا لا ندعو إلى الخروج من التيارين القديمين إلى تيار ثالث؛ وهو التيار الآسيوي، ونبقى من التّبّع، لا وألف لا، بقدر ما أروم أن ننحوّ نحو منهجية تدريس جديدة في منظومة التّعامل الجديدة مع الآسيويين لعدة اعتبارات، وهي:

أولاً: جرّبنا التيارين القديمين فلم يُجدّيا شيئاً، ولم يُقدّما للعربية إلاّ التبعيّة والتخلّف بل هما عبارة عن سراپ بقّعة، أو سحابات غير ماطرة.

ثانياً: تعايشت العربية في ما مضى من الزمان مع لغات الهند وفارس وأفغانستان وآسيا الوسطى وأرخبيلات ماليزيا، إندونيسيا، الفلبين، وأثّرت فيها لدرجة أنّ الكثير منها اتخذت حروفها للغاتها.

ثالثاً: تُصنّف العربية من اللّغات الشرقية، وقد حصل الأخذ والعطاء بقوة مع: الفارسية والطورانية.

رابعاً: الدعوة إلى إحياء نظام حضاري قديم، يحصل فيه التكامل اللّغوي بين العرب والآسيويين المسلمين، وكان لهم في العربية أثر واضح، أغنوا العربية واستفادوا منها في ترقية لغاتهم؟

خامساً: إنّ الصين العملاق، بلد صناعي بامتياز، وهو اليوم يحتلّ الصدارة والجالية الصينية تزداد يومياً في البلاد العربية، واللّغة الصينية لغة علم وحضارة.

سادساً: عندما كانت العربية في تواصل علمي مع اللّغات الشرقية، كانت العربية لغة العالم.

سابعاً: ما يلاحظ الآن بأنّ الفارسية تحتلّ الرتبة الرابعة في المحتوى الرقمي في الشابكة؛

ثامناً: إيران + تركيا من الشعوب النامية المتقدّمة في عصرنا الحاضر، وهما من القوى الاقتصادية الكبرى من بين 20 دولة ذات الاقتصاد الجديد. بأيّة لغة حصل لهما هذا التقدّم؟ لم يكن إلاّ باللّغات الوطنية.

تاسعاً: لا يعني هذا أنّنا نستجدي باللّغات الآسيوية، بل أن نتّمثّل المنهجيات العلمية التي استخدمتها في الرقي اللّغوي، وفي الخروج من التبعية اللّغوية.

عاشراً: تعاملنا مع لغات آسيا؛ يعني إحياء تراثنا، أو ترجمة تراثنا الكبير المدوّن في اللّغات الآسيوية، وبخاصّة التركية والفارسية والهندية.

حادي عشر: تعاملنا مع آسيا؛ يعني استثمار العربية في تلك الكتلة البشرية الكبيرة بما فيها: بلاد السند القديمة + بلاد الصين والبنغال + تركيا + إيران.

ثاني عشر: تعاملنا مع آسيا، يعني انفتاح العربية على العمالة الآسيوية الموجودة حالياً وعددها يتجاوز ثمانية (8) ملايين، والعمالة القادمة لا شك أنها تزداد. فتصوروا لو أن كل هندي يتعلم كلمة عربية في كل يوم، ويعمل على تعليمها لعائلته، ألا تنتشر العربية في ظرف قصير، ويكون عليها الطلب، وتكون البديل النوعي في الاستثمار وهذا ما تقوم به بريطانيا؛ حيث تدرّ عليها الإنكليزية سنوياً أكثر من اثني عشر (12) مليار جنيه استرليني.

ثالث عشر: تعاملنا مع الآسيويين مطلب ديني، فنسبة كبيرة من هذه الكتل البشرية مسلمون فكما يقول ابن تيمية "إن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب فإن فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"⁽¹⁾ فالعربية واجبة لحفظ الدين، وتعليم الدين، وفهم الدين. ومن هنا، فإن الوقت يدهمنا للتفكير في طريق التفعيل الذي يأتي بمحاكاة هؤلاء الآسيويين؛ رغبة في الإفادة والاستفادة (تبادل المصالح المرسلة) وهذا مطلب شرعي فحيث وجدت المنفعة فتم شرع الله. ولكن يجب أن لا ننقطع عن العالم الغربي، بل علينا أن نقف بالندية للاستفادة من تقنياته الحديثة، ولا نبقي مكتوفي الأيدي في أننا نستقبل ونأخذ دون أن نعطي بل يجب التفكير في وضع آليات التواجد تحت شمس الكون؛ بأن نكون بلغتنا لا بلغات الغير، وأن نكون بما تنتجه لغتنا، وبما تقدّمه نظرياتها من تحديث هذا من جهة، ومن جهة أخرى، أن نتوجه إلى الاستثمار بلغتنا في الشعوب الآسيوية الذي يأتي عن ثلاثة طرق وهي:

الطريق الأول: التعليم المحلي للجاليات أو للبعثات الطلابية أو التعليم حسب الطلب ويكون وطنياً ويتخذ منهجيات مختلفة، وطرائق معاصرة، وحماس لغوي خاص.

(1) — أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن. بيروت: 1982، دار الكتاب اللبناني، ص 255.

الطريق الثاني: وهو التعليم الانتقالي التكويني: أن ينتقل الفريق إلى بلد الراغب تعليم العربية، وهناك يحصل تكثيف الدروس، وفق برامج معينة باستعمال لغات التخصص.

الطريق الثالث: هو استعمال الوسائل الحديثة؛ سواء بإنشاء موقع المعلم، أو وضع برامج آلية أو إنتاج CD أو التواصل عن بُعد عن طريق الأقمار الاصطناعية.

3 - الرهان على تهيئة تحديث العربية للأجانب: ينبغي أن يكون العمل مُنصباً على تحديث اللغة وخاصة في مجالات المعرفة والتكنولوجيا، وإن الكثير من النخب العربية تكونت في تلك المجالات باللغات الأجنبية، فهم الآن يعيشون التنشيط اللغوي في أوطانهم، وهو ما أدى إلى انشطار بين قسم كبير من النخب وعمامة الشعب وانحسار المعرفة وعدم انتشارها بين سكان المدن والأرياف. ويحوي التحديث اللغوي إصلاح تعليمها وربطها بالحياة العملية للمتعلم وبالاحتياجات الاقتصادية والفنية ومن ثم، من الضروري أن يحصل توطين المعرفة بها، عن طريق استيعاب العلم المعاصر، وكذلك أن تحصل النقول العلمية عن طريق الترجمة. ولا يكون ذلك إلا بالتغلب التدريجي على الفجوة العلمية والتكنولوجية. وهذا لا يمكن أن يحصل إلا بتحديث العربية على مستوى تحديث تعليمها وفق اللسانيات التطبيقية. ويضاف إليها مجالات العربية بما لها من الدالات الثلاث: دين، دولة، دنيا. وهذا يقع على عاتق المعلم الذي عليه أن يبدع آليات التعليم المعاصر لتبليغ العربية لغير الناطقين بها، كي يقبلوا بها، وإلا ينفرون منها لأنها غير جذابة. وهكذا القول يكون تكراراً فإن العربية هي لغة الأمة العربية فكيف تكون ندّاً للغات الأمم الأخرى، فكان لا بدّ أن تقوم بدورها التربوي لتلبّي المطلوب من متعلميها الأجانب، فإنه من المفيد أن تكون جاذبة وليس طاردة لغة علمية معبرة عن واقع لغوي. ولا يكون ذلك إلا بحسن طرائق تدريسها وتقريبها وتيسيرها.

ومن هنا، يجب التذكير بأنّ العربية هي اللّغة الأولى بين العرب المسلمين وغير المسلمين، وهي لغة أولى أو ثانية عند الكثير من المسلمين في مختلف القارات من المهاجرين والسكان الأصليين، غير أنّ هذا الانتشار الواسع لا تسانده سياسة لغوية يمكن أن تنطلق أساساً من دول المنطقة وجامعتها العربية التي أصدرت سنة 1964 لائحة ميثاق الوحدة الثقافيّة التي بقيت بعد حوالي نصف قرن في حدّها الأدنى؛ وهو الاتّفاقات الثنائية ومناسبات عواصم الثقافة العربية. وكما يقول (محمد العربي ولد خليفة) "إنّ العناية باللّغة بهدف تهيئتها ونشرها، لا يكون فقط عن طريق مراسيم وقوانين بما فيها دستور الدولة، على أهمية تلك القوانين في فتح الباب والتعريف بالطريق الصحيح الذي يعلن عن إحدى العلامات المميزة في البطاقة الشخصية للشعب والأمة⁽¹⁾".

4 - دور الآسيويين غير العرب في الحفاظ على اللّغة العربية: لا ننكر إسهامات الآسيويين المسلمين غير العرب في تدريس وإمداد العربية بـزادٍ علميٍّ متنوّعٍ، وهذا منذ الفتوحات الإسلامية إلى الآن، فمن خلالهم اكتسبت العربية مكانةً عاليةً، بل هم الذين تنازلوا عن لغاتهم لصالح العربية والفضل يرجع إلى القرآن الكريم، وإلى تلك الخدمات الجليلة التي قدّمها المخلصون من المسلمين الذين كانوا من جنس العربية لساناً وعملاً ولم يكونوا من جنسها دماً؛ حيث انصهروا في الهوية العربية الإسلامية، فشمّروا على سواعدهم لخدمة الدّين والعربية، فالأسماء لا تُحصى، ويكفي في هذا المجال ذكر المؤسّس الأوّل لقواعد العربية (سيبويه) الفارسي الفذّ، دون الحديث عن أولئك الذين جمعوا كتب الحديث الصحاح؛ فهم من خيرة الآسيويين المسلمين الشرقيين. ولا نغفل الدور الهامّ للاستعراب ولأصحاب الموسوعات وللمترجمين وللمسيحيين الذين يرجع إليهم الفضل في انتشار العربية بين العباد والبلاد على مرّ العصور وتباين الأجيال، فكانت لهم بصمات واضحة

(1) - في محاضرة له بمناسبة اليوم العربي للغة العربية: 1 مارس 2012.

في كلّ المجالات "وقد قامت الأمة الإسلامية منذ العصور الأولى على جعل الاستعراب مورداً لا ينبض في إمدادها بالحياة والنماء لا في دينها فحسب بل في أدبها من شعرٍ ونثرٍ، فنبع في علوم الدين وفنون الأدب جمٌّ غفيرٌ من الأعاجم وتولّى مناصبَ الفتوى والقضاء والإدارة والحكم رجالٌ منهم كثيراً⁽¹⁾". فمهما يكن من أمر فإنّه لا يمكن إنكار دور الاستشراق في معناه العام، في مسألة توجيه الدراسات العربية القديمة والحديثة إلى منهجية البحث الرصينة، وأُذنا منها الكثير. وهذه ثمرة من ثمرات يمكن أن يُحقّقها تعليمُ العربية لغير الناطقين بها من المسلمين وغير المسلمين في وقتنا المعاصر. ولذا يجدر بنا الانتباه إلى تلك المواطن الجديدة التي يمكن أن تتعامل معها العربية وتستفيد منها، وفي ذات الوقت أن يعودَ إليها إشعاعُها لآسيا العملاقة علماً وحضارةً وبشراً.

5 - المنهجية التدريسية الجديدة: لا أقصد أن نعيدَ منهجية الفرنكفونية مع الآسيويين، بقدر ما أريد وضع ميكانيزمات في منهجيات التدريس تكون فعّالة مع لغات آسيا بحكم خبرتها ومعالمها العلمية، وما تقوم به من تفعيل في العالم وكان ذلك تحت الاعتزاز بلغاتها التي كانت مُتخلّفة وأضحت الآن تقف النّدّ للنّدّ أمام اللّغات المُنتجة للعلم. ولهذا أروم الانفتاح على لغات الدول الآسيوية ذات البُعد العلمي المُتميّز، وبحكم القُرب والتّماس والتبادل التجاري والتجاور السكاني، بوضع استراتيجية تدريس لغوية عربية تفاعلية من خلال الإفادة والاستفادة، للوصول إلى التّكامل في حضارتنا الشرقية ويكون كما يلي:

1/5 - التّعامل اللّغوي مع الصين: حيث نجد الصين قد فتحت أبوابها وصناعاتها للعالم العربي والآن تعمل على تحسين علاقاتها مع العالم العربي.

(1) — هاني إسماعيل محمد "تعليم اللّغة العربية لغير الناطقين بها في ترسيخ الهوية العربية، رؤية استشرافية" مجلة مركز جُمعة الماجد للثقافة والتّراث. الإمارات العربية المتّحدة: 2015، العدد الواحد والتسعون (91) ص 40.

والصين من البلاد العملاقة عالمياً، فاقتصادها ينمو أكثر من كل الدول، فقد نجحت في لغتها المشتركة أفضل من الهند التي تعتمد اللغة الأجنبية بالإضافة إلى ما تبذله من أجل تعليم العربية وما تقوم به من فتح مؤسسات التربية والتعليم فوجد فيها معهداً نينغشيا للعلوم الإسلامية وفيه يوجد (قسم اللغة العربية بكلية اللغات الأجنبية في جامعة نينغشيا وكلية اللغة العربية بتونغشين والمدرسة الكويتية، ومدرسة اللغة العربية للبنات، ومدرسة وجين للغة العربية وغيرها...) .

أف كثيراً للحديث عن ضرورة التعامل مع الصين، والعبرة في تعليم العربية لغير الناطقين من بلد الصين الذي قال فيه الرسول ﷺ "اطلبوا العلم ولو في الصين" الصين الآن بلدٌ عملاقٌ، نهض مؤخراً؛ يحوي أكبر الجامعات العالمية وفيه أقسامٌ للأدب العربي، وفيه مجمعُ اللغة العربية الذي تأسس في العام 1985. وفي الصين تم إنشاء قسم اللغة العربية في خمس جامعات إقليمية، وأغلبها في المناطق الواقعة غرب الصين؛ حيث وجود القوميات المسلمة. في الصين فرصُ التوظيف لمتعلمي العربية سهلة. في الصين تجارب ناجحة لتعليم العربية للصينيين؛ وقد أثبتت فعاليتها عبر المترجمين وعبر تلك البطاقات التي يُرسلونها بالعربية مع سلهم الكثيرة. الصين بلدٌ عجيبٌ يجب كسب جانبه المادي والمعنوي واللغوي؛ باعتباره سوقاً مستقبلية كبيرة. ومن هنا يحسن بنا استثمار العربية في توسّعنا التجاري مع الصينيين؛ باعتبارهم ثاني أكبر دولة في العالم مساحة، وأول دولة من حيث السكان، ومن الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن ولغتها من اللغات الست في الأمم المتحدة، ودولة رأسمالية تنشد الاستثمار في الدول الفقيرة، وترمي إلى خلق أسواق استهلاكية لمنتجاتها. وإن الصينيين الآن ينظرون إلى العرب على أنهم طاقة كبيرة، ولذلك استثمروا في تدريس العربية في بلادهم، وكانوا يعلمون أنهم سوف يخرجون إلى العالم العربي، وأن سلهم سوف تغزو أسواقه. ولهذا حصلت لهم منهجية ناجحة في الاستثمار في اللغة العربية؛ منهجيةٌ تجب علّمتها وتسويّفها والعمل على تحديثها أو تكييفها وفق الزمان والمكان، ولا يكون ذلك إلا بالعمل على توسيع التبادلات العلمية والثقافية والتقنية مع الصين، إلى

جانب المصالح المرسلّة في الاقتصاد والتجارة بشكل تضمن تحسّن العلاقات وديمومتها. وبذا يمكن توظيف القيمة الاقتصادية العربية في استخدامها في عالم التجارة مع كلّ الأجانب؛ حتى تسهم في قهر الفقر والجهل من خلال عائداتها. وهذا الأمر يتطلّب الدراية بمعرفة فلسفة التسويق وكيفيات التسويق وكيفيات الترغيب، ومرادفات التأكيد... وهذا كلّ موجود في الخصائص البلاغية للغة العربية.

2/5 – إعادة التواصل اللّغوي مع تركيا: تملك تركيا لغةً تبادلت مع العربية أيام التأسيس والمحن، والأخذ والعطاء، وسبقاً للتركية أن دُوّنت بالحرف العربي والترك شعّب مسلم، وهم يُحبّون العرب بل يذوّبون في القرآن الكريم. وفي كلّ ذلك، فإنّ العربية تتمتع بمكانة عالية لحاجات الأتراك إليها في جوانب: التراث المشترك، الدّين المشترك التاريخ المشترك، المصير المشترك. ولذا فهم ينظرون بعين القداسة للعربية، ويأملون من العرب أن يُقدّموا خدمات تعليم العربية في تركيا، وأن يقوموا على خدمة العربية إسوة باللّغات الأجنبية المتطوّرة، بل هم يحنّون إلى إغواء الشرق بما يحمله من تهويمات مشرقية مسلمة، بدل تلك الإغراءات التي تأتي باستمرار من أوربا، وهي إغراءات الهيمنة والتكابر والاحتواء. فهنا يجب أن يحصل السبق لكسب الأتراك، بدل ذوبانهم في حضارة الغرب.

3/5 – الانفتاح اللّغوي على إيران: من الدول التي قامت بقوة بلغتها وأبنائها فهي دولة نووية وصناعية، ولها اكتفاء ذاتي في كثير من الأشياء. ولغتها مرشّحة لتكون لغة العولمة بعد الألمانية والآن تُترجم كلّ ما ينتجه العالم إلى لغتها. ولها آفاق واعدة كما كانت لها علاقات علمية مع العربية. والفضل الكبير للفارسية في أنّ العربية تنال مواقع مقبولة في الشّابكة لأنّها تُكتب بالحرف العربي. إيران المعاصرة بلد صناعي ولها كفاءات علمية، ولها منهجية حديثة في التواصل اللّغوي، فهي من الدول التي تملك أكبر نظام عالمي في الترجمة الآلية، فالأحرى بنا أن نستفيد من تجاربها، وهي تجارب ناجحة وظاهرة في لغتها الفارسية.

6- المنهجية التدريسية الجديدة: وهي تدخل في الطرائق الديداكتيكية الجديدة ذات العلاقة بتعليمات اللغات الأجنبية، وما تقوم عليه من تدريس اللغات الأجنبية وفق:

- تدريس خصائص اللغة؛
- تدريس اللغة لأغراض معينة؛
- تدريس اللغة وفق التقابل اللغوي؛
- تدريس اللغة ضمن منظومة المعجم الضيق والخاص؛
- تدريس اللغة حسب الطلب.

ومن خلال هذا، فإنني آمل من المختصين التفكير في إنجاز اتفاقيات لسانية تربوية جديدة مع الآسيويين، وإعادة النظر في التحليّ عن الآسيويين لغوياً، ويكون البدء من النخبة العربية التي تبادر بعقد التواصل المقطوع من جديد، بل يمكن أن تأتي الفكرة التجريبية من مراكز التعليم المكثف للغات بعقد اتفاقيات التعاون العلمي أو اللغوي شرط أن تبنى هذه الاتفاقيات على مقاربات ندية تكاملية ويكون التعامل اللغوي البيني في خدمة التواصل والتكامل بين الشعوب العربية والآسيوية؛ للوصول إلى منظومة جديدة وهي التي أدعو إليها (منظومة العربوآسيوية) وهذا عن طريق جسر اللغتين: العربية + اللغات الآسيوية، وتكون محدّداتها تدريس العربية في الجزائر أو في الصين مثلاً، مع دفتر التحملات الذي يجب أن ينصّ على المحدّدات العملية والعلمية التالية:

1/6— وضع استراتيجية لغوية عربية للاستثمار في تعليم العربية في آسيا: وهو بُعد استثماري كبير في هذا الوقت الذي تعرف فيه العربية توسّعاً في القارات الخمس، وما يعكسه واقع العولمة من الإسلامفوبيا والتطرّف، والإرهاب، والربيع العربي. ولهذا فالعربية دخلت سوق الاستثمار من هذه البوابة المعرفية والفكرية ولما تمثله من أهميّة تجارية تفرضها مُعطيات النفط والبتروّل. معطيات معاصرة حديثة، فيحتاج الأجنبي إلى التعامل معها بمُعطى أهلها، ومُعطى الأهل هو التعرف على اللغة العربية. ومن هنا أضحت العربية مُعطى تجارياً من غير أهلها لمعرفة

أهلها؛ في خصائصهم، وفي تفكيرهم، وفي طرائق عيشهم، أضف إلى ذلك مُعطيات التّبادل التجاري والديبلوماسية والسياسة، وفتح شركات الاستثمار أو فروع الشركات، وما يتبع ذلك من أمور الجَوْسَة. كما أنّ البلاد العربية أرضٌ بكرٌ، وفيها الكثير من الثروات الباطنية، فتحتاج إلى الاستثمار في كلّ شيء فهي سوق واسعة؛ وهذه السوق تحتاج إلى معرفة اللّغة العربية لتبادل المصالح المُرسّلة.

2/6- التركيز في الاستثمار اللّغوي على العمّالة الكبيرة التي توجد حالياً في دُول الخليج، فإذا وقع الاستثمار فيها؛ يعني الفتح الكبير للغة العربية في آسيا. بل إنّ استثمار معنوي ومادي، وفي ذات الوقت استثمار في توسيع الأداء اللّغوي للعربية وهذا يكون عن طريق:

- دورات تكوينية مدفوعة الأجر؛
- دورات إغماسية مدفوعة الأجر؛
- دورات لغوية مكثّفة؛
- إقامات عند العائلات...

3/6 - العمل على تحقيق الاستثمار اللّغوي والمادي، والتوسّع والانتشار والسمعة العالمية، كما يعني أنّ العالم العربي سوف تتجّه إليه الأنظار، وأنّ الدول الأجنبية سوف تستثمر في تعليم وتطوير العربية، مع ما يُصاحب ذلك من روابط التواصل ونشر الإنتاج العربي في حضارة مَشْرِقية مُمتدّة الجذور، وهي بين المغرب العربي والمشرق العربي، ودول آسيا غير العربية، وإجراء دراسات تقابلية مع اللّغات الأخرى، وقد يصل ذلك إلى إسقاط نظرياتٍ عربيةٍ على نظريات لغات الآخرين ويستفيد الطرفان. ولهذا هناك شروطٌ مُتلازمةٌ تستدعي وضع سياسة لغوية تدريسية استثمارية شاملة؛ ترسم من خلالها الخطوات اللازمة التي تُحقق استثماراً لغوياً ناجحاً، بدءاً من اللّغة العربية، وإلى طرائق تعليمها، ثمّ العمل على ترويجها واستثمارها. ولهذا نحتاج إلى:

- تحقيق الوعي اللّغوي والثّقافي والحضاري؛

- تنفيذ مخططات لغوية وتربوية بهدف إنجاح عمليات الاستثمار؛
 - اقتراح منهجيات تدريس نموذجية، تصلح للتواصل اللغوي السريع والفعال؛
 - وضع استراتيجيات تعليمية مدروسة تصوّن اللغة العربية وترغب فيها.
- ويجب كذلك أن نعطي الأولوية للغات هذه الشعوب الآسيوية، ونعطي للعربية مكانة تواجد في هذه البلاد، ونضع في الحسبان جانب التوسّع الديني. حيث إنّ شعوب تركيا وفارس، وجماعات معتبرة من الصين مسلمون، فأحقّ بالعرب أن يعملوا على أن تصل العربية إلى كلّ الساكنة في آسيا لفهم الدين.

7- منهجية التدريس الجديدة: وتقوم هذه المنهجية على آليات التدريس وفق خصوصيات ديداكتيكية مُعاصرة، باعتماد المنهج التقابلي، وتعليم العربية وثقافتها لغير الناطقين بها، ويمكن أن نجيب هنا عن السؤال التالي: ما هو المطلوب منّا - نحن المختصّين- ديداكتيكياً تجاه تعاملنا اللغوي مع هؤلاء الآسيويين؟ يبدو لي بأنّ المنهجية التدريسية الجديدة تُبنى على الآتي:

1/7- إلزام مُدرّس تعليم العربية للناطقين بغيرها استعمال لغة عربية فصيحة مُيسّرة وتّقادي الشرح أو الحديث باللّهجات.

2/7- مُراعاة حاجات المتعلّمين في كلّ مناحي الحياة: الاجتماعية/ السياسية/ الثقافيّة/ السياحية/ الدراسية...

3/7- تقييغ المتعلّمين حسب الخصوصيات والحاجات اللّغوية المطلوبة لكلّ متعلّم.

4/7- إجراء سلسلة الدروس بطريقة الحوارات العلمية، والندوات الدراسية والعيش في الحمامات اللّغوية؛ لكسب الاستعمال العفوي للغة العربية، واستعمال الأجهزة المُعاصرة لتبليغ العربية في صورتها الطبيعية المقبولة.

5/7- خلق جوّ مُناسب طبيعي لكلّ الحوارات والأحاديث العفوية، وتمثيل ذلك كلّما استدعى الأمر.

6/7- التكتيفُ من الحوارات، وتتبعُها سِلْسِلَاتُ كَثِيرَاتٍ من التمارين الشفاهية والكتابية والحوارات البيئية.

7/7- توظيفُ استعمالِ الحروف الجديدة التي تُوجد في اللّغات الشرقية ولا تُوجد في منظومة الخطاطة العربية.

8/7- استعمالُ الطرائق الحديثة في تبليغ النّحو العربي، وربطه بالاستعمال اللّغوي المُيسّر وربطه بأمثلة من واقع المتعلّم، كلّ في اختصاصه.

9/7- مُراعاةُ منهجيات التدريس حسب المستويات اللّغوية للدرس اللّغوي: الصرفي/ الدلالي/ المعجمي/ التركيبي.

10/7- مُراعاةُ استعمالِ اللّغة في مختلف مقاماتها، والعملُ بمصطلحات لغات الاختصاص.

— التوصيات: نحن هنا نخبة وطنية تعمل على إنتاج الأفكار، ولا نملك سلطة القرار فإننا نقترح على من يُهمّه الأمر النظر في هذه التوصيات:

1- البحثُ في كيفية ترسيخ الهوية العربية الإسلامية في البلاد الآسيوية من خلال تقديم منهجيات حديثة لتعليم العربية، وتقديم ورقات عمل في منهجية تدريس النّحو مشفوعة بوضع طرائق في إعداد المُعلّمين الأكفاء.

2- الدعوةُ إلى الاستثمار في تعليم العربية لغير الناطقين بها، وإلى فتح مخابر لغوية تختصّ في إعداد المناهج العلمية والوسائل التعليمية المختصة بتعليم العربية للأجانب.

3- الدعوةُ إلى التنافس في فتح المواقع الإلكترونية ذات العلاقة بتعليم العربية لغير أهلها.

4- دعمُ مراكز التعليم المكثّف للغات بوسائل ديدكتيكية مُعاصرة؛ لضبط مسار تعليم العربية لغير الناطقين بها.

5- الدعوة إلى تأسيس منظمة للمستعربين الناطقين بالعربية لغة أولى أو ثانية وهم يعدّون بمئات الملايين بهدف تعزيز انتشار العربية وأدبياتها وفنونها بمنأى عن السياسات والإيديولوجيات القطرية.

كلمة تأبين في الشيخ الحاج صالح[♥]

— ديباجة: باسمي الشخصي -طالب المغفور له- عبد الرحمن الحاج صالح وأقول كلمة حق في هذا العزاء، وأبدأ من قوله تعالى ﴿يَتَّيْنَهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) ﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً﴾ (٢٨) ﴿فَادْخُلِي فِي عِبْدِي﴾ (٢٩) ﴿جَنَّتِي﴾ (٣٠) الفجر. فأستأذنا رحمه الله، ترك الصدقات الجارية، ونعم الصدقات علم يُنتفع به.

— كلمة غفران: نحن في هذه الدنيا ضيوف، فلا نحزن عليها، فالضيوف لا بد أن يغادروها، ولا يطيب لهم المقام فيها، فقبورنا تُبنى، وربما ما تُبنا، ويا ليتنا نتوب قبل أن تُبنى؛ حيث الدنيا عيشها قصير، وخيرها يسير، وإقبالها خديعة وإدبارها فجيرة، ولذاتها فانية، وتبعاتها باقية، فهل اعتبرنا؟ ومع هذا، نستغفر الله ونسأل السداد، والموت حق وسنة الحياة، وكان علينا أن نزرع الضحك ونقنع بالقليل؛ فإنه الكثير إذا اقتنعنا، والكثير قليل إذا طمعنا، والبعيد قريب إذا أحببنا والقريب بعيد إذا أبغضنا وبالرضا تحلو الحياة وبالابتسامة تهون المشكلات وبالاستغفار تُقضى الحاجات وبالدعاء تتحقق المستحيلات.

شيخنا رحمك الله، إنّ بلدك الجزائر عظم مقامكم، وأنتم جديرون بالاستحقاق الذي أسبغه عليكم فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة، بتلك التعزية التي أشاد فيها فخامته بمقامكم العلمي، وبما قدّمتموه للوطن العربي من مشاريع وأفكار تُحسب لميزان حسناتكم. ومن خالكم يتملّ هذا الفعل في اهتمام الدولة الجزائرية بالعلماء؛ فهم القوة المبنوثة في جسم الدولة، فيحصل لهم التكريم

♥- كلمة عزاء ألقيتها في اتحاد المجامع اللغوية العربية والعلمية بتاريخ: 8 مايو 2017، في مقرّ الاتحاد في مدينة 6 أكتوبر. وهذا بمناسبة تأبين فقيدي مجمع اللغة العربية وهما: فاروق شوشة + عبد الرحمن الحاج صالح.

في الحياة، ولا تنسى أفكارهم في الممات. وعهدي أنّ المسؤولين في وطننا يُعظّمون العلماء ويشجّعونهم ويتّخذونهم مستشارين في تقديم الأفكار، أو حصول معضلة، وكذلك يستقدمونهم ويكرّمونهم؛ فهم لُمع الأمة وهُدايتها. وأنت يا شيخي منهم، فكنتَ جديراً بمقامك، بما لك من علمك وعالميتك، وما أنتجتَه ممّا يخدم الشأن العامّ.

— **شيخي مع المجمعين:** أراك اليوم بين المجمعين، وأنت حيّ بينهم، ومع من لا يتتّكرون لأصحابهم عندما يكونون أحياء، وعندما يموتون يصبحون لهم أوفياء والأمة العظيمة هي التي يحترم فيها العالمُ عالماً، ويستذكرونهم وهم رموس؛ لأنّهم من العقول الراقية التي تتكلّم في الأفكار فقد تعودوا السير في الطريق الممهّد؛ فيصعب عليهم أن يقبلوا مطّبات الطريق. فهم يشهدون أنّك كنت دائماً تُعطي وكنت دائماً تتصح وتوجّه، وكنت دائماً تزرع وتأمّل، ولم يخب ظنّك، فقد تركت زملاءك المجمعين فيها هو اليوم يذكرون خصالك.

يا شيخي، إنّه ليرتفع منهم صوتُ المعنى لا الصوت فقط، فإنّ ما يجعل الزهر ينبت ويفتّح هو المطر لا الرعد، فهم الطيّبون الذين لا تتغيّر صفاتهم حتى ولو تغيّرت أحوالهم؛ فالكريم يظلّ كريماً حتى لو افترق؟ وهكذا علّمتهم الحياة، فيقولون: إنّها سنّة الحياة، والموت حقّ، ولا بدّ من فراق؛ شئنا أو أبينا حيث لن نتعافى دون أن نتألّم، ولن نتعلّم دون أن نخطأ، ولن ننجح دون أن نفشل، ولن نحبّ دون أن نفقد. أيّها المجمعي لقد افترقت، فعجباً كيف نبكيك، والبكاء للضعفاء، فأنت لست ضعيفاً أنت أيّها المجمعي لا تزال تُطرب مثل الكبار، لأنّك من سلالة الكبار، من سلالة الخالدين، والخالدون لا يموتون. أنت أيّها المجمعي مجموعة طريفة من المعاني التي يشير إليها اسمه، ويفترق الزمان لأمثالك، ولو عرف الناس قيمتك ما باعوك بكنوز كسرى وقصر، ولكن هي دورة الحياة التي تقول: لا بدّ من المغادرة وسوف تتكسر المغازل، وتبقى الذكرى في الأذهان ويخلدّها الزمان، بما تركت من علم، وما كنت تسديه من توجيه، وما كنت تقول في محافل هذا المجمع: عليكم بالتراث، وتمسّكوا بالأصالة؛ فهو منجاة من تدمير الأمة، وعليكم الاهتمام بالرفع

من مستوى التعليم؛ لأنّ تدمير أمة لا يحتاج إلى قنابل ذكية، بل يُعتمد فيه على تخفيض نوعية التعليم... وكنت تنصح وتقول: لا تقفوا في عمق التراث، دون الإبحار على ضفاف الحداثة فهو النقلة النوعية المعاصرة التي تخلق الاستقامة في العلم، والجمع بين المحاسن ولا تتبعوا الثمين بلا ثمن؛ كي لا تشتروا الرخيص بأعلى ثمن. واليوم نراك مع الصفوة التي تحمل الهمة وتنشد الرفعة، وتخرج للعلن وتقول ما قيل:

وفرزُ النفوسِ كفرزِ الصخورِ ففيها النفيسُ وفيها الحجرُ
وبعضُ الأنعامِ كبعضِ الشجرِ جميلُ القوامِ شحيحُ الثمرِ
وبعضُ الوعودِ كبعضِ الغيومِ قويُّ الرعدِ شحيحُ المطرِ
وكم من كفيفٍ بصيرٍ الفؤاد وكم من فؤادٍ كفيفٍ البصرِ
وخيرُ الكلامِ قليلُ الحروفِ كثيرُ القطوفِ بليغُ الأثرِ

— **شيخي المغفور له:** من خلال موقعي كطالب، أقول: إن زملائي يؤبّونك وأصدقاء يشهدون بمنافع علمك، ويدّلون بشهادات وفاء، فأنت حيّ بيننا، فنعم العالم أنت، وهذه الوجوه لا تنتكر لعلمائها ودينهم في ذلك تلك الحكمة التي تقول: "إذا أردت أن تزرع لسنة؛ فازرع قمحاً، وإذا أردت أن تزرع لعشر؛ فاغرس شجرة" وإذا أردت أن تحيي رجالاً؛ فاستثمر في الزملاء. شيخي لقد أحبيت، وأينع القطف وكان حقاً على من كانوا يُعولون في أبحاثهم عليك ألا ينسوك. وكاتب هذه التعزية يُقرّ بأنك أهديت له اهتمامك خلال اثنتي عشرة (12) سنة، وكان يجالسك طالباً خجولاً يخاف عالماً صارماً، يخاف أن تصدر الفرطات والغلطات ومن ثم يُحاسب عليها حساباتٍ، ولكنه لا ينكر أنه أخذ الكثير الكثير من علمك الذي لولاه ما كان هنا هذا اليوم.

شيخي أنا من الطلبة الذين ظلّ كتفهم يتّسع لأستاذي بكلّ رحابة وصدر وكانت بيني وبينك علاقة علم على ما يُرام، وما كان يمكن أن يحدث التغيير المنيف؛ لأننا صادقان في مشاعرنا، ونادراً من يبقون كما عرفناهم أول مرة، وأشهد أنني قمتُ

بالواجب، إقراراً بأنّ لُقياكم ودروسكم أنبتت الثمرَ وأنتم زرعتم النبتةَ، ولولا النبتةُ ما كانت الشجرة. وأقول في حقكم ما قاله المتنبّي:

أبلغ عزيزاً في ثيابا القلب منزلةً إنّي وإن كنتُ لا ألقاه ألقاه
إنّ طرفي موصول برؤيته وإن تباعدَ عن سكاني سكناه
يا ليتّه يعلم أنّي لستُ أذكره وكيف أذكره إذ لستُ أنساه
يا مَنْ توهم أنّي لستُ أذكره والله يعلم أنّي لستُ أنساه
إنّ غابَ عني فالروح مسكنه من يسكن الروح كيف القلبُ ينساه

— **شيخي واللسانيات:** في البدء كنتُ تقول لنا: (علم اللسان) ثمّ تميل إلى وزن (اللسانيات) قياساً على (الرياضيات) وأنت من الذين رضعوا علم الرياضيات التي أنتجت اللسانيات، فلُقيتُ بأبي اللسانيات التي كانت صناعتك، ولم يكن اللحن حرفتك، وعنك تعلّمتنا السيميائيات والتداوليات، وعرفنا هانس وأوستين وغوفمان وسوسير وتشومسكي. وكنتُ دائماً تذكر الحقائق المنطقية، وأحياناً تميل إلى القياس أو الرجحان، وتقول: هذا ما فعله العربُ في المثال المنطلق من الباب، وصولاً إلى الحدِّ والمنوال.

شيخي فكرتك العلمي أوصلكَ إلى اسكتناه التراث، وعرفتَ الفكرَ الغربيَ ومن ذلك ناطحتَ دو سوسور، وأبنتَ عيوبَ النبوية، وخالفتَ بعضَ شجريات شومسكي، وكشفتَ بأنّ النظريةَ الخليليةَ الحديثةَ أصلحُ لقراءة تراثنا قراءة معاصرة. وقد قيل لكم مرّة: كيف تحقّق لكم ذلك، فقلتم: أخذتها من ذلك الحكيم الذي قيل له: من أين تعلّمتَ الحكمة؟ قال: من الأعمى؛ حيث لا يخطو خطوة حتى يتحسّسها بعصاه. فأنا تحسّست مواطن المنطق في تراث العرب، وفي سرعة الاستجابة في وسائل الغرب، ومزجتُ بينهما وصولاً إلى الربط بين الأصالة والحداثة، وكلاهما ينطبقان على بعض، وكذلك الرغبة الذي لا ينشطر إلى شطرين لا يُشبع.

— **شيخى واللغة العربية:** ممّا درسته وما رصدته عن شيخى وهو يلقي محاضراته ويكتب أفكاره، وأشهد بأنّه كانت تؤلمه بعض الهنات التي تخذش العربية، وهي تصدر من الخاصّة، ويقول: إنّ هؤلاء يستهينون بمكوّن الهوية الوطنية، وهي عربية القرآن، والعربية لا يجب أن تُلصق بها هذه الأخطاء والركاكة والتهجين، وتجب المحافظة والزيادة في تألقها. فلا شكّ أنّ اللغة العربية أهمّ مكوّن حضاري ضمّن للعرب انسجامهم الفكريّ وأمّنهم الثقافي قرونًا عديدة ارتكازاً على وحدة المرجعية اللغوية في العلوم والمعارف، وفي انسجام تامّ مع أنساق لغوية في التواصل العامّ. وإنّ أمر اللغة العربية اليوم أضحى في البدء وفي الختام قضية استراتيجية ومصيرية، وليس ترفاً فكرياً، أو ردود أفعال عاطفية لأنّ اللغة ليست مجرد ألفاظ وتراكيب وصيغ وأساليب فحسب، بقدر ما هي مكوّن من مكونات الأمة وقوام وجودها المعنوي، وأساس امتدادها الفكري والتاريخي وحجر زاوية أمنها الثقافي والحضاري؛ باعتبارها السجلّ القديم التي حفظت للعرب مقوماتهم الثقافية والتاريخية والحضارية والتراثية والنفسية والرمزية عبر الزمان فهي بحق صمّام الأمان في ترابط المجتمع وتماسكه وانسجامه واستمراره. ومن خلال ذلك كان المرحوم يدعو إلى:

— إلزامية استعمال اللغة العربية في جميع المعاملات الإدارية؛

— توظيف اللغة العربية في مجال التدريس بمختلف المراحل والأسلاك والمؤسسات التعليمية وخاصة في التعليم العالي؛

— إيجاد مؤسسة وطنية تعمل على خدمة اللغة العربية، وتمكينها من اتخاذ القرارات العلمية اللازمة لتعزيز اللغة العربية، وتعميم استعمالها في جميع المجالات؛

— العمل على أن تكون القوانين المنظمة لوسائل الإعلام بمختلف أنواعها منسجمة مع بنود الدستور وقوانينه في شأن اللغة العربية، ومحاصرة الفوضى اللغوية السائدة في هذه الوسائل، التي تناقض أهداف تكوين الناشئة في السلامة اللغوية؛

— رفض الدعوة إلى التلهيج، لأنها دعوة إلى التفرقة، ورسم الأخاديد بين مكونات المجتمع العربي وإهدار للطاقات التي يجب أن تُصرف في خدمة اللغة العربية الجامعة.

— **شيخي والمشاريع الكبرى:** أتمنّاه مرجعية دالة على نوعية المثقّف المتضلّع في العربية والمُتقن للغات الأجنبية من الطراز العالي، وذلك ما أكسبه النظريات الاستشرافية في بناء المشاريع الكبرى ذات العلاقة بالنظرة المستقبلية؛ لتحسين الوضع اللساني من خلال تلك المشاريع، فمن الرصيد الوظيفي المغاربي إلى الرصيد اللغوي العربي، وإلى توحيد المصطلحات اللسانية، وإلى الذخيرة اللغوية وإلى حوسبة العربية... وكلّها مشاريع تحمل أمل التطوير بحُسن التدبير. شيخي أنت بحق أجدراً أن يُطلب في أعمالك الجدّ، ويُوقَفَ عليها الحدّ، وهي مراحل يجب أن تُقطع. فالصرامة العلمية لك هي الطريق السليم، والتطبيق الميداني هو التقويم والتقويم، ومن ثمّ مواصلة البناء على ما مضى لا البدء في كلّ مرة على هوى.

— من أقوال شيخي:

— لا تُسهّموا في بناء المطبّات، وبعض المطبّات تعمل على التعطيل وليس على التحذير.

— لا خيرَ في شباب لا يعمل على التطوير، ولا يقبلُ فضلَ التغيّر أو حُسنَ التدبير.
لا قيمةً لخشبٍ أمام الذهب، ولكن إذا أوشكت على الغرق، فالخشب لا يذهب والذهب يذهب.

— سرُّ نجاحك أن تعملَ على التغيّر الذاتي؛ فأبدأ بنفسك.

— ليس هناك عصا سحرية للنجاح، فالنجاح يحظى به المكافحون، فلا شيء يتحقّق بالصدفة، بل يتحقّق كلّ شيء بالتماس الأسباب.

— من كان على صواب، وتمكّن من التراث، سيجد المضايقات، ففي البداية يتجاهلونه ثمّ يستهزئون منه، ثمّ يحاربونه، وفي الأخير ينتصر.

— من الصعوبة أن تُغَيَّرَ المألوف، ولكن ليس من المستحيل، فاقصدُ إلى قِمَمِ الأشياءِ تَدْرِكُهَا. ولا تنسَ ما يقوله الشاعر:

تجري الرياحُ كما تجري سفِينَتَا نحنَ الرياحُ ونحنَ البحرُ والسفْنُ
إنَّ الذي يرتجي شيئاً بهِمَّتَه يلقاه لو جارتَه الإنسُ والجنُّ

— **شيخي الجليل:** لقد افْتَقَدَكَ زملاؤُك في هذا المقام، وأرى الوحشةَ قائمةً، مع تلكِ الهمةِ الثابتةِ من زملائك، ولكنِّي متفائل بالخير؛ لأنَّ ما زرعتَه من الصلاحِ ستثمرُ بكلِّ فلاحٍ فأنتَ العبدُ الصالحُ الفقيرُ إلى الرحمان، ستعود كما يعود الشهداء بالركبان، وستحمل أفكارُك ثمارَ النجاح، بما لها من ركائزٍ ملاح ولكن أنعمَ بها من رواح!

— **خاتمة:** أيُّها المجمعون، من خلال هذه الكلمة البسيطة، رأيتُ أن المَحَّ بمُلحٍ من الأدب، ليس إمتاعاً لذوي الألباب والأرب، لكن رأيت ذلك ضرورة؛ لأنَّ القلوبَ تَمَلُّ كما تَمَلُّ الأبدان، ولذلك ابتغيت لها طرائفَ الحكمة الطنَّان. وفي هذا اليوم التَّأْيِينِي الخاصَّ ينال القاعةَ ما هو من الخاصِّ؛ فنهديه لروح شيخنا الحاج صالح الهُمام، الذي نروم أن ينالَ أجرَه على الدوام، ويكون منهجاً نستذكر فيه علماءنا، ونجعل هذا عبرةً لأولادنا، علَّنا نزرع ثقافةَ الاحتفاء بمن يستحقُّون الاحتفاء كي لا يتجاهلُ اللاحقون فضلَ السابقين، وتكون من ثقافة العاملين فالحضارة تُبنى على التراكم، وما يزيد قيمة في التقاوم فالسابقُ يَضَعُ لبنَةً واللاحقُ يُضِيفُ لبنَةً، وهكذا دواليك إلى كلِّ من حواليك.

أيُّها المجمعون: رحمَ الله الشهداء، وباركَ الله فيكم، وأدامَ عزَّكم، الله نسألُ التوفيقَ والسداد، ونِعَمَ الحضورُ أنتم، ونقول لشيخنا: نَمَّ هَنِيئاً، وَقُرَّ عَيْناً، وَغَفَرَ اللهُ لَنَا جميعاً والسلام عليكم.

المعجم التاريخي للغة العربية[♥]

المقدمة: أبدأ هذه المقالة باقتطاف أربعة أبيات من قصيدة قالها الشاعر (محمد البرعي) في حقّ مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وقوله الحقّ والصواب إذ يقول:

يا مجمعَ الفصحى وحصنَ تراثها لا زلتَ ظلاً للبيان ظليلاً
قد كنتَ منذ نشأتَ قوةَ عزّها تقضي لاحقاً عليك نبيلاً
واليوم قد هبّت عليها عجمةٌ كانت على لغة البيان وبيلاً
فانهضْ وخذْ بيدَ البيان فإنّه لم يرضَ غيرك للبيان كفيلاً

هذا المجمع اللغوي الذي فكّر وقدّر ثمّ طمح يوم تأسيسه في إنجاز مشروع **المعجم التاريخي للغة العربية** ولكنّ ظروفًا حالت دون ذلك، واستبدل المشروع بإنجاز **(المعجم الكبير^{♥♥})** ويكبر الإجلال في هذه المؤسسة اللغوية الكبيرة تبنّيها لاتّحاد المجامع اللغوية العربية مقراً ونفقةً ورئاسةً، فأعظمّ به من تبنّي! واليوم على عاتق اتّحاد المجامع العربية إنجاز **المشروع العملاق**، مشروع العصر؛ وهو إنجاز **المعجم التاريخي للغة العربية**؛ مشروع تقادمت فكرته وطالت غربته، وتأتي أيادي كريمة تبعته، وهذا من خلال المكرمة السخية لسمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتّحاد وحاكم الشارقة؛ الذي تبرّع بتمويل بناء مقرّ لاتّحاد المجامع اللغوية العربية بالقاهرة بالإضافة إلى تمويل إنجاز المعجم

♥ — محاضرة ألقاها رئيس المجلس في رحاب اتّحاد المجامع اللغوية، بمناسبة انعقاد دورة المجلس العلمي للمعجم التاريخي. القاهرة: 9 مايو 2017.

♥♥ — لقد راعى المعجم الكبير إلى حدّ ما بعض الخطوات العلمية التي ينشدها المعجم التاريخي من مثل: أصل الكلمة، استعمالها، ترتيب المادة حسب المعاني، التدرّج في المنلولات من الحسيّة إلى المنلولات المعنوية، الاستشهاد من خلال النصوص بالشعر والنثر، مراعاة اختلاف العصور ترتيب الشواهد تاريخياً...

التاريخي للغة العربية. ومن هذه المكرمة من يدّ سموه تأسّست **هيئة المعجم التاريخي** بالقاهرة، كما تأسّست هياكل الهيئة، ونُصِّبَت في مقرّ المجمع اللغوي بالقاهرة يوم 2 فبراير 2008م. ومن هنا نقول: إنّ المعجم التاريخي للغة العربية هو مشروع النهضة العربية في كلّ مرافقها، وهو المشروع المعاصر الذي يجب أن نوليّه ما يستحقّه من أهميّة لعدّة اعتبارات حضارية ودينية وخليقة وفكرية، وله أبعاد عميقة في محيطنا الواقعي، ومن هنا فإنّ:

➤ المعجم التاريخي عمل جبّار، سوف يكشف عن كنوز العربية، وعن معارفها التي ظلت مجهولة كما يؤرّخ للعربية على اعتبار أنّها ديوان لتاريخ العرب والمسلمين؛

➤ كلّ من فكّر في هذا المشروع الحضاري مشهود له بسعة الأفق والنظر إلى المستقبل بعين الحداثة وإلى اللغة العربية بعين التحديث، عاكساً امتدادها وأصداها الإنسانية، ويشهد له التاريخ أنّه موسوم بالغيرة والصدق والإخلاص والأحقّ أن يخلد اسمه؛

➤ من بعث مشروع المعجم التاريخي في الوقت المعاصر -بعد البيات الطويل- لهو شخص حضاري يحتاج إلى تمجيد وتكريم، ويشهد له بالغيرة والتحدّي، وأنّه رجل أصيل؛

➤ الذين يعملون في هذا المعجم سيكونون جنوداً لخدمة العرب والعربية فهم قافلة إعادة صياغة البرنامج الإصلاحي للغة العربية، فيعْمُهم ونِعْمُ ما يقدّمون عليه من تسجيل وتدوين لحضارة عظيمة، ولكشف لغوي هام وإصلاح لغوي معاصر؛

➤ نجاح مشروع المعجم التاريخي يعدّ مدخلاً للتشجيع، ودخول حقّ الجودة وأسواق المنافسة، مع مواجهة التحديات من خلال تفتّح علمي ورزانة فكرية ومرونة عقلية؛

➤ اهتمامنا بالمعجم التاريخي؛ يعني أننا نحتكم إلى التاريخ الذي يظهر لنا قِدم العربية، وتتجلى لنا فيها السيطرة العامة على العلوم وألوية الترجمات فيرينا ذلك مساحة العربية من الذبوع في المهجر وعبر بلدان الشرق الأدنى؛

➤ الاهتمام بالمعجم التاريخي للغة العربية يعني تحليل مقاصد الإصلاح والتحديث على المستوى الثقافي العربي والإسلامي، فالحاجة ملحة لتطوي المساق المنهجي الذي اتجهت إليه الدول العربية في وقتنا الحاضر إلى تطعيم علمي يلحقها بآليات العصر، ووفق ما تقوم به الدول العربية في مجال الاهتمام بلغاتها؛

➤ العرب سيقومون بهذا الإنجاز، وسيكونون في مستوى لغتهم التي لا تدانيها لغة على وجه الأرض.

إنّ المعجم التاريخي للغة العربية سيكون مرآة للحياة العربية بكلّ جوانبها وسيربط حاضر العرب بماضيهم فهل يصبح الحلم حقيقة؟ وهل نعمل بالفعل والقوة على تجسيد مَعْلَمنا الحضاري المعاصر؟ وهل يمكن الإلمام بكلّ تراثنا في هذه المَعْلَمة الجامعة؟ وهل نكون في مستوى التحدي لترسيخ عربيّتنا في شموخها بوضع آليات الانطلاق؟ وهل تفعل آليات اللغة العربية من خلال المعجم التاريخي؟ وهل نستطيع إنجازها في أقرب الآجال وفي أقلّ وقت ممّا هو متصور؟ وهل يقع استغلال التقانات المعاصرة؟ وهل نطمح لغد أفضل بوجود مدونة محوسبة للغة العربية وفي أشكالها المتنوعة؟ وهل يمكن أن نستدرك التأخير؟ وهل وهل وهل... وما ذلك بعزير؛ إذا صدقت النيات وشُدّت العزائم.

لقد شرّفني رئيس اتحاد المجامع اللغوية العربية، ومجلس الأمناء للمعجم التاريخي للغة العربية بتعييني عضواً في المجلس العلمي للمعجم التاريخي للغة العربية؛ نظراً للجهود العلمية التي أقدمها لخدمة اللغة العربية، ولما أنجزته من أعمال وخبرات في مجال إشكاليات المصطلح والمصطلحية وصناعة المعاجم وال حلول المقترحة لتنميط المصطلح العربي خاصة العلمي منه، ومن خلال هذا التعيين يعني أنّ مجلس الأمناء فسح لي مكاناً في هذا العمل العلمي الموقر تحت

مظلة المشروع العملاق؛ مشروع القرن المعاصر، وأعبر بصدق عن هذه الثقة الغالية التي طوّقت عنقي وأرجو أن أكون في مستوى هذا الانتساب. وأعاهد نفسي على بذل جهدي لخدمة أغراض هذه المؤسسة؛ مرتسماً خطى السابقين ما لم تكن خطأً، ومواصلاً العمل إلى أن يأتي أكله.

لقد حضرت الجلسات العلمية الأولى للمجلس العلمي في مقرّ المجمع اللغوي بالقاهرة بالزمالك أيام 2-8 فبراير 2008م ♥. ولما بدأ النقاش حول تعريف المعجم التاريخي وعن أهدافه، وخصوصياته ومتنه، وكلّ متعلّقاته رأيت سوء فهم عند بعض الزملاء، كما رأيت تضارب الآراء لدرجة التباين ولقد بدت صورة غير مستقرّة عند بعض أعضاء المجلس العلمي، حيث يغفل البعض منهم الآليات العملية لوضع الترتيبات الأولية لهذا المشروع الطموح، كما يفتقر بعضهم إلى تمثّل فكرة المعجم التاريخي بقوة، إضافة إلى غياب المفهوم العلمي لخصائص ووظائف

♥- إليكم القائمة الاسمية بأعضاء المجلس العلمي:

مصر	كمال بشر، مديراً عاماً للمؤسسة،
تونس	إبراهيم بن مراد، عضواً،
السعودية	أحمد بن محمد الضبيّب، عضواً،
فلسطين	أحمد شفيق الخطيب، عضواً،
السودان	بكري محمد الحاج، عضواً،
لبنان	رمزي منير البعلبكي، عضواً،
الأردن	سمير محمود أحمد الدروبي، عضواً،
الجزائر	صالح بلعيد، عضواً،
المغرب	عبد الهادي التازي، عضواً،
ليبيا	علي الصادق حسنين، عضواً،
العراق	علي القاسمي، عضواً،
سورية	مازن المبارك، عضواً،
مصر	محمد حسن عبد العزيز، عضواً،
مصر	مصطفى حجازي، عضواً،
غائب	ممثل عن المجمع العلمي العراقي،

وأهداف المعجم التاريخي والفروق المنهجية بين المعجم التاريخي والمعاجم الخاصة أو العامة، والفروق بينه وبين دوائر المعارف وكذلك الفروق بينه وبين الموسوعات، بله الحديث عن الجوانب الأخرى من مثل: عدم وضوح منهج الحيازة/ عدم وجود طريقة البرمجة/ عدم تقدير أهمية المشروع ومدة إنجازه. وقد يكون بعض الأعضاء معذورين لعدم اختصاصهم، وبعضهم لم يكونوا على اطلاع بفكرة المعجم التاريخي بتاتاً. ومن هنا انبريت بهذا العمل لتوضيح احتياج اللغة العربية للمعجم التاريخي وتحديد مفهومه، وخصائصه وأهدافه وكيفيات الإنجاز؛ مروراً بالإجراءات التي رأيت ضرورة تبنيها في المشروع في مبدأ الأمر إلى أن يستجدّ الجديد.

كان في نفسي رغبة في تقديم مقالة (مقاربة) علمية باستقراء الأفكار السابقة والتصورات التي قدّمت في مجال المعجم التاريخي؛ بغية التوضيح والمساهمة وإزالة ما كان غامضاً، إلى جانب ضرورة وضع المعجم التاريخي على محكّ الاختبار؛ بالشروع فيه، بعد هذا التأخير الذي مسّه، ولا شك أن عمليات الشروع سوف تكشف عن ثغرات وسوف يقع سدّها، كما سيقع استدراك المنسي وإضافة الجديد الطارئ، والمهمّ الآن أن تحصل الانطلاقة الواثقة. وسوف أركّز القول على الخطوات الإجرائية والمنهجية التي تجعل المشروع يدخل المراحل العلمية والعملية بخطى واثقة وقوية، وفي نفسي رغبة صادقة في تقديم ممارسة بسيطة لحرفة المعاجم، والتي تعمل على تحسين الأداء العلمي للمعجم التاريخي للغة العربية، وهذا عبر الطموح الطافح لتحقيق المشروع القومي المعطل منذ أمد بعيد وسبق أن دعوت في ملتقيات الذخيرة العربية إلى تكاتف جهود الذخيرة العربية -التي تُتجزّ في الجزائر- مع المعجم التاريخي للغة العربية -الذي بدأت معالمه تظهر- إلى الإفادة من بعضهما البعض، أو دمج المشروعين في مشروع عربي واحد؛ كي لا يتكرّر العمل وتضيع الجهود والأموال.

لقد رأيت ضرورة الإدلاء بما بصّرت به من دراية متواضعة في أمر المعجم التاريخي للغة العربية فالجهد جبار، يحتاج إلى سواعد ثقل الحديد ويحتاج إلى

انطلاقة صارمة في مسألة وضع المنهجية الدقيقة والبرمجة الآلية (الحاسوبية) فهما باب الوقوف على الأرض الصلبة، فإذا اختلَّ المنهج أو البرمجة أو الطريقة يبقى العمل ناقصاً، وتحقق به آيات النكران. ولكننا الآن نحتاج في هذه المرحلة إلى وجوب الانطلاق في مشروع القرن، أو مشروع الألفية الثالثة، فالانطلاق هو الذي يوضّح بعض المعطيات التي يجب أن تُسلك، كما يُجلي الكثير من الالتباسات، فلا بدّ أن ننطلق في مَعْلَم حضارتنا وسياج هُويتنا في القرن المعاصر.

إنّ عملي هذا مساهمة في إبداء رأيي في كفايات الإنجاز، وفي المبادرات والأفكار والخطوات التي تتخذ في عمل المعجم التاريخي وهو في خطواته الأولى إلى المرحلة النهائية، وعسى أن أفيد ببعض الأفكار التي قد تعمل على التصويب أو التوجيه، فما خاب من استشار، ووسّع الفكرة واستنار.

سأقسم العمل إلى جزأين أساسيين هما:

— الجزء النظري: وفيه أستعمل لغة المرافعات والمنافحات بالحديث عن احتياجنا للتأريخ للغة العربية وما يلحق ذلك من تعاريف، ومواصفات ووظائف المعجم التاريخي... وما يتبع ذلك من استراتيجيات وظيفية تسهّل عملية إنجاز معجمنا التاريخي، وهذا بوعي الأهمية التاريخية والعلمية لهذا المعجم والنقيصة الكبيرة التي تعاني اللغة العربية من عدم وجوده، دون مقارنة العربية باللغات الأخرى التي تحتكم إلى المعجم التاريخي، والعربية لا تتوفّر عليه، ويضاف إلى ذلك أن كلّ تأخير فيه يسبّب نقصاً في المعلومات.

— الجزء التطبيقي: سيكون الحديث فيه عن الإجراءات العلمية والعملية والمنهجية العلمية والتطبيقية التي أرى ضرورة تبنيها في هذا المعجم، وما هي مستلزمات مراحل الإنجاز إلى غاية الإخراج، وسوف أتجاوز ثقافة الكلام وتقديم التوصيات، إلى ثقافة الفعل والإنجاز، والاتجاه إلى تحديد المشروع وصناعة برامجه وإنتاج تقنياته، وهي الخيار الأمثل لدخول مسارات الفعل بالقوة.

الجزء النظري

إنّ تدوين تاريخ اللغة العربية يعني تدوين لعبقرية لغة لا مثيل لها في التاريخ لغة شهد بعظمتها المعاندون دون الحديث عن المخلصين لها، لغة خدمها بقوة عرب وكثير من العجم، فبالعرب بقيت وبغير العرب ارتقت، وهذا للخصوصية التي تحملها ولا توجد في اللغات الأخرى؛ لغة خدمها وأنصفها كثير من المستشرقين؛ فهذا (جرونباوم) يقول في مقدّمة كتابه (تراث الإسلام) "إنّ اللغة العربية هي محور التراث العربي الزاهر وهي لغة عبقرية لا تدانيها فيها لغة في مرونتها واشتقاقها، وهذه العبقرية في المرونة والاشتقاق اللذين ينبعان من ذات اللغة جعلتها تتّسع لجميع مصطلحات الحضارة القديمة بما فيها من علوم وفنون وآداب، وأتاحت لها القدرة على وضع المصطلحات الحديثة لجميع فروع المعرفة كما يقول المستشرق الألماني بروكلمان الذي أرّخ للفكر والتأليف العربيين في العصر الجاهلي حتى الآن في سلسلة كتبه الشهيرة وتاريخ الأدب العربي، يقول: إنّ بفضل القرآن بلغت اللغة العربية من الاتّساع مدًى لا تكاد تعرفه أيّ لغة⁽¹⁾". فإذا وقع التنويه باللغة العربية من قبل المخلصين الذين يعرفون القيمة العلمية والروحية لهذه اللغة، فيعني ذلك الإنصاف ثمّ الإنصاف، كما لم ينكر المعاندون ذلك، رغم ما يبدونه من أقوال على هذه اللغة التي يرون فيها -في الوقت المعاصر- أنّها لا تلبي آليات العصر، وأنّها تجاوزها الوقت، ويعني -في نظرهم- التخلّي عنها؛ لأنّها لا تستجيب لآليات المعاصرة، ويقبحون فيها هذا البعد الزمكاني الذي لا يوجد في كلّ اللغات، ومن هنا يرون فجوة كبيرة في صعوبة السيطرة على مدوّنتها الطويلة والضخمة، ويعني ذلك صعوبة التأريخ لها.

يمكن أن نقول: إنّ ليس بالأمر اليسير السيطرة على مدوّنة اللغة العربية في القريب العاجل، فليست المسألة مسألة سنة أو سنوات، فالعمل يحتاج إلى سنوات

(1) — ع/ محمود حافظ، كلماتي مع الخالدين. القاهرة: 2006، مطبوعات مجمع اللغة العربية بمصر، ص 37-38.

طوال، وإلى أحقاب متعاقبة؛ حتى تستوي الأمور خلقاً سوياً، ولكن ليس بالمستحيل حصول ذلك وليس صعباً ربط الحلقة القُدمى بالمعاصرة وكلّ ما نحتاجه هو **الجمع المحوسب** الذي يردم هذه الفجوة الطويلة، فمن السهولة أن نتابع أعمال السلف في متابعة الجمع الشامل الذي خضعت له اللغة في البدايات الأولى، وهذا ما يراه الأستاذ صادق عبد الله أبو سليمان؛ والذي يقترح استدراك ذلك عن طريق الحوسبة الآلية، فيقول "ويتمّ بمراجعة جمع القدماء لها، ومتابعة جمعها بعد عصور الاحتجاج حتى اليوم، ومواصلة هذا العمل بعده، وسيوفّر هذا الجمع المحوسب للغة العربية معلومات لم يكن من السهل الحصول عليها بالعمل البشري المحض؛ حيث سيظهر الاستقراء المحوسب للغة العربية تأريخاً شاملاً للغة في المفردات والتراكيب والأساليب، وسيكشف عن قديمها الذي خفّ استعماله أو انقرض أو استمرّ في العصور التالية وسيفصح عمّا جدّ فيها في مراحل العربية المتعدّدة، وليس لها وجود في المعجمات العربية التي تقيّد واصفوها بفلسفة اللغويين القدماء في دراسة اللغة، ولا سيّما تقيّدهم بأصول نظرية الاحتجاج، حيث سيعين على الكشف عن ملامح التغيّر في اللغة؛ كظهور ظواهر صوتية أو صرفية أو تركيبية جديدة واختلاف دلالات الألفاظ والتراكيب في العصور أو البيئات العربية المتنوّعة وسيتمكن العلماء بأوامر محوسبة من ترتيب اللغة زمكانياً، وتصنيفها سياقياً وعلمياً... إلخ.⁽¹⁾ ". وهكذا نرى بأنّه لا يوجد المستحيل في تقادم عهد العربية أمام التقنيات المعاصرة فيمكن استدراك التأخير إذا وقع الاهتمام بتوظيف الآليات الحديثة، أي الرقمنة المعاصرة، وتشقيق خصائص اللغة العربية، ضمن الفعاليات التي حُوسبت بها اللغات في الوقت المعاصر، وهذا ما نراه على سبيل المثال في معجم الذخيرة الفرنسية أو الموسوعة البريطانية...

(1) — "نحو استثمار أفضل للحاسوب في مجالات خدمة اللغة العربية وعلومها" مجلة المجمع الجزائري.

إنّ المعجم التاريخي للغة العربية المنتظر، فعلاً سيكون معجزة العرب أجمعين فيحتاج إلى تناول المسائل عن طريق الجمع والضمّ والعمل الدؤوب والطلب الحثيث من بدايته إلى النهاية: تصنيفاً ونقلًا وتدويناً وتفسيراً وشرحاً وسرداً وإحاقاً واستقراءً وتخريجاً... كلّ لفظ مهما علا وانحطّ، كان مستعملاً أو مُماتاً مهجوراً أو عقمًا أو نادراً أو نادياً... يحتاج المعجم التاريخي المنتظر إلى تتبّع المادّة إحصاءً وعداً وشرحاً وتفصيلاً، وتعليلاً، وتأويلًا... كما يحتاج إلى تناول كلّ لفظة بدراسة تطوّر دلالتها ومدلولها، وبنائها واشتقاقها، ووزنها، وتصريفها وإحاقها، يحتاج كلّ لفظ إلى مراعاة اعتباطيته وتكييفه، وتصويته، وتعقيبه واستدراكه، وتحقيقه وتمكينه، وتذكيره، وتأنّيته وإفراده، وتنثيته وجمعه، وتقبيده وإطلاقه. إنّ المعجم التاريخي لا يستثني جنساً أدبياً ولا يغفل علماً من العلوم ولا فناً من الفنون فالمشروع وإن كان لغوياً فهو متعدّد الوجوه "بحسبان أنّ التأريخ للغة هو تأريخ للحياة العامّة في تطوّرات مسيرتها منذ أن نطق الناس بهذه اللغة أو تلك"⁽¹⁾ إنّ عمل المعجم التاريخي للغة العربية ليس المقصود منه الفهرسة، بل يستهدف دراسة التطوّرات الدلالية عبر العصور بالتدقيق والتمحيص وإعمال النظر.

1- احتياج العربية إلى التأريخ للغة العربية: إنّ المعجم التاريخي ضرورة لا غنى عنها، فهو الأداة الوظيفية المتعدّدة الأهداف، وذاكرتنا التي تضبط رصيدنا المعرفي ومرجعنا الأمين؛ يؤرّخ لقضايانا ويوصلها من خلال ما فيه من شواهد على نمو اللغة العربية الطبيعي والمجتمعي. والتأريخ للعربية يجب أن يأخذ أبعاده القومية والعلمية والحضارية والتربوية، بغية الكشف الدقيق عن المراحل التي عرفتتها اللغة العربية في غابر أزمانها، والمراحل التي مرّت بها إلى الوقت

(1) — عبد العزيز بن عثمان التويجري "المعجم التاريخي للغة العربية في ضوء متغيّرات الألفية" بحث ألقى في الدورة الثانية والسبعين لمؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، سنة 2006.

الحاضر الذي سايرت فيه الوضع الحالي ومعطيات القرن الواحد والعشرين ومن هنا فإنّ المعجم التاريخي:

➤ سيؤكّد هويّتنا من خلال دراسة اللغة العربية، والعمل على التأريخ لها ولا شكّ أنّ هذا له دور في التعبير عن تلك الهوية، باعتبار رصد الأمة العربية الفكري وذاكرتها اللغوية والثقافية هي اللغة العربية؛

➤ سوف يسدّ المعجم التاريخي فراغاً في قلّة المصادر والمراجع، وسوف يجيب حقيقة عن كلّ خصوصيات اللغة العربية بعمق وبدقّة متناهية، مركزاً على النواحي التطوّرية، دون أن تخرج عن نظامها اللغوي العامّ؛

➤ ستؤضع العربية بفضلها موضع اللغات العالمية الحيّة التي أنتجت معاجمها التاريخية؛

➤ سيؤكّد المعجم التاريخي الروابط اللغوية الجامعة بين مستعملي اللغة العربية ويوضّح مدى ارتباط هذه اللغة بأهلها وحضارتهم، وبالأجناس الذين خدموها عرباً كانوا أم غير عرب؛

➤ سيؤكّد المعجم أصالة اللغة العربية وعمقها السحيق، وسيساعد على دراسة اللغة العربية دراسة علمية ووصفها وصفاً لسانياً دقيقاً، ويجيبنا عن قدمها بين اللغات العروبية؛

➤ سيعرّفنا المعجم التاريخي على العربية القُدمى، وعلاقتها باللغات العروبية (السريانية، النمودية الصفوية، الحبشية، النبطية، العبرية، الكنعانية...؛

➤ سيدحضّ المقولة الخاطئة: السامية أمّ اللغات؛

➤ سيكون المعجم التاريخي مرجعاً لكلّ المطالب، وسيلبّي رغبات كلّ باحث في اللغة العربية؛

➤ سوف يجيب كلّ سائل عن أيّة لفظة، شاهد، مسكوك، مثال، وصف حيوان جماد... قيل في اللغة العربية؛

➤ سيَمَكُن من تدقيق قواعد اللغة العربية، كما يساعد الباحثين في كل الاختصاصات من إنجاز أبحاثهم بشكل دقيق؛

➤ سيَمَكُننا من تدقيق معاجمنا المدرسية، ومن تصحيح شواهد العربية؛

➤ سيَمَكُننا من الوصول إلى المادّة الأصل في اللغة العربية، والوصول إلى كلّ المظان، ويكون مادة لوضع المعاجم المتخصّصة؛

➤ ستدخل العربية عبره ميدان الصناعة المعجمية، وسوف يكبر فيها الاهتمام بما تملكه من زاد معرفي قديم حديث؛ يكشف عن أصلاتها وعلميتها.

بإنجازنا لهذا المعجم يمكن أن نقول: إنّنا نستطيع تحرير تاريخ معجم اللغة العربية بصورة متكاملة متّصل الحلقات، مستوعب لكلّ الجوانب، وبه يكتمل وعينا بلساننا المبين، ندرك صراعه من أجل البقاء والازدهار.

إنّ التّاريخ للغة العربية لذاتها يستدعي تاريخاً يستتبع مراحل نشأتها في البداية فنحاول التعرّف على ظروف نموّها وارتقائها وتغيّرها وتطوّرها، من خلال ماضيها الطويل بمنعطياته العديدة وخطوطه المتشابكة المعقّدة، وتحدياته الكثيرة المتلاحقة، كما يستدعي ذلك الرجوع إلى البلاد التي ساهمت في دراسة وترقية وحفظ تراث العربية؛ والذي يتوزّع على كلّ من مصر - بلاد الشام - العراق - الجزيرة العربية - إيران وآسيا الوسطى - المغرب العربي - بلاد الأندلس - الدولة العثمانية والبلقان - شبه القارة الهندية جنوب شرق آسيا - شرق إفريقيا وغربها - جزر القمر ... ومن خلال كلّ هذا نرى كيف صارعت اللغة العربية من أجل البقاء والازدهار في مختلف البلاد وكيف لا يزال هذا الصراع مستمراً في بعض هذه البلاد.

إنّه عندما نؤرّخ للغة العربية لا نقف عند تصوير الوضع الماضي والحاضر فالعربية غنيّة بمعجمها كلّ الغنى، كما يقول (نولدكه) "إنّا ليتملّكنا الإعجاب بغنى معجم اللغة العربية القديم..." بل نذهب إلى ما هو أبعد؛ فنستشرف آفاق مستقبلها ذلك ما يخطّط لدعم ما يتوقّع في المستقبل، وهذا ما يطرحه الأستاذ محمد سالم

الجرح، في بحث له موسوم (التأريخ للعربية أهميته ودراساته ومناهجه) فمن خلال سؤال طرحه: لماذا نحتاج إلى التأريخ للعربية؟ ويردّ ضرورة التأريخ إلى أسباب ثلاثة هي:

1- "الربط بين اللغة العربية المجيدة، والقرآن الكريم، ثمّ التكريم والتقديس اللذين نالتهما العربية جرّاء هذا الربط، وسبقي القرآن "معلماً تاريخياً بارزاً في تطوّر اللغة العربية، وكان هذا التطوّر نتيجة انتقال العرب من عصر التفرّق القبلي إلى عصر التوحّد في ظلّ الراية الإسلامية. وقد دخلت منذ ذلك الحين في اللغة العربية مئات من الألفاظ الجديدة، ومثلها من ألفاظ قديمة اكتسبت دلالة إسلامية فلا بدّ من وقفة متأنية عند الألفاظ والاستعمالات القرآنية لتعرّف دلالاتها ومواطن استعمالها⁽¹⁾".

2- معرفة تاريخ العربية ييسّر علينا بيانها، وهذا على خلاف دراسة نحو اللغة أو صرفها أو بلاغتها أو عروضها أو معجمها وأدبها.

3- التصدّرات المتاحة عن الظاهرة اللغوية، تحفزنا إلى التأريخ للغة، فتصدّور لنا انتماء اللغات الإنسانية إلى سلالات وأسر وفصائل ومجموعات، وهذا أمر لم يتمثّله الأقدمون على نحو ما نتمثّله الآن⁽²⁾.

إنّ التأريخ للغة العربية يعمل على:

< تعميق فهمنا لطبيعة اللغة العربية العريقة؛

< التعرف على كلّ ظروفها وأصولها، وما عرفته من تفاعل مع غيرها والتعرّف على مستوياتها؛

(1) - إحسان النصّ "قضايا التعريف الدلالية في المعجم العربي التاريخي" بحث ألقى في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الثانية والسبعين، سنة 2006.

(2) - مجلّة مجمع اللغة العربية. القاهرة: 1975، الجزء الخامس والثلاثون، ص 90-110.

< إبراز جوانب تميزها؛

< التمكين الجيد في تقديم حلول لما يواجهها من صعوبات؛

< جعلها لغة علمية تعيش راهنها في مختلف العلوم.

2- تعريف المعجم التاريخي: إنَّ المعجم في التعريف العامّ هو: ديوان يجمع

بين دفتيه مفردات اللغة مرتبة وفق نظام معيّن، ومقرونة بضبطها وشرحها والاستشهاد عليها. وإنّ ما أشير إليه في التعريف التقليدي هي الملامح اللغوية فالمعجم التاريخي يُعنى بالتطور التاريخي الذي يدور في فلك التتبع لمدلول الكلمة عبر التاريخ؛ من تطور، وتدرّج، وحركة، وتنوّع سياقي، مؤيداً ذلك بالشواهد على اختلاف أنماطها وبيئاتها. فالمعجم التاريخي ديوان العربية؛ لأنّه يضمّ ألفاظها وأساليبها، ويبين تاريخ استعمالها أو إهمالها، كما يظهر التطور الحاصل في معانيها ومبانيها عبر العصور. وهناك تعاريف كثيرة حول هذا المعجم، وإنّ ما يقع عليه التركيز في هذا التعريف مستخلص من خلال أهداف وخصائص المعجم التاريخي، وما أراه من سبيل يخدم غرض المعجم التاريخي ويعرفه الأستاذ علي القاسمي "... هو نوع من المعاجم يرمي إلى تزويد القارئ بمعلومات عن أصل الألفاظ وتاريخها ومعانيها من خلال تتبع تطورها منذ أقدم ظهور مسجل لها حتى يومنا هذا، وذلك يعني أمرين:

الأول: أن يضمّ المعجم التاريخي كلّ لفظ استعمل في اللغة، سواء يُستعمل في الوقت الحاضر أم لا.

الثاني: أن يوثّق المعجم تاريخ كلّ لفظ في شكله ومعناه، واستعماله ممثلاً لهذا اللفظ بعدد من الشواهد⁽¹⁾. ونرى الأستاذ القاسمي يوضّح المَعْلَم الهام في المعجم التاريخي بأنّه يضمّ كل لفظ استعمل في اللسان العربي وما عرفه من تطور دلالي

(1) — ع/ موقع Google بتاريخ 28 فبراير 2008.

عبر الزمان مقروناً ذلك بالشواهد، فهذا جزء أساس في أهداف المعجم التاريخي وهناك جوانب أخرى يكشفها المعجم التاريخي في تراثنا القديم بغية التأصل الحقيقي للغة العربية التي عرفت زماناً قديماً، وتطوّرات في ألفاظها واحتكاكها بغيرها من اللغات.

إنّ المعجم التاريخي في دلالاته اللغوية يبحث عن الأصول اللغوية، والعلاقة العضوية بالأصول القديمة؛ حيث يسرد المسيرة التاريخية منذ نشأتها، بل ومنذ ولادتها إلى وقتنا الحاضر. ومن هنا يجب أن نتقدّم إلى تراثنا؛ بدءاً من نقيشة رم الثاني الذي كتبت حروفه بعدة رموز، إلى نقش أسيس، فنقش يُوطر، وإلى نقيشة النمارة وما ولاها من النقوش، وأن نعود إلى اللهجات العروبية القديمة ونقوشها بالعمل على إحصائها والإحاطة به، ودراسة خريطة اللهجات والهجات، ولا بدّ في هذا المقام من العودة إلى أهل الاختصاص للتعرف على اللهجات العربية القديمة بالشكل الذي يطرحه المختصّون:

اللهجتان العربيتان الأكديتان:

- اللهجة العربية الأكادية البابلية؛
- اللهجة العربية الأكادية الآشورية.

اللهجات العربية الكنعانية:

- اللهجة العربية الكنعانية (الفينيقية)؛
- اللهجة العربية الكنعانية (البونيقية) ؛
- اللهجة العربية الموابية و(الأدومية).

اللهجات العربية الكنعانية العمورية بفرعيها:

- اللهجة العربية الكنعانية العمورية الإبلانية؛
- اللهجة العربية الكنعانية العمورية الأجارتيّة.

اللهجات العربيات الآرامية بفروعها:

- اللهجة العربية الآرامية النبطية؛
- اللهجة العربية الآرامية التدمرية؛
- اللهجة العربية الآرامية المنعدية؛
- اللهجة العربية الآرامية الحضرية؛
- اللهجة العربية الآرامية السريانية؛
- اللهجة العربية الآرامية لمعلولا وبخعة وجبعدين.

اللهجات العربية العدنانية:

- اللهجة العربية العدنانية الفصحى؛
- اللهجة العربية العدنانية الثمودية؛
- اللهجة العربية العدنانية الصفائية؛
- اللهجة العربية العدنانية اللحيانية و(الديدانية).

اللهجات العربية القحطانية بفروعها:

- اللهجة العربية القحطانية السبئية؛
- اللهجة العربية القحطانية المعينية؛
- اللهجة العربية القحطانية الحضرية؛
- اللهجة العربية القحطانية الأوسانية؛
- اللهجة العربية القحطانية القتبانية؛
- اللهجة العربية القحطانية الحميرية؛
- اللهجة العربية القحطانية الثمودية؛
- اللهجة العربية السينائية.

اللهجات القحطانية النقوشية والمحكية حتى الآن:

- اللهجة العربية القحطانية المهرية؛

- اللهجة العربية القحطانية الشحرية (الجبالية، الاحكيلية، الشحوحية)؛
- اللهجة العربية القحطانية السقطرية؛
- اللهجة العربية القحطانية الهوبيوتية؛
- اللهجة العربية القحطانية البطرحية؛
- اللهجة العربية القحطانية الحرسوسية.

اللهجات العربيات البربرية:

- اللهجة العربية البربرية اللوبية؛
- اللهجة العربية البربرية الأمازيغية؛
- اللهجة العربية البربرية الطوارقية؛
- اللهجة العربية البربرية الشلحية؛
- اللهجة العربية البربرية الريفية.

اللهجات العربيات المصرية:

- اللهجة العربية المصرية الهيروغليفية؛
- اللهجة العربية المصرية الديموطيقية؛
- اللهجة العربية المصرية الهيراطيقية؛
- اللهجة العربية المصرية القبطية.

ويبقى الباب مفتوحاً لكلّ اكتشاف لهجي أو نقشي⁽¹⁾، أو للهجات المتقاربات مع اللهجات العربية، وهذا في حدود ما يمكن الوصول إليه باعتبار أنّ هذه اللهجات العربيات القديمة تنتمي في جذورها إلى العربية الأم ولكن تتقصنا بعض دقائقها فيكون احتياجنا لها للاستئناس أثناء دراسة الأصول الأولى للغة العربية.

(1) - محمد علي مادون "النقوش (النقائش) ومدونات اللهجات العتيقة وقصة المدونة العربية الموحدة لنقوش اللهجات القديمة بين الإهمال والإهمال" مطبوعة وزعت في ندوة (نقوش اللهجات العروبية القديمة - ليبيا - طرابلس 5 - 10 - 2005) مجمع اللغة العربية بطرابلس. ليبيا.

وأما المعجم التاريخي يتعلق فقط بدراسة اللغة الفصحى وبدايات تأسيسها، كما لا يمنع هذا من الرجوع إلى ما خُطَّ على أوراق البردي ♥ وما كان مكتوباً على الورق، وما حُقِّق، وما يزال مخطوطاً وأن نجلي المادة اللغوية من حروفها إلى جملها، ومن أفعالها إلى أسمائها، ومن جذورها إلى زوائدها وامتّماتها، ومن أصولها إلى مستحدثاتها، من مرفوعات إلى منصوباتها ومن مجروراتها إلى مسكوناتها...

إنّ المعجم التاريخي هو ديوان لكلّ الأحداث، ولتاريخ اللغة العربية في مختلف التخصصات، وسجل واقعي للمعارف والخبرات، وللحياة عامة بكلّ مظاهرها، فهو رصد دقيق لتوظيف الكلمات العربية في كلّ الكتابات في مختلف القارات، وتصفّح لمعاني الكلمات من خلال نصوصها وسياقاتها عبر الزمان بكلّ استفاضة وشمولية بتغطية كلّ المجالات، وبالرجوع إلى كلّ النصوص المحرّرة باللغة الفصيحة. ولا بدّ أن نقف موقفاً دقيقاً لشرح آليات المعجم التاريخي بكلّ تفصيل، وهاكم ما استطعت حصره:

أولاً: نضع في الاعتبار أنّ المعجم التاريخي للغة العربية ليس معجماً عادياً ولا موسوعة مطوّلة بل هو ديوان لغة العرب؛ باعتبار أنّ اللغة العربية أوسع الألسنة لكثرة انتشارها وشموليتها، وكتب فيه العرب وغير العرب.

♥ — يقول محمود فهمي حجازي في بحث له مقدّم إلى الدورة الثانية والسبعين في مجمع القاهرة سنة 2006 "البرديات العربية من أهمّ مصادر المادة إعداد المعجم التاريخي للغة العربية، عددها في مجموعات البرديات في عدد من مكتبات العالم نحو مائة ألف ورقة بردى ومنها مجموعة في دار الكتب المصرية بالقاهرة، طبع عدد منها في ستّ مجلدات، نشرها العالم النمساوي (أدولف جروهمان) وكان إعادة نشرها باكورة عملي في دار الكتب 1994م. هذه المجموعات وغيرها تناولتها دراسات لغوية شتّى، ولكنّها لم تستوعب في معجم لغوي للبرديات العربية التي تمثّل مرحلة مهمة في تاريخ تعريب مصر، وفيها كلمات أصبحت من رصيد العربية في مصر، ومن حقّ المنقّف أن يعرف تاريخها".

ثانياً: مراعاة خصوصية هذا اللسان؛ من حيث قدمه وعلاقته باللغات العروبية القُدمى، إلى جانب أنه لسان الوحي والناموس.

ثالثاً: لسان له سلطان عرب الجنوب عامة، ولسان حمير خاصّة، ولسان عرب الشمال الذي أصبح مثلاً يُحتذى بعد القرن السادس الميلادي.

رابعاً: لسان فيه ألفاظ أُميتت، وألفاظ هُجرت، وألفاظ تبدّلت وتغيّرت دلالتها ألفاظ تحتاج إلى قيد شواردها.

ومن هنا فإنّ المعجم التاريخي للغة العربية:

➤ يسجل كلّ لغات (لحون) العربية المكتوبة، بدءاً من القدامى، فيبدأ من تلك اللغة المدوّنة والتي تمتدّ جذورها من دوحة لغة عاد وطسم وجديس ويعرب وقحطان وجرهم وقطراء، وغيرها من القبائل العربية فيسجّل لغة عدي بن زيد في الحيرة، ولغة أمية بن أبي الصلت في الطائف، وكلّ من عاشوا في بلاد الحيرة وفي بلاط الغساسنة في الشام، معجم يسجّل ما توارثناه من عربية الرهبان واليهود والنصارى وأهل الفرس؛

➤ يعمل على تشقيق أثل اللفظ من فصيلة ما من فصائل اللغات المنتشرة على صعيد شبه الجزيرة العربية، ثمّ خارج الجزيرة العربية؛

➤ يولي مسألة التعريف الدلالية أهمية خاصّة، ويعالجها من جميع جوانبها وهو لبّ الأمر في المعجم التاريخي؛ لأنّه يغوص في حمولة اللغة عبر العصور والأزمان، وما عرفته المادّة من تحولات في المبنى والمعنى؛

➤ معجم شامل كبير موسّع "يتقصّى معاني اللفظ في مختلف العصور والبيئات، ولدى كلّ الطبقات الاجتماعية؛ سواء كان اللفظ عربياً أصيلاً فصيحاً، أو كان

معرباً أو دخيلاً، أو مولّداً. تذكر معانيه كلّها دون إهمال معنى منها، مع مقارنة هذه المعاني في لغتها الأصلية في المعرب والدخيل بمعانيها في العربية⁽¹⁾؛

➤ معجم لا يتوخّى الاختصار؛ لأنّ غرضه تسجيل وتصنيف وعدّ وتحليل كلّ لفظ عربي؛

➤ معجم لا يترك الرسائل ولا التصانيف المطوّلة والأسفار الكثيرة، ولا يهمل الغريب؛

➤ معجم لا ينسى تلك التصانيف التي ما زالت رهينة القماطر حبيسة القراطيس؛ الموزّعة في خزائن المكتبات بجميع المخطوطات؛

➤ معجم لا يستثني المنظومات والألفيات، وسائر الصنائع السجعية والمقامات، وما نجده في الأسفار الأدبية والتاريخية والعلمية والاقتصادية والقانونية والاجتماعية والنفسية، دون أن ننسى السير، وكتب الطبقات وكتب المعارف؛

➤ معجم لا يترك كتب معاني القرآن، ومجازه، ومشكله، وإعجازه وغيرها من المصادر، سالكاً التأريخ من القديم، والتدرّج في التأريخ إلى الآن؛

➤ معجم يتتبع كتابات الأئمة وعلماء العربية السالفين واللاحقين والخالفين حسب التسلسل المنطقي التاريخي؛

➤ معجم لا يترك قول شاعر من الشعراء، فلا يترك لفظة شعراء المعلقات وسائر الجاهليين والشعراء الجاهليين المتقفين، والشعراء المقلّين والمخضرمين، وسائر الشعراء القرشيين وشعر المجهولين والشعراء الأكثر احتجاجاً بشعرهم، بدءاً بالأدنى فالأدنى؛

(1) — عباس الصوري "في المعجم التاريخي" بحث ألقى في الدورة الثانية والسبعين لمؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، سنة 2006.

- معجم تلعب فيه الشواهد الدور الهام، ومنها تختار المداخل، ومن سياقاتها تخرج معانيها ومنها نستدلّ على تطوّر ها عبر العصور؛
- معجم لا يترك لفظة من الألفاظ المسماة بالوحشية والمنتاهية في الغرابة والندود، قصد التماس الأصالة والفطرة؛
- معجم يعود إلى لغة النّثر والشعراء: صعاليكها وشذاذها وخلعائها وعماريطها والشعراء اللصوص؛
- معجم يلاحق كلّ صغيرة وكبيرة مهما تلاحقت الأعصار، وتواردت الدهور.
- وأتدلف من جانب آخر للقول: إنّ المعجم التاريخي للغة العربية رصيد كبير وعظيم جمّ وهام، ويحتاج إلى تدوين يضع حداً للخلافات الدلالية واضطرابها وخبالها، ومن حيث وزنها وإفرادها وجمعها.

1/2- خصائصه: يتناول المعجم التاريخي التحديد الدقيق للكلمات واستمرارها أو اختفاءها، كما يعمل على تحليل لغة كاتب/ شاعر/ قاص/ روائي/ عالم/ خطيب/ طبيب/ جراح/ طيار/ مهني... وإحصاء مفرداته بكيفية آلية ويعرّف عبد المنعم عبد الله محمد المعجم التاريخي قائلاً "ديوان يجمع مفردات اللغة مرتبة وفق نظام معيّن ومشروحة مع مراعاة التطوّر الدلالي للفظ، بدءاً بالمعنى الحسي، وتدرّجاً معه عبر التاريخ في ضوء الشواهد المتنوّعة مع الإشارة إلى مظهر التطوّر قدر الإمكان⁽¹⁾".

إنّ المعجم التاريخي المنشود يستفيد من مثالب المعاجم القديمة، رغم اختلافه عنهم فلا يقف عند عصر ولا يدرس الكلمة مجردة عن نصوصها، ولا يضيق متنه بكلّ ما دون في العربية، فيضمّ القديم كلّّه ويستوعب الجديد المتوالي ويبقى مفتوحاً لتعاقب الأجيال، يعمل على دراسة المستوى الدلالي للغة في ضوء مباحث وقضايا

(1) — "المعجم العربي التاريخي (مفهومه — وظيفته — محتواه)" مجلة المعجمية. تونس: 1990 العدد 5-6 ص: 160.

علم اللغة التاريخي؛ بالرجوع إلى كل النصوص العربية، والإشارة إلى مصادرها ويدلنا على الاستعمال الأول، ومن مستعمله وأين، ومتى، ومدلول اللفظ، وشيوعه أو عدم الشيوع. وإنّ المعجم المنشود كذلك لا يقف عند حدود جمع التراث، بل أن يستجيب للمعاصرة ويكون شاملاً وسهلاً ومجيباً لكل المرغوب، باستغلال التقنيات المعاصرة "ومما لا شكّ فيه أنّ التطور العلمي والحضاري والمعرفي الذي وصل إليه العالم اليوم، والتقدّم الهائل في وسائل البحث وأدواته، يضاف إلى ذلك الحاجة الشديدة إلى اختصار الوقت والحرص عليه؛ أمام التسارع الكبير فيما ينشر في اللغة اليوم وحاجة الباحثين إلى متابعة ما أمكن منه، كلّ ذلك وغيره يتطلّب إعداد معجم عربي معاصر؛ يواكب النهضة المعاصرة وفيها بمتطلباتها، ويعين الباحثين ولا يستهلك وقتاً طويلاً عند الرجوع إليه ويشمل على جميع الألفاظ ويعتمد منهجاً دقيقاً في إيراد المعاني وترتيب الألفاظ، ويفيد من التطور الثقافي لتسهيل عملية الرجوع إليه⁽¹⁾"، هذا من جهة ومن جهة أخرى، علينا الاحتجاج بالتجارب الناجحة من مثل التجربة الناجحة لمعجم أكسفورد التاريخي الذي سجّل مفردات اللغة من حيث مبانيها ومعانيها تاريخياً، فقد غطّى مفردات اللغة الإنجليزية تغطية شاملة؛ حيث سجّل تاريخ استعمال الكلمة ونمو معناها وصلاتها، كما سجّل الكلمات المهجورة، وحدّد آخر استعمال لها.

إنّ المعجم التاريخي له صفات حدّدت تلك اللقاءات العلمية التي قامت من أجل التعريف العلمي للمعجم التاريخي، وكما تعرّفه أدبيات المعاجم التاريخية عند الأمم التي سبقتنا في إنجاز معاجمها التاريخية، فهو يُظهر تطوّر دلالات الكلمات ويرتّب المادّة (المداخل الأساس) ثمّ الفروع (المداخل الفرعية) ويعتمد الجذور في

(1) — رئاسة الجمهورية السورية، الموسوعة العربية، علي أبو زيد "المعجم المنشود" ط1. دمشق: 2007

تصنيف المادّة. ويقترح محمد فهمي حجازي أن كلّ مدخل في المعجم التاريخي يحسن به أن يتضمّن المعلومات التالية:

- أ – صيغة الكلمة وتدوينها.
- ب – تأصيل الكلمة.
- ج – نوعها من حيث أقسام الكلمة.
- د – المجال التخصصي لاستخدام الكلمة.
- ه – مكانها التاريخي (بائد، مستعمل، عامي...).
- و – صيغها التعريفية (الجمع، التصغير، النسب... إلخ).
- ز – تاريخ أقدم نصّ وردت فيه الكلمة.
- ح – دلالات الكلمة من خلال النصوص الموثقة
- ط – شواهد دالة على المعاني في ضوء نصوص من الكتب وترتّب تاريخياً وتكون قائمة الكتب المشار إليها في آخر المعجم⁽¹⁾.

كما يظهر المعجم المعاني الحقيقية للألفاظ العربية في صورتها الأولى وفي مختلف تطوّراتها، وأثر الاحتكاكات اللغوية، وعامل الاقتراض من اللغات الأخرى ويستدعي الوصول إلى كلّ النصوص، وفي مختلف البلدان والبيئات ويتعرّض إلى كلّ المجالات والمفاهيم، وإلى المشترك، والمترادف، وإلى الصيغ المركّبة والمسكوكات، والاستعمال الحقيقي والمجازي، وغيرها من الصور البيانية.

3- أهدافه: يبدو لي بأنّ للمعجم التاريخي للغة العربية عدة أهداف، ويمكن تلخيصها في هذه النقاط:

- الاطلاع على كلام العرب وحضارتهم؛
- معرفة ما حصل من تطوّر في الدلالات العامّة والخاصّة لكلّ لفظ؛

(1) – "المعجم التاريخي ومتطلبات المتقّف المعاصر" بحث أُلقي في الدورة الثانية والسبعين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، سنة 2006.

- معرفة ما هجر من ألفاظ وما استحدث؛
- معرفة المصطلحات ودلالاتها عبر الزمان؛
- معرفة المباني والمعاني والصيغ والتراكيب والجوانب البلاغية لألفاظ اللغة؛
- معرفة الحقول الدلالية لألفاظ اللغة؛
- معرفة اللفظ الأصيل والمولد والأجنبي؛
- معرفة زمن استعمال اللفظ، ومن استخدمه، وأين، وفي أي عمل، وعدد تكراره؛

➤ الترسيخ العلمي للغة العربية، ووجود مدوّنتها الكبرى، وتغني عن كلّ المدونات العربية؛

➤ إنجازنا للمعجم التاريخي، يكون أرضية لاستخراج المعاجم الآلية المتخصصة؛

➤ إفادة بمعلومات تخصّ الكلمة العربية عادية كانت أو مصطلحاً؛

➤ معجم يكشف عن تاريخ ظهور الكلمة، وبأيّ معنى، وما المصدر الذي وردت فيه، وما هي السياقات التي وردت، وما المجال المفهومي الذي تنتمي إليه وكيف تطوّرت دلالتها؛

➤ إفادة بمعلومات تخصّ الجذور؛

➤ إفادة بمعلومات أجناس الكلام؛

➤ إفادة بمعلومات عن الحروف والصيغ وما له علاقة بالعروض؛

➤ إفادة بمعلومات تخصّ الجانب الحضاري أو العلمي؛

➤ إفادة بكلّ ما له علاقة بالجانب اللغوي...

4 - إكمال الخطوات المنجزة في مجال المشروع: يجب أن لا نبخس بضاعة

المتقدّمين في ما كتبوه عن المعجم التاريخي للغة العربية، أو كلّ عمل خدم أو يخدم جانباً من جوانب المعجم التاريخي سابقاً ولاحقاً فوجبت الاستفادة من كلّ الأفكار التي قدّمت منذ أن كان المشروع حلمًا أو تصوّرًا، فالحضارة تبنى عن طريق

وضع لجنة إثر لجنة، فيجب أن نكمل العمل حيث انتهى الأولون والمتقدمون. تقول الروايات بأن أفكاراً ظهرت قبل العالم المجمعى August Fischer (1865-1949) حول ضرورة إنجاز المعجم التاريخي، ولكن (لفيشر) - الأستاذ بجامعة ليبزج - فضل إثارة قضية المعجم التاريخي للغة العربية أمام المؤسسات العالمية، وهذا أسوة بالمعاجم التاريخية المنجزة في اللغات الأجنبية، وكان هذا قبل انضمامه لعضوية مجمع القاهرة؛ حيث سبق أن "عرض مشروعه على جمعية فقهاء اللغة الألمان في مؤتمرهم بمدينة بازل سنة 1907م كما عرضه على مؤتمرين استشرقيين بكونهاغن سنة 1908م وفي أينا سنة 1912م وعندما عرض مشروعه في كونهاغن وافقت اللجنة المجتمعة على القرار التالي "ترحب اللجنة الإسلامية لمؤتمر المستشرقين الأممي الخامس عشر (15) بمشروع أفيشر الذي يرمي إلى تأليف معجم للغة العربية الفصحى يلائم روح العصر، ويعبر عن موافقتها عليه بالإجماع⁽¹⁾" كما نشير بأن المؤتمر الثاني قد حضره الأمير أحمد فؤاد وإليه يعود تكوين مجمع فؤاد الأول للغة العربية⁽²⁾. ولقد استفاد فيشر من أعمال مستشرقين، ومن نصوص مستقراة، ومن مؤلفات ومخطوطات عربية قديمة، ومن التصور العام للمعجم التاريخي للغة الإنجليزية، ومن المعجم الفرنسي Littré، ومن ذلك بدأ يعدّ عدته وخاصة بعدما أصبح مدير القسم العربي الإسلامي لمعهد أبحاث الاستشراق "بدأ في تجسيد فكرته عام 1914م عندما صار مدير القسم الإسلامي لمعهد أبحاث الاستشراق، وقد استعان في جمع مادته ببعض تلاميذه، وبخاصة (برجشترابر Bergstrasser) و(شخت J Schacht) (جمع الأول لغة القرآن والثاني لغة صحيح مسلم) وساعده (جروهمان A Grohmann) بالألفاظ

(1) - ع/ إحسان النصّ "مشروع المعجم التاريخي للغة العربية مسيرة وتاريخ" مجلة مجمع اللغة العربية.

دمشق: 2007، المجلد الثاني والثمانون، الجزء الأول، ص 80.

(2) - محمد رشاد الحمزاوي "تاريخ المعجم العربي (متع) في نطاق العربية: المبادرات الرائدة" مجلة المعجمية.

تونس: 1990، وقائع ندوة (المعجم العربي التاريخي: قضايا ووسائل إنجاز) نوفمبر 14-17 نوفمبر 1989.

التي عثر عليها في أوراق البردي العربية القديمة، وأهداه (كرنكو F Krenkow) مجموعة من مفردات اللغة الواردة في الشعر العربي القديم⁽¹⁾. ومن يومها يجمع المادّة، وقد استوفى قسماً منها، وفي سنة 1936م يعرض فكرته على مؤتمر مجمع القاهرة وأعطى له المجمع الضوء الأخضر لمواصلة مشروعه بكلّ عفوية، حتّى لقبوا هذا المعجم باسمه في أول الأمر (معجم فيشر الخاص) ولقد بذل فيشر جهداً لوضع معجم عربي على هذا الأساس وقضى أربعين (40) سنة في جمع مادته وتنسيقها حيث لقي عمله اهتماماً في جميع البيئات العلمية. وعهد إليه مجمع اللغة العربية بنشر هذا المعجم، ولكن الموت حال بينه وبين إتمام عمله. وقد أحياء بعد ذلك من الألمان الأساتذة: (شبيتالر، وكريمر وأولمان) في جامعة توبنغن Tubingen فقاموا بجمع المادّة التي تركها فيشر وغيره من العلماء، واستعانوا بعدد من أهل التخصص في هذا الميدان، وخرجت أول كراسة من تلك الأعمال سنة 1957م (من أول حرف الكاف). ولكن عمل هؤلاء الأساتذة لم يكن يسير على منهجية فيشر، فلم تصوّر مخالف يقرب إلى صيغة المعاجم المتخصصة لا غير.

لقد أصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة بعد وفاة أوجست فيشر جزءاً صغيراً كما نشر "المقدمة التي كتبها فيشر، وقسماً من حرف الألف إلى مادة (أبد) إلى جانب نشره لنموذج أعدّه في صورة تقرير عن المعاجم العربية المقدّمة، وفيه الدعوة إلى وضع معجم لغوي تاريخي، ولقد حدّد تصوّره لما ينبغي أن يكون عليه المعجم التاريخي للغة العربية؛ حيث يشتمل على كلّ كلمة وجدت في اللغة العربية بلا استثناء، وتعرض كلّ كلمة حسب وجهات نظر سبع هي: التاريخية الاشتقاقية التصريفية، التعبيرية النحوية، البيانية، الأسلوبية⁽²⁾. ويلخص محمد رشاد

(1) — أحمد مختار عمر، أنا واللغة والمجمع، ط1. القاهرة: 2002، عالم الكتب، ص 305.

(2) — لمزيد من التفصيل ينظر النموذج في أمانة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. وينظر التفصيل في عمل قدّمه حلمي خليل في مجلّة المعجمية التونسية حول (وقائع المعجم العربي التاريخي: قضاياها ووسائل إنجازها) تونس: 1990، مجلّة جمعية المعجمية، العددان 5-6.

الحمزاوي فكرة فيشر من خلال الوجهات السبع بأنه "...أراد أن يقدم تصوّره للنصّ المعجمي التاريخي، ولقد ركّز تصوّره على مفهومي الجمع والوضع وخصّص للجمع نصيب الأسد، فلقد طرح مسألة التعريف الدلالي في الوجهة التعبيرية، وأضاف إليها التعريفات الاشتقاقية. ومن ضمنها التعاريف الصوتية والصرفية والنحوية والبيانبة والأسلوبية، ممّا يوحي إلينا أنّه أراد أن يلمّ بجميع عناصر النصّ المعجمي في جميع أبعاده، مع التركيز على النواحي المهمة من كلّ تعريف مثال ذلك الاهتمام بالصيغ الشاذة والاحتجاج بشواهد عدة⁽¹⁾". وعلى الرغم من أنّ معجم فيشر لم يخرج إلى حيّز الوجود؛ فإنّ اهتمامه بنشر معجم للغة العربية قد حمّله على التتقيب في أمّات كتب النحو العربي، وشروح شواهد لجمع المادّة اللازمة لبدء عمله. وكانت حصيلة ذلك كتابه (الشواهد النحوية) الذي نشره في سنة 1945م وهو يعدّ أداة طيّبة لدراسة هذه الشواهد⁽²⁾. إنّ للعالم أوجست فيشر تكويناً جيّداً في مجال المعجمية، ويبدو أنّه كان ينوي بناء معجمه على منهجية معجم أكسفورد للغة الإنجليزية OED، ومن هنا كان تصوّره يقوم على بناء المعجم اللغوي التاريخي للغة العربية، فقد سنّ منهجيات لعلاج المعجم التاريخي وحصرها في سبع وجهات نظر واعتمد كلّ النصوص المكتوبة والنقائش؛ بدءاً من نقيشة النمارة في القرن الرابع الميلادي، وكذلك المخطوطات مهما كانت اختصاصاتها ومبانيها.

ومهما يكن من أمر إطلاق تسمية معجم فيشر المعجم اللغوي التاريخي الذي يراه بعض الباحثين ثابتاً بهذه التسمية، والتي لم نجدها خلال بحثنا، وحيث يرى بعضهم أنّها من بين المثالب التي تسجّل على عمل فيشر، إلى جانب أنّه معجم تاريخي للأدب العربية حتى نهاية القرن الثالث الهجري فقط أي يتعلّق فقط بعصر

(1) - النظريات المعجمية العربية وسبلها إلى استيعاب الخطاب العربي، د ط. تونس: د ت مؤسسات بن عبد الله للنشر والتوزيع، ص 239.

(2) - مجمع اللغة العربية، المجمعون في خمسة وسبعين عاماً. القاهرة: 2007 ص 576-577.

الفصاحة. ومهما تقولت الأقوال حول الفعل العلمي والحضاري الذي قام به فيشر فإنّ ما تركه يعدّ وثيقة هامة لا بدّ من الوعي بها. ولا بدّ كذلك أن يؤخذ البعض منها موضع الحساب في منهج العمل الطموح، ولفيشر الفضل الكبير في أنّه أعطى فكرة تدوين المعجم التاريخي للغة العربية، وينبغي وضعها موضع التقدير.

إذا كانت فكرة إصدار المعجم التاريخي مشروعاً منذ ثلاثينيات القرن الماضي عندما تأسّس مجمع اللغة العربية سنة 1932، وقد وضع ضمن أهدافه فكرة إنجاز المعجم التاريخي الذي يؤرّخ لكلّ ألفاظ اللغة العربية بدءاً من العصر الجاهلي إلى الآن، فنصّ المرسوم التأسيسي للمجمع في المادة ب على "أن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية، وأن ينشر أبحاثاً دقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغيّر مدلولاتها"⁽¹⁾ وهذا تماثياً مع اللغات الحيّة التي عملت على إنجاز معاجمها التاريخية من مثل: معجم أكسفورد للغة الإنجليزية، والمعجم التاريخي للغة الفرنسية، ومعاجم كثيرة للغات... وهذه الفكرة كانت حلم بعض المثقفين العرب الذين رأوا أهمية إنجاز هذا المعجم، وهذا ما علّق عليه رئيس المجمع (محمود حافظ) بقوله: "أمنية قد تبدو بعيدة المنال، ولكنها عزيزة غالية، كثيراً ما طافت بأخيلتنا وداعبت أحلامنا وهي التصدي لإنجاز معجم شامل عملاق في مختلف فروع العلم والمعرفة، تتكاتف في عمله الدول العربية ومجامعها اللغوية وجامعة الدول العربية التي سبق لها أن أسهمت بجهود معجمية في هذا السبيل"⁽²⁾. ورغم هذا الحلم إلا أنّ الفكرة قد تتجسّد إذا كان وراءها طالب، فهذا الأستاذ مراد كامل ينبّه إلى ضرورة وضع معجم تاريخي للغة العربية وهذا من خلال المقدّمة التي كتبها في كتاب جرجي زيدان (اللغة العربية كائن حي) ويقول: "ومن هنا نرى أنّ النقص في دراسة تاريخ اللغة العربية واضح، إذا وازناً بين ما تناولته كتب اللغة في الواقع، وما كان ينبغي أن نتناوله... فمهمّة العالم اللغوي أن يحصر الألفاظ ويجمعها كلّ كلمة على حدة، عن أصلها واشتقاقها، وعن درجة قدمها وعن وجودها في اللغة العربية

(1) — إبراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً. القاهرة: 1962، ص 62.

(2) — كلماتي مع الخالدين. القاهرة: 2006، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ص: 101.

وحدها، أو اشتراكها فيها مع أخواتها السامية أو بعضها، وعن مصدرها إذا كانت دخيلة أو مبتكرة أو مولدة... ومن تغير شكلها أو معناها، وبهذا يكون لكل كلمة في اللغة تاريخ وترجمة لحياتها ويتكوّن المعجم من هذه الكلمات وتواريخها⁽¹⁾. وإذا كان هذا رأي الأستاذ مراد كامل فهو مصيب في قوله والذي كان يجب أن يؤخذ مأخذ الجد في البداية لكسب الوقت. ولا نعدم الجهد العلمي الذي قام به مجمع اللغة العربية من خلال الدورات الثلاث لدراسة المعجم التاريخي وهي:

- الدورة الواحدة والسبعون؛
- الدورة الثانية والسبعون؛
- الدورة الثالثة والسبعون.

وما قامت به الجمعية المعجمية التونسية من بحوث هامة في ندوة لها حول: المعجم العربي التاريخي: قضايا ووسائل إنجازه. كما لا نغفل الجهد العربي المتميز للأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح في مشروع: **الذخيرة اللغوية**، والذي أصبح يسمى **(الذخيرة العربية)** بعد أن نال موافقة جامعة الدول العربية في الدورة السادسة عشرة (16) بالجزائر سنة 2005 (انترنت عربي⁽²⁾). ولا ننسى أن

(1) - ينظر مقدّمة كتاب جرجي زيدان.

♥ - هناك نقاط تلاق بين المشروعين، وكان يجب التنسيق بينهما كي لا تتكرّر الأعمال ويمكن الإشارة إلى المواصفات العامة للذخيرة العربية: ما يخزن من شيء نفيس يلتجأ إليه وقت الضرورة، وما يخزنه العلماء والباحثون من نصوص قديمة وحديثة في ذاكرة الحاسوب أي فهرسة كامنة شاملة شبكية لكل ما أنتجه الفكر العربي من الجاهلية إلى يومنا هذا فتتيح البحث عن مفردة أو صيغة أو بنية أو تركيب أو عبارة جامدة، أو أي شيء يخص اللغة في نصّ واحد أو عديد النصوص، بالإضافة إلى العدد الكبير من الخطابات والمحاورات العفوية بالفصحى في شتى الميادين. وسيلبي طلبك في سرعة الضوء؛ للعثور على المعطى العلمي الدقيق والمضبوط وعن السياق، ومدى تكرار الكلمة أو النصّ في نصّ واحد أو عدة نصوص، وهذا كلّه يتمّ بوجود منطق (Logiciel) متطور أعد لهذا الغرض، يعمل على الإجابة عن أية معلومة مطلوبة؛ حيث تلمس أزرار الكيتار بتقديم سؤال، فيجيب بكلّ دقة وفي أسرع ما يمكن.

مشروع الذخيرة العربية قد وضع موضع التنفيذ في الحيازة، وقد خزّن منه الكثير والمشكلة فيه أنّ جهده توزّع على كلّ دولة عربية؛ فكلّ منها تقوم بتخزين منتوجها، وكذا تمويل العاملين عليه، ويبدو لي بهذه الطريقة سوف يضيع دمه بين الدول العربية كما يُقال، لأنّ هذا ما يعيق سرعة إنجاز العمل، وعدم المتابعة. ولا ننسى الآن ما ينجز في كثير من البلاد حول تاريخ اللغة العربية، ومنها المشروع الذي تنجزه فرقة بحث في جامعة إسرائيلية ثمّ ما ينجز في بلاد الخليج، وما أنتجته وزارة المعارف السعودية، وما تقوم به بعض الشركات في حوسبة بعض المدوّات مثل شركة صخر للإعلام الآلي وشركة العالمية، وشركة التراث في الأردن، وما يقوم به بعض الأفراد الخواص، مثل مدوّات شركة نبيل علي، إضافة إلى تلك الندوات العلمية التي أنجزت في بداية الألفية الثالثة؛ ومن ذلك نجد اللجنة الرباعية المشكلة من: إبراهيم بن مراد، محمد حسن عبد العزيز، علي القاسمي، أحمد بن محمد الضبيب؛ الذين قدّموا جهوداً كبيرة عبر لقاءات علمية، وتوصّلت هذه اللجنة إلى تقديم الخطوط العامة لهيأة المعجم التاريخي، كما أنّ الأستاذ محمد حسن عبد العزيز قد ألّف كتاباً حول المعجم وسمّاه (المعجم التاريخي للغة العربية وثائق ونماذج) وفيه يحكي قصة حبّه وعشقه ودفاعه عن المعجم التاريخي. فكتابه قصة منافحة منذ مدة عندما كان يوجّه طلابه للتخصص في قضايا المعاجم، وقد ناقش تحت إشراف ثلّة من الباحثين الذين قدّموا مفاتيح كبرى للمعجم التاريخي، وله أفكار هامة يستفاد منها. ولا بدّ من الاستفادة بقوة من مشروع الخطّة العلمية للمعجم التاريخي للغة العربية التي أعدّها الأستاذ علي القاسمي ♥، بتكليف من اللجنة

♥— عندما نقول علي القاسمي في مجال المعجم نشير إلى أنّ له دراسات معتبرة في علم المعاجم ومقالات منشورة في مجلات دولية من مثل: مجلّة اللسان العربي، مجلّة الجمعية المغربية للدراسات المعجمية، مجلّة الجمعية المعجمية التونسية، مجلات المجمع... كما أنجز عمليتين معجميين هامّين وهما:

1— علم اللغة وصناعة المعجم، ط 1، 1975.

2— معجم الاستشهادات 2001.

الرباعية في لقائها بالقاهرة يومي 4-5 مايو 2006 فهو خطة إجرائية شاملة جامعة مانعة، ويجدر التنويه بها لما لها من شمولية ودقة علمية.

ومن خلال هذا التأريخ يجب الاسترشاد بتلك الأفكار، ليتواصل العمل بعمق ولا نبدأ في كل مرة من جديد، أو نعود إلى نقطة الانطلاق، فنعم للمراجعة لا للتراجع. ويحقّ التنويه في هذا الوقت بالحراك العلمي الذي أبداه اتحاد المجامع اللغوية العربية في ترسيم هيئة المعجم التاريخي للغة العربية. ولا جدال اليوم في أنّ مشروع المعجم التاريخي للغة العربية ضرورة قومية كبرى، ويستدعي الوقت الخروج من التنظير والأمني إلى الملموس، بعدما وقع الإحساس بالحاجة إلى هذا المعجم مع الألفية الثالثة وخاصة ونحن نملك الوسائل والطاقت البشرية التي بها يمكن الشروع في إنجاز هذا المشروع المعطل، والآن أصبحنا نملك هيئة المعجم التاريخي التي يجب أن تعضدها مؤسسات أخرى بالتشجيع والتمويل والمساعدة العلمية أو التقنية، كما يتطلّب المساهمة فيها كل من العلماء من مختلف التخصصات.

5 - رفع الصعوبات: قبل الغوص في أعماق الموضوع يجدر بي الوقوف عند بعض الصعوبات التي تبدو لي بأنّها تحتاج من البداية إلى الرفع النهائي كي لا يلتبس الأمر ويبدو لي بأنّ رفعها باب من أبواب وضع أرجلنا على الأرض الصلبة، وباب من أبواب الانشراح والنجاح في العمل، وهي:

1/5- الافتناع بأن المعجم التاريخي لا يُغني عنه المعجم الكبير: هناك من لم يقتنع بفكرة إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية، على أساس أنّ مجمع القاهرة ينجز الآن المعجم الكبير فهو يُغني عن المعجم التاريخي كما يرى الأستاذ ناصر الدين الأسد؛ والذي يقول: **إنّ فيشر** بفكرته إنجاز معجم للغة العربية لبّه أن يلائم روح العصر، وفي بالحاجات العلمية للعصر الحاضر، ولم يستعمل (المعجم التاريخي) ومن هنا فإنّ المعجم الذي أراده فيشر هو معجم كبير للغة العربية الفصيحة يفى بالحاجات العلمية للعصر الحاضر، فيريد فيشر معجماً كبيراً لا يفتقر

إلى ما تفتقر إليه المعاجم السابقة من مادة لغوية. ويواصل ناصر الدين الأسد- بأن استعماله -فيشر- لكلمة (التاريخي) دون أن يقرنها بما يحدها بل جعلها في ثانياً كلام آخر يفهم منه أنه يقصد جمعاً مستقصياً للألفاظ في محيطها التاريخي التراثي المستعملة في كتب المعارف والعلوم العربية والإسلامية وعم الاقتصار على ما ورد في المعاجم المؤلفة منذ العین إلى المعاجم الحديثة...⁽¹⁾ إن الأستاذ ناصر الدين الأسد قد يكون محقاً من وجهة أن فيشر أشار إلى تطوّر الكلمة تاريخياً؛ وهذا عبر العصر الجاهلي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، وأن ما نشره ليس معجماً تاريخياً بل معجم كبير للغة العربية؛ لأنه كان محدداً بزمان دقيق. ولكن يجب أن نربط الأمور ببعض القضايا الأخرى؛ ففكرة المجمع المصري لم تكن مثل ما كان قد خطّطه فيشر، بل كان يخطّط لاستكمال بدايات فيشر، والفكرة كانت قائمة بعد وفاة فيشر؛ إلا أن الإمكانات لم تسعف المجمع مواصلة العمل، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يجب أن نعمّق مفهوم **الوجهة التاريخية** عند فيشر، والتي أنزلها المنزلة الأولى ففي مقدمة المعجم يوضّحها كما يلي: "فالوجهة التاريخية للكلمة تجاوز كل وجهات النظر هذه في القمّة ذلك لأنه إذا أخذنا اللغة على أنها دائمة التطوّر فلا شكّ أنّ لكلّ كلمة تطوّرهما التاريخي الخاصّ. ويجب أن يوضّح هذا التطوّر التاريخي بمقتضى ما لدينا من وسائل، وهذه الوسائل قاصرة، ونحن - في الواقع- ملزمون بأن نقصر على استغلال موارد ومصادر كثيراً ما تكون متعارضة وغير وافية، لذلك وجب الحرص والعناية بنقييد كلّ كلمة وعبرة وصلت إلينا فعلاً والانتفاع بها؛ وليس معنى هذا أنّ من الضروري إثبات كلّ الشواهد التي وردت على كلمة ما في المعجم، إذ إنّ هذا قد يؤدي إلى البلبلة عند إثبات كلمة كثيرة التداول. كما يتطلّب تطويلاً لا موجب له، بل يجب الاقتصار على إثبات الشواهد ذات الطابع الخاصّ أعني تلك التي تدلّ بحال من الأحوال على الأطوار

(1) - ينظر البحث الذي ألقاه في الدورة الثانية والسبعين لمؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 2006 والموسوم: المعجم الكبير للمجمع يُعني عن المعجم التاريخي اللغوي (بتصرف).

التاريخية للكلمة، إلا أن التحقق من استخراج هذه الشواهد ذات الطابع الخاص لا بدّ من إمكان مراجعة كلّ المواضع التي وردت فيها هذه الكلمة، فإنّه بهذا وحده يمكن تحديد قيمة كلّ شاهد لمعرفة الأطوار التاريخية العامّة للكلمة وتراكيبها⁽¹⁾. فواضح جداً أن فيشر أشار إلى تطوّر الكلمة وإلى الترتيب التاريخي رغم المحدّدات التي خصّها في حدود زمانية معيّنة ولكن لا يُغني المعجم الكبير في صورته الحالية عن المعجم التاريخي للغة العربية، ويجب أن نقيس ذلك على معجم أكسفورد للغة الإنجليزية؛ فهذا المعجم شامل يغطي كلّ مفردات اللغة الإنجليزية مع الإتيان بالشواهد الموثّقة، لذلك بدأ من سنة 1150م حتى صدور آخر طبعة 1970م فقد سجّل كلّ الألفاظ التي استعملت وبقيت، والتي هجرت، وجّل طرائق هجائها المختلفة عبر القرون، إضافة إلى ما تقدّمه المعاجم من استعمال وبيان مختلف التغيّرات.

2/5- الأخذ في الحسبان طول النفس في الإنجاز: يجب أن نعلم مسبقاً بأنّ المدة الزمنية لإنجاز المشروع ستكون طويلة، وسوف تمرّ حكومات وحكومات ويأتي جيل أو جيلان أو أكثر، وأنّ المدة التقريبية أو الاحتمالية يصعب تحديدها وخاصة في المراحل التأسيسية التي هي المنطلق، أو باب الدخول في الصناعة المعجمية، ولكن تطوّر اللسانيات، وعلم المعجمية، وصناعة المعاجم، ودخول الآلات العملاقة، من شأنها أن تقصّر المدة وتيسّر عملنا، فليس تدوين المعجم التاريخي معجزة الآن أمام معطياتنا المادية والفكرية والآلية وخاصة إذا كان العمل على شكل فرق متنوّعة؛ وكلّ فرقة لها مهمّتها المحدودة، وندخل حرفة الصناعة المعجمية، وبذلك نستدرك التأخير ونعلم أنّ أمماً قضت سنوات وسنوات في تدوين معاجمها التاريخية، ولم تسجّل كلّ تاريخها، بل حدّدت فترة ضيقة مثل القرن الفلاني لا غير، وهذا ما

(1) - أ فيشر، مقدمة المعجم التاريخي، ص 23.

ينطبق على القاموس التاريخي للغة الفرنسية التي لم تسمح كلها واستمرّ العمل فيه ستين عاماً، كما أنّ المعجم التاريخي للغة الألمانية دام العمل فيه قرناً. ومن جهة أخرى يجب العلم بأنّ الزمن الحاضر كفيّل بربح الوقت، وكسب رهان الإنجاز في وقت لا يطول مثلاً عرفته المعاجم الأجنبية ونحن نعيش عصر التدفق المعلوماتي، وعصر السرعة وعصر الآلات العملاقة التي تعمل على تقليص الوقت، ولكن يجب أن نعلم بأنّ هذا التقليص غير مبني على عمر دقيق "وخاصّة إذا علمنا أنّ (معجم أكسفورد) الإنجليزي استغرق إنجازَه سبعين سنة، وضمّ أكثر من ثلاثة ملايين ونصف شاهد لغوي، وإذا علمنا أنّ المركز القومي الفرنسي في (نانسي) جمع في عشر سنوات (10) حوالي مائتين وخمسين مليون (250.000000) شاهد بمعدّات إلكترونية، وإذا علمنا أنّ معجم (روبار الكبير) يحتوي على مائة وعشرين ألف شاهد، وإذا علمنا أنّ المعجم عامّة يطعّم باستمرار فمثلاً بين طبعة معجم (فيهر) الأولى سنة 1958م وطبعته الرابعة سنة 1970م زيدَ رُبْعُ المداخل تقريباً، وإذا علمنا أنّ تأليف المعجم يتطلّب معرفة بعلم المفردات أي (المعجمية) Lexicologie ومعرفة بصناعة المعجم أي المعاجمية Lexicographie اتّضح لنا أنّ المعجم عامّة أصبح عملاً مؤسّساتياً لا فردياً⁽¹⁾. وفي هذه النقطة يمكن معارضة الواضعين للقانون بإطلاق التسمية على هذا المشروع اسم (الهيئة) وهذا يتنافى مع طول نفس المشروع ويحتاج إلى إطلاق تسمية (المؤسسة).

3/5 – رصد كاف وكامل للتمويل: للمشروع نفس طويل، بمعنى أنّه يحتاج إلى تغذية تمويلية أقوى ورغم السخاء الذي قدّمه الأمير سلطان القاسمي، يبدو لي لا يكفي ذلك بل يحتاج إلى تمويل وهبات الأفراد وموازنات الدول وأموال المؤسّسات

(1) — أحمد العايد "دائرة المعارف الإسلامية أصل من أصول المعجم العربي التاريخي" مجلّة المعجمية. تونس:

1990، العدد الخاص بنودة: وقائع ندوة (المعجم العربي التاريخي: قضاياها ووسائل إنجازها) (5-6) ص: 56.

والمجامع، وأن تَقْتَطِعَ كلَّ دولة عربية جزءاً من موازنتها لضخّه في هذا المشروع، وأن يكون التمويل وافراً ومغدقاً. ولا يعني الإغداق هنا التبذير، بل من الأهميّة بمكان أنّ أمثال هذه الأعمال ترصد لها ميزانيات مسبقة تكون في متناول الباحثين والكتّبة والمدقّقين والمراجعين، وكلّ من يقوم على أمر هذه المؤسّسة وهذا عن طريق دفاتر المهام والعقود التي تبرم مع المتعاملين كلّ في اختصاصه.

4/5 - كيفية الحصول على الكميّة الكبيرة من المعطيات والمدوّات من

العصر الجاهلي إلى الآن: إنّ المعجم التاريخي فهرسة كامنة شاملة لكلّ ما أنتجه الفكر العربي أو العالمي باللغة العربية من الجاهلية إلى العصر الحاضر، وهو أوسع من الموسوعات ودوائر المعارف كلّها، فمادته تهفو إلى السعة، وتضمّ كلّ الألفاظ، والمعالجة يغلب عليها الطابع الدلالي والتنوّع السياقي في ضوء التتبّع الامتدادي عبر العصور، ومن هنا فلا بدّ من تصوّر أولي مضبوط عن المدوّات التي تُدرج في متن المعجم، وقد أبانت الأبحاث الجادة في هذا الشأن بأنّ البداية تكون من سنة 200 قبل الإسلام، أو ما يسمى بالعصر الجاهلي إلى القرن الثامن عشر الميلادي (18 م)، وحدّوده بموت الزبيدي 1206 هـ. في هذه المدة الزمنية الأولى لا يكون المعجم نمطياً انتقائياً، فلا يفاضل بين المواد، بل يسجّل كلّ مكتوب وكلّ لفظة عرفتها العربية واستخدمتها منذ عهد نقوشها إلى التاريخ المذكور، فلا يهمل النثر مهما قلّ، ولا يفاضل شعراً على شعر مهما كثر، بل هو مسح عام لكلّ قول مكتوب باللغة الفصحى[♥]. والأحرى الوصول إلى:

➤ النقوش الموجودة والتي استطاع البعض تشفيرها، وهي قليلة على كلّ حال؛

♥ - لا يعني عدم إدراج العاميات معناه إلغاء وإسقاط جزء هام من النخيرة، أو أنّ الدارجات دنسٌ مهجورٌ أو لا يعتدّ بها، بل إنّ المرحلة الراهنة تقتضي الاهتمام باللغة العربية الجامعة والأحادية التي هي ديواننا الأول، ومستقبلنا المشترك، وفيها دونّ آباؤنا غرر مفاخرهم وآدابهم ولم يبدعوا إلّا في ظلّ هذه اللغة الفصيحة، وقد يكون الاهتمام ببعض الدارج لردّه إلى فصيحه أو إلى أصله، وكيف حدث فيه تصرف وأسباب ذلك الانحراف. وأما إذا وقع الاهتمام بالدارج فأيّ دارج نعتمده في العالم العربي والدارج دوارج.

- الألواح والنقود التي عليها الكتابات الأولى؛
- المصادر الأولى منذ بداية عصر التدوين والتي تعود إلى بداية سنة 48 هـ؛
- المراجع التي قامت على المصادر بعد ذلك؛
- كلّ الدواوين المنتجة في هذه الفترة؛
- كلّ المعاجم التي أنجزت؛
- كلّ الموسوعات؛
- كلّ دوائر المعارف؛
- كلّ إصدارات المراكز العربية والأجنبية عن اللغة العربية؛
- كلّ المدونات التي سُجلت أو طُبعت،
- كلّ ما خُزن في الشبابة، أو ما سُجل على الأقراص؛
- كلّ الرصيد اللغوي الوظيفي المغربي، والرصيد اللغوي العربي؛
- كلّ مخزون الذخيرة العربية، ومدونات صخر، ومدونة مركز جمعة الماجد ومدونة المسبار ومدونة موسوعة الشعر العربي، ومدونة الورّاق، والتراث ومدونات المعاجم لمختلف المراحل الدراسية ومدونات قيد النشر...
- وأمّا المدة الزمنية الثانية، فتكون من القرن التاسع عشر إلى وقتنا الحاضر وهذه الفترة غزيرة في الإنتاج، ومتشعبة في التخصصات، ونجد فيها الجبال من المؤلفات ولا تعامل مادة هذه الفترة معاملة الأولى؛ فهي فترة كثر الإنتاج وتشعب وخاصة الصحف فيصعب متابعة كلّ إنتاج العصر وفي كلّ اختصاص، ومن هنا يقع الاختيار والانتقاء في كلّ المواد، وهذا لعدة عوامل:
- فترة غير مؤسّسة، فالمادّة الأصل في الفترة الأولى، وقد أخذت بالاعتبار دون انتقاء؛
- فترة تحتاج إلى عيّات نوعية تكون هي المرجع والشاهد على لغة العصر الحاضر؛

➤ فترة تأخذ في الاعتبار لغة الصحافة التي أعطت للعربية الدفع القوي من النماء اللغوي؛

➤ فترة تدفق سيل حاجات الحياة من الحضارة الغربية؛

➤ فترة تحتاج إلى أخذ العينات من الاجتهادات العلمية التي ظهرت في كلّ الدول العربية بعد الرجوع إلى المصادر الأساس والتي يقع الاتفاق عليها من قبل المجلس العلمي.

5/5 - الرهان كلّ الرهان على وضع مناطق (Logiciels) لعملية الحياة والمعالجة والاسترجاع: في عصرنا الحاضر يجب أن لا يكون العمل بالجزئات أو بالطريقة التقليدية، ونحن نغمرنا الآلات الحديثة والمناطق المتطورة (البرمجيات). وبات حراً بأنّ التحكم في وضع المناطق القارئ والمدرّك للرصيد اللغوي العربي ويكون عالي السرعة والمعالجة، وبمحرك عربي متطور ويستجيب للمعالجة الآلية للنصوص العربية هو أمر ضروري قبل الانطلاق، فكلّ ذلك يسهّل كلّ العمليات ويدرك المصطلحات ويعرف التغيّر الدلالي، ويسقط المكرور ويتدرّج في المادّة. نحن بحاجة إلى مناطق متطور، وإلى أجهزة تستطيع تخزين الكمّ البلايني من المعلومات، وتستطيع استعادتها تحت الطلب، وتنظيمها، وعدّها وإعطاء مدلولها وما طرأ عليها من تطوّر.

أؤكد بقوة بأنّ الرهان المعاصر يقف في مدى استغلال هذه التقنيات للتخزين والعدّ والمعالجة التي تتطلبها عمليات السرعة، أمام الكمّ الفيضاني المعلومات وللتراث الذي له عمق تاريخي كبير، ولكن لا يعني هذا إلغاء عمل البشر، فالآلات نحتاجها، ولكنها لا تعوّض العنصر البشري تماماً، بل نحتاج إلى عناصر بشرية كثيرة تكون كفاءة في عملها، فهي التي تدقق وتصحّح. وأمّا نقطة (استغلال التقنيات) ففتحناج إلى لقاء تشاوري بين رؤساء الوحدات ومجموعة من الحاسوبيين؛ حيث يشرح رؤساء الوحدات:

➤ معنى المعجم التاريخي: لغة اصطلاحاً؛

- عملية التخزين؛
- عملية المعالجة؛
- عملية الإحصاء؛
- عملية تطوّر الألفاظ؛
- عملية طرح المكرور؛
- عملية الاسترجاع؛

...

أي إنّ المعنيين بأمر الوحدات لهم تصوّر مبدئي عن ميكنة المعجم التاريخي فالأحرى أن يشرحوا فكرتهم للحاسوبين بغية وضع نطاق حسب الأفكار التي يقع التفاهم حولها، تسهيلاً لعملية التخزين، وهي العملية الأولى التي يجب أن يعدّوا إثرها متخصصين في مجال الحيازة. وعلى الحاسوبيين أن يعملوا على برمجة آلية سواء على مستوى الحيازة اليدوية، أو الحيازة عن طريق الإنترنت، أو باستعمال الأقراص الممغنطة (C D) أو بالماسح الضوئي. وعليهم كذلك أن يجعلوا المناطق قابلة للتطوير، ومفتوحة على احتمالات لاحقة تعمل على التطوير والتحسين والتصحيح؛ حتى تستجيب بشكل كامل لآليات المعجم التاريخي، هذا من جانب ومن جانب آخر، لا بدّ أن تقع الاستفادة من الصناعة المعجمية والاستعانة بالتجارب الناجحة.

الجزء التطبيقي

هو الجزء المكمل للنظري؛ باعتباره تطبيقاً لحديثاته، ويتطلّب هذا الجزء الشروع في الإجراءات وتطبيق المنهج العلمي، خاصّة بعد وضوح الرؤية العامّة لمفهوم المعجم التاريخي الذي نكرّر القول في صفاته العامّة بأنّه: **جمع المدوّنات العربية باستقراء كلّ النصوص استقراءً؛ يتتبّع التطوّر التاريخي.** والأحرى بنا اتباع المنهج التأصيلي التاريخي المقارن للنصوص التي سوف تتسخ، ولا ننسى المنهج الوصفي؛ حيث يصف كلّ النصوص والوحدات بالنظر إلى سنة ورودها

وتُحذف الاستعمالات المكررة ثم تُدَوّن المعاني الجديدة فقط، بالاحتفاظ بالأقدم من العصر الجاهلي إلى وقتنا الحالي. كما يدرس المعجم نشأة المادة وعروبته أو تعريبها، وما يتصل بها من عوامل النطق ويرتّبها تاريخياً بحسب ظهور الصيغ مع تقديم المبني على المعرب، والثنائي على الثلاثي والثلاثي على الرباعي والرباعي على الخماسي، واللازم على المتعدّي، والمعلوم على المجهول والمجرّد على المزيد، وكلّ التغيّرات الطارئة من خلال حروف الزيادة... ولا يتجاوز ذكر الأصوات، وما طرأ عليها من تغيّرات كما لا يتجاوز الأساليب والتراكيب الخاصّة الاصطلاحية التي اتّخذت دلالات معيّنة، كما يذكر اللفظ الذي استُخدم مرة واحدة ثمّ هُجر/ ما زال يُستعمل؛ بالإشارة إلى مصدره، وموطنه وقائله، ومعناه وما طرأ عليه من كلّ الجوانب اللغوية والأدبية، ولا يتجاوز المسكوكات، والمركّبات ودلالاتها وتطوّرها عبر الأزمان؛ حيث يتقصّى المعاني في مختلف العصور والبيئات ولدى كلّ الطبقات...

وأما الإجراءات المنصوص عليها في العنوان؛ فالمقصود بها الخروج من التنظير والأمني، وما كان حلاً ذات وقت إلى مجال الأجرأة الفعلية التي تؤدّي بنا إلى تجسيد الملموس بفعل خطط واضحة محدّدة بزمان؛ أي ترجمة الحلم إلى سلوك قابل للممارسة. وأما المنهج فأقصد به وضع الترتيبات اللازمة ضمن الإجراءات الفعلية ذات الأبعاد والمرامي والأهداف؛ انطلاقاً من منهج علم اللغة الوصفي بالاستعانة بعلم اللغة التاريخي، والاستهداء بعلم اللغة المقارن، في تدوين المفردات والألفاظ، وهذا بوضع طريقة منهجية يمكن بواسطتها معالجة المعطيات الجزئية؛ وصولاً إلى المعطيات الكلية، وبرسم استراتيجيات ضمن الأبعاد الثلاثة: القصير والمتوسط والبعيد المدّة. وتعدّ هذه الاستراتيجية طريقة من طرائق حلّ المشكلات والهدف من ذلك تمكين المختصّين من التغلّب على كلّ الصعوبات التي سوف تتجرّ عن هذا الإنجاز الحضاري القومي.

1- الجوانب الإجرائية: يبدو لي بأنّ المعجم التاريخي للغة العربية يحتاج إلى ثلاث خطوات كبرى وعملقة، فإذا استطعنا تجاوزها يمكن أن نقول: إنّ المعجم سينجز في القريب العاجل، ولا يحتاج إلى قرن أو أكثر، وهذه الخطوات هي:

— **الخطوة الأولى:** الوصول إلى تحديد المعالم الكبرى لتطور اللغة العربية خلال العصور.

— **الخطوة الثانية:** الوصول إلى وضع قائمة بأسماء النقوش والمخطوطات والمظان والمصادر الموثقة التي تستقى منها مادة المعجم.

— **الخطوة الثالثة:** الوصول إلى صنع برمجيات حاسوبية (مناطق) لتخزين ومعالجة وتصنيف وتحليل المدوّن، والإجابة عن أيّ طلب يخطر ببال الباحث في اللغة العربية.

إنّ التركيز في العمل لا يخرج عن هذه الخطوات، وهي الخطوات الأساس التي تجعل المشروع يدخل حيّز التنفيذ. وإذ أؤكد مسألة **الخطوات الثلاث** باعتبارها المنطلق وخاصة التحكم الدقيق في إنتاج/ استيراد/ تكييف البرمجيات، فهي الأداة المنهجية التي تيسّر العمل وتقننه وتصنّفه، وتعمل على السرعة. ومن هنا أصبح الحاسوب في إنجاز المعجم التاريخي الأداة الهامة في إعداد المادّة بصفة عامة وعدم وجوده لا نستطيع التحكم في حجم المدوّنة "المشكلة الأساسية في صناعة المعجم التاريخي تتّصل بحجم المدوّنة التي تؤخذ منها الكلمات والاقتباسات، فقد اعتمدت المعاجم التاريخية التي أنجزت مثل معجم أكسفورد الإنجليزي OED كما تعتمد المعاجم التي تنفذ حالياً للغات مختلفة ولمستويات لغوية مختلفة على مدوّنات ضخمة وصلت في بعض الحالات إلى عدة آلاف من المجلدات، تضمّ مئات الملايين من الكلمات المتتابعة في نصوص الكتب. وقد أصبح الحاسوب أداة ذات كفاءة عالية لتحقيق الطموح العلمي⁽¹⁾". ويجب تأكيد مسألة حوسبة هذا المعجم؛

(1) — محمود فهمي حجازي، البحث اللغوي. القاهرة: دت، دار غريب للطبع والنشر والتوزيع ص 74.

حيث يقع التركيز في هذا الوقت حول النظم الحاسوبية والبرمجيات باستدعاء المعنيين بالأمر للعمل على تطوير خدمات الإدخال والإخراج وتعريب التطبيقات الحاسوبية والبرمجيات، وتعريب نظم التشغيل للحواسيب⁽¹⁾. وإنّ السعي لوضع برمجيات تخدم اللغة العربية أساساً؛ أي تشغل بالحرف العربي فهي الأداة العصرية التي أضحت لا مفرّ منها، فعلى عاتق الحاسوبيين تركيز جهوداتهم في تعريب التجهيزات على المطارف ذات العلاقة بالعربية، ثمّ البرمجيات المعتمدة في اللغات المتقدمة والأخذ في الاعتبار خصائص اللغة العربية، والمشاريع الكثيرة التي قدمت في هذا المجال بشكل جزئي ومن ثمّ لا يمنعنا من الاشتغال في بعض الأمور الأخرى من مثل:

1/1 – وضع الرمز المختصر للمعجم: وأرى ضرورة الإبقاء على مقترح المعجمية التونسية (متع).

2/1 – الاتفاق على الشعار الذي يحمله في المراسلات: تفتح مناقصة في تقديم العروض، وترصد لجنة علمية لاختيار أفضل عرض يستجيب لأهداف المعجم.

3/1 – إنجاز القانون الأساسي للعاملين: ينظر فيه بحسب القوانين السارية حصراً في دولة المركز مع المرجعيات الإضافية للمؤسسات العربية/ الدولية التي تتواجد في دولة المركز. وأرى المشروع الذي قدّمه الأستاذ علي القاسمي بخصوص (النظام الأساسي لهيأة المعجم التاريخي للغة العربية) في أبوابه الثلاثة ومواده الاثنتي عشر (12) مقبولاً وصالحاً إلى جانب (مشروع نظام الموظفين) فالإلى حدّ ما فهما معقولان من حيث الإلمام التام بكلّ المعطيات القانونية ويحتاجان فقط إلى تطعيم من قبل مختصّين في الإدارة والمالية لترجمة بعض النصوص وفق قوانين البلد المضيف حصرياً، وإلى ترجمة المخصّصات المالية إلى أرقام معمول

(1) – ينظر: مجلّة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تونس: 1996، عدد خاصّ بـ (اللغة العربية والنظم الحاسوبية والبرمجيات).

بها في المؤسسات الأجنبية المتواجدة في الجمهورية المصرية. وعلى العموم فإنّ هذا الأمر ليس بالقضية المركز التي يمكن أن تعيق عملية المعجم ونحن نعلم أنّ عملية الحسابات ليست في المستوى الذي تتعطل بها الأشغال.

1/ 4 - فتح بوابة المؤسسة في الشبكة الدولية - (متع): بات حرياً أن تفتح المؤسسة موقعها الخاص، وتحمل شعارها، وتضع فيه كلّ مستلزمات عملها الجاري إنجازه، وما هو في الطريق، ويوضع فيه في البداية:

➤ الكتاب التعريفي بالمعجم التاريخي للغة العربية (متع)؛

➤ كتيب في القواعد الفنية التي تراعى في المعجم.

ويكون هذا تهيئة للاحق من الأعمال التي سوف تضخّ لمن يهّمه أمر هذا المعجم. وأرى من هذا المنطلق القاعدي بأنّ الأمور الأخرى لاحقة بحكم الوقت فقط ومن هنا يجدر بالقائمين على وضع الترتيبات الأولى إعطاء كلّ العناية لهذا الأمر فهو القاعدة التي يسير عليها المعجم التاريخي في لاحق من خطواته.

1/ 5 - توفير الاحتياجات الدنيا: أتصوّر في المرحلة الأولى أن يكون المنطلق بوضع القاعدة الأساس للمؤسسة الفنية، والتي لا تتطلّب إلاّ الحد الأدنى ونعرف أنّ لكلّ بداية عثرات وصعوبات وأصعب الصعوبات في الانطلاق، وما أسهل العمل إذا حصل الانطلاق! وبالانطلاق تظهر الفراغات والأخطاء ويبحث لها عن حلول المهمّ أن ننطلق، وعند ذلك لكلّ حدث حديث. وأرى أنّ الحد الأدنى يكون بتوفير ما يلي:

➤ كتّبة حاسوبيين للجمع والحياسة؛

➤ حواسيب متطورة وعالية الجودة؛

➤ خطّ إنترنت متخصص؛

➤ خطوط للاتصالات؛

➤ خبراء لغويين يجمعون بين التمكن اللغوي والإتقان القوي للإعلام الآلي؛

➤ مكتبة ورقية، مع مكتبة إلكترونية؛

➤ تجهيزات مكتبية أخرى؛

➤ البدء بالحيازة اليدوية، في انتظار إعداد مناطق للحيازة.

2 - وضع الكتاب التعريفي⁽¹⁾: والهدف منه توصيف عامّ لـ (متع) وأهدافه

وخصائصه، وما سوف يقدّمه للغة العربية، ويمكن أن يجيب الكتاب التعريفي باختصار عن الآتي:

- مقدّمة: فكرة عامّة عن المعجم التاريخي للغة العربية (متع)؛
- أسباب تعرّث المشروع في الماضي، وإحياء الفكرة في الوقت الحاضر؛
- دواعي تأليف المعجم التاريخي، حدوده وأبعاده.
- ويتمّ التعرّض في هذه المقدّمة إلى تصوّر الثقافة والحياة العربية من خلال اللغة، يتيح الاطلاع على التعابير القديمة، وما عرفته من تطوّر إلى أن وصلت إلى وضعها الراهن، كما يتيح لنا هذا المعجم قراءة تراث اللغة العربية من خلال الممارسات اللغوية. فهو معجم يشمل تاريخ المفاهيم والأفكار والمؤسسات وتطوّر العلوم من 200 سنة في العصر الجاهلي إلى وقتنا الحاضر.

- أهداف المعجم التاريخي؛
- لمن يعدّ هذا المعجم؛
- الإطار العامّ للمعجم؛
- حجم المعجم؛
- مداخل المعجم؛
- مراحل الإنجاز؛
- شروط العلماء المستكثبين؛
- الجهات المشاركة في المعجم؛

(1) - يمكن الاسترشاد في هذه النقطة بالكتاب التعريفي/ القواعد الفنية، الذي وضعته اللجنة العلمية لموسوعة أعلام العرب والمسلمين. تونس: 1999.

- آفاق المعجم.

3 - إنجاز كتيب في القواعد الفنية التي تراعى في (متع): وهذا الكتاب موجّه للعلماء المستكثبين في الحقيقة، ثمّ هو كتاب للمختصّين في المعجم وفي الصناعة المعجمية؛ يسترشدون به منهجياً أثناء تحرير المواد، ولا شكّ أنّه باطلاعهم على هذا الكتاب يبدون أفكاراً تصحيحية تؤخذ في الاعتبار في مراجعة النقائص، وفي تصحيح بعض الآراء ويستهدي به المستكثبون في إنجاز المطلوب منه، ويمكن أن يشمل الآتي:

- قيام المعجم على الدقّة في المعلومات، والموضوعية في العرض؛
- الإفادة المناسبة من الصور والجدول واستعمال الرموز والمختصرات وقت الحاجة؛
- الإشارة إلى أماكن استعمال علامات الوقف؛
- وضع قائمة بالمختصرات ♥/ الشارات/ الرموز التي تعتمد أثناء الكتابة؛
- إنجاز قائمة بالمصادر الأساس للمعجم؛
- توضيح طريقة العرض والصياغة؛
- ذكر مواصفات اللغة المستخدمة؛
- الاتفاق على المصطلحات العلمية المستعملة في المعجم؛
- الإشارة إلى حجم ونوع الجداول والخرائط الموظّفة في المعجم؛
- التدقيق ثمّ التدقيق في النقل، وهذا بمراجعة صارمة لكلّ المواد والاقتباسات؛
- تحتفظ الكلمة برسمها كما وردت في كلّ اقتباس؛ لأنّها تمثّل جانباً من ثقافة العصر ومعرفته؛
- الإشارة إلى طريقة الإحالات والهوامش؛

♥ - إنّ مجمع اللغة العربية بمصر قد اقترح أو أنجز أعمالاً معتبرة في مجال رموز المراجع اللغوية التي يفضل توظيفها. كما أنّ مجمع اللغة العربية الأردني قد أنجز مدوّنة في المختصرات العلمية. وأمّيل إلى أنّنا نعتدّ ماله علاقة بمختصرات ورموز وشارت ما وقع الاتفاق عليه من قبل المراجع.

- تحديد عدد الكلمات في المدخل الرئيس، وفي المدخل الفرع؛

...

ومن هنا فإنّه يطلب من المستكثبين الغوص في كلّ كلمة من كلمات اللغة؛ من حيث:

- كلّ صوت من أصواتها؛
- كلّ صيغة من صيغها؛
- كلّ اشتقاق من اشتقاقاتها؛
- كلّ تركيب من تراكيبيها؛
- كلّ أسلوب من أساليبها؛
- كلّ مسكوك من مسكوكاتها؛
- كلّ مثل من أمثاله...

وهذا عبر مرّ العصور وكرّ الدهور، إضافة إلى:

- تجاوب كلّ كلماتها من حيث التواتر، الشبوع، الفناء، البقاء، التأثر والتأثر؛
- تتبّع الكليات دون نسيان التفصيلات والجزئيات؛
- تتبّع التغيّرات بما تحويه من نماذج؛
- لا يكتفى بالنماذج إلّا في العصريّات.

4 - الاستهداء بالمنجزات العلمية السالفة: مثلما ذكرت سلفاً بأنّه لا ينبغي أن

نبنّي في كلّ مرة بناءً جديداً، فهناك منجزات علمية مضبوطة تحتاج إلى تثمين وتجسيد في هذا المعجم التاريخي، فيجب أن لا نمرّ مرور الكرام على القرارات العلمية في خمسين عاماً 1934-1984م، التي أنتجها مجمع اللغة العربية بالقاهرة باعتباره مؤسسة تشريع لغوية، ولذا نستهدي بقراراته في: كتابة الأعلام الأجنبية وفي ترجمة المواليد والأعيان من نبات وحيوان وتعريبها، وفي وضع المصطلحات وفي الترجمة والتعريب، وفي وضع الرموز للمراجع اللغوية، وفي ترجمة الكواسع والصدور وفي اختصار صور الحروف الطباعية... كما يمكن الاهتداء في ترتيب المداخل وتفرّعاتها والألفاظ المعرّبة والدخيلة بمنهج المعجم الكبير، وفي

المختصرات يمكن العودة إلى الاجتهاد النوعي الذي قدّمته الموسوعة العربية الصادرة في سورية، أو ما قدّمه المجمع الأردني من اجتهاد في: مشروع مجمع اللغة العربية الأردني للرموز العلمية والعربية سنة 1985م... والذي يهتم في هذه النقطة يجب أن لا نخلق ما هو كائن، بل علينا أن نضع هذه الإجراءات التي سبق لها أن وُضعت، ونسترشد بما يخدم لغتنا سواء كانت من مؤسّساتنا أو من مؤسّسات أجنبية، فيجب العمل بالذرائعية التي تخدمنا وترقي لغتنا، فحيث وُجدت المصلحة فثمّ فائدة اللغة العربية. ولكن أوكد أمر الأخذ بالجهود التي قدّمها المجمع على وجه الخصوص، فإنّها قدّمت اجتهادات وقرارات وتيسيرات فالأحرى بنا أن ننظر في تطبيقها في هذا العمل القومي مثل هذا أو في عمل يماثلته، وإلاّ ما الفائدة من ذلك الركام المعرفي الذي يقّدّم منذ 1919م.

5- كيفية الإنجاز: يجب أن تعطى الكلمة هنا للمختصّين والمعجميين والحاسوبيين، وإلى أهل الحرفات العلمية الدقيقة التي هي من اختصاص حرفييها وخاصة في مجال وضع المداخل، وكيف يقع تصنيفها، وكيفية التعامل مع الفروع إلى جانب المعطيات العلمية الأخرى من مثل: الكلمات الأعجمية، تقسيم الكلمات أنواعها، كيفية تأصيلها، المجال التخصصي لها، تاريخ أقدم مسموع لها نظام كتابتها...

هذا، وأرى أنّ من المراحل الإجرائية التي تتطلّب التحضير الجيد كذلك:

- تكوين فرق من الحاسوبيين المخزّنين للمادة؛
- تقسيم العمل إلى فرق متخصصة؛
- توحيد منهجية البحث والتخزين؛
- تقسيم المادّة العلمية إلى عصور؛
- إعداد مناطق متعدّدة؛ تكون كما يلي:

1- الأول للتخزين.

2- الثاني: للتدقيق اللغوي.

3- الثالث: للتصنيف.

4- الرابع للإخراج.

- تجديد المناطق باستمرار ثلّية للمتطلبات التي تفرضها المضايقات التقنية؛
- اقتناء أجهزة عصرية متطورة؛
- تنظيم العمل وتخطيطه وتنسيقه وتحديد مدّته؛
- تقسيم المادّة إلى قسمين: القسم الأول يبدأ من العصر الجاهلي في حدود 200 سنة إلى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي. والقسم الثاني يبدأ من بداية القرن التاسع عشر الميلادي إلى الآن.
- ويرى الأستاذ علي القاسمي بأنّ مرحلة الإنجاز تتطلّب المنهجية التالية:
- تقسيم العمل إلى عصور تاريخية للمواد المجمعة؛
- إعداد قائمة بالمصادر والمراجع والمخطوطات والمطبوعات الموثقة؛
- إنشاء مدوّنة محوسبة؛
- استخلاص جنور الكلمات ومشتقاتها والتعبيرات التي تدخل فيها المدوّنة اللغوي؛
- تكوين قاعدة شواهد موثقة على مداخل المعجم؛
- تحرير مداخل المعجم⁽¹⁾.
- وهذه المرحلة تتطلّب الآتي:

1/5 - جمع المصادر: تجمع المصادر كلّها من العصر الجاهلي حتى منتصف القرن السابع الهجري (نهاية القرن الثامن عشر الميلادي في المرحلة الأولى). ثمّ الاتفاق على المصادر التي تجمع منها المادّة والتي تخضع للانتقاء وتتعلّق بالقرن التاسع عشر الميلادي إلى الآن. ونقف وقفة لنقول: إنّ الوصول إلى كلّ المصادر ليس صعباً، فقط يجب علينا توزيع المهام؛ بحيث يمكن ذلك إذا كان كلّ عضو في المجلس العلمي استطاع الوصول إلى جذاذات المكتبات وعاد إلى استكناه فهارس

(1) - علي القاسمي "المعجم التاريخي هل نستطيع أن ننجزه بعد مئة عام؟" موقع Google بتاريخ 28 فبراير 2008.

المصادر المتوفرة، وإلى استعمال التقنيات المعاصرة في الوصول إلى كل المصادر. وهذه العملية بدورها تؤدي بنا إلى القول بأنه من الأهمية بمكان البدء بتكوين مكتبة خاصة في مركز اتحاد المجامع تكون في متناول الكتبة (الجماع) والمستكثبين ببلد المؤسسة، وتكون سنداً علمياً للمدققين إضافة إلى البدء بتأسيس المكتبة الإلكترونية.

وإنّ الغرض من هذا هو تأسيس مدونات محوسبة، أو معجمات محوسبة وخاصة ونحن نعيش تطور إمكانات الحواسيب، والتي تتطور عبر الأجيال وتزداد الاستفادة منها باعتبارها أداة فاعلة للبحث والعدّ والاسترجاع، إلى جانب أنها تعمل على إعداد بيانات وتجيّب عن أسئلة "يقدم الحاسوب خدمات كبيرة للبحث اللغوي والأدبي من خلال المعاونة في إعداد معجمات المدونات Corpusw Örterb Ucher والمقصود بمعجمات المدونات كل الأعمال المعجمية التي تقوم على الإعداد المعجمي لمجموع الكلمات الواردة في نصّ محدّد. وإذا كان التراث العربي قد عرف نماذج من هذا النوع تتمثّل -على الرّغم من الفروق التوجّه والمنهج- في معاجم ألفاظ القرآن الكريم، مثل: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ومثل غريب الحديث للهروي، ومثل: المصباح المنير للفيومي، وهو في غريب شرح الوجيز للإمام الشافعي في الفقه، فإنّ التوجّه المعاصر إعداد معجمات المدونات بأنواعها، له -في المقام الأول- طابع حصري شامل يخدم البحث العلمي، ويمهّد لأعمال تطبيقية، وليس مقصوراً على انتقاء الألفاظ الصعبة أو الغريبة، وهي أعمال تدخل في مجموعة أعمال معالجة البيانات عن طريق الحاسوب⁽¹⁾. وإننا نحتاج في هذه المرحلة إلى تكوين مدونات محوسبة التي عن طريقها نجمع ذخائر العربية في عصورها الممتدة وفي بيئاتها المتنوعة "ومما يأتي في مقدمة التصانيف إعداد المدونات المحوسبة التي تعنى بجمع ذخائر العرب من

(1) - محمود فهمي حجازي، البحث اللغوي. القاهرة: د ت، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ص 72.

النصوص التي تمثّل اللغة في أحد عصورها، أو بيئة من بيئاتها، أو مستوى من مستوياتها وهي مقدّمات طيّبة للاستفادة منها في تحديد الكلمات والتراكيب التي يذيع استعمالها بحسب المستويات وتصنيفها، وإرشاد الكتاب والمؤدّبين من مؤلّفين ومعلمين ومعدّي برامج وإعلانات وغيرها، لغرض اطلاعهم وانتقائهم منها ما يعينهم على مخاطبة الفئات التي يستهدفونها، وييسّر سبل التواصل معها. وكذلك يشكّل النجاح في مجال تأليف المدوّنات المحوسبة مقدّمة لإنجاح إنجاز مشروع المعجم التاريخي للغة العربية، ذاكرة العربية الممتدّة منذ كان حتى الآن، والمستمرّة حتى قيام الساعة، ومواصلة مدّه بما يجد من مفردات وتراكيب جديدة⁽¹⁾. وبالفعل إنّ مرحلة جمع المصادر يجب أن تكون سريعة وأن تخضع لتقنية التخزين التي تحصل من قبل التقنيين في البرمجة كي لا يحصل التكرار، وكي لا يكون تضارب بين المصادر التي تخضع للمسح.

2/5 – إنجاز مناطق لتخزين تسميات المصادر ومتعلّقاتها: إنّ الكمّ الكبير من المصادر يحتاج إلى مناطق تدوّن فيه كلّ معلومات المصادر، تسهياً لعملية الإسناد وما له علاقة بذلك، وهذا المنطق يجب أن يستجيب لمواصفات أصالة المصدر وعدم تكرار نفس المصدر، وحسن الترتيب... كما تتطلّب المرحلة استعمال الماسح الضوئي المتطور. ويجب أن نعلم بأنّ مرحلة الإنجاز تتطلّب بقوة إعداد مناطق متطورة؛ تسهياً لعملية المسح والمعالجة والإحصاء، ثم سهولة الوصول إلى المادّة في صورّها المطلوبة والتي بها تقترب المسافة بين المنتج وبين المعالج. وهي عملية من الأهمية بمكان أن تأخذ الأولوية في هذه المرحلة.

6 – مدّة الإنجاز: إذا نظرنا إلى المعاجم العربية القديمة مثل: المحكم لسان العرب الصّاح، تاج العروس... وإلى الموسوعات ودوائر المعارف والمعاجم

(1) – صادق عبد الله أبو سليمان "تحو استثمار أفضل للحاسوب في مجالات خدمة اللغة العربية وعلومها" مجلة المجمع الجزائري. الجزائر: 2007، العدد 6، ص 63-64.

الحديثة، نجد تقريباً فرداً واحداً قام على إنجاز تلك المدونات الضخمة وبالوسائل التقليدية البسيطة ومع ذلك لم نجد تلك المعاجم قد فرّخت في أعشاشها ولا عاشت سنوات العمر تنتظر الإصدار، وهذا لوجود العوامل التالية:

- النقرغ الكلي للعمل؛
- التشجيع المادي والمعنوي؛
- الإخلاص والجّد؛
- النظر إلى القيمة العلمية للمنتوج؛
- الدعم من أولي الأمر.

واليوم تطرح بقوة المدة الزمنية التي سوف يستغرقها إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية، ومن هنا؛ فإنّه بالنظر إلى بعض المعاجم التاريخية التي لم تأخذ زمناً كبيراً وعلى سبيل المثال نجد معجم أستراليا التاريخي الذي لم يأخذ وقتاً كبيراً والمعجم التاريخي للغة العبرية الذي بدأ العمل فيه عام 1959 وأشرفت عليه أكاديمية اللغة العبرية، ويغطّي الفترة من القرن العاشر قبل الميلاد حتى العصر الحاضر، فإنّه لم يأخذ الوقت الكثير، ومعجم الذخيرة اللغوية الفرنسية الذي يغطي الفترة 1789-1960 واستغرق ثمانين سنة، كما أنّ معجم اللغة الهولندية ظهر أول عمل منه عام 1864 واكتمل في 25 مجلداً في ظرف قياسي ومعجم أكسفورد الذي أخذ سبعين سنة، رغم أنّه تشرف عليه جمعية لغوية وهي: الجمعية الفيلولوجية البريطانية "... قاموس جونسون الشهير الذي ظلّ على مدى عدة أجيال المرجع الأساسي في اللغة الإنجليزية لم يستغرق إعداده أكثر من ست سنوات. وكان العاملون في إعداد الدكتور صمويل جونسون وستة مساعدين معظمهم كتبة ومنتق واستشهادات⁽¹⁾..." ونجد هذه الأعمال الضخمة قد أنجزت بطرائق وإمكانات جدّ بسيطة، ومع ذلك فإنّها تحكّمت في زمن الإنجاز. ولو عدنا إلى التخطيط الذي

(1) — أحمد مختار عمر، أنا واللغة والمجمع، ط1. القاهرة: 2002، عالم الكتب ص311.

قدّمه فيشر لإنجاز المعجم التاريخي، فقد خطّط لظهور العمل الذي يغطي مرحلة النقوش إلى القرن الثالث الهجري بسبع سنوات، ولم تكن له الوسائل الحديثة، ولا مؤسّسة ولا يحتكم إلى فرق كثيرة في الجمع والتخزين. ومع هذا أفترض أنّ مؤسّسة المعجم التاريخي سوف تقوم بتخطيط الفترة المحدّدة، كما يلي:

- سبع (7) سنوات من مرحلة النقوش إلى القرن الثالث الهجري؛
- سبع (7) سنوات من القرن الرابع الهجري إلى القرن السابع الهجري؛
- سبع (7) سنوات من القرن الثامن الهجري إلى القرن الثاني عشر الهجري؛
- سبع (7) سنوات من القرن الثالث عشر الهجري إلى الآن؛
- المجموع: 28 سنة.

إنّ ثماني وعشرين سنة (28) أو أكثر بقليل؛ تكون كافية لإنجاز المعجم التاريخي وقد تولّد لديّ الإحساس بأنّ الصدق والنية والاهتمام والتفرّغ وتوفير الوسائل سوف تعيننا على تقليص هذه المدة. ويجب أن لا ننظر إلى منجزاتنا البكر؛ والتي عادة تستغرق أمداً كبيراً، وهذا ما يخيف بعض الباحثين؛ حيث يعدّون زمن ظهور المجلد الأول، ويقيسون عليه توالي المجلدات؛ مثل المعجم الكبير الذي ظهر الجزء الأول من الطبعة التجريبية سنة 1956، والذي احتوى على قسم من حرف الهمزة، وانتهى حرف الهمزة كلّ سنة 1970م. صحيح إنّهُ استغرق مدة غير عادية، ولكن يجب أن نعلم بأنّ الجزء الرابع (حرف الجيم) والجزء الخامس (حرف الحاء) قد صدرا في سنة واحدة عام 2000م. ولدينا تجربة أخرى بأنّ المجلّد الأوّل من الموسوعة العربية الصادرة في سورية قد استغرق العمل فيه إحدى عشرة سنة، ولكن بعد ذلك توالى المجلدات من 2 إلى 22 في أقلّ ممّا استغرقه المجلّد الأوّل. ويجب أن نعلم بأنّ البداية هي التحديد والمنهجية والضبط والدقّة، وتأخذ في العادة مدداً؛ أي إنّ الفترة الأولى حرجة إلى حدّ ما وتأخذ وقتاً ثمّ تتوالى المراحل الأخرى بسرعة، وخاصّة عندما تتّضح الرؤى والمنهجية وتأخذ الصناعة المعجمية طريقها الصحيح. فيجب أن نتفاعل ونشّد العزم فقط، ولنبدأ.

7- مكمّلات أخرى: إنّ المعجم التاريخي يتطلّب نفساً طويلاً، كما يتطلّب أحياناً بعض المراجعة والتدقيق للمعلومات أو للشواهد، ومن هنا فإنّ ميكنة المعجم ضرورة معاصرة، وهي من متطلّبات الحداثة، حيث تسمح بالمراجعة دون إحداث تأثير على المادّة، أو تغيير في المتن، وكلّما ازددنا عملاً ازددنا بصيرة بحقيقته وباكتشاف ما لم نضعه في الحسبان، ومن هنا فإنّ الضرورة العلمية تقتضي الاجتماع الدوري للمجلس العلمي للمراجعة والمتابعة والتصحيح، والعمل على إيجاد الحلول الملائمة. وإنّه من الأهمية بمكان تقسيم العمل إلى فترات تسهيلاً للتخزين، وتكوين مدوّنة المعجم التاريخي الأحادي اللغة (متع) من نصوص مكتوبة وفصيحة، انطلاقاً ممّا كان لا ممّا يجب أن يكون، فالمعجم وصفي يبني على قاعدة حاسوبية تاريخية؛ تراعي التغيّر الدلالي لشساعة هذه اللغة التي تنطلق من العصر الجاهلي، وتضمّ القرآن الكريم بمختلف قراءاته والأحاديث الصحيحة، وكلّ التفاسير، ثمّ لغة الأمويين والعباسيين، ولغة القرون الوسطى، ولغة الشعراء، ولغة الكتاب، ولغة النقاد، وأسلوب اللغويين، ولغة الروائيين ولغة الصحفيين؛ خاصّة الصحافة المعاصرة... مع الإشارة إلى الفصيح والمعنى الحقيقي والمعنى المجازي، والمعرّب، والمنقول، والمولّد... وكلّ هذا يقتضي إعداد مناطق جبرارة وأجهزة متطورة للتغلّب على التأخير الذي لحقنا، كما يقتضي العمل بكلّ الوسائل المتوفرة وخاصّة الماسح الضوئي المتطور؛ والذي يستجيب لتصحيح النصوص الممسوحة باللغة العربية.

يقتضي المعجم بعض الشروط الخاصّة والفنية؛ والتي يقتضي ذكرها هنا وهي:

➤ يأخذ هذا المعجم ثلاث صور، وهي:

1- نسخ مجلدات ورقية مطبوعة.

2- صورة محوسبة (أقراص).

3- موقع (نسخة) إنترنت.

➤ وضع مقدمة توضيحية عن:

- التعريف بالمعجم التاريخي؛
- المنهج المتبع؛
- دراسة لغوية عن ظاهرة التطور؛
- بيانات عن طريقة جمع المدونات؛
- بيان تفصيلي عن المداخل الأصول؛
- بيان تفصيلي عن المداخل الفروع؛
- تشفير للمختصرات المعتمدة؛

- بيان عن طريقة التهميش واستعمال المصادر.

➤ بيانات تفسيرية عن طريقة جمع المادّة، وأرى أنّ طريقة فيشر مقبولة إلى حدّ ما، مع إمكانية إضافة ما يراه المجلس العلمي، ويمكن الإشارة في هذا المجال إلى الخطوط العريضة للخطوات السبع لمعجم فيشر، كما وضّحها الأستاذ إحسان النصّ (عضو مجلس الأمناء):

1- التاريخية: وهو أبرز ما ينبغي العناية به؛ لأنّ لكلّ كلمة تطوّر لها التاريخي الخاصّ، ولابدّ من توضيح هذا التطوّر التاريخي.

2- الاشتقاقية: بيان توليد الكلمات والكلمات المعرّبة تردّ إلى أصولها قدر الإمكان.

3- التصريفية: تحديد الصيغ المتغيّرة للكلمة، وتصريف أفعالها، واختيار الصيغة المشهورة في تصريف الفعل أو الاسم.

4- التعبيرية: تعنى بتحقيق الكلمة أو معانيها، والمعنى الأول يؤخذ من اشتقاق الكلمة، ويقدم المعنى العامّ على المعنى الخاصّ، والمعنى الحسّي على العقلي، والمعنى الحقيقي على المجازي، مع مراعاة المعاني الاصطلاحية.

5- النحوية: نتناول جميع الصلات التي تربط كلمة بأخرى، وترتيب كلمات لها مواضع معيّنة في سياق الكلام، مع مراعاة المضمر أو المحذوف وتعدي الفعل أو لزومه.

6- البيانية: تتّجه إلى بيان العلاقات التطورية لكل كلمة، والتراكيب والتعابير التي لم يطرأ عليها أيّ تغيير، والدواعي البلاغية لوضع الكلمات وترتيبها.

7- الأسلوبية: تعنى بالبنية اللغوية التي استعملت الكلمة أو التعبيرية أو التركيب استعمالاً عاماً مع مراعاة اختلاف الأساليب، ومنها لغة القرآن، ولغة الحديث وأسلوب الشعر والنثر، والأسلوب التاريخي وأسلوب الفنون وغيره⁽¹⁾.

وهذه الخطوات جدّ هامة، وهي التي تعمل على كيفية دراسة كل لفظة فهي منهج جدّ هام، ومع ذلك تحتاج إلى تطوير، لأنّه استُجدت أفكار بعد فيشر، فأرى ضرورة إدراجها، إضافة إلى أنّ دراسة المادّة حسب هذه المقترحات هي نوع من التمثّل المنهجي التاريخي الذي يُطلب في مواصفات المعاجم التاريخية كما يساعد هذا التوزيع على التحكّم في المادّة المجمّعة.

8 - الهيكل العلمي والإداري لمؤسّسة المعجم التاريخي: حسب المواصفات العلمية للمعجم التاريخي فإنّه يجب تغليب الجانب العلمي على الجانب الإداري ولذا أرى أنّ الأقسام المقترحة هي أقسام علمية وهي أساس تصفية المادّة العلمية في بدايتها، ثمّ نجد الوحدات الثلاث المقترحة لها الصورة العلمية البحتة كذلك ولا أرى ضرورة إطلاق تسمية (وحدة) على مصلحة المالية والإدارة العامّة وما له علاقة بالمكتبة فهي إدارة مساندة لجيوش من الحاسوبيين والأساتذة والمراجعين (المدقّقين) الذين تقع على عاتقهم مسؤولية إنجاز هذا المعجم الذي ننتظره بصبر. كما لا يغيب عن الذهن بأنّ المؤسّسة تحتاج إلى أجهزة وأقسام ومساندين؛ تسهيلاً لأداء العمل بشكل جيّد. وأقترح مبدئياً هذه الهيكلية:

(1) - مجمع اللغة العربية السوري، مجلّة المجمع. دمشق: 2007، المجلد الثاني والثمانون، الجزء الأول ص 31 — 32. وينظر

كتاب محمد رشاد الحمزوي (النظريات المعجمية العربية وسبلها إلى استيعاب الخطاب العربي) ص: 237 — 239.

الهيكل العلمي والإداري لمؤسسة المعجم التاريخي



& - توضيح في الوحدات: تضمّ الوحدات الثلاث الحاسوبيين الذين يُعدّون خصيصاً لهذا الأمر ويكونون على دراية تامّة بخصائص اللغة العربية من حيث: الصرف والنحو والبلاغة، والبراعة التامّة في الحيازة والبرمجة، وما يلحق ذلك من عمليات تقنيات الحاسوب[♥]. ويكون على رأس كلّ وحدة أستاذ بدرجة عالية جداً، ومهامه توجيه عمل الوحدة، ويراقب كلّ العمليات التي تنجز أثناء الحيازة.

&/1- وحدة الجمع والتخزين: وحدة تهتمّ بتخزين المادة من المظان المختلفة ويتعلّق عملها في الحيازة الأولية التي تأتي من المصادر، وتكون عن طريق التصنيف، أو استعمال الماسح الضوئي.

&/2- وحدة التصحيح: هي وحدة خاصّة تقع عليها مسؤولية التصحيح والتدقيق وتحتاج هذه الوحدة للتدعيم بأساتذة كبار متخصصين في علوم اللغة العربية، ويكونون متفرّعين للتدقيق فقط. وفي هذه الوحدة يحصل التدقيق من حيث معلومات:

- عن متن العمل؛
- عن منهجية الدراسة؛
- عن لغة الدراسة؛
- عن أصالة العمل؛
- عن الجوانب الفنيّة؛
- عن متعلّقات أخرى.

[♥] - أوصت اللّجنة العلمية المشكّلة من: إبراهيم بن مراد+ أحمد بن محمد الضبيب+ صالح بلعيد، بأنّ مواصفات الجمّاع (الكتبة العاملون في الحيازة) في الوحدة الأولى تكون كما يلي:

- 1- أن يكون موظف الوحدة حاصلاً على درجة البكالوريوس أو الليسانس في اللغة العربية وآدابها.
- 2- أن يكون حاصلاً على شهادة تدريب في إدخال البيانات واسترجاعها (الحوسبة) أو له خبرة في هذا المجال.
- 3- أن يخضع لاختبار يُجرى له في اللغة العربية، وفي استعمال الحاسوب، يكون كتابياً أولاً، ثمّ شفاهياً في مقابلة شخصية.

ويشترط في المدققين الإلمام الجيد بفنون المراجعة اللغوية، بدءاً من النقائش والمخطوطات، وما هو محقق، وما يوجد في الصحائف، وما تحتويه المتون، وما تحمله كتب التراث، والذي تتضمنه الكتب المعاصرة، والجرائد، إلى جانب إتقان فنّ مراجعة الأبيات الشعرية، وفنّ تحقيق النثر... وكلّ ما لا يسع المصحح جهله من جوانب فنية. وتقع المسؤولية جسيمة على المدققين في أنّهم يدقّقون في مسائل التصحيف، والتحريف والتعليق، والتخريج، وقضايا عديدة، ومن جوانب شتى...

3/8- وحدة الإخراج: هي وحدة فنية، يقع العمل فيها بخصوص الإخراج وما له علاقة بتوظيف المختصرات، والبيانات، والاستبانات، والصور، وتوظيف الخرائط والألوان، إلى جانب الجوانب الفنية والجمالية.

8- توضيحات في المهام العلمية للأقسام: إنّ مهام هذه الأقسام تتمثّل في الآتي:

- استقبال المادّة الخاصّة بها؛
- التدقيق في المادّة المستقبلية من حيث الاختصاص؛
- تحليل المادّة ودراستها بدقّة؛
- إجراء التعديل المطلوب، أو إبداء الرأي بالقبول، أو بالرفض؛
- توجيه المادّة المقبولة إلى مصلحة التخزين، وإن طلب التعديل تعود المادّة إلى صاحبها للأخذ بالملاحظات.

وأرى في البداية أن ينظر اتحاد المجامع في تنصيب الأقسام التي تحتكم إلى كمّ من التأليف، على أن يلحق تنصيب الأقسام الأخرى في لاحق من الزمن. وإنّ كثرة الأقسام ضرورة تفرضها المادّة المتنوّعة الكثيرة، ويفرضها عامل الزمن وربح الوقت ولذا لا نستهيّن بهذه الكثرة؛ حيث وُجِدَ في معجم الذخيرة الفرنسية أكثر من ستّة عشر قسمًا وفي الموسوعة العربية بسورية تسعة أقسام.

إنّ هذه الهيكلية لا تعني في حال من الأحوال استقلال الوحدات بعضها عن البعض بل الغرض منها السيطرة القويّة على المادّة الكبيرة، وتوزيعها على الأقسام (الاختصاصات) تيسيراً للجمع والدراسة والتدقيق الجيد لا غير. وإنّ غرضي من

هذا التقسيم الهيكلي هو العمل في فريق متعاقد يكمل بعضه البعض، وسيمرّ العمل وفق التراتب التالي:

- 1- تأتي المادة العلمية عن طريق وحدة الوثائق والمكتبة، أو بواسطة المستكبين.
 - 2- يقوم الأمين العام بتوزيع المادة-حسب اختصاصها- على الأقسام.
 - 3- تُجرى المراجعة الأولى من قبل القسم المختص.
 - 4- تُوجّه المادة إلى وحدة الجمع والتخزين.
 - 5- يقوم أساتذة وحدة الجمع والتخزين بتدقيق شكلي في المادة.
 - 6- تخزن المادة في صورتها الأولى، ثمّ تسحب وتوجّه لقسم التدقيق اللغوي.
 - 7- يقع التدقيق مرّةً ثالثة للاستدراك/ للإضافة/ النظر في أخطاء التخزين.
 - 8- تعود المادة مرّةً ثانية إلى وحدة الجمع والتخزين، لإجراء التصحيحات.
 - 9- تُوجّه المادة العلمية بعد ذلك إلى وحدة الإخراج الفني.
 - 10 - تعرض المادة وهي في صورتها النهائية على المجلس العلمي.
 - 11- يفحص المجلس العلمي المادة من كلّ جوانبها، ثمّ يؤشّر على صلاحيتها/ تصحيحها/ تعديلها/ رفضها.
 - 12- تُوجّه بعدها المواد المقبولة في صورتها النهائية إلى الطبع.
 - 13- تخرج المادة في صورها الثلاث: مجلدات، أقراص، موقع المؤسسة.
 - 14- تبقى الصورة الأصل في الحاسوب لاستعمالها لاحقاً في النسخة الآلية (الإنترنت).
- وسوف أعلّق قليلاً على هذه الأمور، ببعض المؤكّدات:
- لا بدّ من جبر النواقص قبل عرض العمل على اللجان المختصة؛
 - لا بدّ من الدقّة الصارمة لكلّ المواد التي يضمّها المعجم؛
 - لا بدّ من التحرّز والتحرّج والدقّة المفرطة في تحقيق المواد؛
 - لا بدّ من الحوار بين العلماء والمعدّين للمواد والمدقّقين؛
 - لا بدّ من تكثير المراحل التي تمرّ بها المادة، فهي باب من أبواب التصفية والمراجعة والدقّة.

صناعة المعرفة ودورها في خدمة التنمية المستدامة^٧

— **ديباجة:** بدعوة من أعضاء (منتدى رواد القراءة) لقول كلمة في التنمية المستدامة فقد لبّيت النداء وأشكرهم على الدعوة، وعلى حسن اختيار هذا الموضوع؛ لما له من أهمية الاهتمام به في وقتنا المعاصر من قبل كافة ساكنة القارات؛ نظراً للدور الكبير الذي يشكّله في التنمية البشرية، وآفاق الرقي بالمجتمعات وإلى التحكّم في الآليات العاملة على الرفاهية المجتمعية، وتسهيل تقديم الخدمات، والخروج من الإجهاد العضلي، وصولاً إلى نمط تعادلي للمجتمعات في ظلّ الزخم الآلي الذي تدفقه الآلة وتعمل على تسهيل حياة المواطن بنمطية المدن الذكية والقرى الحضرية والتواصل البسيط، وإلغاء الحدود وملّك المنتج للمستعمل، والإشراك في فعلّ النقلة الحضارية وبناء بعض مستلزمات اقتراح الأفكار، وفي الأخير وصولاً إلى مجتمع المعرفة. ولهذا أصبح موضوع **صناعة المعرفة** موضة العصر لما له من قيمة في مجتمعاتنا المعاصرة؛ حيث توليه الأمم المتقدّمة عناية أولية، حتى أصبح مادةً علميةً تُدرّس في استراتيجياتها كما أضحت سلعةً تُسهم في رفع الرأسمال المعرفي، ويعمل على النهوض بالتنمية المعرفية التي تعتمد التقانات المعاصرة وفق بنيات تبادل السلع العينية كما كان في الماضي.

ورغم أنّ الموضوع شائكٌ ومعقّدٌ، حيث ينال مختلف الاختصاصات، ويمسّ كلّ الجوانب؛ فلقد عقدت من أجله العديد من الندوات والملتقيات والمنتديات وصدرت الكثير من التوصيات، وخرجت مجموعة من البيانات، وطُبعت من أجله المطويات والمجلات... وكلّها تأتي في إطار الحثّ على البُعد العالمي المشترك في ضرورة

^٧ — أُلقيت المحاضرة في المكتبة الوطنية، بتاريخ: 13 مايو 2017، ندوة من تنظيم (منتدى رُواد القراءة).

الانتقال النوعي منثورة البخار، وريع البترول إلى وسائل التواصل الشبكي الخارقة للمسافات والمُقرّبة للقارات، والمتحكّمة في الأوقات، وكلّ ذلك كان بفعل الاستثمار في الموارد البشرية التي لا تنفذ وهذا ما رأيناه في كثير من الدول التي عرفت نقلات نوعية؛ وهي لا تملك البترول، وتسكن أراضي ضيقة وكثيرها غارقة وغائرة، لكن بحسن الاستثمار في الطاقات البشرية، خلقت صناعة معرفية، فنقلت مجتمعاتها من رُتب دُنيا في الفقر إلى احتلال مناصب عُليا في الثراء المادي وفي الاقتصاد السلمي؛ فبعدما كانت دولاً مستوردة أضحت تتحكّم في الطاقات المتجدّدة وتصدّرها، وتعال الصادرة في التحكّم في التقانات المعاصرة؛ بل في النانوتكنولوجي. ولفهم الموضوع كان لا بدّ أن نتشطر مُحدّاته وفق الآتي:

1- صناعة المعرفة: وتعني تلك الصناعة المعتمدة على تقنيات المعلومات؛ وهي الصناعات التقنية المتقدّمة التي تضمّ المجالات الإنتاجية ذات القيمة المضافة العالية والتي تعتمد أساساً على الفكر؛ أي الجهد العقلي البشري الخلاق؛ وهي تضمّ على سبيل المثال الاقتصاد المعرفي، وتقنيات النانو في تحقيق التنمية المستدامة للصناعات المعرفية، وذلك من خلال الصناعات المعتمدة على تقنيات الاتّصالات والمعلوماتية كوجهٍ جديد تُستخدم فيه المعلومات الوفيرة مورداً استثمارياً، وسلعةً استراتيجية، وخدمةً كبرى ومصدراً للدخل الوطني ومورداً للقوى العاملة. ويمكن تلخيص الأمر في أنّ **صناعة المعرفة** هي صناعة تكنولوجية تتمثّل في خدمات الاتّصالات، والخدمات المالية والصناعات الدوائية والتعليم والبحث والتطوير. ونجد فيها تقنية المعلومات رأس المال الفكري بقوة محرّكة للاقتصاد. وهذا النوع من الاقتصاد سيجعل المهن في المستقبل مرتبطة بشكل مُعقّد بتقنيات المعلومات والاتّصالات بشكل مباشر. وهكذا يمكن القول بأنّ صناعة المعرفة ضرورة لازمة بل من متطلّبات الحياة المعاصرة، وتتطلّب مجالاًتها تحسين ظروف المعيشة لجميع الأفراد دون زيادة استخدام الموارد الطبيعية إلى ما يتجاوز قدرة كوكب الأرض على التحمّل؛ لحفظ الموارد الطبيعية والبيئية، والتنمية الاجتماعية.

2- اقتصاد المعرفة: يعتبر الرأسمال البشري أكثر الأصول قيمةً في الاقتصاد المبني على المعرفة وترتفع المساهمة النسبية للصناعات المبنية على المعرفة كلّما

زاد الذكاء الصناعي في صنع براءات الاختراع، وزادت التقنية في الاستعمال وزاد التحكم فيها بدل الاستخدام الأعمى، والتي تتمثل في الغالب في الصناعات ذات التكنولوجيا المتوسطة والرفيعة، مثل الخدمات المالية وخدمات الأعمال. ويشكل توليد المعلومات ونشرها واستثمارها مرتكزاً رئيساً لاقتصاد المعرفة. وهذا يشكل بدوره هرمية من شبكة المعرفة مثل شبكات الجامعات وشبكات مراكز البحوث، وشبكات مؤسسات المعلومات كالمكتبات، ودور النشر ومراكز التوثيق وشبكات الصناعات المختلفة، وغير ذلك من الشبكات الحديثة. وحددت متطلبات ذلك في مضاعفة الجهود الوطنية لتعزيز الاجتهاد والتطلع نحو العلم، والنزوع إلى التفكير، والبحث العلميين وتقوية البنية التحتية للعلوم والتكنولوجية، وتوسيع القاعدة التعليمية، وإقامة مراكز تميز وإبداع، وتنمية ثقافة الابتكار وتوجيه استثمارات نحو البحث والتطوير، وخلق بيئة متينة لتعبئة الطاقات الإبداعية للشباب.

ومرة أخرى؛ فإنّ اقتصاد المعرفة يقوم على أساس إنتاج المعرفة، واستخدام نتائجها وثمارها وإنجازاتها واستهلاكها بالمعنى الاقتصادي لمفهوم المستهلك المتحكم في ما يستهلك أو يستعمل، بإحكام العقل، حيث يزيد المنتج دون ضررٍ بشري ولا جغرافي ولا تأثير سلبي. وبذلك تشكل المعرفة بمفهومها الحديث جزءاً أساسياً من ثروة المجتمع المنظور، ومن رفاهيته الاجتماعية. وهناك من يعرف اقتصاد المعرفة على أنّه الاقتصاد المبني أساساً على إنتاج ونشر واستخدام المعرفة والمعلومات فاقتصاد المعرفة يعني التحول من التركيز على المواد الأولية والمعدات الرأسمالية إلى التركيز على المعلومات والمعرفة ومراكز التعليم والبحث بشكل عام.

3 - التنمية المستدامة: هي تنمية فكرية أولاً، باستغلال الروبوتيك/ الآلية في الطاقات التي لا تعرف التلوث، ولا تقوم على تغيير البيئة. وتلعب تقنية المعلومات والاتصالات دوراً في تحقيق التنمية المستدامة؛ حيث نجد في هذا العصر المعارف والمعلومات عنصراً أساسياً في نجاح التنمية المستدامة؛ باعتبارها مساعدة على التغييرات الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية، كما تساعد على تحسين الإنتاجية الزراعية والأمن الغذائي وسبل المعيشة في الريف... غير أنه لا بدّ من نقل هذه

المعارف والمعلومات بصورة فعّالة إلى الناس؛ لكي تتحقّق الفائدة منها، ويكون ذلك من خلال الاتّصالات، حيث تشمل الاتّصالات من أجل التنمية الكثير من الوسائط مثل الفضائيات والإذاعات الريفية الموجهة للتنمية المجتمعية والطرائق المتعدّدة الوسائط لتدريب المزارعين، والشابكة للربط بين الباحثين، ورجال التعليم والمرشدين ومجموعات المنتجين ببعضها البعض وبمصادر المعلومات العالمية في ظلّ تنافسية عالمية في تنمية مستدامة مريحة دون كلفة في الجهد العضلي، وفي اقتصاد الوقت، واقتصاد المعرفة.

إنّ هذه المسألة تتعاضم بتعاضم المعرفة التكنولوجية في الاقتصاد؛ والتي غدت سمة القرن الحادي والعشرين (21) المبنية على المعرفة (Knowledge-Based Economic). ونعلم بأنّ العالم في وقتنا يُعدّ عالماً مبنياً على المعرفة، ولذا يكون الحرص على اكتساب التكنولوجيا بتوليدها أو نقلها والسعي إلى توطئتها. ولا يكون ذلك مُجدياً إلا بالتكامل بين مجالات النمو الاقتصادي، وحفظ الموارد الطبيعية والبيئية من أجل الأجيال القادمة من خلال إيجاد حلول قابلة للاستمرار اقتصادياً للحدّ من استهلاك الموارد وإيقاف التلوّث والتنمية الاجتماعية، حيث إنّ جميع شعوب العالم بحاجة إلى العمل والغذاء والتعليم والطاقة والرعاية الصحية والماء.

وكان حرياً بنا نحن المجتمعات الفقيرة إلى الآليات المعاصرة- العمل على المشاركة والانخراط في الشؤون المدنية، والسعي للإنتاج وفق مواصفات دولية وبجودة ملائمة، والتزام معايير الجودة البيئية من حيث استخدام المخصّبات والمبيدات، كما هو الحال في السلع الزراعية، أو استخدام الكيماويات في الإنتاج الغذائي، وطرح الإنتاج في الأسواق الخارجية مُستوفياً لأحدث تقنيات التعبئة والتغليف، وكلّ ذلك يكون بالدراسة الجيدة للسوق المستهدف، وتصميم حملات الدعاية والإعلان المناسبة، والاهتمام بخدمات ما بعد البيع، كما هو الحال في السلع الصناعية. ويمكن تلخيص هذا في أنّ التنمية المستدامة تقوم على ثلاث ركائز هي: الكفاءة الاقتصادية، الكفاءة الاجتماعية والكفاءة البيئية.

4 - مجتمع المعرفة: هو ذلك المجتمع الذي يقوم أساساً على نشر المعرفة وإنتاجها وتوظيفها بكفاءة في جميع مجالات النشاط المجتمعي؛ وصولاً لترقية الحالة الإنسانية باطّراد؛ أي إقامة التنمية الإنسانية. وبلغة الاقتصاد تعني إقامة مجتمع المعرفة بتأسيس نمط إنتاج المعرفة عوضاً عن هيمنة نمط الإنتاج الريعي الذي تشقّ القيمة الاقتصادية فيه أساساً من مواد مخزونة، وهي قابلة للنضوب كما أنّ بعض المواد الخام تحمل الضرر الذي يعمل على تخفيض سنّ الحياة وعلى إلحاق الأمراض. وبالتالي فإنّ تطوير استراتيجية مناسبة للمعرفة يتطلّب وجود نظام اقتصادي ومؤسسي، وقوى بشرية ماهرة، وبنية معلوماتية ديناميكية لتسهيل الانتقال الفعّال، ونشر ومعالجة المعلومات بصورة مناسبة، ونظام تربوي قوي لتشجيع الابتكار ومراكز البحث. إنّ بناء مجتمع المعرفة يعتمد الأسس التالية: **السبق في الإنتاج + تسهيل الوصول إلى المعلومة + خلق المدن الذكية + تمهيط الرموز اللغوية + العمل بنظرية الأقلّ جهد = مجتمع المعرفة.**

إنّ معالم بناء مجتمع المعرفة تتمثّل في:

1/4 - تعليم نوعي مجاني لكلّ فئات المجتمع، مرتبط بآخر صيحات التقانة؛ يعني التعليم الإلكتروني لرفع القدرات التنافسية لقوة العمل المؤسسي، باستخدام النظم الإلكترونية التفاعلية الحديثة عبر شبكات المعلومات.

2/4 - توفير تطبيب نوعي مجاني لكلّ الساكنة، بما يعمل على إطالة عمر الساكنة.

3/4 - العمل على خلق المدن والقرى الذكية التي تعمل بآخر تقنيات الاقتصاد في المجهود.

4/4 - الاستعداد الرقمي والذي يعني إيصال خدمات الاتصالات لجميع الأطراف في جميع أنحاء النظام المؤسسي.

5/4 - توظيف الإدارة الإلكترونية والتي تهدف للعمل على تقديم الخدمات لجميع العاملين في مكان وجودهم بالسرعة والكفاءة المطلوبة، والعمل على بناء مجتمع معرفي رقمي لا وركي.

6/4 – تنمية صناعة تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات بهدف تعميم خدمات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بالمؤسسة، وجذب المؤسسات العالمية لتطوير المعرفة والتكنولوجيا.

إنّ مجتمع المعرفة يُراهن بقوة على دعامة أساس، وهي الاهتمام **بتفعيل أجهزة التربية والتعليم**؛ عن طريق تفعيل المنظومة المعرفية داخل أجهزة التعليم فهي المؤسّر الحقيقي أو الرأسمال البشري التي تهئ الآلية الخصبة والملائمة لتطوير اقتصاد المعرفة، من خلال توفير الباحثين واليد العاملة المؤهلة والتي تسهم في رفع الإنتاجية وبالتالي زيادة النمو المحقّق. ولا نلمح ذلك إلّا من خلال المؤشرات التالية:

1/1/4 – مؤسّر الابتكار والإبداع.

2/1/4 – تطوّر عدد الباحثين.

3/1/4 – نوعية التأهيل في درجات الباحثين.

4/1/4 – حصول الباحثين على الجوائز العالمية.

5/1/4 – عدد براءات الاختراع.

6/1/4 – نشر المقالات العلمية في المجالات المعتمدة دولياً.

5 – **اللغة العربية والتكنولوجيات الجديدة**: للعيش في مجتمع المعرفة، كان على النظام التربوي مواجهة تحديات التربية والتعليم؛ بتوفير عرض مناسب من الخيرات والمهارات والجودة وما يتوافق مع متطلّبات الاقتصاد القائم على المعرفة؛ بالتحكّم في التكنولوجيات الجديدة، والحرص على الارتقاء بمستوى التعليم بصورة مستمرة، ومعالجة ظاهرة هجرة الكفاءات، والتفكير الجيّد في حلّ المشكلات الأكاديمية والإدارية التي تواجه مؤسساتنا التعليمية، وضرورة تبنّي هياكل جديدة للبرامج الدراسية ذات محتوى يتناسب مع طبيعة المراحل المقبلة. وفي كلّ هذا هناك مُستلزمات ملحقّة كان من الضروري إعداد الخطة المرحلية التي يقع الارتكاز عليها في تنمية جوانب الإبداع لدى المتعلّمين؛ مثل استخدام الوسائل الرقمية الحديثة، إلى جانب معالجة مشكلة توفير الخدمة التعليمية على نطاق واسع لعدد متزايد من المتعلّمين؛ باعتبارهم من صانعي القرار في

الزمن القادم وفي الوقت ذاته توفير مستوى مرتفع من التدريب، وكذلك الرفع من قيمة البحوث الأكاديمية سواء على المستوى الجامعي أو الدراسات العليا، وضرورة الاستعانة بالتعليم المفتوح أو التعليم عن بعد كبديل مكمل للدراسة التقليدية أو الحالية على اعتبارهما وسيلة اقتصادية لنشر التعليم؛ والذي نشهد تطبيقه اليوم في بعض الجامعات الجزائرية.

وفي هذه النقطة، كان حرياً عليّ الوقوف عند نقطة مهمة؛ وهي دور العربية في التكنولوجيات الجديدة التي أتاحت لمستعملي اللغة آليات جديدة في الإبداع والتلقي وبات من الضروري مساعلة موجّهات التفاعل بين اللغة العربية ووسائل التقنية وتطبيقاتها المختلفة، ولذلك يطرح في كلّ مرّة سؤال قدرة اللغة العربية على الارتهان إلى متطلّبات هذه الوسائط المعقّدة، وسرعة مواكبتها وتكيفها وفق منظومتها الاصطلاحية المعقّدة الأمر الذي يثير إشكالات عديدة من قبيل الثقافة الرقمية في البلاد العربية ومدى تمكّن المستعمل العربي للمعلومات والبرمجيات وما تستدعيه من تمثّلات ذهنية وعمليات إدراكية تؤدّي إلى تغيير منظومة القيم لدى الإنسان العربي. فنقول: إنّ العربية ليست بمعزل عن التفاعل مع الإمكانيات الواسعة للشابكة وهي لغة طبيعية تحمل قابلية التتميط والتشبيك والتشجير، ولها ثقافة قُدمى مُعاصرة تستطيع من خلالها استيعاب كلّ مُتطلبات الحياة الشبكية المُعاصرة، ولكن دون العزف على مقولة (كان أبي) بل يتطلّب الأمرُ الخروجَ من النمطية القديمة؛ باعتماد المتن اللغوي الذي يقبل التكيف؛ وفق آليات النظريات اللسانية المُعاصرة التي تقدّم الحلول النوعية من مضمون اللسانيات التطبيقية.

وكان علينا أن نبدأ، ومن ثمّ نخرج من الحلول الرومانسية، ونعمل بواقع اللغة العربية في ظلّ إبداعها المتنامي، وفي ظلّ إكراهات ومُضايقات العصر وضمن خياراتها الكثيرة والتي تمكّننا من الحفاظ على القيم اللغوية والإبداعية الكبرى والفاعلة وفي ميدان خيارات التأثير والتأثر، وأنّ اللغات تأخذ وتعطي وتتقارب في المنهجيات وفي طرائق التلقين، وفي نمطيات الذكاء الصناعي. فلا لغةَ أرقى من لغة، بل هناك شعوب تعمل لصالح لغاتها فتترقي، وهذا ما يجب وعيّه، ومن ثمّ العمل على فعله واحتذاء مناويله.

لا ننكر أنّ العربية لا تعيش مُضايقات، وهي ليست في قبوٍ يحميها من الشائكة ونراها اليوم تعيش تحولات تطال نظام اللغة، وقيم الإبداع، وقد لا يستجيب بعضها للحاجات النفسية والثقافية للمجتمع العربي وبخاصّة أمام معوقات ترتبط أساساً بنمطية الكتابة في مقام، وبثقافة الاستهلاك في مقام آخر، وكذلك النقل عن القديم أو عن الثقافة المعاصرة في ظلّ الانجذاب اللغوي، دون الإسهام في الإبداع. وفي كلّ هذا هناك أمور تقنية مقاومة للغة العربية من أن تكون في مقامها العلمي، وفي الإفادة من الوسائط التكنولوجية وهذا ما يجب التغلّب عليه بخوض غمار المحتوى الرقمي، ولا شك أنّ القضايا العالقة سوف تُحلّ عندما يعيش الباحث العربي هذا الميدان الذي يدفعه لأن يكون، وإلاّ سوف ينقرض بنفسه، وذلك ما لا يكون؛ لأنّ العربية في عصرنا تعرف نقلات نوعية منذ 2000 ولم تكن تعرفها في سابق من الزمان وبالفعل لها انتشار وقبول واستعمال وعلمية وتواصل وتجديد وإبداع.

— خاتمة: باتّ لزماً علينا وضع استراتيجية مبنية على تخطيط في الآماد الثلاث ودخول سوق المنافسة بالرهان على المعرفة، أو العمل على صناعة المعرفة. ومن هنا فإنّ صناعة المعرفة تركز على تعزيز أنشطة البحث والتطوير لتعزيز تكنولوجيا المواد الجديدة، وتكنولوجيا المعلومات والاتّصالات والتكنولوجيات الحيوية، واعتماد الآليات القابلة للاستدامة، وتحسين أداء المؤسسات، فضلاً عن استحداث أنماط مؤسّساتية جديدة تشمل مدن وحاضنات التكنولوجيا، وتعزيز بناء القدرات في العلوم والتكنولوجيا والابتكار، بهدف تحقيق أهداف التنمية المستدامة في الاقتصاد القائم على المعرفة ولاسيّما أنّ بناء القدرات هو الوسيلة الوحيدة لتعزيز التنافسية، وزيادة النمو الاقتصادي وتوليد فرص عمل جديدة وتقليص الفقر ووضع الخطط والبرامج التي تهدف إلى تحويل المجتمع أياً كان إلى مجتمع معلوماتي؛ يتمّ إدماج التكنولوجيات الجديدة في خطط واستراتيجيات التنمية الاجتماعية والاقتصادية، مع العمل على تحقيق أهداف عالمية كالأهداف الإنمائية للألفية، وإعداد سياسات وطنية للابتكار واستراتيجيات جديدة للتكنولوجيا، مع التركيز على تكنولوجيا المعلومات والمعلومات والاتّصالات.

كلمة أُلْقِيَتْ في تكريم الحاج صايب[♥]

— مقدمة: من أين أبدأ الكلام، في حديثي عن الرجل الهُمام، الحاج الصايب الفضيل اسم على مسمىً بدليل. عرفته في التسعينيات، وهو يرأس تلك المجموعات من طلاب معهد الأيلولي، وهو يصول بهم ويُمالي. وتوطدت العلاقاتُ على مراحل وتكاملت على مسائل، تهادينا خلالها التكامل وأنتجنا أحسن التعامل. وتمتنت العلاقات وهو ناظرٌ للشؤون الدينية، ببنيزي-وزو العتيدة؛ حيث كنا نتنافس في المناسبات، وكلٌّ يتبارى لسدِّ الفجوات. وأشهد له بسبق أخذ الكلام مصحوبة بفصاحة لا تُلام، وكان مدافعاً عن المجالية، ولا يفتأ يقدم المواطنة وكأني به شيخ عتيد، وهو في العمر شاب مديد ولكن حلمه أكسبه المزيد، وفي تواضعه في كل مرة يستزيد. ولا أنسى سماعي له بعد الأذان في القناة المحلية ودون استئذان، كما كان يطلّ علينا في التلفاز، لابساً برنوسه الممتاز يقدم برنامجه (تشرعيث) وفي العُرف ثانصليث؛ ليربط الأصالة بالمعاصرة وأن ديننا زكى الأصالة، في ما كان يقوم به الأجداد، فأنعم به من فعل الأنداد!

ويسير بنا الزمان، وتشتدُّ الأزمةُ بمكان، حيث كان مخبرنا يُعاني الفاقة؛ وهو بحاجة إلى النفقة ويحصل أن يصله الخبر، ويتصل مُبسّطاً كبر ما في الأمر ويقول في مدينة أسطيف رجل يُدعى هباش الخير، وهو اسم على مسمى في كل خير ويقع الاتصال وتفرج الغمة في الحال. ومما أذكره على هذا الفعل الكبير من الحاج الخير المنير، إذ قال لي: كيف تطلبني في أمر غير يسير أمن المعقول أن يطلّب بُناة القصور فوق الصخور، مساعدة من أهل التمر. فعرفت أنها فذلّة تُقال، لأمر مقضي في الحال؛ فاستجاب الحاج الخير للطلب وما دريت أنه في

♥ — كلمة أُلْقِيَتْ بمناسبة تكريم (مُحَمَّدُ أُوَيْذِر صايب) في دار الثقافة، ببنيزي-وزو، في: 27 جويلية 2017.

الخير رَغِب، وكان في ذلك هذا الوسيط سي الصايب البسيط. ومن يومها كان الحاجان من الذين لا أراهم إلا قليلاً، ولكن القلب احتواهما كثيراً وانطبق عليهما المعنى المفيد، في ممّن تستفيد ويفيد، وتجعله من الفريد وارتبطا عندي بما لهما من إخلاص، في خدمة ما ليس من الإفلاس وتصورتهما من البسطاء؛ الذين تُدهشك استقامتهم، وتغريك صداقتهم. فالحاجان من هذا النوع الرفيع فلهما كل التقدير.

أيها الحضور، ما جئت اليوم لأرمي الورود على مُحَنّد أُوَيْذير، ولا لأجامله ثمّ أستدير، ولكن حقاً عليّ أن أقول الحقيقة باقتدار، في رجل سير المراحل باستمرار وكان برنامجه التدبير، بحسن التسيير فنعم الرجل أنت! ونعم المُسير أنت! فبخ بخ. سي الصايب الذي نعرف أنّ له أيادي بيضاء في هذه الولاية، فقد عهد نفسه أن يكون حاضراً في كلّ تظاهرة، ويكون مُلبياً لكلّ خدمة وتلك سمّة سي صايب فأنت من الماء الصيّب، والماء الصيّب غيثٌ هَيِّبٌ حيث نزل أفاد، وأدّى إلى فيضان سواد. ويزداد في نفسي إكباراً، إذ أرى احتراماً من ساكنة حورا، فهل لنا فيك نصيب ممّا تحوز، أم ليس لنا أمام ساكنة بوزقن ما نفوز؟ والذين هم اليوم من الحضور قوّة جاؤوا يعضدونك دفعة، ويمتّون الولاية مهابة، فأنعم بهم يا صاحب المفازة!

— سي صايب كما أتمنّيه: إنّهُ شخصية معطاء، وفي كلّ مرّة يعطي، وفي كلّ مرة يُسدي، وإن جده من يدري، فهو اليد العليا، المفضّلة على اليد السفلى بل هو الرغيف الذي ينشطر شطرين كي يُشبع، ومن ثمّ كي ينفع. سي صايب أعرف أنّه لا يتردّد فهو لا يفكر سلبياً ولا يتبدّد، لأنّه يدرك أنّه إذا فكرنا سلبياً تتراكم المضايقات عكسياً، وإذا فكرنا إيجابياً تنهال المحسنات طردياً، فهو رجل ينتج الحلول، ويقدمها لمن هو في رأسه غلول. سي صايب مثل النحل ساكت يصنع العسل، ويقول ما قيمة الدين إذا لم يُحررنا من الكسل. وكان الفيسبوكيون ينتقدونه ويسمّونه جوزيف، وينتقده بعضهم جزافاً ويغيظهم كلامه وهو يقول: إذا واجهتك معضلة فاتخذ من العلماء موئلاً وجالسوا علماء الأمّة دائماً وعظّموا علماء الجزائر، وبهم نفاخر. أو ليس لنا الشيخُ حماني؟ ومن أمثاله عبد الرحمن الجيلالي؟ ألم تلد الجزائرُ مفتين في مستوى الأمانى؟ وذلك ما سبّب له الانتقاد من بعض من

لا يرى غير الافتقاد. واعلم أيها الأخ العزيز أنه في البداية ينتقدونك من ثم يتجاهلونك، وقد يستهزئون بك، بل ويحاربونك، ولكن في الأخير تنتصر، طالما تستخر، وتتحدث بعقلك قبل لسانك، وتنتظر بضميرك قبل بصرك، وذلك سرّ نجاحك. أيها الحاج الصايب، لا تكترث، ونعرف بأنّ الناس يتكلمون عنك في ثلاث: عندما لا يملكون ما تملك، وعندما يعجزون أن يكونوا مثلك، وعندما لا يستطيعون الوصول إليك. فلا تنكسر ولا تُصَبّ بما يقولون فبعض الناس عندما تهتمّ بهم يظنون أنّك لا تملك غيرهم؛ فيتكبرون، وبعض الناس لا يلتفتون لتمييزك فيستهزئون، وبعض الناس إذا وضعتهم فوق قدرهم يتكبرون هي حوادث هذا الزمان، وأنت أعلى من هؤلاء الندمان فارفع رأسك عالياً، وأنت في علوّك باقياً.

— سرّ نجاحه: قد أبالغ إذا قلت بأنّ المدح لا يقبل التلميح، فالصراحة لا تقبل إلاّ التصريح، فنجاح الحاج أنه يستأثر بالطلاب، فدأبه دأب من يرى بأنّه من أراد أن يزرع لسنة؛ فيزرع قمحاً، ومن أراد أن يزرع لعشر فيغرس شجراً، ومن أراد أن يحيي رجالاً فيستثمر في الطلاب، ولا أخفي عليكم بأنّ الذين استأثروا في ترجمة معاني القرآن، هم طلاب الجامعة بالعيان، وكانت بصماته ظاهرة في الميدان، وبكلّ برهان بما ترجمه من معاني القرآن، مع الطلاب الفرسان. وأشهد أنّه كلّما ننجز لقاءً في الجامعة، يكون حاضراً بمعانٍ صادقة، مقدّماً خدماته الجليلة ومُحمّساً الحضور على التماهي في المناقشة، ويبدوها بتفجير القاعة وعندها تشتعل الهامة. وأتخيله يقول: لا تنسوا الاهتمام بلغة عدنان وما قدّمته للعربان، ولحضارة الرومان، وهي التي أفادت كلّ مكان، ولا تفرطوا في مازيغيتنا فهي هويتنا وظلّنا ومعرفتنا وعقلنا ولسان حالنا، لا تقبلوا بأقلّ ما تستحقّ لغاتنا فالعالم يحترمنا عندما نهتمّ بلغاتنا، وننتج العلم بلساننا، ونضع المعرفة في لغاتنا.

وكذلك أضيف للأفعال هذا الشيخ المنيف، بأنّ سرّ نجاحه يأخذ الأمور بعفوية هادفة؛ وأحياناً بروح سُخرية مانعة، وأراه ناصحاً، وفي مقامات مانحاً ويقول: لا تكثر الشكوى، فيأتيك الهمّ والبلوى وازرع البسمات ووراءها السعادات ولا تسهم في بناء المطبات، وتظنونها من الممهلات، فهي من المكسرات، فلا خير في من

يعمل على التعطيل، ولا يقبلُ التغيير، وعاقبته سوء التدبير. وسرّ النجاح أن تعمل على التغيير الذاتي وتكون أنت البادي، فليس هناك عصا سحرية للنجاح، فالنجاح يحظى به المكافحون، ويقطف ثماره العاملون فلا شيء يتحقق بالصدفة، بل كل شيء يتحقق بتحضير العدة.

— قبل الخاتمة: شرفني معالي رئيس المجلس الإسلامي الأعلى بقول كلمات في حق سي محند أويذير. ففي البداية يعتذر عن الحضور، ويقرئكم السلام أيها الحضور وللمحتقى به كلمات قالها معالي الرئيس في الإعلام ويشيد بخصال الصايب المنان ومما قال: كان الحاج صايب من المقرّبين والخلان وما رأينا منه إلا الإحسان، فبوركت سنوات العمران، ولا تزال في الذاكرة لم تدخل النسيان. ونشهد على هذا الإنسان، بأنه كان من الفرسان، في وزارة الشؤون الدينية ذات الميزان، وقد أدّى الأمانة بعرفان وبحسن النوايا يعمل مع الإخوان، فحقّقوا غايات الوزارة ببرهان، فهو وأمثاله ممن يستحقّون الإحسان دون كتمان، فبورك فيك يا سي صايب وأنت بحاجة إلى تيجان، وستتوّشّح في تيزي-وزو الأمان بقلادة الاستحسان، ودامت أيامك على الخير باطمئنان، وأنت للقلب من الجيران.

— خاتمة: إخواني الحضور، هي كلمات وفاء نقولها، بصدق وصفاء نعيدها فشكراً لمن فكّر في هذا التكريم، لمن يستحقّ هذا التوسيم، فمُحَمَّد أويذير صايب أهل لهذا الترشيح، وما يناله اليوم من التوشيح. فالأمة الميّتة هي التي تتذكّر رجالها عندما يموتون، والأمم العظيمة هي التي تحترمهم وهم أحياء خالدون. ويمتدّ الشكر للحضور على بقائهم أوفياء دون فتور، مع ما يعرفه اليوم من تنور. وهكذا إخواني نقول: ما أجمل أن تبقى القلوب على العهد حتى وإن طالت المسافات، وكثرت المشكلات فبالابتسامة تهون الصعوبات وبالاستغفار تُقضي الحاجات، وبالصداء تتحقّق المستحيلات. فتفاعلو خيراً لثمنحوا النجاح وأعينوا المستحقّ على الصلاح. ويسكت الآن شهريار عن الكلام المباح؛ لأنّ شهر زادَ أطلّ عليها ضوء الصباح، والسلام عليكم يا ملاح.

كلمة أُلْقِيَتْ في سكيكدة بعنوان

(العربية وحركية التاريخ)٧

الماضي المُغْدِق، الحاضر المُقْلِق، والمستقبل المُشْرِق

— **مقدمة:** إنَّ الإنسان مثل الشجرة التي أساسها البذرة، وحاضرها الأوراق ومستقبلها الثمار، فلا يمكن للشجرة أن تكون شجرة إلاَّ بالتواصل الثلاثي: البذرة & الأوراق & الثمار، والشجرة التي لا جنور لها لا تُنبت ورقاً ولا ثمرًا إنها شجرة ميتة، وكذلك الإنسان لا يكون له مستقبل دون ماضٍ ولا حاضر، فهو تواصل بين الأجيال. وكذلك اللغات تُعرف بالتواصل والتكامل؛ ففيها الماضي & الحاضر & المستقبل؛ ذلك أنَّ العربية هي لغتنا الدينية والتاريخية والحضارية، لا يمكن أن نبقى على منتهى القديم فقط، كما لا يمكن أن نهجرها بدعوى المعاصرة ونصبح بلا جذور وبلا تاريخ. وهذه الدورة التواصلية مثلها مثل الأزمنة الثلاثة؛ فعند من يعيش الحاضر؛ سبق أن عاش الماضي ومن ثمَّ عاش أو يعيش الحاضر الذي ينقله للمستقبل، فهو في دورة زمنية متواصلة، وكلَّ إهمالٍ لزمان ما يُحدث شرخاً في الحياة. كما أنَّ القطيعة بين الأزمنة الثلاثة مضرَّة، والوقوف في زمن ما مهلكة؛ وبخاصَّةٍ في الزمن الماضي التاريخاني فهو مقبرة. وهكذا الأصالة، فلا اقتلاع للجذور، ولا قطيعة مع الماضي. فويلٌ لأمة وأدت حاضرها ومستقبلها في قبوٍ ماضيها، وويل لشعوب اجنَّتْ جذورها فنسيَت ماضيها، ورفضها حاضرها ولا يقبلها مستقبلها.

تتناول هذه المداخلة الحديث عن اللغة العربية في أزمنتها الثلاثة، في إطار وصفي في الزمنين: الماضي & الحاضر؛ وصفٌ يتناول تحليل اللغة العربية

٧ — أعدت المداخلة للملتقى الوطني السادس للإمام مالك بن أنس، حول: اللغة العربية في الجزائر واقع تحديات وآفاق. مدينة سكيكدة، تنظيم جمعية الوفاء الثقافية، أيام: 29 - 31 جويلية 2017.

إجمالاً، وما عرفته من شدٍّ ومدٍّ، وتعرفه الآن من تحديات ومن تقدُّم وتوقُّف، ومن مُراجعة وتراجع ومن مختلف الانجذابات العاملة على زعزعة النسيج اللغوي الداخلي والخارجي، وهذا من طبيعة اللغات التي تتنافس في ما بينها. وهذا ما عرفته العربية من المعارك والتناقضات فانتصرت في أكثر من موقع، وعرفت هزّات وتذبذبات في مواقع، ومرّت بأوقات عصيبة وعاشت المغامرات الوجودية ورُميت بالتهَم والسهام الفتاكة على أنّها لغة مُتحفية لا تصلح إلا للزيارة، هذا من جهة الوصف للزمانين، ومن جهة التحليل الذي سينال زمن المستقبل، فإنّ الاستشراف سيكون بم آلات اللغة العربية حسب ما نراه من خلال فنون المستقبلات، واستتطاق آليات الاستشراف الذي ينطلق من عماد العربية التي تعرف التطوّرات والتحسينات النوعية يومياً.

1- الإشكالية: إنّ العربية رُغم ما تناله يومياً من صدى النقود، وكلّ شيء يناله النقد؛ يعني إنّّه في تحسّن، مثل الإنسان الذي يُنتقد؛ يعني إنّّه ليس فاشلاً ويحمل النظرة الإيجابية للمسائل؛ فليس هناك فشل بقدر ما هناك تجارب، وهذا ما يوجد في الطاقة الإيجابية للإنسان الذي يجب أن يحلُم؛ الفلحُم من أسس النجاح، وهذا ما عاشته العربية خلال دورات الزمن، وقد ثبتت وكانت مطوّاعة وعاشت الليونة التي جعلتها أكثر تحكُّماً في النتائج وفي الإبداع، وكانت سبيلاً لتحقيق الامتياز، ومن ثمّ تحقيق الإيجابية للمتون اللغوية وما حملته من ذاتها وما أُفيدت من الأخذ، حتّى أصبحت لغة يُعتزّ بها في إطار الحمولة الفكرية والحضارية والتاريخية. بالفعل إنّ العربية لغة المتون القديمة والحديثة والموسوعات، لغة قُدمى قديمة، وأكبر لغة وأقدم لغة سامية عرفتها الحضارة الإنسانية. وفي كلّ ذلك هناك مخاض عربي حول الوضع اللغوي الذي يكبر ويتقدّم وأحياناً يعود القهقري. فما سبب ذلك المخاض؟ أيعود إلى اللغة في ذاتها؟ أم يعود إلى العربي في ذاته؟ أم إلى مُستخدميها عامّة؟ فإذا عرفنا أسباب ذلك هل لنا أن نُعلن التطوّرات الحاصلة والقادمة للعربية في القرن الحادي والعشرين (21) لعربية العلم والمحتوى الرقمي لعربية يعود قوامها إلى تلك العصور التي ازدهرت وعرفت الإبداع وكانت لغة

العالم؟ وهكذا نقول: ما هي آفاق هذه اللغة؟ وكيف نضمن مَوَاقبة المُستجِبات مع العولمة اللّغوية المُستوطنة جَبَرِيّاً في اللّغات الضعيفة؟ وكيف يكون للعربية موقع بين لغات العلم؟ وكيف تتماز عنها؟ بل كيف تعلو عليها وتصبح مرجعية كما كان قدامؤنا المبدعون مرجعيين لدى الأمم؟ وما هي الآفاق المستقبلية في ظلّ العولمة اللغوية التي لا تُقَرّ إلاّ باللغات المُنتجة للعلم؟ تَلَكُم هي مجموعة من الإشكالات التي نعمل على تفصيلها من خلال مُحدّثات المداخلة:

2- الدراسات السابقة: لا ننكر بأنّ فيضاناً من البحوث والدراسات أُنجِزت في هذا الموضوع ويكفي أن نشيرَ إلى بعضها من مثل:

2-1- اللغة العربية الراهن والمأمول، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية. 2009.

2-2- اللغة العربية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، جبور عبد النور مطابع نصّار بالقاهرة.

2-3- المدونات الإلكترونية: هي كثيرة جداً، بعضها يُستأنس بها، وكثيرها عبارة عن دردشات وأفكار ومنافحات. وعلى العموم، إذا دخلنا عالم الشبكة، فإنّه سوف تعطي لنا دراسات وأبحاثاً عديدة؛ حيث المواقع تزخر بدراسات علمية ومقالات اجتهدانية. ووقوفنا في ذكر نماذج من هذه الأبحاث؛ لنقول للقارئ بأنّ هذه المداخلة لم تأت من فراغ، ولم تكن فاتحةً للآفاق، بقدر ما هي مُكمّلة لبعض الأبحاث في هذا المجال ولذا قلنا: إنّ المداخلة وصفية بحتة في باب الماضي وتحليلية نقدية في بابي: الحاضر & المستقبل.

3 - الماضي المُغدق: إذا ذكرنا الماضي ووصفناه بالمُغدق؛ فيعني أنّ هناك إنتاجاً يقابله العطاء المُجزي وهذا ما كان جلياً في قرون التقعيد وعصر الفصاحة والتي وصفت بقرون الإبداع والازدهار؛ فقد تأسّس بيتُ الحكمة الذي عمل على ترجمة أمّات الكتب، وأضى منارة العلماء في التنافس والإبداع، وغدا مسرحاً لحوار الأفكار، وفي ذات الوقت كان الخلفاء يُشجّعون المبدعين ويستقدمون العلماء، بل يتسابقون في انتقاء الكفاءات وجهابذة العلماء من كلّ الأقطار

ويفتخرون بأنّ عالماً نزول بفسطاطهم ودرّس في رحاب مساجدهم، كما كانوا يغدقون على المترجمين إلى درجة أن قيلَ للمأمون: كيف تغدق عليهم بوزن ما يكتبونه ذهباً، وعلى ورق أو لخاف أو عظام ثقيلة، وهذا تبذير؟ فقال: نُعطيهم ما يفنى، ويُعطوننا ما يبقى؛ يأخذون المُمّة، ويُعطوننا الحياة.

3 -1- العربية بين الماضي & الحاضر: تبقى العربية اللغة الوحيدة التي لم تنقطع عن ماضيها؛ فقد أقامت حلقات وصل لاستدراك بعض الماضي واستكملت ما لم يكن وهذا على مستوى أدبها العربي الذي كان المنطلق. وكان فضلُ الأدب كبيراً في النهوض الحديث، وبخاصّة عندما حصل التبادل بين ضفتي المتوسط من زمان الأندلس؛ حيث عرفت الثقافة حياةً غربيةً لم تكن تعرفها، كما حصل تشجيع تعلّم اللغات الأوربية، وعن طريقها عُرِفَت المطبعة، وطُبِعَت كتبٌ قديمة كانت في طريق الزوال كما كان إحياءُ الأدب العربي القديم بفضلها، في الطبع والتنافس وفي الإبداع، وأفادت الحضارتان الشرقية والغربية من تلك الجسور التي مدّت عن طريق الأندلس، فحصل التناغم العلمي بين اللغات، فكانت العربية سيّدة المقام. وزاد التبادل العلمي بين الضفتين عن طريق الاستشراق والاستعراب لدرجة أن طُبِعَت الآداب العربية والغربية بطابع التكامّل في كثير من الإبداعات وبطابع التأثير والتأثر، وأفادت العربية من ذلك التلاقي في المناهج التي عولّ عليها العرب في تحقيق الرصيد التراثي العربي، وسهلت قراءة المتون العربية بل وصلت إلى الضفة الغربية، فأعمل فيها الباحثون بصيرتهم، فأبدعوا في الأدب العربي أيّما إبداع.

وفي هذا الوقت، لا نعدم القول، ولا نخفي الحقيقة؛ بأنّ العربية الآن تُحظى بمكانة مرموقة بين لغات العالم؛ باعتبارها اللغة الأمّ لما يزيد عن خمسمئة (500) مليون من العرب، ومليارين (2) من المتلاخين بها دينياً، واللغة الثانية (2) لسكان العالم الإسلامي، وعدد عواصمه ستّ وخمسون (56) عاصمة، وثالث لغات العالم من حيث سعة انتشارها في القارات الخمس، وهي لغة لستين (60) دولة، وإحدى اللغات الست (6) التي تُكتب بها وثائق الأمم المتحدة وتُستعمل في وكالاتها وإنّها اللغة التي اختارها الله لينزل بها أفضل كتبه على أفضل رُسُلِهِ... وبالتالي، فهي إحدى اللغات

الحياة والمتفاعلة مع باقي لغات الشعوب والأجناس والحضارات، وهذا عامل من عوامل الخلود والبقاء لما لها من خصائص ذاتية. أضف إلى ذلك أن اليونسكو اعتمدت يوم الثامن عشر (18) ديسمبر من كل سنة يوماً عالمياً للغة العربية، وأقرت أن هذه اللغة يتحدث بها اثنان وعشرون (22) عضواً من الدول الأعضاء في اليونسكو، لها صفة انمازية لا تتوفر في اللغات الخمس (5) المعتمدة ولا بد أن تكون إلى جانب اللغات الرسمية في المنظمة وهي اللغة الأولى في (الألكسو) ولها يوم خاص يسمى يوم لغة الضاد؛ وهو الأول (1) مارس من كل سنة.

4 - الحاضر المُقَلَق: إن الحاضر حقبة زمنية ذهبية، بما عرفه من قلاقل وانجذاب؛ خلق الصراع اللغوي الذي أفضى إلى التنافس العلمي، كما أدى ذلك إلى رفع بعض الطعون المُفضية في التشكيك فيها؛ بأنها بدوية ماضوية لم تقطع صلتها بماضيتها وهي لغة الكهنوت التي تخلو من العلمية، وكان يجب التخلص من الفصحى، واعتماد العامية وسيلة التواصل اليومي، وهي لسان الأمة... وأما بخصوص العلمية، فإنه من الضروري اعتماد اللغات الحية، ويكون التنازل عن اللغات الوطنية وعن اللهجات في المواقف الرسمية وكذلك فضلوا لغاتهم عندنا وقالوا: "لا ننسى أن لغتنا الفرنسية هي اللغة الحاكمة، فإن قضاءنا المدني والجزائي يُصدر أحكامه على العرب الذين يقفون في ساحته بهذه اللغة، وبهذه اللغة يجب أن تصدر بأعظم ما يمكن من السرعة جميع البلاغات الرسمية، وبها يجب أن تكتب جميع القيود، وليس لنا أن نتنازل عن حقوق لغتنا". دون الحديث عن تلك المحاولات بخصوص كتابة العربية بالحرف اللاتيني والعمل على التقليل من قيمة اللسان العربي؛ باعتباره لغة ثانية في الأقطار العربية لما يعيشه من ثنائية لغوية تفرق بين المسموع والمكتوب... علماً أن النزيهين من هؤلاء قالوا: "إن اللغات الخمس التي كان لها دور رئيس في كل الحضارة الإنسانية هي الصينية القديمة والسنسكريتية والعربية واليونانية واللاتينية، كما قالوا: "... إن فضل العرب والعربية على الحضارة الغربية كبير جداً، وفضل كتاب الرزاي في الطب (لأبي بكر محمد بن زكريا) أفضل من كتب الغربيين لمدة تزيد عن 400 سنة، وهم الذين نصبوا صورته في الباحة الكبرى لكلية الطب بباريس، وعلقوا

صورته في شارع (Saint-Germain/ سان جيرمان). وهذه اللغة تحتاج منا في الزمن الحاضر المقلق إلى تحقيق ما يلي:

4 -1- الاعتزاز اللغوي: وكان حرياً بنا أن نشير إلى جملة المتعلقات بخصوص الحاضر المقلق؛ لما للعلمة من تأثير في اللغات الوطنية، وكل الشعوب تُولي لغاتها القداسة والأهمية، بله الحديث عن عبادة متنها اللغوي واحترامها من احترام الدين والتراث، ومن احترام تطبيق القانون والنظام؛ لما للغة من الشخصية والهوية والتشكيل الثقافي الذاتي. فاللغة حاملة الثقافة ووعاؤها ولسان حالها، واللغة وعاء الفكر وأداة التفكير والتعبير والتواصل، ومُستودع ذخيرة الأمة، واللغة هي الجسر الذي يصل الماضي بالحاضر والمستقبل. إن اللغة الأم هي الوطن الثقافي الذي يصنع الوجدان ويثير التفكير، ويترجم الأحاسيس، وهي المسبار لكشف كنه كل شخصية. فما موقع العربية في نفوس أهلها وناطقيها؟ وما موقعها المعاصر أمام تجليات البحث العلمي والتقانة ورياح العلمة؟

لا نريد أن نقع في القول المكرور من الإشارة إلى توصيات المؤتمرات والندوات وقرارات المجامع والمؤسسات الثقافية، فهي عديدة، ونريد أن نخاطب الواقع لنقول: إن العربية بحاجة إلى دعم القرارات لتتال التطبيق، والخروج من التوصيات. العربية بحاجة إلى حُسن تعلّمها وتعليمها وتعميمها والبحث فيها وبذاتها ولذاتها، وعدم انغلاقها على نفسها، وأن تأخذ وتعطي، وتتبادل المنافع العلمية والأدبية وتتخرط في سَلَم اللغات العلمية لتُفيد وتستفيد. نريد أن نقول: إن العربية لغتنا التي يجب الاعتزاز بها وهي لغة قرآننا المقدس ليست لغة عاقراً ولا لغة موات، بل تحتاج إلى من يخدمها، وواجب علينا -حكماً ومحكومين متخصصين وغير متخصصين، علماء ومتعلمين، مُنتخبين وغير مُنتخبين- أن نحافظ عليها ونرعاها، ونحدث بها؛ لأنها اللغة الخالدة التي تكفل الله بحفظها ولكن ذلك لا يعني التقاعس عن الاهتمام بها؛ لتكون لغة حديثنا العادي والعلمي والأدبي وفي كل المحافل؛ لأن الحديث بها لا يغيرها شرف ما بعده شرف.

4-2- خوض تحديات العولمة: إنَّ العولمة شعار التفوق والإنتاج والشهرة وخوض التقانات وفتح الحدود، كما تعني "تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل"، وجعله على مستوى التسخير العالمي؛ بحيث ينقل من الحدود المراقب إلى اللامحدود الذي ينأى عن المراقبة. ويذهب الكثير من الدارسين إلى أنَّ العولمة تعني هيمنة دول المركز وسيطرتها - في ظلِّ نظام عالمي - على بقية الدول الأخرى في جميع المجالات الحيوية كوحدة سيبرانية موجَّهة" ومن المنظور اللغوي تعني السيطرة القوية على اللغات الأخرى الضعيفة وتهميشها في المجالات السياسية والاقتصادية والعلمية؛ حيث تحلَّ محلَّها اللغات الأقوى، وبصورة خاصة اللغة الإنجليزية.

لا نريد أن نقرأ أو ننظر إلى العولمة من المنظور السلبي، ونقول: إنها تقضي على خصوصياتنا اللغوية؛ فنجتنب الخوض فيها أو عدم التعامل معها وأن نبقي متحصنين بخصوصياتنا كي لا نموت أو لا نذوب. وهذا رأي مُجانب للصوب؛ فالعولمة سلاح ذو حدين، فإمَّا أن ننزوي ولا نستفيد ولا ننفيد ويكتب علينا التاريخ بأننا كنَّا رقمًا صفرًا (0) في الحضارة المعاصرة، وإمَّا أن نكون ونقرَّ بحق الاختلاف والتنوع والاعتراف باللغات والثقافات، وبإسهاماتها في الحضارة الإنسانية الواحدة وتكون لغتنا واحدة من صنَّاعها فنعيش تحدياتها الكبرى؛ بموقف الندية لنتحكَّم في سوق اللغات ويكون للغاتنا موقع في خريطة اللغات. ونعود لنؤكد بأنَّ العربية عاشت عبر أزمانها الكثير من عولمات الحضارات الأجنبية؛ وكانت فاعلة فيها وفرضت نفسها وأثَّرت، ووصلت إلى درجة أنَّ لها مواقع مُملاة لشروطها حتى أصبحت لغة العالم.

لقد واجهت العربية في تاريخها أربع (4) محاولاتٍ صعبةٍ وممتحنةٍ وخرجت منها قويةً وأشدَّ شكيمةً وأقوى عزيمة من ذي قبل، ولم تُضعفها تلك الحالات العصيبة، بل زادت في توسُّعها حتى العصر الحاضر الذي واجهتها العولمة بما لها من مضايقات تقنية جديدة، ويمكن أن نطلق عليها مرحلة التحديات العولمية وهي خطيرة وتزداد شراسةً وقوةً يوماً بعد يوم، فكيف تكون المواجهة؟ كيف يمكن التغلب على غول الفيضان الإعلامي من قبل وسائل الإعلام الذي يتوجَّه نحو حرب حضارية؛ تكون فيها القيم

الثقافية والرمزية هي الحدود القتالية. ونعلم بأن اللغة عنصر مهم من عناصر الثقافة وليست العربية بمنأى عن التأثيرات والمؤثرات في مجال المصطلحات التكنولوجية وما له علاقة بالتجارة والصناعة وغيرها من المصطلحات الدخيلة، ومن تعريب بعض المسكوكات فهل أعددتنا سبل المواجهة أو طرائق التفعيل داخل التحديات؟ وكان علينا أن نعمل لمواجهتها بالتكافؤ والبحث في منهجيات الحفاظ على العربية؛ بالعمل على تعريب "سوق العمل والتعليم والإدارة والإعلام وجميع المؤسسات الوطنية والعربية، وسدّ الفجوة الهائلة بين اللغة العربية والمعارف والعلوم والتقنية والصناعة في جميع المجالات وربط اللغة العربية بجميع معطيات العصر وتطوّراته في الميادين كافة، وتوفير الكتاب الجامعي في جميع التخصصات العلمية في الجامعات العربية بالإضافة إلى التواصل المستمرّ والآني مع مراكز البحث، ودور النشر العلمية، والجامعات في دول العالم المختلفة...وهي أمور في غاية الأهمية في سبيل رفع التحديات في اللغة العربية. ويضاف إلى ذلك كلّها لاطلاع على أحدث المخترعات والمكتشفات ونقلها للغة العربية والنهوض بالترجمة على مستوى الكوادر البشرية والتجهيزات التقنية. وفي المجال الأكاديمي، إنّ الحاجة تلحّ على دعم المكتبة العربية بالمؤلفات الحديثة في جميع التخصصات، وزيادة تدريب المترجمين والمعاجمين والتقنيين في مجال اللسانيات بالإضافة إلى دعم الأبحاث والدراسات اللغوية المرتبطة بالتقنية والصناعات الحديثة وربط الجامعات العربية ببعضها البعض علمياً ومعرفياً وبحثياً وتقنياً". ولا يكون كلّ هذا الكلام مجدياً إلاّ بتعزيز الانتماء اللغوي، وزيادة في المحتوى الرقمي، والحفاظ على صفاء اللغة العربية والعمل على سيرورتها وانتشارها ونشر روائع الثقافة العربية، وقيمها الإنسانية وإغناء المكتبة العربية بالكتب العلمية تأليفاً وترجمة والتعامل الحضاري في الأخذ والعطاء مع الألسن الأخرى مع إعطاء اللسان العربي حقه العلوي في الجوانب العلمية إنتاجاً واستعمالاً، والعمل على مواصلة تعميم استعمال العربية في كافة مناحي المراحل التعليمية، وما يعيشه المواطن في يومياته.

إنّ الحاضر المُقلق يستدعي منّا النظرة التفاؤلية والإيجابية، وهي طاقة المستقبل فليس مهماً أن تكون العربية الآن بارزة في كلّ موقع علمي؛ لأنّ العلم لا يوجد في

لغة واحدة، بل المهم أن تتفاعل العربية مع العلم ولغات العلم، ونفسر الأحداث وننظر إليها بطاقة إيجابية مستوعبة وناقلة، فليس هناك لغة أضعف أو أرقى، بل هناك إنسان إيجابي يتفاعل مع الحدث، ويحقق الانتصار، وهناك إنسان سلبي يتشائم قبل حدوث المشكلة، ويضخمها بعد حدوثها ويفشل. فعلينا في الحاضر أن نحلم بأمل المستقبل؛ أمل النهوض، فالخريطة العلمية ليست هي الحدود التي هي في مخيلتنا، بل هي الإيجابية التي نعدّها للإبداع ولتحقيق الذات، ومن ثمّ تحقيق الإيجابية. والغاية في كلّ ذلك هو عدم الاستسلام للسلبية أو لفكرة عدم اللحاق، أو صعوبة اللحاق للغوي، ومن ثمّ يحصل اختبار الذهن الذي لا يعمل، ويستسلم للأمر، ويقول: إنّه الأمر الواقع، وهو المكتوب الذي وجد في ناصيتنا بأننا سنبقى أتباعاً، وتبقى لغتنا تبعاً، ونحن لم نسع للبحث في إقامة الأسباب.

5- المستقبل المشرق: إنّ ماضي العربية وحاضرها نبراس مستقبلها؛ فهما اللذان يوضحان لنا التكهن بمستقبلها، فهل تكون مفقودة مهتدة المستقبل؟ أم ستكون خالدة معززة؟ تتنامى وتردهر بازدهار الدين ويعمل الباحثين الزارعين حقولها بالمعرفة؟ وهي سيقى الصراع اللغوي، وهل ستعرف النقود التي تعمل على تطويرها وحسن التدبير في آلياتها؟ ومع كلّ ما يقال من تشاؤم أو تضارب بين التظير والتطبيق، فإنّ العربية اليوم تتنفس الصعداء؛ لأنّها أنهت مراحل الإقرار بقدرتها، وها هي علامات الراحة تظهر عليها بعد المعاناة التي استمرت خمسة (5) قرون، وعلامات النهضة تلوح في الأفق. ومع ذلك نقول: هناك عمل كبير ينتظرنا ويتمثل في:

- الإكثار من تأسيس المدارس من المستوى العالي؛
 - مطالبة المدرسين بأداء واجبهم العلمي والتربوي بحسن التدبير الفعلي؛
 - الارتقاء والاهتمام بمستوى العلماء والباحثين، وإكبار أعمالهم القيمة؛
 - الاهتمام بعلم التقانة العامل على تقريب العلوم وتخزينها واسترجاعها.
- ولا يمكن الوقوف في هذه النقاط إلّا بالتغلب على نقطة مهمّة وهي خوض ميدان الذكاء الصناعي الذي سيكون ثروة المستقبل، بل يُستثمر فيه لاحقاً والغلبة

لمن يتحكم في هذا الميدان، ويرى الباحث الفرنسي في علم المستقبل، (جان كريستوف بوني/ Jean Kristof Bonny) أنه ليست القنابل النووية والهيدروجينية هي ما ستصبح أهم أنواع الأسلحة في القرن الـ 21 بل الذكاء الاصطناعي ويقول: "في عام 1995 كتب نيلسون مانديلا أن التعليم سيصبح أهم أسلحة القرن 21، بدلاً عن الأسلحة النووية وغيرها من أسلحة الدمار الشامل للقرن الـ 20. ولكنني أعتقد أن نظم الذكاء الاصطناعي هي ما ستصبح (أهم أسلحة القرن الجاري) لأنها لا تحتاج -خلافًا للقنبلة النووية- إلى اليورانيوم والمصانع وغيرها من الأشياء التي يصعب الحصول عليها، بل إلى مجرد السليكون والكهرباء". وينشطر هذا المحدد إلى عوامل كثيرة:

5 -1- عامل الترجمة: سئل طه حسين قبل وفاته بأشهر، وكان يومها رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة السؤال التالي: **كيف يمكن تطوير اللغة العربية؟** فأجاب: **ترجموا وترجموا، ثم ترجموا.** كان علينا ردم فجوة الفارق بيننا وبين الشعوب التي تفوقنا كمًّا وعددًا في الترجمة، وهناك أرقام مدهشة للعجز في هذا المجال، وكان من اليسر أن نعمل في فرق، وفي مشاريع ترجمة مرافقة لمشاريع الحكومات العربية، وأن نضع الأموال المُدققة؛ ليقع التنافس في الجودة، أو في الركام الترجمي، وأن نأخذ بتجارب الأمم الناجحة. وفي هذه النقطة نريد أن نستفيد من التجربة الفرنسية الناجحة، نظرًا لما حققته من إحراز النجاح للغة الفرنسية وتضخيم الركام الترجمي الفرنسي الذي أدّى إلى النوع الجيد في كل مجالات المعرفة الإنسانية وهذا بدءًا من الاستثناء الفرنسي بتخصيص وزارة الفرنكفونية/ وزارة اللغة الفرنسية وهذا تخطيط وُضعت له أسسه الأولى بأمر Villers-Cotterêts فيلركوتريه سنة 1539 حتى قانون loi Toubon عام 1994. وهنا تظهر عبقرية الفرنسيين في الترويج للفرنسية لمواجهة التنوع اللغوي والثقافي والتصدي لقطب العولمة. وكذلك النظر إلى الفرنسية على أنها هي فرنسا، كما لها مستعمرات في الخارج وفي ما وراء البحار، كان على الفرنسية أن يكون لها الحضور في كل العالم، واستطاعت تجميع الناطقين بالفرنسية في قطب الفرنكفونية لمواجهة الإنجلوفونية. ولذلك خاضت معارك كبيرة من أجل وضع

مؤسسات تخدم الفرنسية ووضع قوانين صارمة، وإلزام كل المؤسسات باستخدام الفرنسية لجزيرة فرنسا Ile-de -France فقط؛ على أنها اللغة الجامعة والموحدة، وأن حضور الفرنسية في كل الأماكن مسألة لا تناقش وهذا ما أعطى اللغة "الجمهورية وضعاً قانونياً على أعلى المستويات وتجسد في الدستور الفرنسي عبر الممالك وعبر الجمهوريات الخمس، وفي أماكن القانون... ولم تحظ لغة في الأراضي الفرنسية بمثل هذا الوضع⁽¹⁾". واستتبع ذلك تأسيس جبهات خدمة الفرنسية في الخارج مثل المفوضية العامة للغة الفرنسية والمراكز الثقافية مع الاهتمام الجزئي بالإرث اللهجي الإقليمي الذي لا يعلو على الفرنسية. والاهتمام بالترجمة، بشتى أنواعها وارتبطت مؤسسات الترجمة بالسلطة والدولة إلى جانب مكانة التدفقات الترجمية الدولية مما يترجم إليها من اللغات الأجنبية، والتشجيع المادي والمعنوي لكل عمل يخدم اللغة الفرنسية.

وهكذا تكاثفت الجهود الفرنسية عبر أنشطة معاصرة؛ ذات العلاقة من مثل الاستثمار في الإمكانيات التفاعلية لوسائل التواصل الاجتماعي، واستثمار القدرة التفاعلية الإيجابية لخدمة الفرنسية وهذه الوسائل كانت تقوم بالفهرسة والتحليل والتصويب؛ حتى قدمت مدونات كبيرة أغنت الرصيد اللغوي الفرنسي. كما قامت هذه الجهود في شكل تطوع لغوي؛ غرضه العمل على انتشار الفرنسية في الداخل وفي الخارج ودون مقابل. ونشير إلى أن هذه الأعمال التطوعية شرعت في تنظيم أنفسها في شكل نوادٍ أدبية ومجامع افتراضية، ولجان دفاع عن الفرنسية أو حمايتها، فضلاً عن مدارس تطوعية تقوم على تعليم الفرنسية دون مقابل. ونقول: إن العربية تحتاج في واقعنا إلى جهود المجتمع بكافة مؤسساته وفعالياته الرسمية والشعبية وتحتاج إلى استلهاً التجربة الفرنسية التطوعية ومختلف المبادرات التي عرفتتها وتلك الأرمادة الكبيرة لجيوش الإعلام الفرنسي التي تبث بالفرنسية دون غيرها من اللغات. وبفضل ذلك التطوع ازدهرت الفرنسية بعدما مدّت بأسباب

(1) - محمد أحمد طجو "سياسة الترجمة في فرنسا". السعودية: مجلة التخطيط والسياسة اللغوية. الرياض:

2016 مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، العدد 3، ص 10.

— كلمة أقيت في سكيكدة بعنوان (العربية وحركية التاريخ) —

المنعة والنفوذ والهيمنة، ووصلت إلى امتداد فرنكفوني بامتياز، فصارت قطباً مناوئاً للعولمة الثقافية لما لها من المؤمنين والمتطوعين، وبذلك المؤسسات التعليمية والفضائيات التي تزخر بمحتوى فرنسي لا غير.

5-2- عامل الحوسبة: وهذا ما يدخل ضمن مرحلة الإدخال الكمّي للمتن اللغوي، ثم تأتي مرحلة المعالجة، وأخيراً مرحلة إخراج النتائج، وهذا ما تُخصّصه برامج التحليل اللغوي. وعلى هذه الحوسبة تُبنى تطبيقات لغوية، وهذا ممكن جداً وسهل؛ فهو يحتاج إلى أجهزة ذكية جيّارة تستوعب الكمّ المنتج للعربية وإعادة قراءاته وتحليله في صورٍ شكلية حسب المناطق المُعدّة لذلك. وهذا العامل يحتاج إلى بناء المدونات اللغوية التي نستعين بها في دراسة وتدريس العربية الشفوية والمكتوبة الموثقة من حيث المصدر والتاريخ والنوع كحدّ أدنى... "مجموعة من نصوص اللغة الطبيعية، ولكن بشكل أدقّ يجب أن نضيف أنّ المدونات الحاسوبية نادراً ما تكون مجموعات من النصوص فهي تجمع بصورة عامة ومحدودة وغالباً ما تجمع لتكون (بشكل غير رسمي) ممثلة لبعض اللغة أو نوع من النصوص⁽¹⁾".

5-3- عامل الاستثمار في لغة الطفل: الاستثمار في لغة الطفل، وفي أدب الطفل هو القاعدة الأساس إذا ما بنيت بناءً سليماً ينطلق من خلالها الطفل؛ ليأخذ مختلف اللغات دون خوف على إدخال الضيم على لغته أبداً. وإذا تحدّثنا عن لغة الطفل فنتحدّث عن المشاريع، وعن إنتاج أجيال نروم أن يتحقّق فيها مسارُ الحداثة بمفهوم المستقبل. نتحدّث عن لغة الطفل لنعمل على لُحمة وطنية بريئة من كلّ نقيصة، نتحدّث عن ذلك الطفل الذي نبني فيه شخصية قائد المستقبل، ومخطّط الأجيال. يجب العلم بأننا نعيش السباق الحضاري واللغوي فلا يمكن أن نترك الطفل يتنصّل ولا يتمسك بإنبيته، كما يجب أن لا يفتح على غيره، نريده أن يعيش عمره

(1) - محمود اسماعيل صالح "المدونات اللغوية العربية بناؤها وطرائق الاستفادة منها" ط1. الرياض 2015

منشورات مركز الملك بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ص 19-20.

وعصره وهو ابن مصره ولذا يجب أن تُغرس فيه القيم الوطنية المستمدة من المرجعيات الحضارية والثقافية والدينية؛ ليعرف أطفالنا موقعهم في مجالات المعرفة، ويعرف المعلمون حدود مناهجهم التدريسية. فلا يمكن في هذه النقطة أن نغيب الحديث عن لغة الطفل في وسائل الإعلام. وكما قلنا، فإنه من الضروري الاهتمام بالطفل والاستثمار في لغة الطفل، لأنه القاعدة والمنطلق؛ فإذا كانت القاعدة صلبة، لا يُخشى عليها، وسوف تقوم وتنتمي وتتقوى وتوثق وهذا عهدنا في أبنائنا. أبنائنا ثروة واعدة للوطن، وهم أدوات البناء والحضارة، والتفريط فيهم مضرّة للجميع، ولذا كان علينا تنمية لغة أبنائنا من أدب يخصهم والاهتمام بمتطلباتهم الأخرى من المسرح والكاريكاتير والإعلام الرقمي والبرامج اللغوية الخاصة حتى يمتلكوا آليات اللغات الوطنية في مراحلها الأولى ومن ثمّ امتلاك المفاهيم اللغوية والمرجعيات التي لا تجعلهم يحدّون عن حبّ الوطن وحبّ لغة الوطن وعدم الذوبان في الآخر، كما أنّ هذا يحصّنهم من الذوبان في اللغات الأخرى، بل يستطيعون تعلّمها دون أن تأخذ ألبابهم، ودون أن تلوي عنق لغاتهم الأمّ.

5 - 4 - عامل الاهتمام بلغة الشباب المعاصر في الوسائل الحديثة: لقد فرضت الوسائل المعاصرة لغةً وأنماطاً كتابية حديثة، جعلت بعض الشباب يستغلّها في العبث أو في استعمال الدارجة وما يلحق بها من وسائل التهجين. ولذا كان على القائمين توجيه هؤلاء الشباب المتعلّمين للوسائل المعاصرة من حيث:

- الكتابة صواباً بالعربية؛
- الدردشة المكتملة للدروس الفصيحة؛
- كتابة كلّ الأصوات بالحروف العربية الموجودة في منظومة الخصائص العربية؛
- جعل الشباب يتنافس في الإبداع اللّغوي؛ بحيث يؤلّف رسائل راقية ويخاطب غيره بلغة لا تحتاج إلى ترميم؛
- زرع الغيرة في الشباب في أهمية الكتابة بالعربية؛ لأنها قيمة مضافة لهويته بدل الذوبان في لغة الآخر، ويكون رقماً غير مضيف في لغته؛

— كلمة أقيت في سكيكدة بعنوان (العربية وحركية التاريخ) —

- توجيه هؤلاء الشباب توجيهاً سليماً بدل عزلهم أو تحويل كتاباتهم إلى سخرية؛
- إبداء المعايير والخصائص اللغوية، والعمل على تثبيتها في لغتهم العربية؛
- رفع المستوى العلمي للشباب، واستقطابهم ليكونوا قوة بناء لا مجموعات هدم.

ومع كل ما يمكن أن يُقال في نقائص استعمال العربية في هذه الوسائط، بحكم الانجذاب للغات الأجنبية وبخاصة الفرنسية في محيطنا الجزائري، إلا أن اندحار اللغة الفرنسية مشهود بقوة؛ ويعني تراجع استعمال الفرنسية لدى الشباب والتعامل مع الإنجليزية، ونشير بأن تقرير المجلس الأعلى للفرنكفونية الذي يقرّ بتقهقر الفرنسية في الجزائر في السنوات الأخيرة؛ وبنسبة دقيقة يشير إلى تراجع محسوس من 41 % سنوات ما قبل 2000 إلى 28 % بعد الألفين، وبهذه النسبة تتراجع الجزائر إلى المرتبة الرابعة عالمياً من بين الدول الفرنكفونية بعد أن تجاوزت النسبة 60 % منذ الاستقلال، علماً أن الجزائر ليست دولة عضوة في قطب الفرنكوفونية كما "أظهر استطلاع للرأي في الجزائر شهر فبراير أن 1.88 يرون أن اللغة الإنجليزية تستحق أن تكون اللغة الأولى بعد العربية، في حين حصلت الفرنسية على نسبة 9.11 وهي النسبة التي تزامنت أيضاً مع مطالب عدد من نقابات التربية لإعطاء الإنجليزية حقها في التعليم، واعتمادها لغة أجنبية أولى بدلاً من الفرنسية⁽¹⁾".

5 - 5 - عامل تطوير مناهج تعليم العربية: هناك واقع، وهناك فرض التطور ونزوم من هذا تسليط النفوذ العلمي على واقع مناهج تعليم العربية، تمهيداً لكشف ما يحصل فيها من قصور، وعبرها نقد الحلول الاستعجالية؛ لردم الفجوات المسجلة في مناهج العربية، وهذا وفق أفكار تقدم من المختصين. ونزوم أن يكون المنطلق من وضع معايير المهنة، وفق الإعداد المهني العلمي والتربوي، وتحديد السمات والخصائص المهنية اللازم توافرها في عضو هيئة التدريس، إلى جانب التفوق الأكاديمي والقدرة على إجراء البحوث.

(1) — بوابة العين الإخبارية، بتاريخ: 12 جويلية 2017.

ولهذا لا بدّ من النظر من جديد في معايير إعداد المعلمين وفق المعاصرة والمعلم الناجح هو من يتحكم في الأصالة، ويتقن الحداثة، فنحتاج إلى بناء معلم يتقن توصيل المعلومة، ويستعمل بسهولة أداء توصيل المعلومة بطرائق حديثة ويعرف خطوات تطورها وفق الأصالة والإبداع وهذا ما يعمل على بناء الأجيال القادرة على تحويل البيانات إلى معلومات، والمعلومات إلى معارف والمعارف إلى حكم، والحكم إلى سيطرة على العلوم... وهذا كله بغية تحقيق مسار معلم المستقبل الذي يتطلّب مهارة وتمهيناً لمهنة التعليم، وإعداد المعلم الكفاء هو المدخل الوحيد لاحترام مهنة التعليم، ولإحداث التطوير وفق خصوصيات العصر. ولذا فالـتعليم حرفة مؤقّرة، وتحتاج إلى مهارة عالية كما تتطلّب وجود معايير وشروط لازمة؛ لمزاوتها والاستمرار فيها، وامتلاك الأفكار والضوابط المناسبة لممارستها ممارسة فنيّة، وهذا الأمر لا يتصلّ عن النمو المهني لأعضاء هيئة التدريس الذين يملكون الجانب العلمي الذي يأخذونه في الجامعة والجانب المهني في المعاهد التكنولوجية.

5 - 6 - عامل تعليم العربية عن بُعد: إنّ عصرنا يمتاز بالطوفان المعرفي في كافة المجالات وهذا يتطلّب إحداث تنمية بشرية قادرة على إنتاج المعرفة وتوزيعها وتعميمها وتوصيلها بمختلف الوسائل إلى كلّ الناس. عصرنا يحتاج إلى معرفة معاصرة يرتفع بالثورة المعرفية، ويفرض تغيّرات عميقة متعدّدة للتكنولوجية بوسائل تلبي طموحات الطلاب، وتتمّي المهارات الذهنية في تعليم العربية وتوصيل المعرفة إلى طالبها حيث يوجد. ولذلك من الضروري بمكان الأخذ بأسباب الحداثة التي تفرض على العاملين في مجال التربية والتعليم تبني أساليب حديثة، وطرائق حديثة؛ بالاستفادة من منجزات الثورة الإلكترونية والعمل على توظيفها في مجال تعليم العربية عن بُعد؛ للوفاء بالأعباء التعليمية التي تنوء الوسائل التقليدية عن تحملها، والبعض منها لم تعدّ تصلح في الوقت المعاصر.

5-7 عامل تعليم العربية لأغراض خاصة: وكان حرياً بنا الوقوف في هذه النقطة لنقول: إنَّ العربية بحاجة إلى مراعاة المتغيرات الاستراتيجية والجيوسياسية التي تحيط بمحيطنا المحلي والعربي، على عدّة اعتبارات وهي:

5-7-1 العربية كلغة اختصاص مهني، والمِهَن عديدة.

5-7-2 العربية كلغة لذوي الحاجات النطقية.

5-7-3 العربية كلغة تواصل تعمية وتشفير.

5-7-4 العربية كلغة سياحة عالمية.

— خاتمة: إنّه لا مستقبل لمن لا تصوّر له للمستقبل، وهذا المستقبل يبدأ من حسن قراءتنا للماضي واستلھامنا للعبر التي لا بدّ أن نسير فيها ودون تعثر ومن حدّد لمستقبله غاياتٍ مثلى فهو رجل إحياء وبطل انبعاث وشخصية شامخة؛ يحاول دائماً أن يبتّ إلهامات روحه في نفوس الآخرين ويُعيد من اليوم خطّاً لمشاريع سيقوم بها في المستقبل، ويسعى سعياً حثيثاً لتحقيق ذلك بقدر ما تسمح الظروف. ونقول: إنّ العربية واجهت التحديات من أوّل يومها إلى يومنا هذا؛ فالتحديات تختلف في شكلها وصورتها ولكنّ المواجهة كانت قوية في كلّ عصر وتشتدّ في عصر العولمة فهل نحن على استعداد للمواجهة. ولهذا تقع المسؤولية على ذوي الاختصاص، وعلى المنافحين والمُحبّين والمُخلصين والمُعَلِّمين والمُتعلِّمين، ولا تكون العربية مُزدهرة ولا تعود لمكانتها إلّا من خلال التمسك بثوابتنا الثقافية وقيمنا الدينية وشخصينا القومية وخصائصنا النفسية والاجتماعية؛ حيث لا يمكن اقتلاع جذورنا ولا زحزحة هويّتها اللغوية. وعهدي التذكير بمقولة مصلحين في هذا المجال؛ فأولهم (مولود قاسم) الذي قال: أريد أن أكون ابنَ عصري ومصري ومُنفتحاً على غيري بفتح أبوابي لا قلع سقوفي. والمهاتما (غاندي) قال: "لا أريد أن يكون منزلي مُحاطاً بالجدران من جميع الجوانب، ونوافذي مسدودة أريد أن تهبّ ثقافاتُ كلّ الأرض بمُحاذاة منزلي وبكلّ حرية لكنّي أرفض أن يقتلني أحدٌ من جذوري". والسلام عليكم إخواني.

قراءة في أهداف الجامعة الصيفية[♥]

— مقدمة: إنّ الجامعة الصيفية التاسعة عشرة (19) التي يعقدها التضامن الوطني الطلابي SNE جديرة بأن تُوصَف بالتاريخية؛ حيث شحّ الحال، وقلّ المال أو كما يُقال: العين بصيرة على كلّ حال واليد لا تحوز على الأموال ولكن لما صحّت النوايا وشدّت العزائم، وصل التضامن الوطني الطلابي إلى ما وصل إليه؛ بإرادة جماعية قهّرت كلّ الصعاب، وها هي جموع الطلاب من كلّ نواحي الوطن ومن جاليتنا الطلابية يحضرون في جامعتهم الصيفية. ويتأهبّون لمناقشة أوضاعهم الطلابية، وبخاصّة ذات العلاقة بالإصلاحات الجامعية ويقترحون أفكار التحسين في منظومة الجامعة الجزائرية بغية أن تتألّ التصنيف العالمي وتخرج من القياس على الكمّ، إلى القياس على النوع. وتظهر أهميّة هذه الجامعة أنّ لها من الوقت ما يكفي للبحث في مواضيع هامة. وأرى شباباً متحمسين جادين بتأطير خبراء ودكاترة ذوي الاختصاص؛ حيث سيلقون مجموعة من العروض ويسيّرون ندوات تتمحور حول مواضيع مختلفة تهّم مختلف المسائل ذات العلاقة بالطالب، كما تسمح الجامعة الصيفية هذه بعروض تكوينية رفيعة يشارك فيها الطلبة والباحثون والأساتذة والمسؤولون في قطاعات شتى، حيث تكون مناسبة للحوار الحرّ والتكوين الجيّد للرفع من قدرات الحياة الطلابية في الحاضر وفي المستقبل، وأرى النجاح في البداية لأنّه ما التقى الطالب والأستاذ والكتاب والقلم إلّا وحصل العلم المفيد والطالب يلتقي بمن يستريد، ويراجع المختلف فيه برأيٍ سديد.

♥ — أُلقيت المحاضرة في الجامعة الصيفية التي أقامها التضامن الوطني الطلابي SNE بالقطب الجامعي البوني بجامعة باجي مختار. عنابة في 12—18 أوت 2017. تحت شعار (من أجل تكريس ثقافة الدولة، ونشر الثقافة الوطنية).

وإذا كانت الدّراسة بالجامعة تنتهي، في معظم دول العالم، بعد انتهاء الامتحانات السداسية، وبداية عطلة الصّيف ترتبط بالاستجمام والراحة؛ فإنّ هناك بعض الفئات الطلابية تُعدّ برامج صيفية فريدة من نوعها في الخرجات التطوّعية أو في جمع الطلاب في تكتّل تضامني على غرار فعل التضامن الوطني الطلابي، فلا وقت للراحة والاستجمام، وهذا الطالب الذي نريده أن يكون عضواً في المجتمع يحسّ بمواطنته وأنّه من المتتوّرين الذين يقع عليهم حملُ هموم الناس، وبدورهم يعملون على اقتراح الحلول. فأنعمُ بهم من طلاب أنتم أيّها الحضور! وأعجب بكم من حنكة التدبير، وصولاً إلى حسن التسيير! فتستحقّون العلامة كاملة، أو كما قال نزار قباني: والله لقد أنقنتم فنّ الأداء.

1- فكرة الجامعات الصيفية: إنّ فكرة الجامعات الصيفية ظهرت تقريباً مع نهاية الحرب العالمية الثانية وعملت بعض الجمعيات على إيجاد هذه الفسحة لرجال الفكر للاختلاء والتفكير في قضايا العالم وتعود المبادرة لجمعية (La société du Mont-Pèlerin) والتي كوّنّها الاقتصادي فريديرك هياك/ Frédérique Hayek أبّ الاقتصاديين الليبراليين، وزعيم اقتصاد السوق في شهر أبريل 1947 وقرّرت هذه الجمعية لمّ الاقتصاديين الليبراليين والمدافعين عن اقتصاد السوق؛ للصمود أمام هجمة وهيمنة الفكر الكينزي والمدافع عن تدخل الدولة والرافض لفكرة اقتصاد السوق. وصارت هذه الجمعية تعقد جامعات صيفية لتنظيم صفوف الاقتصاديين الليبراليين، وضبط برامجهم التحسيسية ضد الكينزيين في شهر سبتمبر من كلّ سنة في قرية Mont pèlerin في الجبال السويسرية. ويمكن أن نقول بأنّ هذا هو احتذاء للقاءات قديمة قبل ظهور اسم (الجامعة الصيفية) والتي كان يقيمها **بيترارك** les Rencontres de Pétrarque في مدينة مونبيلي الفرنسية. و**بيترارك** هو شاعر وصل إلى مدينة مونبيلي سنة 1316م ودافع عن برنامج إنساني للحوار بين الأديان والعلم والمعرفة، وكان له تأثير كبير على أوساط المتّفقّين والمُفكّرّين في العصر الوسيط. وتخليداً لذكراه تُقام له جامعات صيفية

يلتقي فيها أهمّ المفكرين الأوروبيين للتفكير في التطوّرات الكبيرة التي يشهدها العالم، ومحاولة فهمها، وإعطاء شيء من المعنى لها.

وستعرف الجامعاتُ الصيفيةُ تطوراً كبيراً في بداية سبعينات القرن الماضي إثر الثورات الشبابية في أوروبا والعالم، كما تصبح هذه اللقاءاتُ الصيفيةُ موسعةً فلم تقتصر على المثقّفين والمفكرين فقط، بل تشمل ملتقيات الأحزاب السياسية؛ وبخاصّة الأحزاب اليسارية والمنظّمات النقابية. وستصبح هذه الجامعاتُ الصيفيةُ عادةً سنوية يؤمّها مئات المُفكرين والمناضلين السياسيين للتفكير في التحدّيات السياسية والقضايا المطروحة. وهكذا تعرف الجامعاتُ الصيفيةُ طرائقَ نوعيةً في التسيير وفي التطبيق بحسب المحيط والبرامج التي تعمل على مناقشتها. وفي العادة لا تقام الجامعة الصيفية صيفاً من أجل الترفيه أو قضاء العطلة؛ بقدر ما تُقام في عزّ العطلة لمناقشة قضايا هامّة تخصّ المحيط الوطني أو الدولي، أو قضايا خاصّة بالطلاب أو بما يحيط به أو بمشاريحه أو بمختلف استعداداته.

وعلى العموم، ففي بلدنا لم نعرف هذه الصيغة (الجامعة الصيفية) إلّا في بدايات الألفية الثالثة؛ حيث نشهد بعض الأحزاب تقيم جامعاتها الصيفية، ومن ثمّ بعض التنظيمات الطلابية. وسرنا على هذا الهدي في إقامة الجامعات الصيفية بحماس جديد وكلّ جامعة لها مشروع وبرنامج وخريطة طريق تعمل على احتذائه؛ وصولاً إلى تحقيق المراد من ورائه. ومن هذا الباب، فإنّ جامعاتنا الصيفية الطلابية لا تبتعد عن علاج أو مناقشة التحدّيات المجتمعية أو الحديث عن موضوعات هامّة يستعدّ لها الطالب أو الاحتقاء بمناسبة وطنية هامّة، أو إقامة ورشات، أو دورات تكوينية، ولم لا بعض الفسحات والتكريمات. ويبدو لي أنّ الغرض الهامّ منها هو تكوين الطالب باعتباره مُسيّر المستقبل؛ كان عليه أن يتدبّر أمور أخذ مبادرة التسيير بحسن التدبير الذي يتعاطاه في الجامعة العادية تنظيراً، وفي الجامعة الصيفية تطبيقاً وتكويناً؛ بحيث يكون مُنتجاً للأفكار، وحاملاً للمشاريع وخادماً للشأن العامّ.

2 - قراءة مفتاحية في أهداف الجامعة: أيها الحضور؛ بدعوة كريمة من المكتب التنفيذي الوطني للتضامن الوطني الطلابي، لبّيت النداء، كما سبق لي أن حضرت ملتقاهم المنعقد في جامعة باتنة 1 وعنوانه (اللغة الأم وعلاقتها باللغات الأجنبية) يومي 15 - 16 مايو 2017م، وألقيت مداخلة حول الموضوع وكان الملتقى ناجحاً في التنسيق والتنظيم واختيار الموضوع، وكذا في نوعية المحاضرين. وفي هذه المرة زارني الرئيس الشرفي للتضامن الوطني الطلابي الذي قدّم لي الدعوة وأطلعت على البرنامج وكنت إيجابياً لحضور هذه الفعالية؛ لأنّ أهداف الجامعة وقعت في نفسي موقعها الجيد ونالت في نفسي إعجاباً لطبيعة الموضوعات المقترحة للمناقشة. وعدت إلى نفسي بعد ذلك أسألها ماذا عساني أقول في هذه الجامعة الصيفية التي تحمل أهدافاً تدور في ثلاث محطات كبرى هي:

1/2- لنين الجزائر معاً.

2/2- أبعاد ما تحمله المرجعيات الوطنية:

3/2- دلالات الكلمات المفتاحية: تدعيم مساعي فخامة الرئيس في تكريس ثقافة الدولة/ غرس ثقافة الحوار والتسامح/ زرع روح التضامن/ تبادل التجارب/ التحضير للدخول الجامعي.

ولا أخفيكم أمام هذه المحطات الكبرى تأنّيت كثيراً، وأنّى لي أن ألبي متضمنات شعار الجامعة (من أجل تكريس ثقافة الدولة وتعزيز الوحدة الوطنية) فبعدما بصّرت بمجموعة من الأفكار، وقد كنت منتصراً لتلك المساعي الكبرى التي يقوم بها فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة الذي وضع في الثقة لتسيير المجلس الأعلى للغة العربية، وأنا له شاكر على هذه الثقة وأسأل الله أن يعينني في تحمّل خدمة العربية، وشعاري دستور حاكم، وعمل قائم، ونشاط عازم وتخطيط دائم. هذا هو المنجم الكنز الذي يعمل فيه المجلس بما خطّطه في الزمن الحاضر والمستقبل.

أقول: لقد اجتهدت لتقديم محاضرة أمامكم وأطرحها باختصار، وهذا بعدما سألت نفسي، وقلت: كيف أردّ الجميل لوطني الذي أوصّلني هكذا، وقد كنت طالباً ولا أزال أطلب العلم، فما هي الخدمات الجليلة التي يحتاجها منّي بلدي؟ وجاءت الكثير من الإجابات؛ وكلّها تصبّ في طرائق ردّ الجميل، وقلت لا يكون ردّ الجميل كاملاً مهما قدّمت، فبلدي هو السفينة التي حملتنا، وتجب المحافظة عليها وكلّ خرق في السفينة غرق لنا جميعاً. وأرجو من البداية أن تستوعبوا معنى حبّ الوطن، وتكريس ثقافة الدولة، وتعزيز الوحدة الوطنية. وأركّز على حبّ الوطن لأنّ الوطن أغلى من كلّ شيء؛ أغلى من المال، فإذا افتقدت الوطن سوف يُقال لك كما قيل: ابك مثل النساء فلم تحافظ على بلدك كالرجال. وإياكم أن تأكلوا أسود بلدكم، فتأكلكم كلاب أعدائكم.

3 – تكريس مبدأ حبّ الوطن: وهو من الإيمان حسب كلّ الأديان، وطبيعي أن يكون الاختلاف في طريقة الحبّ، لكن لا خلاف في قدسية الوطن، فهو من قدسية السلف فالوطن للجميع، وهو الحضارة التي صنعها السابقون، وعلى اللاحقين مواصلة وُضْع لبناتهم في صرح الحضارة المشتركة، ولا يمكن أن نختلف في حبّ الوطن، مهما اختلفت ثقافتنا باختلاف مشاربنا. وإنّ البلد من صنعنا ومن حضارتنا المشتركة، فأنا وأنت لسنا الآخر، بل أنا وأنت الوطن، وأنا وأنت الحضارة، أنا وأنت الحبّ، أنا وأنت التكامل والتفاني في خدمة الوطن فنقيم العلاقة المشتركة في هذه السفينة التي تُتجينا من الهلاك والشتات ببناء جسر حبّ الوطن للعيش في بيت الحياة الجامعة.

4 – تجسيد مقولة أن نكون خير خلفٍ لخير سلف: أوائلنا قدّموا لنا هذا الوطن بدماء زكية وبجهود كبيرة، كان علينا المحافظة عليه، فنبنينا كما كان أوائلنا يبنون ونزيد بناءً فوق ما كانوا يبنون لتجسيد الانتقال من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر. ويتدخّل في هذه النقطة الاعتزاز بالوطن والدفاع عنه وعن الثوابت الوطنية؛ وفي مقدّماتها التاريخ الوطني واللغات الوطنية: فبالأمازيغية نبقي وبالعربية نرقى فالعربية والأمازيغية في دارهما بلا سلاح ولا تحملاً الرماح.

وعلينا تمجيد السلف الصالح الذين تعاملوا مع هذه المسائل بصورة عفوية، فما حصل الضيم، حتى أوصلوا لنا هذا الوطن سليماً، وقالوا: صُونُوا الأمانة، وحافظُوا عليها كما تحافظون على صفاء عيونكم.

5 - المحافظة على الأمن: إنّ الأمن والأمان جوهر عمليات الاستقرار والتنمية فنحتاج من الطبقة الطلابية أن ينالها الإحساسُ بضمان ديمومة الاستقرار— لأنّ الأمن يتبعه الاقتصاد المنعش، واللقاءات الحرة، والثقافة النيرة التي تقوي المجتمع من احتمال تحوّلِهِ إلى سلّة مستقبلية للنفايات الثقافية العالمية. ونؤكدُ أمامكم بأنّ الأمن الثقافي في أيديكم أيّها الطلاب بما تزرعونه من أفكار الانسجام الجمعي الحامي للمقوّمات الثقافية الوطنية من مخاطر الذوبان في الثقافات الوافدة التي تملك عناصر مؤثّرة قد لا تنفع معها أيّة أشكال من المقاومة، وبالتالي السعي والعمل لتعزيز الثقافة المحلية. وعليه عظيم هو في هذا السياق مقدار التأثير الذي يمارسه الإعلام في المشهد الجزائري وكذا وسائط التواصل الاجتماعي السائرة في طريق الحماية المجتمعية، وبوركت خطواتُ إعلامنا، ومزیداً من الاحترافية ونيل المقامات العُلا.

6 - العمل على غرس صفات المواطنة: المواطنة على وزن مُفاعلة؛ أي المشاركة من الجانبين كالمُشاركة والمُساهمة والإسهام، وتعتبر علاقة تبادلية بين فرد وفرد، أو بين جماعة وجماعة، وعلاقتهم جميعاً بالوطن حتى يمتزجا في لُحمة واحدة. ومن هنا فالمعنى اللغوي للمواطنة تحمل السكينة والطُمأنينة. ويلحق بالمواطنة كلّ متعلّقات الأخلاق العالمية والديانات التي لا تزال قادرة على أن تقوم بدور فعّال في العالم من أجل التوجّه نحو عولمة مُتكافئة اقتصادياً وسياسياً وثقافياً وعمادها في كلّ هذا الدين (عولمة الدين) أو أن سنة الأديان وإلى جانبها الأخلاق بما تحمله من سلّم وتسامح وتضامن ونهوض أخوي متكامل في حضارة واحدة باختلاف المنهجيات "ولا نهوض بهذه القيمة إلّا إذا رفعت هذه الأخلاق مكانة الدين

وعزّزتها؛ أي حققت -ما أسميه- تمكّناً دينياً في العالم⁽¹⁾. والمواطنة ذكرت في القرآن في مجال تقديس الروح الإنسانية؛ لأنّ القرآن يؤكّد ترسيخ الأخوة الإنسانية وقداسة الروح، وتفضيل البشر على سائر المخلوقات مهما اختلفت دياناتهم وثقافتهم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ الإسراء: 70 وعليها أن ترقى البشرية بالخلقية الإنسانية إلى رتبة فوق الرتبة التي يمكن أن يوصل إليها دين بمفرده، وأن يكون بالتعدّد الذي ينمي روح المواطنة فالمقصود منه التنافس في كلّ شيء لمصلحة الوطن. وهكذا علينا أن نبدع في المواطنة التي تسكننا وجوهرها المناصحة والرحمة والمودة، ولا بدّ من السعي لتأصيل مبدأ المواطنة، وأصول التعايش مع الآخر لتحقيق مفهوم المواطنة، أي وطن واحد يحوي الجميع.

7- تحقيق صفة الطالب العضوي: أو بمفهوم الطالب الملتزم تجاه قضايا وطنه وأسرته ومواطنيه وكان عليه أن يدسّ أنفه في تلك القضايا المشتركة التي يبدي فيه رأيه بإنتاج أفكار التنوير لخدمة الشأن العام؛ وخدمة الشأن تتطلّب الصبر والجهد والبذل وتقديم الحلول، دون انتظار المقابل، فقد يعمل الطالب ويقدم ما عليه، ويكون اليد العليا التي تُعطي، ولو يحصل الجهد، فيبقى يُعطي ويُعطي رغم ما قد يُجحد. وتلك صفة الكبار الخالدين الذين شروا أنفسهم لخدمة الآخرين، فكثير من الناس مروا من هنا، رغم ما تركوه من أموال، ولكنهم ما كانوا بعدما انتقلوا؛ حيث تركوا الفلوس، ولم يستثمروا في الرؤوس. وهناك الفئات القليلة التي استثمرت في الرؤوس فهي من الرموس، ولا ينساها حتى الزمن الميؤوس.

8 - تحقيق ثقافة الحوار: تبدأ هذه الثقافة من الطالب المثقّف الخصوصي: نريد طالباً يحصل له بريق المثقّف العضوي الحامل لفكرة التغيير نحو الأفضل

(1) - طه عبد الرحمن "الأخلاق العالمية: مداها وحدودها" مجلة الأزهر. القاهرة: 2013 الجزء 10 ص: 2079.

ويسميه (ميشال فوكو) المثقف الخاصي *Intellectuel spécifique* ويكون منطلقه من مرحلة التطلاب. طالبٌ مثقفٌ عضوي يُعالج الأفكار ويقدم الحلول الأكار، ويعالج التحديات؛ للخروج بطرائق حسن الأداء، في ظل الاستمرارية المتجددة التي لا تتسامح في فعل الأجداد ولا تبقى عليه، حيث يكون الفشل لا يكون في السقوط، لأن سقوط المطر من علائم الخير، والسقوط أن تبقى حيث سقطت دون محاولة الوقوف فالجالس لا يسقط، والذي يسقط هو الواقف الذي يحاول. طالب مثقف يعالج تحديات العولمة، وينخرط في إطار المجتمعات والجمعيات المؤدية إلى اقتراح بدائل نوعية بمشاريع الانخراط الجمعي نحو بناء دولة لا تزول بزوال الرجال، دولة المؤسسات التي ينشدها كل راغب في البناء الوطني. طالب مثقف عضوي يستبعد أفكار النقاعس والتواكل ولا يردد: أنا وبعدي الطوفان/ للكعبة رب يحميها/ تخطي رأسي/ تبعد عن بيت أهلي/ لا هم لي في بلدي/ لكم دينكم ولي ديني... إلى غير ذلك من علامات الفشل التي تثبط العزيمة، وتزرع اليأس، ولا تميط اللثام عن الحقيقة ولا تنتظر للكأس إلا لنصفه الفارغ، ولا تنظر في الأسباب والمسببات. تلك أعراض لا نريد أن تعلق بالطالب المثقف الذي ربما سبق أن حزم أمتعته ينتظر المغادرة، ولكنه تراجع لأنه لم يؤد الأمانة لبلده الذي جعله شيئاً. ففكر أيها الطالب الرسالي أن تخصص في ما يعم نفعه، ونشئت حاجة الأمة إليه، ويساعد ظرفك على النبوغ فيه، ولو كان مما يزهّد الناس فيه.

— قبل الخاتمة: أيها الطلاب لا تظنوا أنني أرى ما لا ترون، ولكن تدبير مجرب أحياناً أفضل من مشاهدة شاب، هي وصفة بسيطة أقدمها لكم بغية النجاح وأرجو أن تنال موقعها فيكم. كونوا مثل الشجرة التي تغيّر أوراقها، لكنها تحافظ على جذورها فسرّ النجاح من يبدأ من التغيير الذاتي، فابدؤوا بأنفسكم فليس هناك عصا سحرية للنجاح، فالنجاح يحظى به المكافحون، فلا شيء يتحقّق بالصدفة بل كل شيء يتحقّق بالتماس الأسباب. فإذا واجهتم المشكلات فلا تهنؤا، بل كونوا إيجابيين في الحلول بدل التفكير في المضايقات، وكلّمنا نفكر إيجابياً تنهال علينا الحلول. وستكونون ناجحين عندما تجالسون العلماء وتتخذونهم مودلاً وستتجحون

أيضاً بتبجيلهم وستتجحون بالعمل والمثابرة والصبر، وستتجحون عندما تمنحون الأمل للبائسين، وتمنحون الحبّ للمكروهين وتقدّمون الخير للحاقدين، وتكونون كراماً مع المحتاجين، ولا تكونوا من الذين إذا دخلوا مكاناً يصرخون ها نحن، بل كونوا من الذين إذا حلّوا بمكان يتهامس الجميع ها هم.

— خاتمة: من محصلة الكلام نخلص بأنّ الجامعة الصيفية التي أقمتوها أراها تسهم في فتح آفاق كثيرة أمام الطالب كونه يلتقي بطلبة آخرين من تخصصات مختلفة، ومن أعمار متباينة، ويشتركون فقط في حبّ المعرفة والاستطلاع، كما يرغبون في تطوير ذواتهم، وتكوين أنفسهم في مجالات تسترعي اهتماماتهم. وبشكل عامّ، هي محطة نضالية مهمّة لأنها تتكبّ على مناقشة القضايا العامّة للوطن، وهي محطة للتكوين والتأطير والتعارف وتقريب وجهات النظر، وتتيح إمكانية تقييم الوضع التنظيمي للمنظمات الطلابية. وهناك تجارب ودراسات تؤكد إيجابية الجامعات الصيفية، بالنظر إلى تلك التغيّرات التي تطرأ على الطالب بعد انتهاء فترة التكوين الصيفي. والمهمّ في الأمر أن يحصل فيها الإبداع والتطبيق الفعلي لمقتضيات المواضيع المعالجة، كما نودّ أن يقع اختيار مناقشة المواضيع بكلّ ديمقراطية للوصول إلى اقتراح أفكار التنوير.

إخواني الحضور، أيّها المنظمون لهذا المحفل الأكاديمي الصيفي، أقترح عليكم تنظيم جامعة صيفية تجريبية مغلقة في السنة القادمة؛ نتناول استعمال اللغة العربية الأدبية، وأن يحصل فيها الإغماس اللغوي/ *Emersion linguistique*؛ حيث الكلام في العربية وبالعربية، ولنجعلها مثل الإقامة اللسانية *Séjour linguistique*، وهو نوع جديد من الجامعات الصيفية اللسانية، مثلما هو إقامة جامعة صيفية للمهاجرين أو للجاليات الوطنية. وهذا ما يدخل في باب المواطنة اللغوية التي نريد ترسيخها في شبابنا وطلابنا الذين نريد أن يُسهّموا معنا في اقتراح أفكار تطوير العربية ليُصبح لها الاستعمال المفيد، والتعميم المديد وتبتعد عن كلّ تلوّث عنيد.

وفي الأخير أعبر عن سعادتي وشكري لكم جميعاً، ولكل من حضر وحضر وسوف يحاضر وسيكون في هذا المنبر مقتدى، فهو عندنا من المستهدى، ولكم تحايا المجلس الأعلى للغة العربية، ولكل من يشتغل في الظل. ونرجو الاستمرارية والوفاء لخدمة الشأن العام، وهو من الفعل الذي لا يقوم به إلا الكبار. فأنتم أيها المفكرون المنظمون من الكبار فبورك فيكم، وبوركت خطواتكم، وإلى الأمام في مساعيكم.

معمري الأسطورة ♥

— مقدمة: ماذا عساني أقول أمامكم أيها الحضور، وأنا في استحضار بعض أفكار الأسطورة مولود معمري/ مولود ناث معمّر / ⵎⵓⵎⵓⵔ ⵏ ⵎⵉⵎⵔⵉ / La colline oubliée التي نقلت واقع منطقة من مناطقنا عبر تضاريسها وعاداتها وتفكير كبارها، وعادات نسائها، والهم الذي يلاحقها جرّاء عدو أدلّ ساكنتها. رواية مذهشة أمتعت (طه حسين) وقال عنها: "كتاب الربوة المنسية دراسة اجتماعية عميقة دقيقة تصوّر أهل هذه الربوة في عزلتهم، وقد فرغوا لأنفسهم واعتمدوا عليها فلم يكادوا يذكرون أحداً غيرهم من الناس، وهم يجهلون ما وراء الجبال التي تقوم دونهم، لا يعرفون إلاّ حين يضطّرون إلى ذلك اضطراراً، وما أقلّ ما يضطّرون إليه، وهم لا يشعرون بالحكومة إلاّ حين تُجبي منهم الضرائب على ما تُثمر لهم الأرض، وما يكسبون من المال".

ماذا عساني أقول في مئوية الباحث الوطني الذي ظلّت فرنسا تلاحق تحرّكاته وتضييق عليه، ليرحل ويتركها في هدوء. ماذا عساني أقول في هذه المئوية التي أحاطها فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة برعايته السامية فيمكن أن نقرأ من خلالها إعادة الاعتبار لهذه الشخصية الذي ناضل من أجل الهوية الوطنية في مفهوم المواطنة الكبرى. ماذا عساني أقول: وقافلة المئوية تحطّ متفّقيها في مدينة تلمسان المجاهدة؛ والتي تُحيي الذكرى الثانية والستين (62)

♥ — أُلقيت الكلمة بمناسبة مئوية مولود معمري بقصر الثقافة بمدينة تلمسان يوم 19 أوت 2017. وتأتي تزامناً مع احتفائية الجزائر بالذكرى المزدوجة الثانية والستين (62) لأحداث 20 أوت بسكيكدة 55/ مؤتمر الصومام 56. وهي ذكرى يوم المجاهد.

لأحداث 20 أوت 1955م ويتألق معالى وزير المجاهدين فى إحياء المناسبة لعظمة الحادثة، وترتبط فى هذا المكان بعظمة الرجل العلمى اللسانى صاحب ثاجرومى؛ الذى مرّ من هنا ذات أيام؛ يجوب هذه المناطق راجلاً باحثاً، ويترك بصماته فى تلك الأعمال العلمىة التى عمل بها فى إطار البحث عن الإنىة والأصالة التى تتواجد فى مناطقنا عامّة.

إخوانى الحضور، يكون المجلس الأعلى للغة العربىة حاضراً معكم فى هذا المحفل التاريخى، وهو يُشاطر الشعبَ الجزائرىَ احتفائىة الانتفاضات التاريخىة ضد المستدم الذى عمل على طعن الجزائريين فى أصلهم ومواطنتهم وفى لغاتهم، وإجبارهم على تعلّم لغته فقط، وهذا ما تجسّد فى بعض المتقفين الذين أجبرهم على تعلّم لغته، وترك اللغات الوطنىة، وكان له ما أراد، ولكنهم انتصروا لوطنيتهم، وخاطبوه بلغته ومنهم صاحب (الأفيون والعصا) الذى أبدع فيها معمرى بالفرنسىة، وكان يدري أنّ كتاباته الأدبىة باللغة الفرنسىة ستسهم فى مقاومة الاستعمار من خلال لغته وفى لغته، هذا من جهة ومن جهة أخرى، لم يكن له نصيبٌ فى العربىة التى كان يُجلّها ويُعظم قدرها، ومثله مثل الذى قال: إنى أعيش منفاى فى لغتى. فمولود معمرى غمزَ من قناة تطوير الثقافة الجزائرىة عامّة من خلال الاهتمام بالمازىغىة دفاعاً عن التراث والتارىخ والأنثروبولوجىة باعتبارها جزءاً من الثقافة الجزائرىة والأفرىقىة، وهى لا تتجزأ فى الدلالة، وإنما تتجزأ فى التدريس، وهذه سمة البحث المُجزء وصولاً إلى سهولة التعلّم، ومن ثمّ وصولاً إلى التكامل.

إنّ معمرى الأسطورة عاش الحرمان اللغوى، الذى وصفه بالمأساة اللغوىة، وتأسّف كثيراً على المسخ الذى أحدثه المستدم، بأن يقول: لقد عشتُ مأساة لغوىة فى عدم إتقانى العربىة على منقول السيد (محمد عاطف بركى) "... وهذه مأساتى تكمن فى داخلى، وتسبّب لى كثيراً من الآلام، ولكنّ الأجيال المقبلة من الكتاب الجزائريين ستعوض كلّ ما حرّمنا منه". وقال عنه الباحث إبراهيم سعدى: "إنّ الدا مولود كاتب جزائرى منفىً إلى لغة أخرى، وهو لم يخترُ ذلك، ولو لم يكتب بالفرنسىة، فمن المرجّح أنّه كان سىكتب باللغة الأمازيغىة لكن هذا لا يمنع شعوره

الحادّ بعروبته، رغم التّيه الكبير الذي عاشه في الفرقة الأجنبية، ورغم أن ناشري كتبه كانوا في العاصمة الفرنسية باريس، فإنّ الكاتب لم يكتب أبداً عن الغرب؛ لأنّ سنوات حياته عاشها في الوطن العربي بين المغرب، والجزائر، وليس في فرنسا مثلاً حدث مع آخرين من الذين يكتبون باللغة الفرنسية.

صحيح بأنّ مولود معمري كتب بالفرنسية، ولكنّه لم يتنكّر للعربية من خلال تلك الدراسات التي كان ينشرها في مجلة *Lybica* وكان يرى التكامل في الأسرة اللغوية الحامية السامية التي تحوي اللغتين: العربية والمازيغية إدراكاً منه أنّ الانسجام الجمعي لا يُقرّ بالفصل بين الساكنة، وأنّ الفرنسية دخيلة مؤقتة؛ وسيأتي زمان تعود إلى موطنها. كان مولود معمري يؤمن بمنطق اللغة، ومنطق اللغة ليست وسيلة تواصل وثقافة، بل هي الهوية والشخصية والانسجام التاريخي والحضاري والامتداد التكاملي التواصلي، وتلك هي سمة الشهداء والمجاهدين الذي أبلّوا من أجل هوية وطنية جامعة. فمولود معمري أتصوره من هذا الجيل البناء الذي أكمل مسيرة الكبار فأنعم به من كبير!

وتسير الحياة الهويّية، ونجد مولود معمري يجاهد بقلمه وبمحاضراته التي تعطي للوطنية بُعداً حضارياً في مؤلفه (العبور) حيث يُراهن على الجيل الحاضر؛ ليعتمد الترجمة بين اللغتين في مصفوفة وطنية تروم نشر الثقافة المازيغية والترجمة إلى العربية، وهذا إحدى رغبات هذه القافلة التي تعمل على نشر الأعمال باللغتين استكمالاً للمشروع الوطني التكاملي، من خلال خريطة طريق ينشدها المجلس الأعلى للغة العربية بتعزيد المحافظة السامية للأمازيغية في مشاريعها الكبرى لتحقيق الفعل النبيل الذي نستشعر من خلاله الانسجام الجمعي الذي يأتي من اللغتين.

أيّها الحضور، يشير لنا التاريخ بأنّه لم يحصل الصراع اللغوي منذ الفتح الإسلامي، فقد مرّت على حكم هذا البلد ثلاث عشرة (13) دولة مازيغية، فأعطت للغة العربية مقام لغة الدولة، وللمازيغية لغة الاستعمال الوظيفي، وكلتاهما في إطار

مقام وحال ومقتضى الحال، وحصل التكامل بالتراضي، فكان فعلُ الأجداد حضارياً، فهل يأتي الجيل الجديد ليُطعنَ في فعلِ السلف الصالح، فإذا فعلَ سيكون من الجيل الطالح، ويستحيل أن تكون الأمورُ كما يريدُها البعضُ أن تصل إلى المهلكة. فهذا الجيل بالفعل يُعدّ خيرَ خلفٍ لخير سلف، وهذا ما يتجسّد حالياً من استكمال المشوار، وربما بمنهجية مخالفة ليس إلّا. والمهمّ ليست العبرة في الاختلاف في المنهجية بقدر ما هي في الاتفاق على الهدف المشترك، وهذا ما نشهده اليوم ومن خلال الفعل الذي تقوم به المحافظة السامية للغة الأمازيغية التي تنشط عبر ولايات عدّة في مئوية الرجل الذي قيل عنه (معمرى الأسطورة). ويبدو لي بأنّ الهدف من هذه التظاهرة الثقافية التاريخية العمل على إعادة بعث أعمال أحد الوجوه البارزة في الدفاع عن الثقافة الوطنية المازيغية الذي كرّس جزءاً من حياته في البحث في مجال الأنثروبولوجيا واللسانيات والبحث الأكاديمي البحت.

السادة الحضور، إنّه لمن دواعي الافتخار؛ ونحن نحتفي بالانتصار، وبذكرى الانبهار؛ بأن نقول بأنّ الشهداء والذين أخطأتهم الرصاصات هم الذين أوصلونا إلى ما نحن عليه، فكان الجهاد بالعديد من الوسائل، وكان مولود معمرى من الذين سجّلوا حضورهم القويّ كمناضل بالكلمة إبان ثورة التحرير. ومولود من خلال أعماله والتي لا تنتسب إلى الاستعمار، عمل على تبين التناقضات القائمة بين الشعب الجزائري والمستعمر الفرنسي ولا يرى في المستعمر إلّا الكُفر والجُحد ولا بدّ من نضال سلاح القلم الذي يُجلى الهمّ والغمّ، وهو الذي يقول: "... أنا مناضلٌ جزائريّ بسيطٌ، أحمل السلاح والقلم في وجه العدو... في أيّ مكان وأيّ زمان". وبعد الاستقلال استمرّ بكتاباتهِ وفق رؤية لم يختزلها في الفضاء القبائلي الذي عشقه وانتمى إليه، ولكنه "لم يكن متعصباً جهوياً؛ بل كان مُفتحاً على كامل الجزائر، ويتجلّى ذلك من خلال البحوث التي قام بها في عمق الصحراء الجزائرية وبخاصّة تلك المتعلّقة بإهليل قورارة، وآلة الأمزاد التي يعتبرها مُخرجة إيقاعات المتصوّفة، إن لم تكن إيقاعات صُمتِ الأجداد، في صحرائنا ذات الأوراد.

إخوانى ماذا عسانى أقول، والمقام لا يسمح لى بتجاوز الوقت المقبول واسمحوا لى أن أختصر ما قيل فى الباحث الأسطورة المحب للصرامة والبحث العلمى، الذى كان يبحث عن وسيلة أقرب لإخراج التراث الثقافى الجزائرى إلى الأضواء، وما قيل عنه بمفجر الربيع الأمازيغى، أو مسيح الربيع البربرى وكل تلك المقولات التى اختزلت الرجل فى الأسطورة الخالدة. هى أسطورة المثقف الذى كان يطمح إلى بُعد مغاربى كبير، وإلى الرفع من مستوى ثقافة المجتمع وكان يحلم أن يرتقى هذا المجتمع إلى فهم خطاب الثقافة، بدل أن ينزل إلى خطاب الغوغاء والدهماء. معمرى الأسطورة الذى قال فيه (جىلالى خلاص): "إنه رجل أسطورى من الرعيل الأول، ومن الأدباء الذين قرأ له الفرنسىون باللغة الفرنسية، بالإضافة إلى القارئ الفرنكفونى فى شمال أفريقيا؛ وخاصة أن أعماله المترجمة إلى اللغة العربية قليلة.

— خاتمة: لقد تساءل مولود معمرى فى مقال له سنة 1963 لو عاد ابن خلدون بيننا، وأنهى المقال: لو عاد ابن خلدون بيننا اليوم، سيكون مرتاحاً فى هذا الجو الأخوى الذى تنبأت به عبقريته. فماذا لو كان مولود معمرى اليوم بيننا؟ هل سيشعر بالغبطة لأن عبقريته التى جعلته يتساءل بعد أحداث 1980 لماذا لا توجد قناة تلفزيونية ناطقة بالأمازيغية؟ لماذا لا تُدرّس الأمازيغية فى المدارس؟ لماذا لا يستطيع الجزائرى القادم من منطقة القبائل أن يتحدث بلغة الأمازيغية فى شوارع العاصمة؟ ... هل سيشعر بالغبطة لأن أسئلته التنبؤية هى التى جعلت الأمازيغية تصبح اليوم لغة وطنية ورسمية فى نفس الشهر الذى وُلد وتوفى فيه؟ كما تحقّق ما وصل إليه من تبصّر؛ من أن هناك حاجات اجتماعية ونفسية وثقافية هى التى تجعل التاريخ يتحوّل، وأن حركة التاريخ نفسها هى التى تسمح بتحقيق الأفكار على أرض الواقع فى ظرف معيّن ولم يكن يسمح به فى ظرف آخر ولذلك قال سنة 1984 شيء طبيعى فى اعتقاده أن يدافع الروائى عن القيم السامية حتى وإن لم تتحقّق فوراً.

لو عاد مولود معمرى بيننا اليوم لعاتبنا وقال: لقد جعلتم منى رجل سياسة ألم تقرأوا قولى سنة 1984 "إننى لست رجل سياسة، بل رجل أدب وثقافة وباحث إنترولوجى وروائى؟" والذى يهمنى كروائى هو توق الإنسان إلى الحرية واتساع الأفق". وقال أيضاً: " ألم أقل لكم بعد أحداث الربيع البربرى فى مقال les donneurs de leçons إن الثقافة الأمازيغية ليست حكرأ على الناطقين بالأمازيغية، بل هى ملك لكل الجزائريين لأنها أسهمت فى تكوين هويتهم، وأن الإسلام كان بمثابة الإسمت للهوية الأمازيغية، فلماذا يحتكرنى البعض ويبعدوننى عن باقى الجزائريين، حتى إنهم لا يكادون يعرفوننى؟" ولا شك أنه لو عاد سىرى الأمور بخير، وسينهى كلامه قائلاً: إنى اليوم مطمئن فى بلادى وفى مدينة تلمسان، فأنا أحس أنى ملك لكل الجزائريين الناطقين بكل اللغات. الجزائريون ليسوا خصوماً لبعضهم البعض، بل هم من هوية واحدة بأداعىن مختلفين وبالمعنى الواحد، فأنعم به من تكامل!

وأف هنا، وتعود بى الذكرى، وأنا أسمع نعى معمرى الأسطورة بالبرهان، بأن غصن الموت وقف دون عودته بأمان، ويؤدى به إلى الهلاك والخسران، وهو عائد من مشوراه العلمى المنان، ويشهد الشاهدون أنه كان أسطورة وأيقونة وطنية رحلت قبل الأوان. ويتوقف العطاء المفتان، كما جف قلمه الظمان، ويومها قيل عنه إنه مات بإحسان. رحلت الأسطورة العمران، كما رحل الذين نحبهم قبل زمان، ويبقى التاريخ يخلد الشهداء والأبطال الأعوان، وتسير بنا القافلة إلى الأمام يا إخوان، ولا تتوقف أمام الصعاب والطعان والعظماء لا يموتون بالأغصان، بل يخلدون كالفرسان. فأسطورتنا من المجاهدين الأفنان، الذين لا يزلون أحياء بما تركوه من برهان، وعلى هذا الجيل قصد الأعنان، ومعانقة تاريخنا دون كتمان ومواصلة المسار بزيادة لا بنقصان فأنعم به من مسار الشجعان!

أفكار المجلس الأعلى للغة العربية

في البحث العلمي^٧

— **ديباجة:** إنّ المجلس الأعلى للغة العربية، باعتباره أعلى سلطة سياسية وعلمية يهتمّ بقضايا اللغة العربية في حدود ما جاء في دستور 2016، وتحت التوجّهات السياسية للوطن، وفي تجسيد برنامج فخامة رئيس الجمهورية، يعمل على تطوير اللغة العربية وفق البنود التالية:

1— العمل على ازدهار اللغة العربية.

2— العمل على تعميم استعمال اللغة العربية.

3— العمل على الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية.

ووفق هذه البنود، فإنّ المجلس هيئة استشارية لدى فخامة رئيس الجمهورية تقدّم سنوياً تقريراً لرئيس الجمهورية بخصوص وضع اللغة في الجزائر، ويتضمّن تقديم أفكار تتعلّق بمتطلّبات التطوير. وهو يستقي هذه الأفكار من:

— رصد الأمور ذات العلاقة باختصاصه من المحيط الوطني؛

— رصد تطوّرات البحث العلمي العالمي، وملاحقة مستجدات العصر؛

— متابعة ما ينشر من تعليقات وكتابات في اختصاصه؛

^٧ لقاء تشاوري مع مديريةية البحث العلمي والتكنولوجي، بتاريخ: 20 سبتمبر 2017. بمقرّ المجلس الأعلى للغة العربية، ممثلاً للمدير العام للبحث العلمي والتكنولوجي الأستاذ: الطاهر صحرابي

- العمل على جمعها سنوياً، والتعليق عليها وفق الأطر القانونية، وما يسمح به اختصاصه على اعتبار أنه هيئة لها قوة اقتراح، وليس بهيأة تنفيذية.
- وبخصوص **البحث العلمي**، فإن أفكار المجلس تدور في الآتي:
 - ضرورة انفتاح الجامعة على سوق العمل؛
 - العمل بنظام العرض والطلب في العمل وفي التوجيه الجامعي؛
 - تجسيد متطلبات الوزارات المعنية بالتنسيق مع: التربية والتعليم + التعليم والتكوين المهنيين؛
 - تنسيق المجلس الأعلى للغة العربية مع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي وفق البرامج الحكومية ومتطلبات ذات الوزارة، ونروم العمل بما يلي:
 - 1- التنسيق مع مديرية البحث العلمي والتنمية التكنولوجية.
 - 2- عقد لقاءات دورية في الجامعات الوطنية بغية التعرف على الاحتياجات العلمية، واستكناه النقائص، بتقديم أفكار ذات العلاقة.
 - 3- التعاون الدائم مع الجامعات الوطنية في إحياء المناسبات أو إجراء الندوات وتقديم أفكار التحسين.
 - 4- دعوة مخابر اللغة ومراكز البحوث للاستماع والتشاور.
 - ومن خلال هذا اللقاء نقدّم خريطة طريق للبحث العلمي الذي تستمدّ خطوته العريضة من المعنيين بالأمر. وعند ذلك يكون لنا تصوّر أوسع لتقديم الخطوات العامة للبحث العلمي بخصوص:
 - 1- عقد شراكة علمية ببنية أو مع من يهّمه الأمر بشأن تجسيد خريطة الطريق التي أولاها له الدستور.
 - 2- إنجاز أعمال + ملتقيات + أيام دراسية، ورشات عمل بخصوص التنسيق ووضع خريطة طريق للبحث العلمي.

3- اقتراح مشاريع CNPRU في هذه المجالات.

4- إعطاء الرعاية العلمية لمنجزات المخابر.

1- ما هو مستعجل:

1/1- تصحيح الأوضاع اللغوية العربية.

2/1- متابعة اهتمامات حركية التنمية الوطنية في الميادين التالية:

— ميدان اللسانيات؛

— ميدان التصحيح اللغوي للألقاب الجزائرية؛

— ميدان المختصرات العلمية؛

— ميدان الأطالس اللغوية والمسح اللغوي في الجزائر؛

— ميدان إنجاز الموسوعات والقواميس والمعاجم؛

— ميدان الطاقات المتجددة؛

— ميدان الطبّ ومحاربة الأمراض.

— ميدان البحث التربوي.

3/1- العمل على تشجيع المبادرات في الميادين الثلاثة. والعمل على فتح

ميدان جائزة اللغة العربية في الميادين الثلاثة.

4/1- المبادرة بحسن الأداء اللغوي في وسائل التواصل. في لغة الإعلام.

2- متوسط المدة: 5 سنوات.

— مواصلة تصحيح الأوضاع اللغوية في القطاعات الوزارية الأخرى؛

— الإسهام في مشاريع تربوية قابلة للتجسيد بمدة زمنية محدّدة؛

— الإسهام في مشاريع علمية في النظريات وفي براءات الاختراع؛

— اقتراح أفكار تحسينية في الكتاب الجامعي في الآداب وفي العلوم الإنسانية

والعلوم البحتة؛

- تجسيد الصورة النوعية العلمية في إدارة الجامعة بتوظيف العربية في الجوانب الإدارية.
 - الإسهام في اقتراح مشاريع الدكتوراه.
 - ومن خلال هذه المدة، دعوة المعنيين بالأمر باقتراح ما يلي:
 - اقتراح تدريس مادة بالعربية في كل الاختصاصات العلمية في الجامعات الوطنية وفي المعاهد العليا، على غرار ما كان معمولاً به في تدريس مادة المصطلح.
 - اقتراح وضع جدول زمني مرحلي لاستكمال تدريس المواد العلمية بالعربية والتي لا تشكو فقراً في المصطلح.
 - اقتراح العمل على إنتاج الكتاب الجامعي المعرب، بتشجيع المبادرات وكذلك العمل مع الوزارة المعنية بإدخال الكتاب العلمي المعرب من الجامعات التي عربت التعليم العالي.
 - اقتراح البدء بجامعة وطنية تتدرج في سيرورة عملية التعريب المرحلية تكون تجريبية لتوحي الوقوع في الخطأ، قبل تعميم التجربة.
 - إقامة شراكة علمية تنسيقية مع المجلس في الانفتاح على التعدد اللغوي الضامن للغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي.
- 3- بعيد المدة: 10 سنوات.
- اقتراح خريطة طريق لتعميم التدريس بالعربية في المواد الأساسية؛
 - الانفتاح على التعدد اللغوي للغات الأقطاب؛ بحيث تدرس بعض المواد بلغة المادة المبدعة في لغتها.
 - الاستفادة من الأبحاث الجامعية في التربية+ المهن+ الاختراعات.
 - العمل على التعامل الرقمي في كل المعاملات الجامعية.

المخابر المعنية:

1- المديرية العامة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي:

1/1- المراكز الملحقة بها، وهي: المركز العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية + crdtla مركز الحضارة بالأغواط+ مركز البحوث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية + crasc مركز البحوث في الاقتصاد التطبيقي والتنمية + cread الملحقات التابعة للمركز العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية في كل من: ورقلة+ تلمسان. ويضاف لها ممثلو: قسم الثقافة الشعبية بجامعة تلمسان+ أقسام الأمازيغية في تيزي-وزو، وبجاية، والبويرة، وباتنة.

2- المخابر المعنية مبدئياً:

- 1/2- مخبر عبد الجليل مرتاض، جامعة تلمسان.
- 2/2- مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، بجامعة مولود معمري، تيزي-وزو.
- 3/2- مخبر عمارية حاكم - بجامعة سعيدة. الترجمة والتأويل في ظل التواصل متعدد اللغات.
- 4/2- مخبر اللسانيات الحاسوبية، جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان، إدارة غيتري سيدي محمد.
- 5/2- مخبر عبد المجيد سالم، بجامعة الجزائر 2؟
- 6/2- مخبر اللغة العربية في جامعة الجزائر 2، يديره الأستاذ محمد الحبّاس؟
- 7/2- مخبر الصوتيات بجامعة البليدة 2، يديره الأستاذ عمّار الساسي.
- 8/2- مخبر آمنة بن مالك، جامعة الإخوة منتوري بجامعة قسنطينة، حول الألقاب والأسماء.
- 9/2- مخبر بوشحдан، جامعة عنابة، يديره بوشحدان.
- 10/2- مخبر بجامعة سيدي بلعباس، يديره بلبشير.

- 11/2- مخبر بجامعة وهران، تديره الأستاذة سعاد بسناسي.
- 12/2- مخبر تحليل الخطاب، بجامعة تيزي-وزو، تديره آمنة بلعلی.
- 13/2- مخبر تحليل الخطاب، بجامعة تيارت. إدارة زروقي؟
- 14/2- مخبر اللغة والتواصل، بجامعة وهران، يديره أحمد عزوز.
- 15/2- مخبر اللسانيات وتحليل الخطاب. بجامعة ورقلة. تديره هاجر مدقن.
- 16/2- مخبر السوسيولسانية ثقافية. بجامعة سعيدة، إدارة مجاهد ميمون.
- 17/2- مخبر لسانيات تحليل الخطاب ورقلة. إدارة هاجر مدقن.
- 18/2- مخبر القراءة، بجامعة بسكرة. إدارة تيارسمين.
- 19/2- مخبر المسألة التربوية بجامعة بسكرة، جلال نور الدين؟
- 20/2- مخبر التهيئة اللغوية في اللغة الأمازيغية بجامعة مولود معمري، إدارة نورة تيقزيري.
- 21/2- مخبر الأمازيغية في جامعة عبد الرحمن ميرة، ببجاية حول الأمازيغية؟
- 22/2- التداولية وتحليل الخطاب، بجامعة الاغواط؟
- 23/2- مخبر حاج علي عبد القادر، جامعة عبد الحميد بن باديس بمستغانم؟
- 24/2- مخبر الدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة، برئاسة صالح غيلوس.
- الطموح المرغوب:** هي عبارة عن مقترحات، أو أفكار عامة في اختصاص المجلس المفترضة ونعمل على إشراك المعنيين لتحقيق الانسجام داخل مؤسسات البحث في علوم اللغة والإنسانيات للدولة الجزائرية؛ وباعتبار المجلس هيئة اقتراح أفكار، نروم التعاون العلمي وتبادل المصالح المرسلة وبناء فرق بحث تشاركية

للوصول بالبحث العلمي إلى المرغوب. ويشمل منهج عمل تنسيقي مع الوزارات والمؤسسات التي يهّمها الأمر. ونقترح مناقشة الآتي:

— يشرف المجلس الأعلى للغة العربية علمياً على مخابر اللغات داخل الأقسام العلمية في جميع الجامعات الوطنية، ويقوم بالتعاون والتنسيق في ما بينها.

— يقوم المجلس بتوحيد الرؤى اللغوية المستخلصة من التوصيات والنتائج الحيوية القابلة للتنفيذ بما لا يتعارض مع سياسة الدولة، ويوفّر لها آلية تنفيذ وبرامج إعداد؛

— يقوم المجلس بالإشراف على تطوير المناهج التربوية الخاصة باللغة العربية الأمر الذي يتطلب عضوية المجلس في لجنة تطوير مناهج التربية والتعليم؛

— يخصص المجلس فريق عمل مختصّ في تدقيق وتمحيص وإجازة المنهج المقدم لكل مرحلة دراسية واعتماد الكتاب المدرسي؛

— يتابع المجلس إشرافه على مناهج تعليم اللغة العربية بما في ذلك المرحلة الجامعية، وهذا يتطلب أيضاً عضوية المجلس الأعلى للغة العربية في المجلس العلمي للبحوث الجامعية؛

— يشرف المجلس علمياً على البحوث العلمية اللغوية، ويُعطي رأيه الاختياري في مدى نجاعة الأبحاث الجامعية.

— إشراك المجلس علمياً بصفته عضواً في:

— عضوية المجلس في جميع الهيئات الاستشارية لجميع المجالات العلمية المختصة باللغة العربية

— عضوية المجلس في أقسام الترجمة والتعريب؛

— الإشراف على إعداد المعاجم؛

— الإسهام في برامج إعداد المعلمين؛

— تمثيل المجلس الدولة في جميع المراكز والمعاهد والمؤسسات والمنظمات والمجالس العليا والجمعيات الخاصة باللغة العربية على المستوى المحلي والعربي.

المهام الملحة:

— على المجلس أن يفتح قنوات للتواصل والاستماع للمهتمين بالبحث العلمي ولكل من يقدم اقتراحات تخص مجال تطوير اللغة العربية، ويلعب دور الوسيط اللغوي بين جمعيات المجتمع المدني مستخدماً جميع وسائل التواصل الاجتماعي وتكنولوجيا المعلومات؛

— على المجلس أن يحفز الكتاب الشباب، ويتبنى نتاجهم اللغوي والأدبي والمعرفي؛ حيث إن لغة الشباب هي لغة العصر؛

— ضرورة دخول المجلس الأعلى للغة العربية كشريك فاعل في إعداد البرامج التعليمية للقنوات الفضائية والإذاعية، والإشراف على لغة نشرة الأخبار والأفلام الوثائقية، ولا سيما أثناء الانتقال من الأعمال المكتوبة إلى الأعمال المسموعة والمرئية؛

— إقامة دورات تدريبية، وبرامج تثقيفية لغوية لإذكاء روح الوطنية، وترسيخ مبدأ التسامح، وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص؛

— الحرص على دراسات ميدانية مسحية لمعالجة مواطن الضعف قواعداً وإملاءً ونطقاً وصياغة؛

— الاهتمام بلغة المناطق النائية والوعرة والجبالية، والعمل على تطوير الأداء اللغوي السليم؛

— الاهتمام بالمخطوط الجزائري وتوفيره، وجمع أرصده المصطلحية في مختلف العلوم، وجعله في الشابكة؛ بغية تحقيق ما لم يُحقق؛

— الاستفادة من جميع الخبرات الوطنية دون مُحاصصة أو مُجاملة.

كلمة أُلقيَتْ

في افتتاح مجلس اللسان العربي بنواقشوط^١

(تحديات النهوض باللغة العربية)

— ديباجة: سعيد أن أحضر هذا المحفل العلمي الخاصّ بافتتاح مقرّ (مجلس اللسان العربي) في دولة موريتانيا الشقيقة، وأعبر عن امتنان الجزائر؛ بهذا المكسب العلمي الذي ترفل فيه موريتانيا المعروفة ببلد المليون شاعر، ولا يكاد يخلو بيت موريتانيّ إلّا وفيه من يحفظ ألفية ابن مالك. موريتانيا العلم والعلماء وبلاد الشناقطة الفطاحل. وما يزدان به هذا البلد تأسيس هذا المَعْلَم اللغوي الكبير (مجلس اللسان العربي) والذي يزيدها رفعة علمية على علو سامق في دُنيا البحث العلمي الذي اشتهرت به موريتانيا في التقصي العلمي. ونروم من هذه المؤسسة أن يبدع فيها علماء موريتانيا في خدمة اللغة العربية كما خدمها سلفهم الصالح. وإنّ هذا الصرح العلمي نريده أن يعضد المجامع اللغوية والمجالس، ويكون حاضرة علمية قائمة ونابضة ومنتجة وذات حركة دائبة برجالها ونتاجاتها المعرفية والفكرية.

والشكر لأصحاب المبادرة رجال المعرفة الذين يسعون إلى رفع سقف المعرفة وجمعوا بين الإخلاص والمثابرة والجدة إلى تحقيق قيام هذا المجلس. رجال حملوا همّ خدمة اللغة العربية بالتفكير في هذا المعلم الكبير، ويتألق بتسمية عتيّدة (اللسان العربي) الذي يُخبرنا عن مُسمّى قديم؛ وهو لسان هويتنا اللغوية للغة الجامعة

١ — أعدت الكلمة لتلقى في افتتاح مقرّ (مجلس اللسان العربي) بنواقشوط، بتاريخ 3 — 6

أكتوبر 2017.

المُوَحِّدة، وهي العربية، وعبرها وصلت إلينا ولغيرنا سليمة مَصُونَة فَبَخَّ بَخٍ عَلَى التسمية المُوَحِّية بالعطاء، وأنعمَ به من تسمية!

والتحيّات الخالصات لصاحب السموّ الشيخ الدكتور (سلطان بن محمد القاسمي) عضو المجلس الأعلى، حاكم الشارقة رعاه الله وحفظه؛ وقد عهدناه معطاءً يرعى العلم والعلماء، ويقيم المؤسسات التي تحمي العربية، وتعمل على تطويرها، وله أفضال على هذه المؤسسة. وليس من الغرابة من هذا الشيخ المعطاء وهو اليد العليا التي تعطي وتجزل وتغدق، وله في ذلك المثل الغني عن كلّ تعليق في ما يقوم به من فعل علمي قومي في اتحاد المجامع اللغوية والعلمية في العمل على تجسيد المشروع العربي الكبير وهو إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية/ الإنترنت العربي؛ الذي يعمل على تدوين العربية منذ ظهورها إلى وقتنا الحالي، وبشكل تقني عالي الطراز، يستجيب لكل سؤال يخطر على بال سائل.

والشيخ المفضل سليل أسرة تاريخية عريقة؛ خلّدها المغفور له (الشيخ زايد) طيّب الله ثراه. وكما يُقال، فهذا الشبل من ذاك الأسد والذي وهبَ مالهَ وعلمه من أجل خدمة الشأن العام، وأتمنّاه المأمون صاحب بيت الحكمة الذي عيبَ عليه أنّه يغدق على المترجمين، فقال: أنا أعطيتهم ما يَفْنَى، وهم يعطوننا ما يَبْقَى، فلا نغلق الأبواب على من يقدّم المذاق، ولا نشجّ على من هو أهل للإغداق. فبورك في كلّ العاملين على خدمة قضايا الأمة العربية، ونعم الرجال الصالحون أنتم.

— مقدمة: أيّها الجمع الكريم، إنّ اللغة العربية تعيش تحديات جمة في الوقت الراهن ويمكن تلخيصها في النقاط المشتركة التالية: تحديات التنمية البشرية وتحديات الصراع اللغوي مع لغات الأقطاب والانجذاب اللغوي وتحديات الصراع مع اللهجات واللغات المحلية، والتحديات اللغوية في التدريس وفي الإعلام، وفي تدريس العلوم باللغة العربية... تلكم بعض التحديات التي تواجهها العربية في وقتنا الراهن، وهي تعيش المغامرة التي جعلتها لغة الماضي والحاضر. هي لغة ديناصورية لا تتفرض، فماتت الكثير من اللغات التي كانت قبلها أو التي

عاصرتها، وبقيت العربية، رغم ما لقيته من معارضاوات وانتقادات؛ فما استسلمت ولا وهنت، بقدر ما تراجعَت في بعض العلوم ولكنها بقيت حيّة تُصارع بقايا الوهن الذي علق بها. ويمكن تحديد تلك التحديّات بنوع من التفصيل في النقاط التالية:

1 - تحديّ تجاوز التخلّف: لا شك أنّ التحديّ الأوّل والأكبر الذي يُواجه الوطن العربي في وقتنا هو تجاوز فجوة التخلّف الكبيرة والمتعاطمة، وضمنها فجوة التخلّف اللغوي. وفي الحقيقة لن تقوى الأمة العربية على تجاوز الفجوة اللغوية إلاّ عن طريق مشروع لغوي تنموي نهضوي شامل مؤيّد برؤية مُنبصرة لأهداف ومرامي وغايات هذه النهضة اللغوية المنشودة. ذلك أنّ النهضة اللغوية العربية تقتضي توافر خطط واستراتيجيات سياسية وتربوية وثقافية شاملة، تتضافر في صنعها أبعاد مُتعددة، وتتراكب فيها جوانب مُختلفة لتصنع التنمية الشاملة. ومن هنا، فإنّ الأمر يستدعي تكريس كلّ الاهتمامات في سبيل تعبئة الأجواء اللغوية وتوفير الظروف الملائمة لقيام تنمية لغوية عربية شاملة في جميع الجوانب ويكون اللسان العربي سبيلاً من سُبُل الأمن الثقافي واللغوي. وليس هذا بالأمر الهين إلاّ بالتركيز على الجبهة العربية الداخلية، وبثّ الفاعلية والأمل وإشعار كلّ الفئات بدورها اللغوي الاجتماعي، لنتحمّل مسؤولياتها في التنمية اللغوية الشاملة. ذلك أنّ التنمية اللغوية في فلسفتها العامّة تتمثّل في بناء الإنسان وتطوير كفاءاته وتسخيرها في ضوء استراتيجية ورؤية علمية للمستقبل. وكما تتمثّل أيضاً في بناء القدرة البشرية وتطويرها، وفي الاستخدام الاجتماعي الأمثل لهذه القدرة وهو رأس المال الاجتماعي ودعم الدفع الذاتي العلمي القومي في تنمية المجتمع علمياً وتربوياً.

2 - تحديّ العولمة: تُواجه اللغة العربية تحديّ العولمة، التي تعني سيطرة اللغات صاحبة الإنجازات العلمية الكبرى، وبخاصّة في مجالات التقنية والاقتصاد وهذا التحديّ يجعلها مُسيطرّة على ثقافات أخرى كاملة بلغاتها. ولهذا، فالعربية تشهد اليوم وضعاً لا تحسد عليه، وتبدو مُحاصرة من اللغات الأجنبية، وفي مقدّمتها الإنجليزية والفرنسية ومن اللهجات المحلية التي أصبحت تمثّل تهديداً حقيقياً للغة

الأمّ الجامعة. ووفق المختصّين، فإنّ مشروع العولمة نجحَ في تغيير العديد من المناهج التربوية والتعليمية وبخاصّة مناهج اللغة العربية، في وقت يزيد ضعف المحتوى العربي على الشابكة قوّة للغات الأخرى، في عصر فضاء المعلومات المفتوح على اللغات المُنتجة للعلم. وهذا الأمر في الحقيقة خطير جداً، لأنّه في لاحق من الزمان سوف يُهدّد أمننا الثقافي واللغوي الذي يؤدّي بدوره إلى التشتّي الفكري؛ لنقوم مقامها بناتها ممثلة في اللهجات المحلية ذات الأفق الضيق.

3 - تحدّي العمل التدميري المنهجي الثابت والمستمر: ويتمثّل هذا في مسار قديم؛ يعمل عليه المُدمرون دون مللٍ وكللٍ، وبرُزنامة زمنية متكرّرة؛ حيث تُجنّد لذلك الغرض أرمادة من المخاطر الداخلية والخارجية من مثل: نشر اللغات الأجنبية على حساب العربية، وإحياء لغات الأقليات بمُسمّى الحقوق اللغوية/ الحقوق اللغوية للأقليات ومحاولة شطب اللغة العربية من الأمم المتّحدة بحجّة عدم استعمالها من قبل ممثلي الدول العربية، وترويج المصطلحات الأجنبية مع ما يصاحبها من قلة ما يُنشر أو يُذاع في وسائل الإعلام، إلى جانب ضعف الوعي اللغوي والتميّز العربي، ووصم العربية بعدم ملاحقتها العصر... وكلّها تعمل ضمن مجموعة أداء داخلية وخارجية مضبوطة للتصدّي لموقع العربية التي يجب أن لا تعيش الازهار ولا الأمن، بل ترافقها في كلّ الحالات القلائل التي تعمل على تهديدها في كلّ حين.

4 - تحدّي قلب المفاهيم: استصحبَت العولمة معها مفاهيم خاصّة، أريد من ورائها تدمير اللغات المُنافسة لها، ولذلك تعكس مفاهيم المصطلحات الجديدة وتعطي لها مداليل تخدم الهيمنة الفكرية، من مثل: الحقّ في لغة الأمّ وليس اللغة الأمّ. الحقّ في لغة التواصل في المجتمع. الحقّ في لغة المعرفة. وتعني هذه في العربية لغة الأمّ هي اللهجات العامية. ولغة التواصل هي العامية بفروعها، ولغة المعرفة يعني الإنجليزية/ الفرنسية. وهذا العمل معكوس أريد به قلب المفاهيم لفتح شارع العرب لكلّ الهجين اللغوي المُتداول، وبلا ضابط.

5 - تحديّ تقديم العربية في وجهها المشرق: هو تحدٍ من نوع خاصّ يتمثّل في كيفية تقديمها وتطويرها والانصياح للتطور الذي تمرّ به الظاهرة اللغوية. بدل العمل على المحافظة على القديم الذي يعني التحنيط والفناء للعربية. فلا بدّ من العمل على مُسايرة العربية للأوضاع المعاصرة؛ باعتبار اللغة ظاهرةً لغويةً اجتماعيةً كأيّة لغة في العالم، دون أن ننكر خصوصياتها المحفوظة. وهنا يقع الدور علينا في العمل على تبليغ العربية سليمةً بمناهج العصر، والمسألة منوط بها فقهاء اللغة، ورجال التربية والتعليم.

— مواجهة التحديات بالحقائق: مع كلّ ما يُقال، فإنّ العربية قادرة على مواجهة التحديات، ونروم أن تكون المواجهة مبنية على علم وفنّ وإتقان الحيلة وعليه، فإنّ التركيز في هذه المرحلة على مرحلة الطفولة أهمّ نقطة يجب أن تُستهدف؛ باعتبار مرحلة الطفولة هي القاعدة، وما يتبع ذلك من التزام المعلمين باستخدام العربية في العملية التعليمية استخداماً جيّداً، وضبط الكتب المدرسية ضبطاً علمياً مشوّقاً، يرقى بالعربية إلى مصافّ اللغات الراقية. ولا يمكن أن تتكلّل العملية بالنجاح إلاّ بتضافر جهود وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في إكمال مسار تعميم استعمال العربية في الجامعات والمعاهد العليا وفي تدريس المواد العلمية بالعربية. كما لا ننسى دور الإعلام، وما يقوم به من واجب بثّ البرامج التي تعنى بالعربية وما يقوم به من استعمال العربية استعمالاً جيّداً متنقلاً لسيرورة عمليات جذب المُستمع. بله الحديث عن دور وزارة الثقافة في مجال الارتقاء باللغة العربية على نحو الاعتزاز بالهوية اللغوية العربية، وما يتبع ذلك من طباعة الكتب وما تقوم به من لقاءات علمية وتنقيفية، ومهرجانات، وإشهارات. وكذلك يشمل الحديث دور وزارة الشؤون الدينية والأوقاف في متعلّقات رفع المستوى اللغوي لأداء الإمام والوعاظ والدعاة لأداء خطبة المنبر وظيفتها التبليغية المؤثّرة عبر الاستعمال اللغوي السليم، وما يتبع ذلك من أساليب راقية جذابة تعمل على تفصيل العربية لما لها من أداء متميّز. ولهذا، فنريد إيلاء اللغة العربية -التي ترتبط بتاريخنا وثقافتنا وهويتنا- كلّ اهتمامنا ورعايتنا؛ بحيث تعيش معنا في مناهجنا وإعلامنا وتعليمنا؛ حتى تكون

قادرة على الاندماج في سياق التطور العلمي والمعرفي في عصر العولمة والمعلومات؛ لتصبح أداة من أدوات التحديث، ودرعاً متينة في مواجهة محاولات التغريب والتشويش التي تتعرض لها ثقافتنا. وتبقى العربية قادرة على مواجهة التحديات بما لها من خصوصيات النهوض والتحديث، وعليها أن نهتم بها كأمناء عليها، ونزيل الغشاوة التي وضعناها على عيوننا بأن العربية في خطر، ونحن نفرج دون أن نقدم ما يدفع عنها الخطر.

— آليات النهوض باللغة العربية: إن النهوض باللغة العربية يجب أن تنصدها أولويات العمل العربي المشترك على جميع المستويات؛ لأن النهوض باللغة ليس مسألة ثقافية، ولا هي مسألة تربوية تعليمية فحسب، وإنما هي مسألة السيادة والأمن والاستقرار والمصير والتميز ومواصلة الإسهام في بناء الحضارة. حيث اللغة العربية وعاء ثقافتنا وعنوان هويتنا وحضارتنا، والمحافظة عليها تُعدّ محافظة على الذات، وعلى الوجود والاستمرار والتواصل. وها نحن أولاء نلاحظ على الصعيد العالمي أنه ما من شعب أراد الحياة العزیزة الكريمة إلا وتمسك بلغته الأم أمام اللغات الغازية/ الأجنبية. ولهذا نروم من العرب كافة أن يدركوا آليات النهوض ضمن مسار تكاملي أريد له مساهمة الواقع المعيش بثبات النص العربي وتغيير الدلالة، ضمن الأرضية المعرفية المعاصرة وما يحيط بها من ثابت ومتغير والعمل على تقديم حلول نوعية تعمل على تقليص الفجوة العلمية بيننا وبين العالم المتقدم، وتعمل على الدفع بالعربية لتتألق موقعا بين لغات العلم. وفي هذا المجال فقد بصرنا ببعض الآليات ونزعم أنها تفيد في عمليات التحديث المنشود وهي:

- 1 — إدراك عمق الوعي اللغوي للغة الجامعة.
- 2 — ضرورة الاعتزاز اللغوي.
- 3 — وعي النخبة بالمغزى الحقيقي للنهوض بالتنموي اللغوي.
- 4 — إشراك المجتمع العربي في الاختيارات وفي القرارات المصيرية.
- 5 — تعزيز القيم اللغوية والمكتسبات السابقة الناجحة والعمل على تطويرها.

6 — تعليم العربية تعليمًا جيّدًا من الروضة إلى الجامعة: التعليم في كلّ أمة هو الإطار الذي يُسهم في تطوير قدرات المجتمع العقلية والفكرية، ويُهيئ الإنسان للنهوض بأعباء التنمية، والاستثمار الرشيد للموارد المتاحة في تنفيذ البرامج والخطط التنموية. وعلى هذا فإنّ مشاريع التعليم والتثقيف الاجتماعي لا تعدّ مشاريع استهلاكية، بل هي من صميم العمليات الإنتاجية، لأنّها تتّجه لبناء الإنسان وهو الرأسمال الحقيقي لأيّ مجتمع.

7 — الفهم العميق للمقولة العالمية (لا تطوّر ولا تقدّم إلاّ باللغات الوطنية).

8 — تعريب البحث العلمي وتوطين المعرفة باللغة العربية

9. المحتوى الرقمي، والتعامل بآخر تقانات العلم الحديث.

الخاتمة: بسبب هذه التّحديات الجمة، نشير إلى أن هناك مساعي كريمة للارتقاء بواقع الحال المنهك للعربية إلى أفق أفضل، الأمر الذي يدعو إلى التفاؤل بمستقبل واعد للغة العربية يبسر بالخير وبالتالي، فإنّ العربية بخير رغم بعض المعطيات العاصفة، ولكنها ليست مدمّرة. مع ذلك نقول: لا بدّ من التحرك الجمعي ضمن خطة عربية مركزية مدروسة، لبلورة مشروع قومي للنهوض باللغة العربية على قاعدة تعريب الدراسة، والتعليم في المدارس والجامعات والمعاهد العربية والتركيز على توعية الشباب لمخاطر اعتماد لغة الفسبكة والدردشة في التخاطب. ولهذا ووعيا من النخبة الحاضرة اليوم العمل على تعميق مبدأ الاعتزاز بالعربية؛ باعتبارها من أهم رموز الهوية العربية. وكما يقال: اشتدّي أزمة تنفّرجي، فلا شك أنّ التّحديات الراهنة تتطلب مزيدا من الصمود في مواجهة حضارية حامية قوامها النفس الطويل، وعدم استعجال النتائج، وأمل المستقبل بعين حاملة، ويدّ عاملة وفكر متوقّد، ووفير البذل والعطاء. كما أنّ فعل الإنجاز لا يتحقّق في صوره إلّا من خلال رأس المال البشري، باعتباره الركن الركين في أبي مشروع نهضوي مثمر. ويكتسي رأس المال الثقافي واللغوي أهميّة خاصّة في حالة مجموعة البلدان العربية التي يمكن أن تحول الجوانب الإيجابية من إرثها الثقافي المشترك إلى

عامل نهضة وعزة، وبالذات على خلفية صدام الثقافات أو اللغات والبقاء للأصلح في عصر العولمة، الذي يجب أن لا ننتهيّه، بل أن نندمج فيه ضمن سيرورة الاستفادة والإفادة مع المحافظة على الخصوصية، وأن نكون أبناء مِصرنا وعصرنا دون أن نقلع سقوف بيوتنا، ولكن نفتح نوافذها على ما يحيط بنا، فنأخذ ما يفيدنا ويفيد لغتنا، ونطرح ما لا ينسجم وقيمنا العربية الإسلامية. وعسى أن تَكْرَهُوا شيئاً وهو خيرٌ لكم، وبالله التوفيق

ازدهار العربية في الماضي والحاضر^١

— مقدمة: ليس من باب التذكير بأنه من الضروري التنبيه إلى استكمال بعض التعريفات الخاصة باللغة، فعلى مدار ما تعلّمناه بأنّ اللغة أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم؛ دون استكمال التعريف الاصطلاحي والبحث في هذا القول الجيد والمقام الذي قيل فيه. وفي الحقيقة ليست اللغة أصواتاً يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم فحسب وليس أيضاً أداة للتواصل بين الجماعات والشعوب فقط، لكنّ اللغة يضاف إلى ذلك بأنّها أداة تعمل على ربط الفكر بالمنطق؛ باعتبارها هوية الإنسان، ووعاء فكره وتراثه، وسجلّ تاريخه، وهي البوتقة التي تتصهر فيها الوحدة الفكرية. ومن هنا، فإنّ استكمال تحديد المفاهيم بالجمع بين اللغة والاصطلاح هامّ جداً لما له من توضيح لا يتنافى والسياق العامّ للمعنى اللغوي أو الاصطلاحي.

ومن خلال هذا التنبيه، يجدر بنا التركيز على ما للغة من معانٍ، ودلالات وخصوصيات، فهي ليست بريئة من التوجّهات الفكرية والعلمية، وما تحمله من مرغوب وممنوع، فكلّ لغة لها مسكوكاتها وأمّثالها وحكمها ومحظوراتها ومسوّغاتها وإرثها وسهولتها وصعوباتها، وما يتعلّق بها من تراث وحضارة وعلم وتاريخ وشعر وفنّ ونثر... وهذا ما نلمسه في لغتنا العربية من مدوّنتها القديمة الحاملة لتراث أجدادنا الممتدّ من عصر النقائش إلى وقتنا الحاضر، وكلّها في استمرار متكامل لها حمولة فكرية -ككلّ اللغات- وتحمل مضامين وأفكاراً تخصّها. والمهمّ في كلّ هذا بأنّ اللغة العربية عبّرت عن ذلك بحمولتها العلمية والثقافية، فهي ليست أصواتاً فقط بل سلسلة من الأفكار والنشاطات والإبداعات

^١ — أُلفت هذه الكلمة في جامعة باتنة 1، بمناسبة انعقاد الملتقى المشترك بين جامعة باتنة 1/ الحاج لخضر والمجلس الأعلى للغة العربية بتاريخ: 17-19 أكتوبر 2017. حول (ازدهار العربية في الماضي والحاضر).

والحكم والأمثال والثقافات... وجاءت بأصوات لها خصوصية بقواعد عقلية منطقية جامعة ولها صفات أنمازية عن غيرها من اللغات.

1- في مفهوم ازدهار العربية: تنصّ معاجم اللغة أن لفظة (ازدهار) اسم مصدر *ازْدَهَرَ*، يقال: عَرَفَتِ الْبِلَادُ *ازْدَهَارًا* *اِقْتِصَادِيًّا*: *اِنْتِعَاشًا*. عَرَفَتِ الْفُنُونُ *ازْدَهَارًا* فِي عَهْدِهِ: تَقَدَّمَ، نُمُوًّا. *ازْدَهَار*: مصدر *ازْدَهَرَ*. *ازْدَهَرَ*: فعل: *ازْدَهَرَ* *يزْدهر*، *ازْدَهَارًا*، فهو *مُزْدَهَر*. *ازْدَهَرَ*: فَرِحَ وأَسْفَرَ وَجْهَهُ وَتَلَأَلَأَ. *ازْدَهَرَ* *المِصْبَاحُ*: أَضَاءَ تَلَأَلَأَ. *ازْدَهَرَتِ* *أَشْجَارُ الْحُقُولِ*: نَمَتْ وَتَرَعَرَعَتْ. *ازْدَهَرَتِ* *أَسْوَاقُ التِّجَارَةِ*: نَمَتْ وَزَادَتْ أَرْبَاحُهَا وَمَوَارِدُهَا. *ازْدَهَرَ* *الْعِلْمُ* فِي عَصْرِنَا: تَقَدَّمَ وَاتَّسَعَتْ حُقُولُهُ وَمَيَادِينُهُ. *ازْدَهَرَ* *بِمَالِهِ*: احْتَفَظَ بِهِ. *ازْدَهَرَ* *الوردُ*: زَادَ صَفَاءَ لَوْنِهِ. *ازْدَهَرَتِ* *الشركة*: نَمَتْ وَتَطَوَّرَتْ وَنَجَحَتْ وَاتَّسَعَتْ. *ازْدَهَرَ* *العمل التجاري* *ازْدَهَرَتِ* *الفنون*. يعيش بلدنا *ازْدَهَارًا* *حَضَارِيًّا* وَاضِحًا. ومن جانب المعنى الاصطلاحي، فنربط الكلمة بمراحل ازدهار العربية بازدهار الحضارة الإسلامية في المشرق وفي المغرب وفي الأندلس، ثم بدأ الضعف يَدْبُ في أوصالها بدرجات متفاوتة بعد سقوط الأندلس وخضوع العالم العربي للاحتلال الأجنبي الذي أجهض النهضة العربية التي حاولت إعادة الأمجاد الغابرة. ويُسْتَنْجَ من هذا أن اللغة تقوى بقوة أهلها وتضعف بضعفهم، وهي كذلك كالعضو الحيّ يقوى وينمو بالاستعمال ويضعف بل يموت إن ظلّ معطّلًا عن العمل. فاللغة وضع واستعمال، فإذا تعارض الوضع مع الاستعمال، فالاستعمال أولى. ويمكن اختصار ازدهار العربية في الآتي: حين ازدهرت العربية بسبب نقل العلوم والذي يبدأ في العصر العباسي من حوالي 750م، ثمّ العصر الفاطمي الذي بدأ في بلاد المغرب سنة 908م، ثمّ انتقال الحكم إلى مصر عام 969م وتأسيس مدينة القاهرة وجامع الأزهر عام 970م حتى سنة 1171م عندما فتح صلاح الدين مصر وأنهى عصر الفاطميين، ويبدأ الانحدار بسقوط طليطلة عام 1085 وانحسار دولة الأندلس وتتابع الحملات الصليبية في سنة 1099م، ثمّ هجوم المغول على بغداد وإنهاء الخلافة العباسية سنة 1258 في مصر وسوريا ومكة، فسادَ الجمودُ العالم الإسلامي، ونامت اللغة العربية بنمو بلدانها.

2 - عوامل ازدهار العربية في الماضي: هناك العديد من العوامل، ويمكن تحديدها وفق العوامل التالية:

1/2 - عامل الترجمة: في الواقع يصعب أن نُحدّد تاريخاً محدّداً لبدايات ازدهار العربية، ولكن يمكن أن نقول إنّها بدأت مع الترجمة؛ ذلك بأنّ ثمة مُختصّين عُرِفوا بإلمامهم بلغات الأعاجم منذ ما قبل الإسلام فقد اختلط العرب بالأجانب بحكم رحلاتهم التجارية منذ ما قبل الإسلام، واحتكوا بثلاث أمم مجاورة لجزيرتهم ولعلّ دليل ذلك الاحتكاك دخول عدد من المفردات الفارسية واليونانية والرومانية في أشعار العرب. كما ازداد احتكاك العرب المسلمين بأمم أخرى وبدأت ترجمات رسائل الرسول ﷺ إلى ملوك الأقوام والشعوب غير العربية. وتلاحقت خلال العصر الأموي؛ الذي يُعدّ العصر الفعلي لبدايات الترجمة والنقل من علوم الحضارات الأخرى. وتميّز عهد الخليفة المنصور 136 هـ — بترجمة كتب الجغرافيا ومختلف العلوم، وتنتهي الفترة التأسيسية مع وفاة الرشيد 193 هـ. كما يُعدّ العصر العباسي العصر الذهبي لنتامي وازدهار حركة الترجمة خلال حكم المأمون من عام 198 إلى 300 هـ، بتأسيس أول مؤسسة للترجمة، وكانت هذه الفترة أزهى الفترات. وفي عهد هارون الرشيد تمت ترجمة الكتب الطبية اليونانية "... تعدّ هذه الفترة كذلك من أزهى عصور الترجمة؛ حيث توسّع نطاقها توسّعاً فاق ما كان عليه في الفترات السابقة، وشهدت الترجمة في هذا القرن؛ أي القرن الثالث الهجري تحولاً جذرياً وتوسّعت في مختلف العلوم الأجنبية، غير أنّ الترجمة في النصف الأول من هذا القرن كان أغلبها من العلوم اليونانية عن طريق السريانية إلى العربية، وأنّ الترجمة المباشرة من اللغات الأخرى أخذت تزداد في نصفه الثاني⁽¹⁾". وتخدم حركة الترجمة قليلاً لتنشط في الأندلس؛ حيث تركّزت في النقل من العربية إلى اللغات الأوروبية على أيدي المستعربين وتقع بعض التحفّظات

(1) — إبراهيم الحاج يوسف، دور مجامع اللغة العربية في التعريب. ليبيا: 2002، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، سلسلة (الدراسات العليا) ص 192.

والتوفقات حتى مجيء محمد علي باشا باهتمامه بالبعثات إلى أوروبا ولا سيما فرنسا. كما لم تنقطع حركة الترجمة في المدارس التي أنشئت لهذا الغرض حتى عصر النهضة حديثاً التي عرفت الترجمة فيها مؤسسة الجهود الشتات، بإقامة مؤسسات مُختصة في الترجمة؛ مصاحبة لحركة تأليف الموسوعات والمعاجم.

2/2 - تشجيع الأدباء والنثر: هناك جهود كبيرة في إطار تثمين المبدعين من الأدباء والنثر والمترجمين ويكفي أن نورد هنا كلام المأمون الذي عيبَ عليه بأنه يغدق على المبدعين والتراجمة فقال: **نعطيهم ما يفنى ويترجمون ما يبقى.** وفي الحقيقة يمكن أن نعدّ هذا العنصر مكملاً للتنافس العلمي والأدبي والذي حدث في الدول العربية في البداية، وتواصل بشكل قوي في بلاد الأندلس؛ والذي أدّى إلى إبداع جديد في فنّ الموشحات، كما عمل الاحتكاك على حركة استقلال الأندلس والمغرب ثقافياً عن المشرق، وحصل السبق الإبداعي في مختلف الفنون. وهذا التنافس كان كفيلاً بأن يحقق للأندلس وللمغرب معنى الاستقلال الفكري والأدبي واللغوي. كما أنّ البيئة الاجتماعية تأثيراً ملحوظاً في الأدب الأندلسي وفي ساكنة الأندلس وقد أنبأنا التاريخ أنهم يتذوقون البيان وينطقون الحكمة ويجري على ألسنتهم الرقيق العذب من أنواع الكلام، ويبدعون في اللغة إبداع المجتهد المصيب.

3/2 - التأليف الموسوعي والمعاجم: عاشت العربية ركماً معرفياً في بناء الموسوعات والمعاجم بكل ما تحمله من جرقة المعاجم، والتي ولدت صناعة معاجمية حضارية أفادت العالم، وكانت مرتكزاتها قائمة على عروبة الحضارة الإنسانية، فهي من صنع البشر عامة، إلا أنّ بصمات العرب ظاهرة في كثير من الميادين، وما تحمله تلك الموسوعات والمعاجم من مشاريع لغوية اجتماعية آخذة خصوصية اللغة العربية كدافع تنموي إنساني دعوي يهدف إلى تعظيم العربية لما لها من بعض السبق في هذا المجال بعد الحضارة الإنسانية ببصمات صينية.

4/2 - العمل على بناء الحضارة الإنسانية: عمل العرب المؤسسون والفاثحون والناشرون على مرجعية الدين الإسلامي المعظم لكلام الله، في إطار

إنساني مُنسجم باعتماد العربية لغةً حاملةً لهذا الدين الذي يحمل حضارة إنسانية مبشرة بالخير. ولم تكن هذه الحضارات الإنسانية إسلامية أصولية بمعنى أن رجال الدين هم الذين يحكمون، أو أن تطبيق الدين كان يتم بالقوة، أو حتى أن الخلفاء والأمراء كان يطبقون الشريعة بالكامل، حتى إنه توجّه انتقادات كبيرة لكبار الفاتحين والمسؤولين. ونقرّ بأن الحضارة العربية الإسلامية كانت تأخذ بعين الاعتبار خصوصية الشعوب العربية فالرسول ﷺ والصحابة والفقهاء كانوا يتعاملون مع أهل بلاد المغرب والأندلس والشام بطريقة تختلف عن أهل مصر أو العراق أو شبه الجزيرة العربية. وكانت هناك مراعاة خاصة في كثير من الجوانب الثقافية والمرجعيات الدينية والمنهجيات اللغوية المختلفة باعتماد مكانة اللغة العربية والدين الإسلامي في الشكل الذي لا يخلّان بمنظومة اللغة الجامعة والدين الواحد.

3- روافد ازدهار العربية في الحاضر: هناك كثير من الروافد عملت على أن تحظى العربية باهتمام عربي واسع، عملت على ردف العربية ونقلها من صورتها التقليدية في الكتابيب إلى صورة حقيقة للغة العلمية التي عرفت ما يلي:

1/3- السيادة القانونية: وتمثّلت في رسمية العربية في كلّ الدول المنضوية تحت جامعة الدول العربية ويضاف إليها رسميتها كلغة أولى في ست عشرة (16) دولة أجنبية، وكلغة ثانية في ست وعشرين (26) دولة أجنبية، وتكون العربية مستعملة في ستين (60) دولة. وكذلك هي من بين اللغات الست المستعملة في الأمم المتحدة وفي وكالاتها. ولها مواقع متقدّمة في كلّ الجامعات العالمية، وفي مراكز البحث العالمية الكبرى. وتزداد تقدّمًا باستمرار في الشبكة التي تستحوذ عليها الإنجليزية بنسبة 80 % وباقي اللغات 20% والعربية من النسبة الأخيرة يكون لها 3 %. ولا ننكر أن المحتوى الرقمي يزداد يومياً توسّعاً بما يُضخّ فيها من اللغات التي تكتب بمنظومة الخطاطة العربية.

2/3- إقامة المؤسّسات: وقع الاهتمام باللغة العربية من خلال إقامة مؤسّسات تعمل على تطويرها في مجالات: التربية، وقطاع الثقافة والاتصال وقطاع العلوم

والبحث العلمي، وقطاع التوثيق والمعلومات، وهذا ما قامت به الألكسو بوضع استراتيجيات وخطط تُشكّل لبناتٍ رئيسةً لما سيكون عليه مستقبل اللغة العربية داخل الوطن العربيّ وخارجَه. ومن هذه الأعمال الكبرى الخُطة الشاملة للثقافة العربية، واستراتيجيات: تطوير التربية العربية، ومحو الأمية، وتطوير العلوم والتقانة، والتوثيق والمعلومات، والتقانة الحيوية والإعلاميات والتنوع البيولوجي وتطوير التعليم العالي، ونشر الثقافة العلمية والتقنية، والتعليم عن بُعد... كما قامت بوضع خطة تطوير التعليم في الوطن العربيّ التي أعدتها بالتعاون مع الأمانة العامة لجامعة الدول العربية وأقرتها قمة دمشق في شهر مارس/ آذار 2008م، هذه الخُطة التي تضمّنت اهتماماً صريحاً باللغة العربية. ولا يمكن "الحديث عن جهود المنظمة من أجل التمكين للغة العربية وعلومها ومعارفها دون الحديث عن جهود أجهزة أخرى تابعة لها هي: مكتب تنسيق التعريب بالرباط معهد الخرطوم الدولي للغة العربية في السودان، المركز العربيّ للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق، معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة، معهد المخطوطات العربية بالقاهرة". ومن جهود إقامة المؤسسات، لا بدّ أن نشير إلى جهود المجامع اللغوية والعلمية التي بدأت تشهد حراكاً علمياً مطّرداً.

3/3 - إيلاء العربية مكانتها اللانقطة: لا ننكر أنّ جهوداً كبيرة تُبذل في مجال إعادة الاعتبار للغة العربية على أن تتألّ وضعها كلغة رسمية ووطنية في بلادها وتكون لها السيادة، وهذا عن طريق تمكينها على كثير من الصعد؛ حتى يُشعر المواطن العربي بأهميتها وبحاجته إليها، وإعادة الاعتبار للغة الأمّ على أنّها اللغة الجامعة التي لا تمنع وجود لغات وطنية عروبية مُكمّلة. وهذا ما يلمس أحياناً في بعض الدول العربية التي تعتمد القرار السياسي مخرجاً لها، وما نشهده في بعض الدول من المشاريع الكبرى أو المشاريع القطاعية الهادفة إلى إعلاء مكانة العربية في الداخل وفي الخارج، ومن خلال الاحتفاء بها كلغة تراث إنساني معتمد لدى الأمم المتحدة بتاريخ 18 ديسمبر، أو بلغة لها السيادة في الوطن العربي كلغة الضاد بتاريخ 1 مارس لدى جامعة الدول العربية. وبالنظر إلى مُعطيات الحاضر فإنّ اللغة العربية

تنتشر بسرعة في مختلف المجالات واهتمام العالم بها يزداد يوماً بعد يوم، ولذلك فنحن مطمئنون أنّ لها مستقبلاً واعداءً ومع ذلك لا بدّ من البحث عن الحلقات المفقودة.

4 - الحلقات المفقودة بين الماضي والحاضر: لا ننكر أنّ خطوات جبّارة

نالتها العربية، وبخاصّة بعد سنة 2000 لما لها من وزن دولي، ومكانة علمية تتألف متسارعة ولكنّ يمكن أن نقول: هناك بعض الفجوات التي عملت على إضعاف العربية، ولو سُدّت تلك الفجوات لأصبحت العربية بخير وأحسن ممّا هي عليه الآن وهي:

1/4 - عدم تعميم استعمالها في العلوم: هي نقیصة كبيرة تحتاج أن تعالج

بالخطّة المستعجلة ليتواصل التعريب في مسيرته الكبرى، شرط أن يُبنى على خطط دقيقة لا مجال للخطأ، ولا مجال للمراجعة أو للتردد أو الإحجام عن فعل نتائجه واضحة، فإنّه لم تقم حضارة في أيّ بلد بلغة الأجنبي، ولدينا البلاد الناجحة التي عملت في لغاتها وبلغاتها فأبدعت ونجحت، ونالت السيادة في هوياتها. وتعميم استعمال العربية أن يكون لها مواقع متقدّمة في بلدانها، وبخاصّة في استكمال مراحل التعليم بلغة عربية علمية كما هو العرف في الأمم الأخرى فلا يمكن أن تحصل القطيعة بين مراحل التعليم، وهنا تضيق الأجيال بسبب العائق اللغوي. ولا يعني هذا الاستغناء عن اللغات الأجنبية، بل يجب أن يكون منها مواقع جيّدة بحسب منفعتنا منها ويكون فيها التراتب العلمي.

2/4 - ضعف الأداء التربوي: هي الحلقة التي تحتاج إلى إيلاء الأهمية

القصوى؛ لأنّ اللغة عمادها المدرسة قبل كلّ شيء، وأنّ نجاح المدرسة في تبليغ مهامها هو نجاح للمجتمع، ويكون ذلك عن طريق اللغة الرسمية والوطنية، ولا يكون باللغة الأجنبية التي يجب عدم التسامح في التعدّد اللغوي المكمل للمواطنة اللغوية. وفي هذه النقطة نودّ الإشارة إلى تنمية لغة الشباب لتتال المسارات المتاحة للبحث والوصول إلى منظور جديد رابط بين النظرية والممارسة، وتشجيع الباحثين الشباب في عمل جماعي يعطي للغة الأمّ كلّ معاني الازدهار، وقد حدد باحثو

مركز 4 H لتنمية الشباب، (هيك وسوبر امانيام، وكارلوس) (2010) معنى الازدهار على النحو التالي: "الازدهار أمر مقصود وهادف، فهو يعني التنمية المثلى عبر مجموعة متنوعة من مجالات الحياة مثل التنمية الاجتماعية والأكاديمية والاحترافية/المهنية، للوصول لهدف إيجابي". وهذا من الطبيعي أن يتحقق لدى الشباب بلغتهم الأم؛ لتحقيق حبّ التعلّم ومهارات الحياة والعادات الصحية، والكفاءة العاطفية، والمهارات الاجتماعية والعلاقات الإيجابية، والنمو الروحي والشخصية والرعاية، والثقة، وسعة الحيلة الدائمة، والعزيمة.

3/4 - ضعف تنشيط المؤسسات العلمية والثقافية: لا حيلة للغة إذا افتقدت حلقة من الضروري أن تكون فوامل الازدهار متكاملة، ولا يمكن أن يحصل الازدهار للغة فالمؤسسات العاملة على تطويرها أو التي لا تزال، لا تعيش المعاصرة.

4/4 - فتور الفعالية الجمعية: وهنا نقرّ بأنّ اللغة ليست حكرًا على مؤسسات تعمل على تطويرها وإنما قضية جمعية تبدأ من البيت إلى الشارع وإلى المدرسة، وإلى المحيط والمؤسسات والوزارات... فهي قضية الجميع، وبخاصّة أهل الحلّ والعقد من العلماء والباحثين والمنتخبين وأصحاب الرأي السليم الذين يحتاجون أن يكونوا من عقلة القوم المنبهين إلى تصحيح الخلل، ورفع الغبن عن القضايا المشتركة.

5 - الحلول المقترحة: لا توجد وصفات جاهزة في المسألة اللغوية؛ بقدر ما توجد التجارب الناجحة، والخطط المستقبلية لنجاح كل المشاريع. وهنا نشير إلى مجموعة من الإجراءات نراها حلولاً إجرائية تعمل على سدّ الفجوات التي تعيشها اللغة العربية وصولاً إلى الازدهار المنشود، ويكون عن طريق:

1/5- الاعتراز اللغوي والترويج الهوياتي: هي معلمة أولى تقوم بها الشعوب وتسهم في تثبيت لغاتها في شبابها بما لها من أرمادة تعمل يومياً على الترويج اللغوي والاعتراز اللغوي حتى لا تكون اللغة الرسمية محلّ جدال أو تراجع، فيحصل الاختلاف في المنهج، لكن الهدف واحد، مهما اختلفت الطرائق الموصلة له.

2/5 - المزيد من إقامة المؤسسات وسنّ القوانين: لا نرى إجحافاً إذا وضعت جيوش في خدمة اللغة باعتبارها من الأمن العام. فالاستقرار اللغوي يعمل على الاستقرار في الأفكار والمفاهيم، وكلّما تعدّدت التوجهات الفكرية من خلال تعدّد اللغات يحصل الصدام الجمعي، وقد تكون عواقبه مرّة. فلا بدّ من مزيد من إقامة مؤسسات لغوية وبحثية قوية، ومصحوبة بقوانين صارمة ملزمة تعمل على الانسجام الجمعي ويحصل لها التقويم والتقويم بما تنتجه في مجالها ولا تبقى عالية على الدولة إذا كانت غير منتجة. وهذا ما يلمس عند الكثير من الشعوب التي تهتمّ بلغاتها.

3/5 - إدماج المواطنة اللغوية في برامج الحكومات والوزارات: فلا مجال للاختلاف في المسألة؛ لأنّ اللغة قضية عامّة، فالأحرى أن تكون في برامج الحكومات، بتخصيص موازنة تعضد التشجيع العام للغات الوطنية ومن خلالها تشجيع العاملين على التطوير اللغوي، والنهوض بالمؤسسات التي تخدم العربية كلّ في اختصاصها.

4/5 - تكاتف جهود الجميع من أجل لغة عربية مُزدهرة: هو المطلوب والمُبْتَغى وهذا ليس صعباً عندما تتكاتف جهودنا جميعاً، وإنّه يمكن نقل الجبال من مواقعها بملعة صغيرة، إذا أحسنت النيات وصدقت العزائم، فما ضاقت العربية بما رحبت به من شساعة الاشتقاقات، وما كانت تلك الشساعة طريقاً للنجاح دون العمل على كسب النجاح، فالطريق تصنعه الأقدام، فنبدأ بتهيئة الأسباب، وكلّ بداية تعلق بها بعض الهنات، ولكنّها هنات يمكن التغلّب عليها إذا وقع الإجماع على حمل المسألة اللغوية جماعياً فالمسألة تضيق جداً وتصرّغ في يد الجماعة الناطقة باللغة عندما يحملون مسؤولية الاهتمام بلغتهم.

- خاتمة: لا نعدم النجاح؛ فهو قادمٌ لا محالة، ولكن ربّ أمرٍ مستعجل هو المحفّز ولنستعجل الأمر دون تعطيل، لربح الوقت الذي طال، وأخذ مدداً يعود إلى خمسة (5) قرون خلت، فهي القرون التي أتعبت العرب وأثقلت على اللغة. ومع ذلك فإنّ عوامل النهضة ظاهرة وقائمة، وكان علينا مواصلة الاحتكاك الإيجابي

بغيرنا في إطار الأخذ والعطاء، والتنادي إلى استكمال عوامل الاستشراق الناجح والعودة إلى عقلنة دراسة العربية وفق خصوصياتها العلمية؛ وبما لا يُقصي أدبها القديم والحديث، ووفق آليات الحداثة ضمن منظور العلمية في العربية والاهتمام بالصحافة لأنها المُحفِّز على الازدهار اللغوي وبناء المدارس والجامعات، وما يتبع ذلك من عوامل حركة المطابع وإنتاج الكتب، وبناء المعاجم والموسوعات.

وفي الختام يتّضح لنا أنّ الحال الأدبي والثقافي والترجمي والعلمي واللغوي قد تبدّل في أواخر العقد الأخير من القرن الحالي؛ استناداً إلى حركية التاريخ، إذ أفاق العالم العربي من سباته، وتحرّر من جموده وبفضل هذه الفئات الكبيرة من شباب معرّب تستعيد العربية ازدهارها، وأراها تعيش حيويّتها ونضارتها ولا شكّ أنّها ستكون عاملاً من عوامل الازدهار العامّ. وعلى الله التوكّل والتوفيق.

أيّ تعليم للعربية نريد؟^٢

— **ديباجة:** في هذا المقام نردّ الفضل لأصحاب الفضل، ونخصّ بالذكر صاحب الدعوة الكريمة الأستاذ محمد بوعبد الله، أستاذ اللغة العربية بجامعة وستمنستر الذي دعاني لحضور فعاليات الملتقى العالمي حول **(تعليم وتعلّم العربية)** وإلى كلّ الشركاء الذين يخدمون العربية في المملكة البريطانية. وإلى القائمين على البحوث التربوية في جامعة وستمنستر. ويمتدّ الذكر إلى كلّ القائمين على هذا المحفل لما لقيناه من حسن الاستقبال، ورحابة الصدر في بلد الحرية والديمقراطية. وهذا إن دلّ على شيء؛ فإنه يدلّ على ما توليه الجاليات العربية، والجمعيات الثقافية والخيرية للهوية اللغوية في بلاد المهجر؛ باعتبار العربية القاعدة الأساس لكيقونة المواطن العربي في المهجر على الخصوص؛ والعربي ينماز بالاهتمام بلغته العربية حيث كان ووجد؛ من حيث العمل على تطويرها وترقيتها، وتعميم استعمالها في مختلف مراحل التعليم، وفي كافة الميادين لتكون في مستوى اللغات العالمية؛ ملّبية لكلّ ميادين المعرفة.

— **المقدمة:** في هذه السانحة، يسعدني أن أسهم بمداخلة وسمتها **(أيّ تعليم للعربية نريد؟)** وكان هذا السؤال وليد رحم هذا الملتقى الدولي الذي استكثت آلياته من خلال تلك الإشكالية والمرامي التي يستهدفها وصولاً إلى تحقيق النجاعة في منظومة التربية والتعليم، بخصوص تعليم وتعلّم العربية، وهذا ما يسعى إليه الملتقى لاستجلاء واقع اللغة، والتعريف بالجهود الفردية والمؤسّساتية، ودورها في تطوير تعليم اللغة العربية وتعلّمها وتشجيع الإبداع والمبدعين، وجعل اللغة العربية مُسائرة

^٢ — أعدت المداخلة للملتقى الدولي حول تعليم وتعلّم العربية. لندن، بجامعة وستمنستر يومي: 24-25

نوفمبر 2017.

لمتطلبات العصر ووضع الحلول العلمية والعملية لمعالجة مواطن الصعوبة، لفتح آفاق مستقبلية للبحث الجاد لتطوير اللغة العربية وتوظيف المفاهيم والنظريات الحديثة في تعليم اللغة العربية وتعلمها. ومن خلال هذا، فإنني أروم التركيز على الإجابة عن العنوان السؤال؛ بالتركيز على أن المطلوب منا -نحن خدام العربية- أن نوجد الحلول النوعية التي تجعل العربية تخرج من النمطية القديمة، وتجعلها في مستوى اللغات العالمية التي ينشد ودّها بقوة؛ لما لها من علمية وسند تربوي وعلمي، وما تعيشه من معاصرة وكيف تفرض نفسها في ظلّ تحديات عصر العولمة والتقانة.

إنّ الاهتمام باللغة العربية يتطلب البدء بإصلاح منظومة التربية والتكوين؛ إيماناً منّي بأنّ اللغة تتعلّق بالتنمية البشرية، والتنمية البشرية لا تترقّى دون الاهتمام بالتربية التي هي العمود الفقري لتطور كلّ المجتمعات. وقد تُرجم هذا في تبني العديد من المقاربات وإجراء التجارب، وتقديم صفات الإصلاح بغية الوصول بالتربية والتعليم إلى أعلى المستويات. غير أنّ إصلاح التعليم في كافة الدول العربية يحتاج إلى نظرة شمولية مبنية على النوعية والجودة، ويحتاج إلى نظام تربوي ولغوي له نجاعة وفعالية لتحقيق النتائج المرجوة. علماً أنّ الوضع التربوي واللغوي ازدادا انهياراً، فلم تفلح الإصلاحات، ولا المخططات الاستعجالية؛ بسبب هشاشة البنيات التحتية، وفقدان الأمل في السياسات التربوية واللغوية وبات الأمر يستدعي مقاربات جديدة أو إصلاح الإصلاح.

— أهمية هذا الموضوع في بلاد المهجر: يتعلّق الموضوع بمدى مساهمة اللغة العربية للأوضاع التقانية المعاصرة؛ حيث يتعلّم التلميذ/ الطالب لغة البلد بتقنية عالية وباستعمال أدوات العصر، ولما يتلقّى العربية عن طريق التلقين القديم وبالشفاهية المعهودة، يتربّى في نفسه صورة الدونية لهذه اللغة إن لم يمجتها. ولهذا كان علينا تقديمها وفق تقانة لغة البلد. بله الحديث عن اللغة الإنجليزية في بريطانيا وما لها من إحراز سبق في استعمال أفضل البرمجيات وطرائق التلقين الحديثة. ولهذا نحرص أنّ اللغة العربية في مدرسة المستقبل تكون في مستوى الندية في

تعليمها أو تعلّمها وهذا هو المطلوب منّا كمختصين للتفريق بين ما يقدّم في الخارج والداخل. كما يجب التفريق بين تعليم العربية للعرب/ للمسلمين وتعليمها لغير العرب/ المسلمين. إضافة إلى مراعاة الخصوصيات اللغوية والدينية والحضارية للمتعلّمين ورغبته في القاموس أو اللغة الوظيفية التي يسعى إلى امتلاكها للتواصل. أضف إلى ذلك مراعاة المدة الزمانية لفترة التعليم.

أنّى للمتعلّم أن يقتنع باللغة العربية إذا لم تقدّم له في اللوح الإلكتروني؟ أنّى لمتعلّم العربية أن يكون له شوق لحبّ هذه اللغة إذا لم تكن مضاهية للغات التي سبق أن تعلّمها أن يتعلّمها في ذات الوقت؟ كيف لمتعلّم اللغة العربية المعاصر أن يتعلّم اللغة العربية إذا لم تكن في مستوى السهولة والابتكار؟ أنّى لمتعلّم العربية الانجذاب لها إذا كان معلم العربية لا يزال ضعيفاً في طرائق التلقين؟ كيف للعربية أن تكون في مستوى الاحترام إذا لم تخرج من النمطية (قل ولا نقل؟) هذا قليل من الكثير يحتاج إلى اجتهد معاصر في ذات اللغة لنقلها إلى واقع الحال؛ وقع مدرسة معاصرة ملبية للطلبات التواصلية في أحلى أساليب التعبير.

وفي هذه المقاربة أحاول استعراض معالم التعليم الناجح للغة العربية، هو المسعى الذي يجيب عن السؤال، بأنّ التعليم المطلوب، هو تعليم معاصر. نريد تعليمًا للغة العربية يضمن الجودة والنوعية، تعليمًا يربّي ويبيّن ويعلّم ويحرّر ويزرع ويغرس ويرفع ويوجّه ويثبت ويحبّب ويفخر ويرعى ويحترم... وأمام هذا بصُرتُ مجموعة من الأمور ذات العلاقة بالموضوع، أحاول بسطها في مجموعة من المطالب التربوية لتحقيق مدرسة نوعية، ولذا:

— نريد مدرسة الجودة أولاً: ولتحقيق أيّ تعليم للعربية نريد؟ تكون الإجابة بأننا نريد لغة عربية جيّدة، التي يتبنّاها النظام التعليمي والإداري الجيّد المرتكز على مجموعة من القيم والقدرات تُستثمر في مختلف ميادين التعليم؛ وعلى نحو إبداعي قصد تحقيق التحسّن المستمرّ للتعليم لتحقيق لغة عربية عالية الجودة. ولا يمكن التفصيل في المسألة بصورة كبيرة، بقدر ما أقول: يمكن استكناه التجارب

الناجحة للأمم المتقدّمة وخير تجربة في هذا المجال التجربة الفنلندية التي أضحت لها الريادة في الجمع بين النهوض بالتربية المصاحب للنهوض باللغات الوطنية وإعطاء الأولوية للغة المشتركة وهي اللغة الفنلندية.

وعندما نقول: مدرسة الجودة؛ يعني تحقيق العمل على تحقيق جملة معايير في التعليم؛ بالتركيز على منظومة حسن التدبير في:

- جودة المناهج والمقرّرات الدراسية؛
- جودة البنية التحتية؛
- كفاءة الأطر التربوية والإدارية؛
- جودة التكوين الأساسي والمستمرّ؛
- التدبير الأمثل للموارد البشرية والمالية؛
- العمل على التحسين الدائم.

ولا يتأتّى هذا عبثاً دون العمل على تغيير المناهج والبرامج التربوية، وعدم التفريق بين المدينة والقرية، وتحقيق الصحة البدنية للجميع، بالإضافة إلى العناية بحسن التدبير والتسيير ومراعاة الإغداق المادي، والاستفادة من نجاحات الآخرين. وهذا بدوره يخلق نمطية لغوية سليمة، وفي بيئة سليمة يقع التنافس على اللغة من خلال ما تمّ غرسه في المنظومة التربوية.

— نريد مدرسة المستقبل: ويقصد بها تلك المدرسة المتفتّحة على الجديد من المعارف والمعلومات وتُساير مستجدات العولمة، وتُواكب التغيّرات السريعة التي تحدث في العالم. هي مدرسة مُعاصرة جديدة مرنة تهدف إلى التركيز على التعلّم الذاتي، بتشغيل معلّم كفاء قادر على توظيف معلوماته اللغوية ومهاراته التربوية وخبراته المتراكمة توظيفاً جيداً. وهذا ما يخلق في اللغة ذاتاً منتجة منها وإليها وتكون معبرة عن خصائصها في صورها المستقرّة نحواً، وفي صورها المتحوّلة

أسلوباً. ولا يمكن تحقيق هذا، إلاً بذلك المكوّن الناجح الذي يعمل على الإبداع بصورة عامّة ومنها الإبداع اللغوي.

— نريد مدرسة مستقبلية حديثة: نقوم على أصالتنا اللغوية في صورتها الصحيحة؛ تعمل على التغيير والتجديد والتحديث اللغويين، ومهما كان نوع هذا الجديد اللغوي أو طبيعته أو مصدره . نريد مدرسة مستقبلية تمتلك مواصفات اللغة الواصفة المعبرة المبدعة في أنماطها. وبذلك تتبع اللغة من مدرسة المستقبل القادرة على تشكّل فضاءٍ إبداعياً لبناء الإنسان المتحكّم في لغته، ويكون هذا الإنسان معلّماً على الخصوص؛ يقود قاطرة اللغة العربية بأمان لإكساب مجتمعه العربي أهلية وجدارة الانتماء اللغوي والحضاري ومراعاة الخصوصية اللغوية للعربية في مجتمع المعرفة.

— نريد مدرسة حديثة تعتمد نظرية لغوية عربية أصيلة: وإنّ الأهمّ في هذه النظرية اللغوية أن تقوم على أهداف تعمل على تزويد التلاميذ بالمعرفة والوعي اللازمين؛ لتمثيل العطاء الثقافي العربي وثقافته النيرة، دون المساس بالقيم الروحية والمدلول الحضاري ومعاني ثمرات التواصل بين الثقافات. وهذا ما نصّ عليها إعلان دمشق، وقد أكّد مرتكزات الإعلان على سيرورة المعلوماتية، وبناء النظام التربوي المرن في أبنيته وفي مراحل وفي أنواعه، وفي سنوات الدراسة وأعمار المنتسبين إليه ومناهجه وتقنياته وسائر مقوماته، وتجديد التربية تجديداً دائماً عن طريق التربية المستمرة، والعناية بتربية الإبداع في مؤسساتنا، والتركيز على كيفية التفكير والاهتمام بتكوين المواقف والاتجاهات الايجابية الفعّالة التي تمكّن التلاميذ والطلاب من مواجهة التغيير أياً كان وأنّى كان والتكيف مع الجديد، وامتلاك مهارات الإبداع وكفاياته، والعناية بالمعلّم إعداداً وتدريباً من أجل تعزيز مكانته في تعليم جيّد، وتنميين دوره في نقل المعرفة، بكونه منظماً لنشاطات التلاميذ والطلاب ومكوّناً لمواقفهم واتجاهاتهم وقيمهم، ومنتمياً لقدراتهم الذاتية ولل فکر الناقد. وهذا كلّ من أجل بناء المواطنة اللغوية وتحمل المسؤولية والقدرة على الحوار

والتضامن. ولا يكون كلّ هذا إلاّ باللغة الأمّ، وهي العربية الجامعة لما لها من خصائص الشمول في الإبداع والمهارة.

— نريد مدرسة تعمل على التحديث والتأهيل: مدرسة تعمل على تجديد وتحديث أساليب التقويم والاختبارات، وتأهيل الخريجين لمدرسة المستقبل، بما تغرسه من الموصفات العلمية والأخلاقية الحاملة للمعارف والمهارات والقيم القابلة للتعاطي مع مُستجدات العصر. وفي ذات الوقت لا تُبْخس اللغة الوطنية التي هي العمود في مدرسة التحديث والتأهيل، فلا تأهيلَ بلغة أجنبية، مثلما لا تقدّم بلغة غير وطنية.

— نريد مدرسة مستقبلية عالمية: تستهدف مناهجها التعليم للمعرفة وللعمل وللعيش مع الآخرين والتعليم من أجل التكوين مدى الحياة، وهذا ما تُشير إليه تقارير اليونسكو في مدرسة الجودة. وتؤكدّه مختلف التقارير الأممية من ضرورة الاهتمام باللغات الوطنية؛ باعتبارها من أبواب المعرفة التي تخلق الأمن العامّ وتدخل اللغة في باب تحقيق الانسجام الجمعي بين الساكنة وبين المحيط الجوّاري. ولذا فاللغة أمن جماعي تُسهم في قطار التنمية الاقتصادية، وتُحقّق الترابط بين المسؤول والرعية، من خلال لغة وطنية مشتركة، ولا يمكن أن تحقّق اللغات الأجنبية الأمن؛ لأنها تخلق نخباً في المجتمع.

— نريد مدرسة مُفتحة على محيطها: باعتماد المقاربة التشاركية واللامركزية والاستقلالية في التسيير الذاتي، وفي تأهيل الموارد البشرية، وفي تدبير الموارد المالية وفي الانفتاح على محيطها المحلي والوطني والعالمي... إلخ. وينضاف إلى ذلك كلّ ضرورة تحديث الإدارة وعصرنتها بالمعلومات والحواسيب وأساليب الإدارة المعاصرة هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّ التفتّح يعني عدم انغلاق اللغات الوطنية على نفسها؛ فذلك ما يؤدّي إلى حرمانها من ممتلكات وأفكار اللغات الأجنبية، التي هي ضرورة لازمة، دون أن يكون لها الصدارة أو الطغيان على اللغات الوطنية.

نريد ونريد، وفي المراد نأمل أن يتحقّق الحدّ الأدنى إن لم يتحقّق ما يضمن نسبة النجاح، ولكن أن نبدأ، والبدائية تعني صناعة طريق اللغة بسكّة المدرسة وبطابع المعلّم الكفاء، وبمحتوى المعاصرة. ولكن ما هي معايير وضوابط مدرسة المستقبل المنشودة أو المراد تطبيقها والتي تطوّر لنا لغتنا؟

نعلم جميعنا، بأنّ المدرسة هي المرأة التي تعكس نجاح أو فشَل الأنظمة التربوية فهي المستوى التنفيذي التطبيقي للخطط التربوية، ومنبع التطوير التربوي الواقعي ولهذا، فالأحرى بنا رصد مجموعة من المعايير العلمية في مدرسة المستقبل المطلوبة كي لا نقع في الانبهار، فنضيق بين عدم تحكّم في أصالة مدرسة، وعدم مُسايرة مدرسة المستقبل. ومن هنا، فإنّي أرى المسألة من باب الاستعدادات لمدرسة المستقبل، بالعمل على تحقيق شروط النجاح؟ ويبدو لي أن نأخذ الأمور بحذر؛ كي لا نقع في المغامرة أو في المجهول، وعليه، لا بدّ من السير بخطى أكيدة في المرحلة الانتقالية بوضع الضوابط واللوائح التنظيمية اللازمة لمسير مدرسة المستقبل، والتخطيط لاستيعاب التطوّرات العلمية وتطويعها في المجال التربوي والعمل بنظام الاستمرارية المتجدّدة خطوة خطوة؛ حتى استكمال هيكلية مدرسة المستقبل لتعزيز وجودها، ومن ثمّ تحديث الأنظمة واللوائح التربوية بما يناسب الاتجاهات المعاصرة. وعليه، فقد بصرت بمجموعة من الاستعدادات الأولية، وهي:

1- فهم علمي لسمات مدرسة المستقبل: لا توجد معايير تتعلّق مواصفات قارة لمدرسة الغد، بقدر ما توجد سمات مشتركة بين الأمم في أنّها مدرسة قيمة ومتعلّمة ونوعية، وفعّالة، وذاتية، ومُبدعة ومُجتمعية، ومُمتعة، وأمنة. وهذه سمات تطفو في ملامح المدارس الناجحة، وعن طريقها نجحت في تحسين لغاتها. وعليه لا بدّ من مراعاة تطوّر التربية في مفهومها ومحتواها وأساليبها وأدواتها، وبالتالي مراعاة المستحدثات في مجال التكنولوجيا التربوية، وبخاصّة ما له علاقة بأنماط وسياسات جديدة كالتعليم المفتوح، أو التعليم عن بُعد، والعيش في مجتمع التطوّر التكنولوجي الهائل الذي يسبق الزمن في كلّ خطوات البشر وفي صناعة القرار.

ولا ننسى ما تلقىه النظريات اللغوية والتربوية في هذا الزمن المعلوم على تقنيات التربية، بما تحمله من أفكار التحديث.

2 – الاستعداد لمدرسة المستقبل: يعني تحقيق مزيد من النجاح للمدرسة وللغة المدرسة، ولكي تتمكن مدرسة المستقبل من تحقيق النجاح، أرى الآتي:

1/2 – تصميم برامج لغوية قصيرة تركز على بناء مهارات لغوية مُحددة تعمل على بناء القاعدة اللغوية الأساس، وهي المرتكز الذي تقف عليه بنيات اللغة في لاحق من الإبداع.

2/2 – العمل على تطوير البرامج اللغوية السابقة لتواكب التقادم التقني والتكنولوجي.

3/2 – تصميم قواعد البيانات اللغوية المساعدة على التعليم المعاصر، في النحو وفي العلوم، وصولاً إلى صنع البرمجيات التربوية واللغوية.

4/2 – الاهتمام بالمحتوي الرقمي في تصميم الخطط التربوية واللغوية، وفي بناء معلومات عن المناهج التعليمية، وفي بناء معلومات عن الأسئلة السنوية؛ وفق السنة الدراسية والتخصص.

5/2 – بناء ثقافة لغوية مدمجة لاستيعاب التقنيات، بما يساعد على توافق الأداء الوظيفي للغة مع الوضع والاستعمال، بمراعاة الخصائص التي تنصّ عليها كتب فقه اللغة.

3 – العمل على رفع التحديات: وأتصور مجموعة من التحديات التي تكون محلّ خصومة مع المعاصرة. ولذا لا بدّ من تصوّر للعراقيل التي قد تكون، أو هي عراقيل ومحاذير تقع في أيّة لحظة دون أن نوجد لها ما يسدّها. وأتصور التحديات التالية:

1/3 – تحدّي مدرسة المستقبل، مع القيم الحضارية الإسلامية والعربية.

2/3 – تحدّي الاهتمام بالتربية الإسلامية بمعزل عن تأثير المحيط أو اللغات الأجنبية.

3/3 – تحدّي إعداد المعلم الكفاء.

4/3- تحدّي صُنْع مدرسة المستقبل في ظلّ ثقافة تقليدية.

5/3- تحدّي التسارع التكنولوجي والتقاني والنانوتكنولوجي، مع وتيرة التخلف القديمة عند العرب والمسلمين.

6/3- تحدّي الاجتهاد بالعربية أمام لغات أكثر منها تقدماً.

تلكم بعض التحدّيات المتصورّة؛ والتي قد تواجهه مدرسة القرن الحادي والعشرين في دولنا العربية إن لم نقل إنّها تواجهها حتماً، فكيف يكون التغلّب على هذه التحدّيات؟ ويبدو لي أنّ أفضل أسلوب نواجه به المسألة اللغوية ألا نخضع لليأس، بل نصنع طريق مقاومة التحدّيات؛ بوضع خطواتنا في الطريق ليكون ممهّداً للآخرين، ومن ثمّ العمل على وضع سياسات وبرامج ومشروعات لمدرسة الغد ذات جودة عالية؛ تكون قادرة على التكيف والتعامل مع متغيّرات العولمة وتستجيب مرحلياً للتغيّر المطلوب وفق قاعدة (حقّق أولاً، ثمّ واصل الطلب). وسيكون التحقيق العلمي ضمن أطر التخطيط لما يلي:

- 1 - وضع معايير الجودة التربوية واللغوية، والعمل على تحقيقها مرحلياً.
- 2 - التعامل مع المتغيّرات المتسارعة بتحقيق ما يمكن تحقيقه كلّ سنة، أو كلّ مرحلة.
- 3- التفكير في التعامل مع المحيط الاقتصادي والاجتماعي وسوق العمل بذكاء علمي، وبتنظير زمني مناسب للمؤسّسات والبيئة.
- 4- ملاحقة المُستجدات بصورة مرحلية؛ شرط أن تكون الملاحقة طرديّة ووفق عدم الأخذ إلاّ ما يدخل في منظومة فكرنا ولغتنا وقيمتنا.
- 5- الانفتاح ومواجهة الانغلاق الفكري.
- 6 - عدم المواجهة للعولمة الثقافية.
- 7- الالتزام بمبادئ حقوق الإنسان وثقافة التسامح.

هي في الحقيقة مجموعة من التحديات الإضافية المتصورة، بل حدثت في كثير من البلدان المتقدمة ورأيت وضعها في رزمة النخب العربية؛ لتكون على دراية بما يتطلب منها التمييز على ساعد العمل وفي كل هذا، هناك تحدٍ كبير هو كيف تواجه المدارس العربية متطلبات المستقبل، وهي بأيدي فارغة؟ علماً أن المجتمع العربي يعتمد على المعرفة، والمعرفة تأتي من الجامعة، وعماد الجامعة البحث العلمي الغائب بسبب ضعف البحث التربوي. وللأسف نحن نعلم بأن التعليم هو السبيل الرئيس لمواجهة تحديات الحاضر والمستقبل الذي يكفل مواكبة التقدم وإرساء النهضة الحضارية للأمة وإعداد أبناء القرن الحادي والعشرين بخطى ثابتة. وما من شك في أن من أهم التحديات التي يقابلها التعليم هي في الواقع تحديات علمية تكنولوجية ولكن ليس المهم أن تسعى المجتمعات العربية لبناء مجتمع معلوماتي متطور، بل الأهم هو الوصول إلى جوهر الفكر المعلوماتي ومعرفة استحقاقاته البنوية والعملية وعدم معاداة التكنولوجيا وكذلك من الضروري الخوض فيها بغية إدراك كنهها والتعامل معها بإيجابية تحفظ الخصوصيات العربية.

وضمن الاستعدادات الحديثة، كان علينا وضع ترتيبات لازمة لتحقيق مدرسة الغد/ المستقبل التي تضمن جودة اللغة العربية، وهذا وفق مدرسة ذكية كأساس لتطوير التعليم ولغة التعليم. ومن هنا، فلا مناص من أخذ الاحتياطات بما يتوافق مع المعاصرة في مجال التربية والتعليم، بمراعاة:

— **الدور التقاني لمدرسة المستقبل:** والأهم فيها ما يفرض من التعديلات والتصححات التربوية المناسبة لمعرفة المعلومات، من خلال الاستخدام الأمثل للتكنولوجيا المتطورة والتقنيات الحديثة، حيث تجتاح العالم اليوم ثورة جديدة يطلق عليها اسم (الموجة الثالث) وهي مزيج من التقدم التكنولوجي والثورة المعلوماتية الأمر الذي يستدعي وجود مدارس ذكية وكوادر تعليمية قادرة على استخدام التكنولوجيا المتقدمة ومناهج أساسية تنقل أساسيات العلوم والمعارف إلى المتعلمين. وفي ظل كل هذا أصبح لزاماً على المجتمع العربي اللحاق بالعصر المعلوماتي، من خلال تعليم ذكي

معاصر وعليه هل يمكن وضع خطط معلوماتية واستراتيجية ومن من ضمنها جعل تقنية الحاسوب والانترنت عنصراً أساسياً في المنهج التعليمي.

— **المدرسة الحديثة وتنمية التفكير الإبداعي:** في ضوء التطورات المذهلة التي أفرزتها العولمة في القرن الحادي والعشرين الذي أصبح فيه العالم أكثر تعقيداً نتيجة تدفق التحديات التي أفرزتها الثورة العلمية والتكنولوجية العملاقة في المجالات كافة ويستدعي الأمر مواجهة الواقع باستحداث قدرات المدرسة؛ لإكساب المتعلم الفكر الإبداعي الذي أصبح حاجة ملحة أكثر من أي وقت مضى في ظل تلك التحديات المتجددة التي تزداد تعقيداً باستمرار. فالتفكير الإبداعي يعدّ المحور الأساس الذي تتمركز حوله جميع أنشطة تعلّم التفكير الإيجابي في العالم، والمبدعون أعظم استثمار يمكن أن نقدّمه لمستقبل أمتنا وهم أهمّ رأسمال تمتلكه الأمة.

وتأسيساً على نمطية عالمية، فإنّه من اللازم مواجهة الحقائق الخاصة بمجتمعنا العربي في ظلّ ملاحقة المستجدات بما نملكه من خصوصيات تعدّ عراقيل حقيقية في العيش ضمن مدرسة المستقبل أو ملاحقة الحداثة بمفهومها التقني. حيث يعيش العالم العربي سلسلة من الصعوبات التي قد تحوّل دون تحقيق مدرسة الغد بصورة جدّ إيجابية. ويمكن ذكر هذه الصعوبات بصورة إجمالية: تعميم التعليم التحضيري+ نمطية التعليم القديم الضعيفة السطحية+ قدم المناهج الدراسية+ تقليدية طرائق التدريس+ ضعف الإشراف التربوي+ قلة الإنفاق المادي على البحوث التربوي+ خلل في العلاقة التكاملية بين المخرجات والمُدخلات+ ضعف نسبة الاستثمار في البحوث الأكاديمية. وهي اختلالات قد تؤدّي بنا إلى التأخير في تطبيق أو ملاحقة مدرسة المستقبل التي تتطلب تضافر جهود الشركاء العالمين على خدمة المواطن اللغوية بمفهوم مراعاة الخصوصيات ضمن القيم الخاصة، وفي ظلّ الكفايات التواصلية الجديدة.

— **الخاتمة:** من الضروري التنادي الجماعي لنقدّم لأجيالنا مدرسة المستقبل وفي مضامينها ومناهجها وفي تكيّفها مع الخصوصيات. ولا نعدم النّيّات الصادقة

لأصحاب القرار السياسي، كما لا نعدم قابلية العيش في محيط عالمي قوامه مدرسة ناجحة = لغة جيدة. وبذا، فلا مجال للرجوع إلى الوراء، وإلاّ سنخرج من التاريخ والجغرافيا، وسيكتب علينا الزمن أننا لم نقدّم لأجيالنا مدرسة مُعاصرة مُلبية لتطوّراتهم المادية والفكرية، وقد عزلناهم عن المحيط العالمي، فبقوا متخلّفين. فأن نكون أو لا نكون، ونريد أن نكون بما لنا من أفكار الحداثة، وأفكار الانفجار المعرفي. وهذا ما نريده من مدرسة المستقبل التي تعمل على تطوير اللغة العربية وفق مهارات قابلة للانتقال والتطبيق في مستقبل واعد ومضمون، وعماده الأساس المعرفي الذي يُراعي طبيعة المفاهيم التي تقدّم للمتعلّم وكيف يُسهم في بناء منظومة تربوية ولغوية على شكل خرائط مُتسلسلة وبأسلوب منهجي يُسهم فيه المتعلّم كطرف أساس في بناء مدرسة المستقبل الذكية، ببوابات إلكترونية وبما لها من مزايا الذكاء في كلّ شيء وبما لها من نوعية التعليم المُلبّي للحداثة لعموم المعارف الموصلة إلى تعليم نوعي عربي عالمي.

الملتقى العربي الأول حول: الهندسة الميكانيكية*

— **ديباجة:** إنه ليسعدني أن يكون المجلس الأعلى للغة العربية حاضراً في جامعة محمد خيضر ببسكرة وفي قسم الهندسة الميكانيكية، في الملتقى العربي الأول للهندسة الميكانيكية، وينالني الشرف أن يُحظى المجلس بالمحاضرة الافتتاحية. وأصالةً عن نفسي، ونيابةً عن زملائي، أرفع لكم آيات التقدير والشكر لكل من فكر في تنظيم هذا المحفل العلمي العربي في هذه الجامعة. ولا بد أن نعيد الأفضال لذويها بأن نُزجي خالص الشكر والتقدير للذين يرعون العلم والعلماء ويحرصون على الحضور، ويحتفون بالمُتصدّرين، ويمتدّ الشكر إلى راعي الملتقى السيد رئيس الجامعة؛ لما يوليه لجامعة بسكرة من رعاية علمية لتتال التصنيف الدولي، وهذا ليس بغريب على صاحب الميدان، ويمسّ الشكر كلّ الفاعلين على مستوى الجامعة للخدمات العلمية التي تقدّم أحسن تقديم. ونجزل الشكر للأشقاء الذين جاؤوا لحضور فعاليات هذا الملتقى العربي الأول، فلهم منا عبارات الودّ ونتمنى لهم إقامة علمية مفيدة بيننا.

وأراني أمامهم في مقام المستفيد، وإلى كلّ المحاضرين من كلّ الجامعات الوطنية فعليهم تقع عهدة خدمة الشأن العام، وأملنا فيهم أن يقترحوا أفكار التحسين والتطوير في الهندسة الميكانيكية، وهي فرع من فروع الهندسة العامة التي تهتمّ بالتصميم والتطوير والتصنيع والتركيب وتشغيل المحركات والآلات وعمليات التصنيع.

* — أُلقيت الكلمة في الملتقى العربي الأول، حول (الهندسة الميكانيكية) بجامعة محمد خيضر ببسكرة، بتاريخ: 10-11 ديسمبر 2017.

— مقدمة: ماذا عساني أقول أمام المهندسين المختصين والعلماء، فبضاعتي قليلة، وليست مُزجاةً في الهندسة الميكانيكية، وما بقي لي إلا تلك المسكوكات التي علّمني إياها شَيْخِي في أواخر الستينات يقول: "الهندسة هي عِلْمُ الحِيل، ولا يفلح فيها إلا الشاطر في الحِيل. وقد قرأت مرّة كتاب (الحيل في الفقه) لأبي حاتم القزويني، وفيه حِيلٌ لا ينتبه إليها إلا راسخ في العلم". وربما لم يكن شَيْخِي على خطأ، بقدر ما نظر للمسألة من باب أنّ الهندسة في عمومها هي الدينامية التصنيعية بغرض الوصول إلى النمذجة الصناعية التي هي من صنْع المحترف فتحتاج إلى ألف حيلةٍ وحيلة. لستُ في موقع القوة العلمية لأحدثكم عن الثورة الصناعية التي كانت الدافعَ القويَّ لتطوير الآلات، وتقدّم ثورة البخار، وما جرى من ترقية الآلات عن طريق المحاولة والخطأ، حتى وقعت المَهارة في التعليم الهندسي، وأدّى كلّ ذلك إلى إنجازات قوانين الفيزياء والرياضيات، وظهور الصناعة في شكلها الميكني؛ بما صاحبها من نظريات فيزيائية عملت على تغيير أنماط الصناعة التي أخذت أبعداً تطورية سريعة، وكلّ هذا كانت الهندسة الميكانيكية تتال الحصاد اليومي بشكل مضمون وعلمي.

أيّها الحضور، كلّ ما يمكن تلخيص هذا الموضوع، بأنّ الهندسة الميكانيكية عملت على منطق الرياضيات؛ وهو منطق لغوي لوغاريتمي في أصله، جرت فعاليات الهندسة باستخدام الطرائق العلمية بدلاً من الطرائق التقليدية أو الحدسية وكانت في كلّ ذلك الهندسة الميكانيكية تتال موقعاً في أنظمة الفيزياء بصياغة تجارب علم الميكانيك؛ باعتماد صياغة التنبؤات الكميّة نظرياً، وكيفية اختبار هذه الصياغات الرياضية بأدوات قياس مُصمّمة بعناية؛ حيث لا مجال فيها للخطأ. وهذا ما تمّ على مستوى العلوم الأساسية للهندسة الميكانيكية في التطابق التام بين نظرية الآلات، وطرائق توصيل القطع والأجزاء بصورة متكاملة؛ بحيث تسير كلّ قطعة تابعة لحركة القطعة الأخرى، بتصميم ميكانيكي دقيق، وبخاصّة بعد ظهور الكيتار الذي ساعد على السرعة الفائقة في تحصيل فعل الآلة الأوتوماتيكي. وقد نجم عن

هذا العلم تطورَ عظيمٌ في المجالات الصناعية والمعيشية للإنسانية كافة، وأدّى بدوره إلى تطور وسائل التعليم وأساليبه لخدمة الصناعة بفروعها المختلفة.

إخواني، لا أريد الاستفاضة في مجال الحديث عن اختصاصكم، وأنتم أدرى به؛ بقدر ما أريد التركيز على بعض الضرورات الهندسية التي تتطلبها بلدنا؛ وهي تدخل مجال الهندسة في عموم الصناعة. أليست بلدنا حرة الآن أن يقع التركيز والتفكير المعمّقان من قبل نخبتها البحثية في ردم بعض الفجوات التي نعيشها في الركون إلى بضاعة الآخر؛ وبخاصة البضاعة المصنّعة، حيث يمكن لمهندسينا الإبداع في مجالات الهندسة التي نريد توطئتها من مثل: هندسة الميكانيك - هندسة التصميم والإنتاج - هندسة الإنشاءات والهياكل الكبرى - هندسة السيارات - هندسة النسيج - الهندسة البحرية - الهندسة الطبية... ولم أصرّ على ضرورة خوض ميدان هندسة الطيران وهندسة الفضاء... بله الحديث عن علم قوى الديناميكية الهوائية، والتحكّم عن بُعد، والميكانيك والنانوتكنولوجي والروبوتيك. وكل هذه الأمور من بدهيات العلم الحديث؛ إذا وقع الاهتمام بها في جامعاتنا وفي صناعاتنا المستقبلية، وبخاصة عندما يقع الاهتمام بوظائف الهندسة الميكانيكية؛ بإدراك المبادئ الأساس للعلوم الميكانيكية، وما يتبعها من التخطيط والصيانة والتسويق. ولا أقول جازماً بأننا نفلح بسرعة، ولكن يمكن أن يكون لنا مقام بين المنتجين الصناعيين وعلى الأقل أن نبدأ في وضع القواعد وكما يُقال: الطريقُ تصنعه الأقدام.

أيّها الحضور، إنّ المجلس الأعلى للغة العربية يثمن جهدكم، ويرافقكم في ما تقومون به من أجل خدمة الصناعة الهندسية، فهي الحاضر والمستقبل، فلا تقدّم دون آلة، ولا حضارة دون إضافة، ولا حادثة دون تصميم، ولا مستقبل دون تخطيط. فيا أيّها العلماء، أنتم الراسخون في العلم، زيدونا من إنتاج الفكر المؤدّي إلى العيش في رفاية التحكّم في المستقبل، لا تكونوا تقليديين، كونوا مبدعين مؤثرين، كونوا كما أرادكم السلف الصالح، كونوا جبارين في اختصاصكم، يستفيد منكم الآخرون، اجعلوا لكم موقعا في خريطة العالم وهكذا نريدكم أن تكونوا.

وإنّ المجلس الأعلى للغة العربي بما سطره دستور 2016، يعمل على ازدهار اللغة العربية، وتعميم استعمالها في العلوم وفي التكنولوجيا، والترجمة إليها. ومن خلال هذا، فإنّ للمجلس قوّة اقتراح الأفكار يعمل مع مختلف الوزارات والهيئات والمؤسسات، ويرغب في إقامة شراكات مع الجامعات الوطنية في إطار تجسيد مشاريع البحث العلمي عبر الاستراتيجية الوطنية في آماها الثلاث: الاستيعالية والمتوسطة والبعيدة المدى وبالتعاون مع المديرية العامة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي، ويعمل على مدّ يدّ العون للباحثين في مختلف مجالات البحث وبخاصّة ما له علاقة بالترجمة وبالبحث الجامعي والتأهيل الممتاز، بغية الوصول إلى التحكّم في آليات الهندسة التكنولوجية في أبعادها الكبيرة. وما الهندسة الميكانيكية إلّا أحد الاختصاصات التي يعمل على تشجيعها وتدريبها باللغة العربية؛ تميّناً للمادة الثالثة من الدستور. ومن خلال هذا اللقاء لا يمانع المجلس بأنّ يعقد اتّفاقية مع الجامعة لإنجاز الدليل أو القاموس الموحد حول مصطلحات ومسكوكات الهندسة الميكانيكية، وهذا ليس صعباً على أساتذة قسم الهندسة الميكانيكية بما لهم من طاقات مبدعة، ويكون المجلس شريكاً في تقديم أفكار بخصوص النمذجة الصورية لصناعة القواميس، وتتميط المصطلح بما يتوافق وخصوصيات اللغة العربية. والزمن كفيل بتطوير الاتّفاقية إلى شراكة علمية تكون في مستوى خدمة اللغة العربية خدمة علمية، وهذا هو المبتغى من السعي الحثيث لازدهار العربية ليكون لها موقع قويّ في العلوم.

إخواني، نحن نفتخر بكم؛ بأنكم تقومون على خدمة المواطن اللغوية التي تُعطي للعربية القيمة المضافة بما تقومون به في تعليم مساقاتكم، وما تبرهنون به من أنّ العربية ليست عاجزة عن استقطاب المصطلحات العلمية والتقنية؛ بما لها من رصيد معرفي علمي، يستجيب لكلّ مصطلح علمي، فلا يقع العجز في ذات اللغة، بل إنّ تدريسكم للهندسة الميكانيكية هو تقريب العلم للصنّاع وللحرفيين وللمهندسين وللخواص، فأنتم القمّة التي تتكلّم إلى القاعدة بلغة مشتركة، فذلك يكون الإنتاج؛

لأنه لم يثبت أن أمة ارتقت بغير لغاتها، ولم تنجح تجارب الأمم التي عملت على خيار اللغات الأجنبية لترتقي، فبقيت متخلفة.

وإن الحاجة المعاصرة تتطلب منكم توجيه الطاقات المبدعة ورعايتها، والسعي للنهوض بمستوى المخرجات الأكاديمية عبر المعلومة الصحيحة والدقيقة من أصحاب الخبرات والتجارب، وكذلك يُنشَد مجتمع المعرفة، فأنتم المفتاح للتولوج إلى صناعة هندسية مبدعة لأرضية المؤسسات والشركات والمصانع، ورعاية النظريات لتعيش التطور المطلوب. وكما تعلمون؛ فإننا نعيش المنافسة والتطور في كل ثانية، والزمن في تصاعد يسجل البقاء للأفضل إنتاجاً، فما مقامنا في كل هذا؟ ولا شك أن إبداعكم عبر طلابكم سيكون له الأثر في الركاب المعرفي الهندسي ومن الركاب الإنتاجي يأتي النوع، ولذلك علينا الحرص على القيام بأعمال جديدة بإخلاص وعزيمة، وأن نرمي ببصيرتنا إلى الأبعد، وبآمالنا إلى الأسمى؛ حتى نكون متألقين في الأفكار وفي حسن الأداء.

أيها المهندسون، نحن نمد لكم فكرنا لتعاون في خدمة تطوير الصناعة المحلية وتضمّوها إلى ما تملكون من أفكار ونظريات وإجراءات علمية، كما نمذكم بالعون المعنوي والمادي، وعسى أن تتكاتف جهودنا لنكون، ونكون صناعيين مهرة يُطلب ودّهم، ونتحسن دائماً في لاحق من إنتاجنا الذي يجب أن نصحبه بمُستجدات العصر، وبمُلاحقة تنامي استخدام الأنظمة الحاسوبية الذكية فإن المعرفة ببرامج الحاسب الآلي تفتح أمام المهندسين آفاقاً وظيفية كثيرة.

أنهي كلامي بأن أقول: إنني جد سعيد بوجودي في عروس الزيبان، بسكرة التاريخ (اديسينام) (AD PISCINAME) بسكرة الرّوعة في المقاومة من خلال كلّ الثورات التي شهدتها الجزائر، بسكرة العلم والعلماء، فيها هو أحمد بن نصر الداودي أول من شرح البخاري في كتابه (النصيح) وأخذ منه العسقلاني في أكثر من 500 موقع، وها هو العالم عبد الرحمن الأخضرى صاحب (السلم المرونق) في المنطق وها هي السياحة الدينية في بسكرة السكرة بما تضم من رفاة الصحابة

الفاثحين المصاحبين لعقبة بن نافع، وها هم بعض رجالات جمعية العلماء، وها هي المحدثّة صفيّة أمّ الحياء البسكريّة، وها هو أبو بكر الجزائري يتصدّر في الإفتاء في المدينة المنورة... فأنعم بهم من أخيار المنطقة وهم كثر! وأصدقكم القول بأنّي مرّتاح أمام زملائي، وأنا في بيتي؛ أرى المواطنة اللغوية تتصدّر. وأجدني في بسكرة النيرة بسكرة المعطاء الطيبة. والشكر كلّ الشكر على فعلكم المتين، وعلى جهودكم المستبين، وعلى حسن تعاملكم المدهش، وتفتحكم المنعش وهذا نعمة من نعم الاستقلال، ومن شساعة بلادنا المفضال، ومن جود كرم الأخيار، والمجد والخلود لشهدائنا الأبرار. والسلام عليكم يا إخوان.

المدرسة الأندلسية المغاربية

بين الإتياع والإبداع^٢

— ديباجة: حريُّ بنا أن نبحت عن آليات ازدهار اللغة العربية في الفردوس المفقود، وكيف نالت العربية مواقع واسعة في الانتشار وفي الاستعمال، وهي ليست بلغة المنشأ، ولا باللغة الأم، ولا بلغة أم في شبه الجزيرة الممتدة لأروبا. ولقد دخل الفاتحون هذه البلاد، ومعهم اللغة العربية التي بزت اللغات المحلية وأعطت للأندلس فكراً وحضارة في مختلف العلوم والفنون؛ حيث نشطت فيها الدراسات اللغوية والأدبية والمعجمية، وخلال قرن من الزمان استطاعت أن تصل مناطق مجريط وإشبيلية وطليطلة وغرناطة وإشبيلية ومرسية وألمرية وفنسية... وتكون العربية لغة الدولة والإدارة ومختلف العلوم في حاضرة ملوك العرب والبربر بل تتصدّر في المحافل والمؤسسات، مُصاحبة للحضارة الإسلامية الزاحفة التي أضافت للأندلس لمسات عمّرت ما يقرب من ثمانية (8) قرون. فما هي أسباب ذلك التصدّر؟ وكيف ارتقت العربية في الأندلس من العدم؟ وكيف توهّجت عن طريق المشافهة والشعر، ونالت المقامات العلا؟ أو ليس من المعجزة أن تتغلّب اللغة العربية على اللغة القشتالية في وقت وجيز؟ ما هي عوامل النمو اللغوي الذي سلكته العربية؟ وما هي الطرائق التبليغية التي استعملت في تعميمها وتدرّيس العلوم بها؟ وكيف استطاع اللغويون المؤسسون نقل العربية في صورتها التأصيلية وتعود إلى المشرق في ثوب غير ما قيل: "بضاعتنا ردت إلينا؟" وما هي الحواضر العلمية التي عملت على تأسيس مناهج تعليمية تيسيرية ونالت المرجعيات التربوية؟

٢ — أعدت المداخلة للملتقى الدولي حول (المنهج التيسيري في تعليم علوم اللغة العربية لدى المدرسة الأندلسية المغاربية) تنظيم كلية الآداب والفنون، بجامعة حسيبة بن بوعلي الشلف في 28-29 نوفمبر 2017م.

وما هي السمات المازة للأندلس والمغرب اللغويين، بأن أصبحت لهما مدارس نحوية، بما للمدارس المشرقية قبلهما من تأصيل واتساق ومنطق، ومشخة ومريدين ومنهج، وقابلية التكيف؟

تلك بعض الإشكالات التي نروم أن تجيب عنها هذه المداخلة في إطار الهدف الذي يرومه هذا الملتقى الدولي؛ من خلال البحث عن وسائل وآليات تيسيرية استعملتها المدرسة الأندلسية ذات زمان، وكان لها الوزن العلمي أمام مدارس سابقة، بل أضحت المدرسة النحوية الأندلسية بالخصوص تملك مواصفات علمية في تقديم أفضل الطرائق التدريسية لتعليم العربية لأهلها، ولغير الناطقين بها...

هي أفكار نقدتها بمعية ما يطرحه الزملاء من اقتراحات وتوصيات، نروم أن يكون لها الصدى العلمي بعد إعمال النظر من زاوية تطوير العربية في حدود تيسير النحو تيسيراً يُراعي مُستجدات الوقت، أو ربّما تكون لنا رؤية جديدة في المتن؛ نعمل على توجيه الطلبة للبحث في ما تركه سلفنا الصالح في الأندلس؛ من خلال نجاحات الرباطات والزوايا العلمية والحواضر الثقافية، في ترسيخ العربية وتبليغها لأهلها ولغير الناطقين بها سهلة ميسرة، وقد يكون ذلك مرجعية نعتمدها في تطوير الدرس النحوي المعاصر الذي نشكّي من صعوبة النحو وكذلك من ضعف طرائق تعليم النحو.

— مقدمة: نال موضوع تيسير النحو كلّ الأهمية منذ ثلاثينيات القرن الماضي ولحدّ الآن لا يزال البحث فيه جارٍ لتقديم منهجية تيسيرية علمية دقيقة، ولا نعدم تلك الدراسات الجادة التي تُعدّ دراسات سابقة لهذا العمل، ومنها:

1— تيسير النحو، عمل جماعي من منشورات المجلس العلى للغة العربية، في إطار الملتقى الوطني حول (تيسير النحو) 23-24 أبريل 2001، بالمكتبة الوطنية، في الجزائر.

2— في أصول النحو، صالح بلعيد. الجزائر: 2013، دار هومة للنشر والتوزيع.

3- مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً (1934-1984). منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

4- العربية في الأندلس انتشارها وتعليمها -دراسة تأصيلية في تعليم العربية لغير الناطقين بها- خالد حسين أبو عمشة. عمان: 2016، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

5- ندوة ألكسو حول اللغة العربية. الجزائر. 1976.

6- اللقاءات العلمية حول موضوع تيسير النحو، ندوة المجمع في الجزائر سنة 1984.

7- مجموعة ندوات للمفتشين في الجمهورية العربية المصرية+ الجزائر.

8- مقالات خاصة حول تيسير النحو.

9- أعمال أخرى ولقاءات وندوات حول تيسير النحو.

وما ذكرنا إلاّ القليل من الكثير من الأعمال العلمية التي تُنادي بضرورة إصلاح العربية؛ يعني إصلاح نحوها لجعله يتماشى ومعطيات الدرس اللغوي المعاصر وربطه بواقع استعمال العربية بما نالها من أساليب معاصرة يجب ان تكون في واقع ما يستعمله التلميذ في وسطه، بما يحترم المتن الفصح. وإنّ النحو العربي هو العقدة التي تجعل المتلقي للعربية -أحياناً- يتذمّر من بعض الفذلات النحوية التي لا ينالها الاستعمال، إضافة إلى عدم مراعاة التدرّج في مفردات النحو، وما ينالها من تكامل.

وعوداً إلى عنوان الملتقى، فنرى أنّه يحتوي على مُحدّدات لا بدّ من الوقوف عندها لتوضيح أبعاد اختيار هذا العنوان، وسنقف بداية في:

أولاً: تحديد المصطلحات: يمكن أن نقول بأنّ العنوان يحوي ثلاثة مصطلحات نقف لتحديدّها وهي:

1- **المنهج التيسيري:** إنّ البحث في موضوع التيسير النحوي أخذ أبعاداً كبيرة في العصر الحديث ولم يكن له ذلك في عصر التأسيس، اللهمّ بعض المختصرات التي كانت تشرح الغموض النحوي، أو تلك الشروح المرتبطة بتعليم النحو الذي أصبح صناعة بعد توسّع الفتوحات الإسلامية. ولم يكن مثار جدل في المدرسة

البصرية، ولا عند أصحاب المدرسة الكوفية، وكذلك لم يكن محلّ نقاش عند مدرسة بغداد. قد يكون الأمر لا يستدعي ذلك؛ باعتبار النحّو باكورة جهد علماء العربية وهو أساس علومها ولكن ما دام أنّ الغاية من النحّو هو صيانة القرآن واللسان العربي من الخطأ -بعد أن أخذ اللحن يشيع- انبرى بعض النحّاة إلى وضع قواعد تسهيلية لضبط الكلام العربي؛ فألفوا كتباً تحمل بساطة ما يسهّل على الدارسين تعلّم العربية في صورة مُلخصات. ولكنّ الأمر لم يقف عند هذا الحدّ، بل تسابق النحّاة بعد ذلك في تأليف الكتب النحوية المُطوّلة، كما أدّى ذلك إلى ظهور أسلوب المادة النحوية وغموضها والحدّ من لغة السماع، وتحديد المكان. ومع ذلك، فإنّ الشكوى لم تكن في مستوى الحدّة، حيث ظهرت بؤادر المنهج الكوفي في استعمال النحّو بمجرى المنهج اللغوي العامّ للغة، من حيث الاستعمال البعيد عن بدايات التمحّلات النحوية، ومن ذلك بدأت تظهر بؤادر التيسير في متن النحّو لا في المنهج. وخرج منهج الكوفة يدور في تجنّب الإطالة وعدم التعمّق في ذكر القواعد، والاستعانة على توضيحها بالشواهد المسموعة دون شرط قائلها، والوقوف عند حدود العلة الأولى، وتجنّب الشاذ والنادر والتمييز بين المستويات التعليمية...

2- تعليم علوم اللغة: إنّ تعليم علوم اللغة كانت مترابطة، فيقع تعليم النصّ من خلال البحث في النحّو والمعاني والبيان والبديع، ولم يقع الفصل بينها في المرحلة الأولى؛ باعتبارها من علوم العربية، ويضاف إليها المنطق اللغوي. كما كان التأليف مُختلطاً مُشتركاً، ولكن منهجية تعليمها يختلف من إقليم لآخر؛ حسب استعمال اللسان العربي من عرب عاربة ليس لها عوائق لغوية تلفظية، كما هي عند العرب المستعربة، فكان تعليم النحّو يخضع لاجتهاد الشيخ في توصيل المادة للمُريد. وكان يعتمد المادة الأولى: الشعر/ القرآن، ويتبع بجملة شواهد متداخلة حسب الأرضية المعرفية للشيخ المُلقّن، وللرتابة المتوارثة في إقليم من الأقاليم.

3- المدرسة الأندلسية المغاربية: يبدو لنا بأنه من الأفضل تقسيم هذا المحدّد

إلى قسمين وهما:

1/3- تحديد التداخل بين مسمّى الأندلس وبلاد المغرب: يجب الانتباه إلى

أنّ التداخل بين إقليم الأندلس/ حاضرة العدو العليا، وحاضرة العدو السفلى وتُطلق في البداية تسمية المدرسة النّحوية على الدراسات النّحوية في الأندلس وشمال إفريقية، وجزر البحر المتوسط، والمحيط الأطلسي التي سكنها العرب؛ كجزيرة صقلية والجزر الخالدات المسماة حالياً جزر الكناري. وباختصار هناك من يطلق عليها تسمية الغرب الإسلامي؛ وهو أوسع من مصطلح المغرب؛ حيث يشمل شمال أفريقيا، مُضافاً لها قطاع الأندلس والجزر الواقعة في غرب البحر المتوسط مثل صقلية وجزر البليار.

لقد فتح طارق بن زياد وموسى بن نصير الأندلس في عهد الدولة الأموية عام 92 هـ، وتسمّى في عمومها شبه جزيرة إيبيريا، وفيها تأسست رابع (4) مدرسة نحوية عربية، بما لها من مواصفات بيئية تختلف عن بيئة المدارس المؤسّسة، كما تختلف عنها في المنهج، وفي المبادرات التي اعتمدتها. وأما كلمة (المغاربية) فهي حديثة، وكانت تحمل تسمية (بلاد المغرب/ المغرب) وتعني العدو الدنيا ولم تكن تملك مدرسة، بقدر ما كان فيها بعض الحواضر والمُعمرات والزوايا العلمية التعليمية، ومع ذلك، فهي التي عملت على إمداد العدو العليا (الأندلس) بمجموعة من مُريديها الموسوعيين، وكانت لهم مواقع تأسيسية في مدرسة الأندلس النّحوية. ولكن يصعب التقريق بين علمائها؛ لأنّ الكثير من هؤلاء تنقلوا عبر العدوتين وكانت كلّ واحدة مكملّة للأخرى، كما أنّ معظم الموريسكيين عندما خرجوا مطرودين من الأندلس حلّوا بحواضر بلاد المغرب، وهي: فاس القيروان، القرويين، بجاية، تلمسان. ويجدر بنا وضع هذه الترسّمة لتحديد بعض الفوارق بين مدارس النّحو في المشرق فقط، وأما المغرب والأندلس، فهناك الكثير من التكامل، رغم بعض الفروق، من مثل:

المدرسة الأندلسية المغاربية بين الإبداع والابتداع

بلاد المغرب	بلاد الأندلس
يضمّ البلاد المغاربية الخمسة في وقتنا الحالي: الجزائر + تونس + المغرب + ليبيا + موريتانيا	يضم إسبانيا والبرتغال وبعض الجزر
تأسيس حواضر علمية وزوايا ومعمرات	تأسيس مدرسة نحوية أندلسية
لها السبق في إمداد الأندلس بالعلماء	لها الفضل في توسيع آفاق العلم
تميل إلى نسخ نحو المشرق، في غياب الإبداع	تميل إلى المشرق بلمسة أندلسية
مُتشدّدة في قضايا النحو، وتميل إلى نحو البصرة	مُبدعة وتميل إلى نحو الكوفة

وأما الفروق بين مدارس المشرق ومدارس المغرب والأندلس، فيمكن تلخيصها في الآتي:

مدارس المشرق	مدارس المغرب والأندلس
لها فضل السبق في التأسيس	لها فضل المواصلّة والتطوير
أعراب عربية فصيحة بالسليقة والنقل	مستعربة ومستمزغة فصيحة بالعقل
كُتب المشرق فاتحة مؤسّسة	كُتب المغرب والأندلس شارحة
يقولون: المغرب والأندلس "بضاعتنا رُدّت إلينا"	لقد ظهر من هو أنحى من سيبويه
الشعر عند المشرق هو الموزون المقفّى	هو شعر المؤشّحات الجديد
النحو التقليدي ذو المتن الثقيل	نحو المنظومات والأجروميات
انتحاء طرائق التلقين الملتوية	اتباع طرائق التيسير السهلة
انقسامها إلى مدارس مكّمة	انقسامها إلى مدرستين (2) متنافستين
كثرة الإنتاج اللغوي عمل على التضارب	قلّة الإنتاج اللغوي عمل على الاتباع
ظهور الإسفاف اللغوي والنحوي	ظهور الصناعة النحوية
الدعوة إلى الحفاظ على المتن القديم	الثورة على العلل النحوية
الاهتمام بالشاهد القديم والشاهد القرآني	الاهتمام بالشاهد القديم والحديث النبوي الشريف

تميّز المشرق بحفظ المتون	تميّز المغرب والأندلس بحفظ المنظومات
ربط اللغة بتييسير النّحو	ربط النّحو بتييسير طرائق التلقين
ريادة المجامع في التيسير النّحوي	جمود البحث اللغوي في النّحو
النّحو غاية لمعرفة اللغة	النّحو وسيلة لفهم واستعمال اللغة
تييسيرات نحوية تنازلية	تطبيقات لتيسيرات مشرقية
تطوير اللغة مرتبط بالمدرسة	تطوير اللغة مرتبطة بلغة الصّحافة
بناؤهم طريق الملح والحريز	بناؤهم طريق تنقّل العلماء

والعبرة من كلّ هذا، ما يلي:

- إنّ القدامى في العدوتين تنافسوا في العلم النافع؛
- أقاموا المؤسّسات والحواضر العلمية؛
- أغدقوا على الشعراء والمبدعين، وتنافسوا في استقطاب الكفاءات والعلماء؛
- كانوا أحراراً في الانتقال بين الأمصار، لتقديم العلم للراغبين؛
- بنّوا طريق تنقّل العلماء دون عوائق وحواجز قانونية؛
- دعوا إلى حفظ المتون التي تكسبنا التحكّم في كلّ الفنّون؛
- الدعوة إلى استلّهم أفكار التيسير النّحوي، والعبرة لتعليم النّحو تعليمًا بسيطاً؛
- استحدثت آليات التبليغ، بتحيين أفكار الماضي المجيد.

2/3- المدرسة النّحوية الأندلسية المغاربية في تأصيلها: في الأصل وجدت

المدرسة الأندلسية في ما كانت تزخر به من علماء المشرق والمغرب، ولا يفوتنا التذكير ببعض الأفاضل: ابن الطراوة + ابن السيد البطليوسي + ابن مالك الجباني + ابن عصفور + ابن خروف... وهؤلاء جميعهم عملوا على منهج يقوم على تعليم عربي مستمدّ من تراثنا بما يتناسب وآليات عصرهم ومصرهم، بتحيين المنهج المشرقي ونظروا في تعليم النّحو؛ ليكون من أجل هدف التواصل الصحيح ففرّقوا بين تعليم

النحو لغايات تربوية وتعليم النحو لغايات تخصيصية، وكان ذلك على مستوى الكتاتيب والحاضرة والمسجد. وعمادهم تكوين المعلم الجدير بنقل معارف النحو الأولية بصورة نفعية ليحصل تملك آليات اللغة بصورة قديرة تمثل التربويات. ووضعوا الأبعاد الكبرى لتعليم النحو ممثلة في الابتعاد عن التقديرات والتأويلات والأقيسة البعيدة التشابه، والمغالاة في التأويل، كما حددوا أبعاد النحو في العمل على التواصل اللغوي وعماده التمهّر في علم اللسان دون التعمّق في دراسة اللغة العربية حتى أصعب مسائلها وأغرب دقائقها حيث الأندلس بالخصوص كانت بلداً متعدّدة الألسنة، كان لا بدّ من مرونة نحوية مرحلية لتدريس العربية بالتركيز على باب فهم اللغة، وهو ما ينبغي على الدّارس تعلّمه، ويقول ابن حزم "وأقلّ ما يجزئ من النحو لمن ليست غايته التخصص فيه اكتساب الواضح للزبيدي، أو ما في نحوه كالموجز لابن السراج... وأما التعمّق في علم النحو ففضول لا منفعة، بل هي مشغلة عن الأوكد ومقطّعة دون الأوجب والأهم... وأما الغرض من هذا العلم فهي مخاطبة، وما بالمرء حاجة إليه في قراءة كتاب المجموعة في العلوم فقط، فمن يزيد في هذا العلم إلى أحكام سيبويه فحسن⁽¹⁾".

وبذا نرى منهج تلقين العربية في الأندلس ومقصوده تعليم النحو؛ فهو يقوم على المبادئ البسيطة جداً، أو ما يعمل على استعمال اللغة ببساطة باعتبار الأندلس له أكثر من لسان، على أنّ التعليم فيه لا يقاس على تعليم العربية في المشرق، بخلاف هؤلاء الذين لم يشربوا العربية في لغتهم الأولى. ولذا يرى الباحثون بأنّ منهج الأندلس في أساسه يرتكز على المرحلة الابتدائية وفق هذه الركائز:

"- القرآن الكريم؛

- الحديث النبوي الشريف؛

(1) - ابن حزم، الرسالة الرابعة، تح: إحسان عباس، ط1. بيروت: 1973، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج4 ص 66-67.

-المبادئ العامة للنحو والصرف؛

-القراءة؛

-رواية بعض الأشعار؛

-الأخذ بنصيب من الترسل والرسائل الأدبية؛

-تحديد الخطّ والكتاب والهجاء؛

- ما يحتاج إليه دارس المرحلة الابتدائية من بعض مبادئ العلوم⁽¹⁾. وهذا هو عماد تعليم النحو في الأندلس، ويمكن أن يكون ذاته في بلاد المغرب باعتبار الساكنة التي تملك أكثر من لسان للتواصل.

ثانياً: بخصوص التيسير النحوي: أبدأ تحليل هذا العنصر بالتذكير بمجموعة من الأفكار التي كنا نسمعها عن مرجعياتنا من المشايخ الثقات، وكانوا يقولون أقوالاً علمية، هي من الصواب إذا أعملنا النظر في وقتنا المعاصر، ومما يقولون:

➤ **إنّ النحو لا يُيسّر، إنّما تُيسّر الطرائق التدريسية، فالنحو استعمال للغة في مختلف المواقع؛ باعتبار اللغة (وضع واستعمال)؛**

➤ **النحو عماده علامات الإعراب، واللغة عمادها الحال والمقام ومقتضى الحال؛**

➤ **النحو قواعد ضمنية يقتضيها المنطق اللغوي الرياضي، والاستعمال اقتضاء منطقي للنحو إذا لم يكن هناك عارض لغوي لا ترغب اللغة في استعماله، وإذا تعارض النحو مع الاستعمال، فالاستعمال أولى؛**

➤ **التيسير يعني التدرّج في الأبواب، وإكمال للسابق حسب منطق اللغة؛**

(1) — خالد حسن أبو عمشة، العربية في الأندلس انتشارها وتعليمها -دراسة تأصيلية في تعليم العربية لغير الناطقين بها-. عمان: 2016، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ص 114.

- النحو المدرسي هو نحو مرحلي تدرّجي وظيفي، والتيسير هو التوظيف السليم الذي يأتي عن طريق التكرار والترويض والممارسة؛
- النحو قيّد، ولكنه ملّح اللغة، فلا تخلو لغة من قيود؛
- النحو يميل أحياناً إلى الجمود، والإبداع فكّ لقيّد النحو، ولهذا قالوا: يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره كما قال المبدعون: "علينا أن نقول، وعليكم أن تتأولوا" والإبداع يعمل على التطوير اللغوي الذي يقتضيه منطق النحو؛
- سلامة اللغة من مرونة النحو، والسلامة النحوية هي كثرة الاستعمال والتوسّع اللغوي ركن هامّ في عُرْف اللغات؛
- الفصاحة هي الإيجاز، والنحو يتطوّر بكثرة إنفاقه على أساليب اللغة؛
- التيسير النحوي من بين ما يعني هو التفريق بين النحو التخصصي والنحو التربوي...

لقد لقيَ موضوع تيسير النحو أو إصلاحه اهتماماً واسعاً في العقود الأخيرة وعقدت من أجله الكثير من المؤتمرات والندوات، ومع ذلك بقي الانشغال به مطروحاً، فما يزال متعلّم العربية يتلقّى العربية صناعة ويحتاج إلى إعمال الذكاء لعدم الوقوع في الخطأ وأنّ علامات الإعراب مهلّكة لكلمات العربية التي لا تستقرّ على صورة واحدة... وغير ذلك من الأفكار التي تطرح، والغاية من هذا ما هي أنجع وسيلة لتعليم القواعد النحوية بصورة ضمنية؛ يتلقّاها المتعلّم بسلامة نحوية، ولا يعرف المحلّ الإعرابي إلاّ بعد النطق السليم. وهذا الأمر يحتاج إلى الدراية بما يلي:

- لا توجد لغة أو استعمال لغوي دون قواعد ضابطة؛
- نظام العوامل في شبكات اللغات نظام منطقي في كلّ لغة، بخلافات متباينة؛
- صعوبة نحو العربية لا يكمن في القواعد، بقدر ما يكمن في مصاحبتها للنصوص التطبيقية والشواهد؛

➤ تيسير النحو يكمن في الاقتداء بأيسر طريقة للتعليم، وهي الطرائق الغائبة عندنا: الاستعمال الفصيح/ التعليم الانغماسي/ التفريق بين المستويات اللغوية/ التفريق بين تعليم النحو للمختصين ولغير المختصين/ التوظيف اللغوي الثنائي في اللغة الواحدة بحسب الحال والمتحدث إليه والمقام.

هذا وغيره من تلك العُقد التي استقحلت في العربية ففشلت التجارب؛ لأن أصحابها انطلقوا في قراءاتهم النقدية للتراث من منطلقات قاصرة، تتم عن غياب تصوّر واضح لتعليم النحو وما تقتضيه التطبيقات التربوية من مبادئ أساسية في صناعة تعليم النحو، فتحوّلت خاصية الوضوح والبساطة والسهولة إلى مقاييس يُعتمد عليها في تقييم التراث النحوي.

ثالثاً: **ضرورات تقتضي تيسير النحو:** لا يجب أن تركبنا العزّة بالإثم، على أن نصبغ القداصة الاجتهادية في مجال النحو للقدامي فقد أصابوا ولا يناقشون في المسألة، وأنّ المساس بالنحو مساس بالتراث العربي وما يتبع ذلك من كلام قد يكون البعض منه صواباً، ولكن الضرورة المعاصرة تقتضي العمل بتيسير النحو الذي لحقت بعض الشوائب التي تحتاج إلى تصفية، وإلى تشذيب الزائد أو ما ليس لنا فيه حاجة معاصرة أو لاحقة؛ لأنّ الضرورات تنحو منحى الاقتصاد في المكتوب وفي المجهود، وتيسير النحو يدخل في هذا الباب الذي يجعل العربية وظيفية علمية سهلة مطواعة، ويمكن سرد الضرورات التي أعزوها من فرض التيسير النحوي، وهي:

➤ كثرة الأخذ عن كلّ عرب لدرجة أدّى ذلك إلى التضارب في منهجية التحريات اللغوية؛

➤ كثرة التخريجات التي وصل الأمر ببعضها إلى الإسفاف اللغوي؛

➤ اختلاف المدارس النحوية المؤسّسة في ما بينها في مسائل أصبحت فيها الحدود النحوية خيارية لا إجبارية ضرورية؛

➤ كثرة التأويلات المفضية إلى الأبواب والشعب الخالية من المنطق، وأدت إلى قلب القواعد والأوضاع والتماس أوجه الخداع؛

➤ إغراق بعض النّحاة في الشواذ والتعليقات الفاسدة، والتقديرات الباردة ولا يقوم عليها فنّ ولا أدب؛

➤ النّحو أضحى مجالاً للمبارزات اللفظية التي أوصلت أصحاب اللغة إلى القول:

0 آفة اللغة النّحو؛

0 ضرورة تخليص النّحو من تعقيدات النّحاة؛

0 النفور من اللغة بسبب نحوها المعقّد لوجه العربية الجميل؛

0 عقم العربية من عقم نحوها؛

0 أصعب فنون العربية نحوها، لم يوضع لتيسيرها وتقريبها، بل لسجنها.

➤ اتّخاذ بعض النّحاة طرائق التعقيد للكسب المادي لا لتسهيل تعلّمها وتعليمها؛

➤ مناظرات نحوية بين بعض النّحاة قصدها الانتصار القبلي لا الانتصار

اللغوي السليم؛

➤ النّحو أصبح علماً للمتخصّصين لا نحواً لحسن استعمال اللغة سليمة

مطوعة؛

➤ الثورات العلميّة القائمة ضد التعقيد النّحوي مغراها ودلالاتها بأنّ النّحو

معقّد، وقد نالت صداها في أمصار العرب؛

➤ زحمة الحياة المعاصرة لا تتطلّب إعمال العقل في قوالب اللغة من حيث

الجوانب الشكلية؛ بقدر ما يؤدّي إلى التواصل اللغوي السليم؛ فاللغة استعمال؛

➤ ضرورة التعامل مع مسألة التيسير النحوي بحسب مقتضيات الراهن وهو امتلاك الحدود اللغوية العاملة على تبليغ الرسائل الكلامية بين المرسل والمستقبل بصورة واضحة لا تقبل التأويل.

رابعاً: المدرسة الأندلسية المغاربية: لم يشهد العالم الإسلامي انتشاراً واسعاً للمدارس مع تنوعها وتطورها مثل ما شهدته الأندلس وبلاد المغرب، حيث اهتمّ أمراء وسلّاطين العودتين ببناء المدارس، فقد خرجت المدارس التي بناها المرابطون في المدن والبوادي علماء أفذاذاً، كان لهم المقام العالي في المشرق كما كانت القبائل البربرية تسهم في تمويل هذه المدارس؛ بتخصيص بعض أعشار محصولاتها الزراعية وتحبيس بعض الأملاك من أجل الصيانة والتموين، وتحمل تكاليف المدارس والحواضر العلمية.

ومهما يكن من الأمر فإنّ المدارس والحواضر الأندلسية المغاربية كانت فيها المذاهب والنزعات النحوية المشرقية تنقسمها بين متشيع وغير متشيع، والحاصل أنّ:

➤ للمذهب البصري فضل السبق، وللمذهب الكوفي سعة الانتشار؛

➤ ظهور المذهب الظاهري انتصار أكثر لمذهب الكوفة؛

➤ أقوال (ابن حزم) تزيد من قوة الآراء الكوفية؛

➤ الثورة الظاهرية على المذهب المالكي في الفقه زمن ابن حزم صاحبها ثورة ظاهرية على المدارس النحوية، من خلال ثورة كتاب (الردّ على النحاة) الذي فتح باب الحاجة إلى مراجعة قضايا النحو؛

➤ امتياز المدرسة الأندلسية بميزة تعليم العربية لغير الناطقين بها، وهي إيجابية كبيرة لم يحصل مثلها في المدارس السالفة؛

➤ العمل بتلقين العربية تلقيناً يراعي الجوانب النفسية من: التشويق والتحبيب والترغيب في العربية لما لها من قدسية، وكانوا يستعملون قاعدة الحفظ بغير الترسيخ اللغوي؛

➤ استعمالها لمبدأ التكرار والترويض في الاستعمال اللغوي، عن طريق الممارسة في الحفظ الهادئ لبعض المتون؛

➤ تكييف العربية بما يتواءم واللغات المحلية؛ كي تتسجم مع واقع المتعلم، حيث يتعود في الصغر على الانسجام اللغوي بين اللغتين؛

➤ تكييف عناصر عمليات التعلم مع عناصر العمليات الملحقة: المعلم + المتعلم + عناصر الدرس + منهجية التدريس + البيئة الجغرافية + عمر الفئة المتعلمة + زمن التعلم.

➤ تكييف المادة التعليمية وفقاً لآليات البيئة ومقتضيات محصول الدرس في توظيف ما يدخل في عمليات استعمال العربية البسيطة، وهي التواصل السليم؛

➤ البعد عن الإسفاف والتمحل اللغوي الذي يزيد في تضخيم المادة النحوية، ويؤدي إلى مزيد من التعارض وعدم الاتفاق؟

وكل هذا يتغيا تيسير تعليم العربية حتى تكون ملكة ترسيخية قادرة على الفهم والتفهيم ويسلكون في ذلك التيسير، وعدته في البداية التعسير، دون أن يهرب من التبعية، انطلاقاً من قول أحدهم "اللغة لا تخلق على لسان أحد بل لا بد من التقليد والمحاكاة".

خامساً: بخصوص المنهج التيسيري الأندلسي المغاربي: مما لا شك فيه أن منهج الأندلس التأثيري كان يعود لمدرسة الكوفة في أول الأمر، وهذا ما يظهر في ابن حزم، وفي مؤلفات ابن مضاء، وفي مؤلفات ابن مالك الأندلسي صاحب الألفية... ولكن أثر منهج البصرة واضح في بعض مؤلفات الأندلسيين؛ كابن حيّان الأندلسي، والشلوبيني، وابن خروف، وابن الطراوة، وابن عصفور، وابن هشام الخضراوي... وبذا يمكن تلخيص ذلك في أن النحو الأندلسي سماعي مع ميل إلى القياس، وفيه نزعة انتخابية. ويعني أن الأندلس صبت غاياتها النحوية على النحو الكوفي، ومن ثم أقيمت على النحو البصري، بالمكانة التاريخية لكتاب سيبويه، وما حظي به من حفظ وتدريس وشروح، ثم عملت بمبدأ الانتقاء كفعل المدرسة البغدادية. ومع كل ذلك، فإن لها صولات تخريجية منافية للمدارس الثلاث

في التخريج الذي لم يحصل وهو بناء المنظومات النحوية والاحتجاج بالحديث النبوي الشريف.

ويمكن تلخيص منهج الأندلس في أنه يرتكز على نزعة أندلسية مغاربية قوامها تبسيط النحو ضمن مشروع ظاهري بقول باحث "الحظ لمن أثر العلم، وعرف فضله أنه يسهل جهده ويقرّبه بقدر طاقته ويخضعه ما أمكن، بل لو أمكنه أن يهتف به على قوارع طرق المارة، ويدعو إليه في الشوارع السابلة وينادي عليه في مجامع السيارة" ... "ويخلص الباحث إلى أن مميّزات التعليم في بلاد الأندلس والمغرب الجnoch إلى التبسيط. ولذلك عوامل متعدّدة أبرزها إدراك العلماء لوظيفة النحو الأساسية المتمثلة في تصحيح استعمال العربية نطقاً وقراءة وكتابة، وهذا لا يتحقّق بالأُمالي المطوّلة والمؤلّفات الضخمة التي تتوّء بحملها الأذهان المبتدئة بل يكفي اليسير منها، ممّا يسهل حفظه وتمثّله. وقد ظهر هذا واضحاً في متن الأجرومية ومؤلفات السادة الشناقطة كالأحمرار للمختار بن بونا، والنقحة القيومية لسيدي الكبير حتى إنّ ثمرات التدريس سرعان ما أتت أكلها؛ إذ تذكر المراجع أنّ نطق الطلاب بالمران والتدريب استوى على عوده دون سائر البلاد الأخرى وسارت فيهم سليقة يرضعونها من أئداء أمّهاتهم⁽¹⁾. وهذه بصفة مختصرة المنهج التيسيري في الأندلس والبلاد المغاربية.

سادساً: المحدّدات الكبرى للمنهج التيسيري الأندلسي المغاربي:

التيسير الأندلسي المغاربي هو التدرّج المرحلي الآتي:

— البداية بأمتلّة من الواقع؛

— الانتقال إلى تعليم الأجرومية وما يتبعها من الفقه النظامي؛

(1) — نعمان بوقرة "قراءات تمهيدية في تيسير تعليم النحو عند المغاربة والأندلسيين ابن حزم وابن أجروم والمحاضر الشنقيطية أنموذجاً" أعمال الملتقى الوطني حول تيسير النحو. الجزائر: 2001، بتاريخ 23-24 أبريل 2001، المكتبة الوطنية.

— الانتقال إلى تعليم ألفية ابن مالك؛

— الانتقال إلى المتون، وبخاصة الكتاب لسبويه وبعضاً من شروحه.

➤ التيسير الأندلسي المغاربي يعني المحافظة على القديم، بإلباسه خصائص العصر؛

➤ التيسير الأندلسي المغاربي يعني التفريق بين النحو المختصّ والنحو التربوي.

سابعاً: منهج تيسير النحو في مدرسة الأندلس خاصة: في كتابنا الموسوم (في أصول النحو) وصلنا إلى استخلاص المنهج التيسيري لمدرسة النحو الأندلسية، بعد استكناه الدراسات الخاصة بالمدرسة ووصلنا إلى ما يلي:

➤ دفاعها عن القراءات القرآنية جميعها، واستشهادها بالقراءات الشاذة؛

➤ كثرة الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف؛

➤ أفكار جديدة في العلة؛

➤ أفكار جديدة ضد التمارين غير العملية؛

➤ نفور من كثرة العلة؛

➤ وما تفرّدت به هذه المدرسة:

➤ وضع وحفظ المتون والشروح؛

➤ وضع المنظومات التعليمية؛

➤ نشدان التيسير النحوي.

ومن خلال كلّ المذكور، نصل إلى أنّ غايات منهج المدرسة الأندلسية في تيسير النحو كانت غايات تيسيرية بغية التحكم في آليات التمهّر في علوم العربية نطقاً وكتابة، وكانت بخطة عمل مرحلية تناسب البيئة اللغوية التي تعيشها بلاد الأندلس والمغرب، وذلك ما استدعى منهجاً مخالفاً غير ما كنا نقرأ عنه في المدارس النحوية في المشرق، وقد لخصّ الباحث (خالد حسن أبو عمشة) كلّ ذلك في النقاط الثلاث هي:

1- سعى المنهج النحوي الأندلسي إلى تحقيق الهدف الاتصالي في المرحلة الأولى؛ وذلك بتعلم النحو دون الدخول في تفاصيله وعلله وتشعباته وفروعه. وسياستهم في ذلك القدر الذي يسمح لهم بالمخاطبة وتلبية احتياجات الطالب منه في فهم الكتب أو ما يقرأ. كما أن المنهج الأندلسي حرص لطائفة أخرى أن تتعمق في دراسة النحو، وأغلب الظن أنها مرحلة التخصص؛ حيث يتناولون هناك النحو بكل تفاصيله وفروعه وأصوله وعلله وتشعباته.

2- إن أتباع النظام السابق سمح للأندلسيين بالتفوق والإبداع في المجال النحوي رغم أن نسبة كبيرة من مستوى أهل الأندلس في نبوغهم ونباهتهم، فقال ابن نسّام متحدثاً عن ذلك ("فكان القالي يصل كلامه بالتعجب من أهل هذا الأفق الأندلسي في ذكائهم، كما أن أبا جعفر البغدادي وهو من ذلك الفريق المشرقي الذي كان يظن الأندلس قطراً متأخراً في الأمور العلمية، فلما شاهد ما فيها من نهضة علمية خرج معجباً بما رأى، قال لمن سأله بعد عودته منها إلى المغرب كيف تركت الأندلس؟ والله لقد رأيت ما لم أتوهم أن أراه مع نأي دارها، لقد رأيت فقهاً وشعراً ونحويين وأدباء").

3- تراوحت الكتب التي كانت معتمدة في مادة النحو العربي على قسمين: القسم الأول الكتب الواردة إلى الأندلس، وأهمها الكتاب لسبويه، والجمل للزجاجي والإيضاح لأبي علي الفارسي، والموجز لابن السراج. والقسم الثاني هي الكتب التي وضعها أو صنفها الأندلسيون أنفسهم، وكانوا يتدارسونها في معاهدهم العلمية ومنها المسائل والأجوبة لابن سيد البطليوسي النحوي والمقدمات على كتاب سبويه لابن الطراوة، ونتائج الفكر للسهيلي، والواضح للزبيدي ولعيسى الجزولي الأندلسي مقدمة مشهورة في النحو وهي حواش على كتاب الجمل للزجاجي، والتوطئة لعمر

بن محمد الشلوبيين، والمقرّب والممتع في التصريف لابن عصفور وغيرها، ولابن مالك ما سبق ذكره⁽¹⁾.

ثامناً: موقفنا المعاصر تجاه منهج المدرسة الأندلسية المغربية: لسنا في موقع التشييع لأفكار هذه المدرسة، بقدر ما يمكن القول، بأنّ المدرسة الأندلسية المغربية لها صفة الإبداع في كثير من جوانبها للمدارس الثلاث، ولها صفة الإبداع بما لها من تصريف حال اللغة في مقامات من مثل:

- تعليم اللغة لغير الناطقين بها؛
- ما يستدعيه من منهج التشويق والتمثيل والتدرّج؛
- مراعاة حال المتعلّم وزمانه وسنّه؛
- ما توصي به الدراسات المعاصرة، من أنّه من الضروري بمكان أن يقع التحولّ المنهج في تعليم النّحو ليستجيب للآتي:
- التنبيه بأنّ النّحو جهاز كامل، وأنّ أيّ حذف قد يؤدّي إلى تعطيل التواصل؛
- أزمة النّحو تكمن في تجاهل المناهج المدرسية للطرائق الحديثة وهي: الانتقاء والتخطيط والعرض والترسيخ، وإهمال الممارسة اللغوية؛
- ضرورة الإفادة من نتائج البحوث التي أجريت في مجال اللسانيات وعلم تدريس اللغات؛

- تحديد درجة التيسير في النّحو والهدف منه، ونعلم بأنّ هناك فرقاً بين تبسيط القواعد الثابتة في النّحو، وبين تبسيط الطريقة التي يقدّم بها النّحو؛
- مدار تيسير النّحو لا ينبغي أن يخرج بنا إلى الإخلال بنظام اللغة؛ حيث تُصَرّف الجهود في المسائل العالقة فقط، بدل أن نراجع المنظومة النّحوية في كلّ مرّة؛

(1) — العربية في الأندلس انتشارها وتعليمها. عمان: 2016، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ص 161-163.

➤ نجيب عن الإشكالات التالية: كيف نجعل مادة النحو سهلة ولها إجراءات دلالية؟ كيف نجعل المادة النحوية تترسخ، وتكون وسيلة تواصل منطقية سليمة؟ كيف نتدرّج في المضمون التعليمي؟ ما هي القواعد الأساس في المضمون الدراسي؟ كيف نتدرّج في عمليات التلقين المرحلية؟

➤ المدار الرئيس الذي ينبغي أن يتأسس عليه تعليم النحو، هو الوصول إلى النحو الضمني بفكرة التمرّس اللغوي، وكثرة التمارين الترسّخية، وإطالة التدريبات اللسانية الشفاهية، مع التصحيحات الفورية؛

➤ ضرورة اعتماد الطرائق التربوية لنحو نظري يكون منطلقه من الرسومات والبيانات والتشجيرات التي تعمل على التوضيح، مع الرجوع إلى الشواهد القديمة؛

كلّ هذا يتطلّب منّا تكوين معلّم تربوي باحث، له القدرة على التكيف الموضوعي مع مفردات مادة النحو، ومع كلّ النصوص والمناسبات التي تستدعي ترسيخ مادة نحوية. وعليه، فإنّ العول على الكفاءات اللغوية الجامعية التي نروم أن تعمل النظر في المادة النحوية، بإنتاج أفكار في مستوى طموح المدرسة الجزائرية المعاصرة في جيلها الجديد؛ لجعل النحو مادة على غرار المواد الأخرى سهلة بسيطة محسنة للأداء لا يحصل منها النفور، ولا تُزبر النفوس، ولا تُزعج المتلقين.

وهكذا، فنحن والتراث في موقع تكامل، بحاجة إلى تعليم عربي مستمدّ من تراثنا بما يتناسب وآليات العصر، بتحيين المنهج، وإعادة النظر في أهداف تعليم النحو؛ ليكون التعليم من أجل هدف التواصل الصحيح، والتفريق بين تعليم النحو لغايات تربوية، وتعليم النحو لغايات تخصصية، والاهتمام باللغة في الكتاب والمدرسة والمسجد والجامعة، وكذلك الاهتمام بتكوين المكوّن؛ فهو عمدة درس اللغة؛ ليكون في مستوى التملك لآليات الغزارة العلمية، والقدرة على تمثّل التربويات، والتعامل السريع مع التقنيات الحديثة، ومواكبة البحث العلمي التربوي.

تاسعاً: هل للبلاد المغاربية مدرسة نحوية؟ يصعب أن نقول بأنّ لبلاد المغرب مدرسة نحوية على غرار المدارس التي نقرأ عنها، ولكن نعلم بأنّ معظم علماء

الأندلس درسوا في حواضر بلاد المغرب كما أن علماء المشرق حلّوا بهذه البلاد، بل درسوا وأفتوا في مسائل النحو، كما وجدنا كلّ النّزعات النّحوية والمذاهب اللغوية والكتب المؤسّسة للنحو لها مقامها في هذه البلاد. وهذا ما يشفع لنا بالقول بأنّ نقول هناك إرهاصات لمدرسة نحوية مغاربية بما لها من: منهج إتباعي في غالبه، هناك مريدون وهناك رباطات وحواضر علمية، وهناك منهج أندلسي إبداعي وهو الطاعى في الدراسات المغاربية وهناك بعض الاجتهاد في تدريس الأجرومية+ ألفية ابن معطٍ+ ألفية ابن مالك. وما تزال الأبحاث المعاصرة تتحو في مسيرتها نحو استكمال فعل السلف في تجسيد تلك الإرهاصات بما لها من أفكار التيسير النّحوي من خلال منتوج هذه البلاد، ومن المدارس اللسانية المعاصرة. ولا نغمت حقّ البحث النّحوي في بلاد المغرب ممّا نقرأ عن مدرسة شنقيط النّحوية + مدرسة بجاية في الصرف+ مدرسة الفقه في المغرب+ مدرسة المنطق في تونس+ مدرسة التاريخ في ليبيا.

— خاتمة: إنّ بلا منازع، فإنّ للمدرسة الأندلسية المغاربية وقفاتٍ نوعيّة إضافية بما لها من:

- المحافظة على المتن القديم للمدارس السالفة في ظلّ الاتباع؛
- الإبداع العلمي بما لها من إضافات في ظلّ الإبداع؛
- التكامل الأندلسي المغاربي بما يعرفه التنافس في الأفضل، ومواصلة المسيرة الجديدة بنوعية؛ كفعل ابن مالك الذي قال في مقدّمة ألفيته:

قال محمد هو ابن مالك أحمد ربّي الله خير مالك
مُصلياً على النّبىّ المُصطفى وآله المُستكملين الشُّرفا
وأستعين الله في ألفيته مقاصد النّحو بها مَحوية
تقرّب الأقصى بلفظ موجز وتبسط البذل بوعد مُنجز
وتقتضي رضا بغير سخط فائقة ألفية ابن معطٍ

وهو بسبق حائزٍ تقضياً مُستوجِباً ثنائي الجميلاً
والله يقضي بهيات وإفرة لي وله في درجات الآخرة

➤ ظهور علماء أفاض في غير المدارس السالفة، مثل مدرسة مصر النحوية التي ظهر فيها (ابن هشام الأنصاري) الذي قال عنه عبد الرحمن بن خلدون 808 هـ: "وما زلنا، ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالمٌ بالعربية؛ يُقال له ابن هشام أنحى من سيبويه. وقال عنه مرةً أخرى: "إنّ (ابن هشام) عالمٌ جليل يشهد بعلو قدره في صناعة النحو، وكان ينحو في طريقته منحى أهل الموصل الذين اقتفوا أثر ابن جني، واتبعوا مصطلح تعليمه، فأتى من ذلك بشيء عجيب دالّ على قوة ملكته وإطلاعه". وهذا يعني أنّ المدرسة المغاربية الكبيرة بما لها من أجرومية تعليمية نالت الآفاق في الإبداع لا مثيل لها. وإنّ اعتماد الكثير من المعلمين على الأجرومية ومختصراتها وشروحها لهو الدليل القطعي الطيب من شجرة النحو الميسرة.

➤ المنهج التيسيري الأندلسي المغاربي المعتمد كان فتحاً كبيراً لهذه المدرسة بما نالت من قبول في المشرق في الماضي وفي الحاضر، وفي بلاد المغرب في الماضي وفي الحاضر.

— مقترحات: يقضي العرف الأكاديمي تقديم المقترحات التي أروم أن تكون في خدمة الدرس اللغوي الحديث، وهذا بعد إعمال النظر في ما يقدمه المختصون من وراء هذا الملتقى، وتكون المقترحات مجمعة في خيط واحد، تقدّم لمن يهّمه الأمر، من الأكاديميين والجامعيين والباحثين وكلّ من يروم خدمة العربية لتكون لغة الاستعمال العفوي البسيط. وأقدّم المقترحات التالية:

➤ العمل على جعل العربية مورداً اقتصادياً وسياسياً بعيد المدى، حاسم الأثر عميق النتائج تحت استراتيجية علمية عليا؛ للخروج بالعربية من الانكماش الشعري والبلاغي إلى لغة بلاغ عالمي تأثيري وإعلامي تتفوق بالعلمية والإبداع ولا تتسحب أمام اللغات العلمية؛

- العمل بمشاريع النهوض اللغوي المرتكزة على أهمية اللغة العربية وتدريسها كلغة تخصص في الصناعات وفي الحرف واستخدامها إلى أقصى مداها كلغة تواصل في كل الأماكن والمهن؛
- العمل بجدية وصمت، في تجسيد الفعل الذي يقابله التطبيق، وفي ظلّ المصالح المرسلّة لتحقيق الفعالية اللغوية التي تحتاج إلى عقلنة ملموسة؛
- التأكيد على مشروع النهوض بالعربية عربياً ودولياً؛ وهو مشروع اقتصادي وحضاري وسياسي، والعمل على دعمه في الداخل وفي الخارج لاستعادة العربية ازدهارها وتألقها؛
- مواصلة مسيرة المجدّ لسلفنا الصالح في تثبيت العربية؛ حيث دخل الإسلام تكون العربية وتجسيد الشوق والحنين إلى العربية في أفريقيا وآسيا وأجزاء من أوروبا إلى العرب والعربية على أنّ العربية من مكمّلات الدين؛
- جعل تيسير النحو مشروعاً حضارياً؛ لتتال العربية مواقعها بين لغات العالم وتعود لها الريادة العلمية، وتخرج من السبات الذي طالها منذ خمسة (5) قرون وصولاً إلى سهولة تعميم استعمالها.

نحو مصطلح موحد في العلوم القانونية^٧

السادة الحضور، السلام عليكم، وبعد؛

إنّ هذا العمل الجماعي يأتي في إطار التّنادي لصنّع قرار الاتّفاق العلمي بين: المجلس الإسلامي الأعلى، والمجلس الأعلى للغة العربية، وجامعة الجزائر 1، في شراكة علمية بين هيآت الدولة الجزائرية التي تعمل على خدمة الشأن العام. ويكون هذا العمل من فكرة البروفيسور (على فيلاي) الذي هالَهُ أمرُ فوضى المصطلح القانوني، فتداعى وفريقه لحمل القضية المشكلة إلى أعلى المؤسسات، وكانت الاستجابة سريعة؛ بغية الحدّ من فوضى مرادفات عدّة للمصطلح الواحد، وكان ذلك سبباً في عدم تحديد المفاهيم بين المُعلّمين والمتعلّمين، بل وصل الأمر إلى إغماط حقّ الأطراف المتقاضاة بسبب هذه الفوضى، وقد ينتهي الأمرُ إلى تعديّ طرف على طرف بسبب التعدّد المفهومي المبني على الخلاف لا الاختلاف.

وكما قلتُ، فقد لقيَ أمرُ التّنادي لحلّ مشكلة المصطلح القانوني إلى حزم أمرها من لجنة علمية هي وليّها، فكان من نتائج ذلك تتصيب لجنة علمية بتاريخ 13 أوت 2017، بمقرّ المجلس الإسلامي الأعلى بإمضاء اتفاقية إنجاز القاموس/ الدليل بعنوان: **نحو مُصطلح مُوحّد في العلوم القانونية**. ومن ذلك التاريخ، فإنّ اللجنة العلمية للقاموس تعمل على جمع المُدوّنات، وعلى جمع الاستشارات، لسدّ الثغرات. وفي الأخير رأّت ضرورةَ إنجازِ اليوم الدراسي بغرض السماع إلى من يهتمهم

^٧ كلمة أُلقيت في اليوم الدراسي حول (المصطلح القانوني: لغة علمية وواقع عملي). الجزائر: مقرّ المحكمة العليا في 04 ديسمبر 2017. إنجاز: المجلس الإسلامي الأعلى + المجلس الأعلى للغة العربية + جامعة الجزائر 1.

الأمر، بغية حسن إخراج القاموس/ الدليل في صورة أفضل، ودون خدوش لغوية، أو ما يدخل في القول المكرور.

أولاً: المنتظر من هذا القاموس:

1- العمل على توحيد لغة القانون، وهي لغة الحق التي لا يقع فيها الغموض ولا اللبس.

2- الحدّ من ظاهرة الخلاف في التقاضي بسبب الاختلاف في المفهوم.

3- العمل على توحيد مصطلحات العلوم القانونية التي تحلّ قضايا عالقة وربما قضايا قانونية سوف تُطرح لاحقاً.

4- تحديد المفاهيم بين أهل الاختصاص: الأستاذ والمحامي والقاضي والإداري، وما يدخل في دائرة التقاضي.

5- البدء بفكرة إنجاز القاموس الموحد للعلوم القانونية فكرة وطنية، ومن ثمّ توسيعها مغاريباً ومن ثمّ لم لا تكون قومياً.

ثانياً: منهجية إنجاز هذا القاموس:

1- جمع مُدَوّنة المصطلحات القانونية.

2- العودة إلى المصادر والمّظان، وإلى المُدَوّنات الورقية والإلكترونية.

3- الاستهداء بالقواميس المُنْجزة، وبخاصّة ما يخرج عن المُؤسّسات العاملة على التوحيد المصطلحي.

4- التنكير ببعض الخصوصيات اللغوية للمُصطلح في بلادنا.

5- إعمال النظر العلمي للاتّفاق على المُصطلح الشائع.

6- ترجيح مُصطلح على آخر؛ حالة شيوع أكثر من مُصطلح.

7- وضع المُصطلح، وما يقابله من شرح، مع مقابله الفرنسي والإنجليزي.

8- الاستشهاد بمسكوكات ذات العلاقة حالة ما يتطلّب المقام ذلك.

ثالثاً: أهمية هذا القاموس: قد لا يخلد في البال؛ بأنّ للقاموس الموحد قيمةً نوعيةً انسجاميةً بين مُستعملي المصطلحات القانونية، وفي ذات الوقت تكمن أهميته في أنّه يعمل على توضيح المرامي والغايات في لغة اصطلاحية مُتفق عليها، لغة تعمل على التحديد الدقيق للغة العلوم القانونية التي لا تزال محلّ جدال، بسبب الفروق المعرفية والثقافية في الأرضية المعرفية للمستعملين وللأساتذة، وبسبب اللغة التي تكون مرجعاً. ولهذا فإنّ هذا القاموس نأمل منه أن يحلّ مشكلة تعدّد المصطلح في صورة تميّط مصطلح واحد لمفهوم واحد. مصطلح واحد يحمل دلالة واحدة. مُصطلح واحد يحمل ثقافة ونمذجة واحدة. ولا يمكن أن نخفي أهمية هذا القاموس الذي نروم أن يكون مُدونة تترجم إلى اللغة الأمازيغية، بل يمكن تخصيص خانة للمصطلح الأمازيغي، ونكون في موقع خدمة المواطن اللغوية. وإلى جانب هذا، فإنّ الأهمية تكمن في:

1- العمل على تميّط المصطلح؛ وفق برمجية خوارزمية تُتجز من أهل المعلوماتية لوضع المصطلح بصورة نمطية ووفق خصوصيات بناء القواميس والمعاجم، ووفق ما تكتنزه بنوك المصطلحات من برمجيات ذكية.

2- خلق فرق بحث في الدكتوراه في الصناعة القاموسية، وإنجاز المعاجم بطريقة مُعاصرة. وكلّ ذلك يدخل في التهيئة العلمية بمأسسة المجالس والجامعة في مُنجز السلف، ويكون أرضية لمنتوج اللاحق فإنّ كان للسابق فضلُ السبق فإنّ للاحق فضلُ المُستزید.

3- تخزين مادة هذا القاموس في المعجم التاريخي للغة العربية، وبذلك يُثرى المحتوى الرقمي للمؤسسات المُنجزّة، مع نبّليها التصنيف العالمي.

4- عولمة المصطلح القانوني في سوق الاستعمال، وبدوره يعمل على شيوع المصطلح، وتندخل قاعدة البقاء لأفضل وأخفّ وأيسر مصطلح.

رابعاً: مواصفات هذا القاموس: سيكون هذا القاموس دليلاً وطنياً يكون في متناول كل من يهّمه الأمر، وسوف يكون وفق نمط أشكال القواميس والمعاجم.

1- يكون القاموس مفتوحاً، في صورة القاموس القانوني الموحد، ومنه تصدر قواميس صغيرة متخصصة.

2- يكون القاموس في مبدأ الأمر خاصاً في شكل قاموس مُوحّد.

3- يتّخذ القاموس ثلاثة أشكال صورية:

1/3- نسخة ورقية.

2/3- نسخة قرصية.

3/3- نسخة على الشبكة في مواقع الهيئات الثلاث.

4- يكون القاموس محلّ تجربة أولية، وعلى ضوء النقود العلمية تأتي عملية التحسين في المنجزات اللاحقة.

خامساً: أهمية هذا اليوم الدراسي: لا يمكن أن نسير إلى الأمام بنجاح؛ دون الأخذ برأي أهل الاختصاص، ولا دون السماع للأطراف التي تستعمل المصطلح وتعيش تعدّد المفهوم للمصطلح الواحد لعدة أسباب. ولعلّ هذا اليوم الدراسي الذي يحضره المختصّون، كفيل بأن ينيّر دربنا نحو صنع مُصطلح واحد بمفهوم مُتفق عليه. ولذا، لا نعدم فوائد المنتظرة، ومع ذلك، فإنّ أذاننا مُصغية لكل رأي علمي يعمل على تقديم أفكار جادة في مستوى لغة الحق. وسوف نستمع للمُحاضرين وللمُتدخّلين المُثريين للمناقشة في صورتها النوعية العاملة على النقد المُضيف لا النقد المُنيف. ولذلك نريد نقوداً تعمل على التحسين وتقديم النوعية، وهذا ما لا يجب الهروب منه؛ لأنّ أساس النجاح هو الاستماع للأطراف المعنوية.

أيّها الحضور، حان الوقت أن يقع الاهتمام بتحسين مُدوناتنا، وأنّزّ الحين أن نجتهد في تقديم الأفضل، وجامعاتنا تُخرّج مُخرجاتٍ نوعية. فالعول على أساتذتنا وطلابنا ومخابرنا وبنوك مصطلحاتنا وعلينا جميعاً أن نصنع طريق النجاح والذي

لا يكون إلا بالصناعة الجماعية، وبمستوى التتميط المصطلحي في بنوك المعطيات التي تعمل على وضع المصطلح الموحد وفق منجزات الدول الناجحة في هذا المجال، إضافة إلى ما يتبع ذلك من وضع الخطوات العلمية التي لا بد من سلوكها؛ للوصول إلى المتفق لا المختلف، ولنعمل في هذا المضمار بما أوتينا من خيرات، وما لنا من إطارات، ولنبدأ، فالطريق المعبد والجيد تصنعه الأقدام أولاً.

وأخيراً، من لا يشكر الناس لا يشكر الله، فالشكر لرئيس المجلس الإسلامي الأعلى الذي فتح أبواب المجلس لهذه اللجنة فحسب أداء مهامها، وبذلك فاللجنة تعمل بأريحية مطمئنة، واستطاعت أن تصل إلى نسبة معتبرة من المنجز الحقيقي قبل الأوان، وهو الذي تروته في هذا اليوم الدراسي. وتحياتي لكم جميعاً، وتحايا المجلس الأعلى للغة العربية للعاملين على خدمة الشأن العام، ولأساتذتنا المبرزين لهذا القاموس، فهم رجال الشأن العام، فأنعيم بهم من رجال! والتشكرات الخالصات لوزارة العدل، ولأمانة العامة للحكومة، وللمجلس الدستوري، وللمحكمة العليا ولرجال القضاء، ولملتلي المجالس، وللمترجمين ولكل من جاء ينوب وزارته ولكل من يعكف على خدمة الوطن، ولكل الفاعلين في ميدان الحقوق؛ وهو ميدان الحياة اليومية، فهم في خدمة المواطنة. والشكر لكل الذين حضروا وحضروا وللذين يحاضرون وللذين يعقبون ويضيفون ويهدون العيوب ويقدمون البديل. تحايانا الصباحية البهية، ونقول لكم: اعضدونا بما تروته يعمل على حسن الأداء وبارك الله في خطواتكم، والسلام عليكم جميعاً.

كلمة اليوم العالمي للغة العربية^٧

18 ديسمبر 2017

أيُّها الحضور: إنّه لمّا يُبهج النفس ويملؤها بالفخر والاعتزاز، أن يُكرّم الإنسان في هُويته اللغوية ويتضاعف هذا الشعور حين يكون التكريم كونياً لذا فإنّ الاعتراف العالمي باللغة العربية؛ هو تخصيص يوم احتفائي كلّ سنة يُدعى (اليوم العالمي للغة العربية) وهو في الحقيقة اعتراف بالدور الإنساني الذي قامت به اللغة العربية بما لها من ثقافة وتراث، وبما أرسّته من قيم حضارية إنسانية، وما قدّمته من فتوحات فكرية وعلمية وبما نشرته من معاني الأخوة والتسامح والمحبة والتحضّر والرفق عبر تاريخها الطويل فكان ذلك بحقّ إسهاماً حضارياً عالمياً وهي تستحقّ التكريم في مضمونها وفي شكلها. ويكون تكريس اليوم العالمي للغة العربية بعنوان الاعتراف بهذه اللغة بوصفها اللغة الإنسانية التي أسهمت في مكوّنات الثقافة الإنسانية.

— مسار ترسيم العربية لغة أممية: يجدر بنا التذكير بتلك المحطّات الكبيرة التي عاشتها العربية وهي تنتقل الهوينى؛ ومن شطّ إلى شطّ بخطى مضمونة؛ إلى أن أصبحت لغة أممية، وكان المنطلق سنة 1948 حيث أعلن المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثالثة المنعقدة في بيروت أنّ العربية يجب أن تكون لغة العمل الرسميّة للمؤتمر العامّ إلى جانب الفرنسية والإنجليزية". ومنذ ذلك الوقت يُجدّد الطلب على مراحل وذلك عبر سنوات: 1960 وفي 1964 وفي 1966، وفي 1967، وكلّ المؤتمرات توصي بجعل العربية لغة العمل في اليونسكو، ثمّ

^٧- أُلقيت الكلمة بالمكتبة الوطنية بتاريخ: 18 ديسمبر 2017، بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية.

سنة 1973 حيث دفع الإقرار بتلك التوصيات إلى التحقيق، وأقرّ بها لغة عمل رسمية وعُمل بها في الترجمة في دورات المجلس التنفيذي في ذات السنة. وأدرجت في جدول الأعمال في سنة 1974 بناء على طلب حكومات: الجزائر والعراق، والكويت، والمملكة العربية السعودية، واليمن وتونس وجمهورية مصر العربية، ولبنان. ووقع التصديق على الإقرار في الأمم المتحدة، وفي اليونسكو لتعزيز مقامها في الترجمة منها وإليها.

إنّه، ومنذ أزيد من سبعين سنة (70) من الإصرار على أن تكون اللغة العربية لغة عالمية، ويتحقّق الإصرار وتصبح العربية لغة رسمية سنة 1973— وتكون مثيلاً للغات الخمس في الجمعية العامة للأمم المتحدة وفي وكالاتها التالية: منظّمة الصحة العالمية+ منظّمة الأوبك+ اتّحاد الاتّصالات الدولي+ منظّمة الأغذية والزراعة (الفاو)... ويضاف إليها بعض الوكالات التابعة للاتّحاد الإفريقي. إلى أن تمّ تعيين يوم 18 ديسمبر سنة 2012 يوماً عالمياً للاحتفاء باللغة العربية. وهكذا أصبحت العربية واحدة من اللغات الست العالمية بقرار رقم 3190 وهذا باقتراح قوي من الدول العربية في أكتوبر 2012 إلى المجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو. وفي هذا السياق احتفلت اليونسكو عام 2012 للمرة الأولى بها اليوم، واعتمد بشكل رسمي يوماً عالمياً للغة العربية كأحد العناصر اللغوية الأساسية في برنامج عملها لكل سنة. ولذلك، فإنّ هذا الاعتراف الدولي باللغة العربية لم يكن مجانياً ولا صدقةً من صُدَف الزمان العابرة، بل جاء نتيجة نضالات على مستوى الأفراد والدول والجماعات، وكان محصلة إرادات الأجيال من المؤمنين والمخلصين للغتهم؛ ممن امتزج لديهم الدفاع عن الوطن؛ بالدفاع عن اللغة والدين والهوية امتزاجاً كلياً دونما انفصال.

— **المكانة العالمية للغة العربية:** ينقل لنا التاريخ بأنّ العربية لغة عروبية عاشت مع الكنعانية والآرامية والسبئية والبيزنطية وغيرها من اللغات، انقرضت كلّ تلك اللغات وتدنصرت العربية، فلماذا انقرضت اللاتينية ولم تنقرض العربية؟ وهل عولمة الإنجليزية هي الديناموس الذي لا ينقرض؟ وكيف يمكن أن تكون مع الانجذاب اللغوي؟ تلك إشكاليات كبرى نروم الإجابة عنها بالقول: إنّ العربية هي

الديناصور الذي لا ينقرض ماتت أخواتها، وبقيت الوحيدة الصامدة من أرومتها بقيت محتفظة بمعابرتها رغم اختلاف الأزمنة التاريخية بقيت تتوسع مكاناً واستعمالاً رغم كثرة المضايقات، بقيت تعيش التطور رغم بعض الفقر العلمي وبذلك تدنصرت رغم بعض الإهمال. العربية لا تنقرض وهكذا كتب عليها الزمان أن تكون لغة الحياة التي لا تكون لها لذة دون عراك. تبقى العربية تعيش محطات مقاومة؛ تعمل على رفدها كلغة حياة لها ما لها من الحضور والوجود ما لا يوجد في غيرها من اللغات.

ويجب أن نفرّ بأنها لغة لن تنقرض إلا بانقراض أهلها والناطقين بها، أو إذا انتقص وزنها العالمي والحضاري، ولن يكون ذلك بحكم ثلجها الذي يتكور ويكبر ولا يذوب فقد أصبحت لغة الملايين من البشر التي تنطق بها في كل القارات من عرب وغير عرب بوصفها لغة أساساً لدى العرب، ولغة أولى لدى غير العرب ولغة ثانية لدى بعض الأمم، ولغة اختيارية في كثير من الدول إضافة إلى ما يقرب من ملياري مسلم تشكل لديهم حضوراً أساسياً في حياتهم وفي فكرهم من خلال عباداتهم وأخلاقهم، وتمثل وجوداً مقدساً بحكم ارتباطها بالقرآن الذي هو نصّ عربي يتمنى كل مسلم عربي أو غير عربي أن يقرأه بلغته. وإنّا لا تحتاج إلى التذكير بمقامها الاستعمالي في العالم، ولكن المناسبة تحتاج منا ذكر ما يلي:

تأتي في المرتبة الثانية من حيث عدد الدول المتحدثة بها وفق هذا الترتيب: الإنجليزية 101 دولة. العربية 60 دولة. الفرنسية 51 دولة. الصينية 33 دولة. الإسبانية 31 دولة. الفارسية 29 دولة. الألمانية 18 دولة. وبالنسبة لـ 60 دولة تستعمل العربية كما يلي: 22 دولة أعضاء بجامعة الدول العربية + 26 دولة فيها العربية لغة أجنبية أولى + 12 دولة فيها العربية لغة أجنبية ثانية = 60 دولة. وكما لها الحضور العلمي في كل جامعات العالم العريقة كلغة دراسة وتدرّس وبحث بله الحديث عن كونها من اللغات الأربع الأكثر استعمالاً على الشبكة بكل فروعها وفي المدونات وفي مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها، وبفضل تواجدها في منطقة جغرافية حساسة هي محل تجاذبات وصراعات ومخزن ثروات، وبحكم اشتغالها على

تراث ديني ارتقى بها إلى أفق أخلاقي رفيع، وتراث أدبي سمّا ببلاغتها إلى نظام جمالي بديع، وتراث فلسفي حرّك في الفكر طاقات التأمل والإبداع، وتراث علمي غني ساهم في حلّ مشكلات الإنسان داخل الأمة العربية وخارجها، وشكّل مرجعية للحضارة المعاصرة يشهد التاريخ عليها إلى اليوم. كلّ ذلك يجعلها ترقى إلى مصافّ اللغات العالمية، وتتبوأ مقعدها في ساحة الثقافات الكبرى.

إخواني، إنّ هذا الاحتفاء، هو محفّز كبير لأن تواصل اللغة العربية مسيرتها وتستعيد مكانتها، وتسائر تحولات العالم الجديد، وتتخطى في الحضارة المعاصرة وتعيديتها؛ لنقوم بدورها في ميادين الحياة العامّة وتسهم بما تحمله من تراث، وبما تتطلّع إليه من آفاق، في رفد عالم اليوم بما ينبغي أن يسمو به إلى مستوى أرقى وأفضل، في المجالات المادية والروحية، وتحفظ للإنسان توازنه الذي اختلّ كما فعلت عبر تاريخها حين كانت جسراً عبرت من خلالها المعارف والعلوم والأفكار والقيم إلى الضفة الأخرى؛ من المتوسط إلى آسياء ومن المغرب إلى أوروبا، ومن المشرق إلى دول آسيا الوسطى، ومن استنبول إلى القوقاز، وانتشرت في ظرف وجيز وكان لها الحضور العالمي الذي أوصل خطّها لأن تكتب بها مئتان وثمانين وثلاثون (238) لغة بحروفها. ومع ذلك الزخم فهي مطالبة اليوم بمدّ الجسر وتمتينه مرّة ثانية لتضمن استمراريتها الوجودية والثقافية ضمن عالم يقوم على التنافس والصراع الثقافي واللغوي.

— العربية بخير: لا نبالغ إذا قلنا الحقيقة بأنّ العربية بخير وفي تألّق متزايد رغم بعض الجحود وما يلصق بها من تهّم، فقد استطاعت أن تُبدع أدقّ العلوم والمعارف وأن تنتج أبلغ الحكم والأشعار، وأن تنقل إلى الثقافة العربية أهمّ النصوص الأدبية والمنطقية والفلسفية والعلمية، وأن تنقل إلى الثقافات الأخرى ما أنتجته أو ترجمته وأن تكون لغة عصرها أو لغة اللغات بلا منازع كانت تتمو بوتيرة متسارعة جداً يتّسع مجالها ولا يضيق بفعل ما تبدعه في ميادين المعرفة المختلفة، وهي التي كانت قبل ظهور الإسلام مجرد لغة تخاطب وتعبير، وصارت بعده وبتأثيره لغة علم وفكر وفلسفة ودين فخرجت بالتالي، من دائرة الأسطورة إلى

دائرة الحكمة، ومن حقل المُدْرس إلى حقل المُقدّس، ونشأ عن كلّ علم من علومها مئات المصطلحات والمفاهيم والعبارات، وكانت كلّ معرفة تُبدع معرفةً أخرى مُوازية لها أو مُناقضة، واشتدّ التنافس العلمي، وتكاثرت الأفكار، وتراكت الآراء واتّسعت جغرافية اللغة العربية، فأصبحت لغةً أقوام آخرين اتّخذوها لغةً كلام وكتابة، كما اتّخذوها لغةً إيمان وعبادة. واتّخذها الكثير من البشر على أنّها لغة فنّ وإبداع، فأبدعوا فيها وبها وأسهموا في إغناء التراث الإنساني فاتّسع المعجم العربي أيّما اتّساع وصار من أكبر معجمات اللغات في العالم. وأسست بها الحواضر وما تزال شاهدة إلى اليوم، وعلى مدى الرقي الذي بلغته في دمشق وبغداد والقاهرة والقيروان وبجاية وتلمسان وفاس وبجاية والأندلس... ثم ولأسباب ذاتية وموضوعية، كُتِبَ على هذه اللغة أن تفقد ريادةً وفعاليتها ودورها الحضاري وقد تعاون الوهن الذاتي والاستعمارُ الأجنبي على إطفاء شعلتها المنيرة، وإخماد جذوتها المتقدّة وكانت الدورة الحضارية التي تأتي على كلّ الأمم والحضارات فتوقّفت مسيرتها أو كادت، وصارت تلوك ما كانت قد أبدعته وتعيد إنتاجه بشكلٍ أو آخر فتقلّصت جغرافياً ولغوياً وفكرياً، ثم تعطلّ معها العقل وصارت هامشاً من هوامش التاريخ بعد أن كانت مركزه ومحوره، مما يعني أنّ حركة اللغة وحركة العقل واحدة، وأنّه لا يمكن تطوير أحدهما دون تطوير الآخر.

والآن، وبعد هذه الاستفاقة، وبعد العودة النسبية للوعي، لا بدّ من إحياء الروح التي كانت وراء ازدهار اللغة العربية وثقافتها في عصورها الذهبية، تلك الروح القائمة على الإبداع والحرية الفكرية والإخلاص للعلم والصدق في العمل وتزداد المسؤولية اليوم ثقلاً لأنّ ما يقف عائقاً أمام ذلك كثير ودونه خراط القتاد. ولكن ومن أجل أن تُتحقق اللغة العربية دورةً حضاريةً أخرى؛ عليها أن تُقاوم أشكال التعتيل الداخلية والخارجية التي تُعيق تقدّمها وتوقف شروط نهضتها، وتحول دون انطلاقها؛ وخاصةً تلك العوائق النفسية التي تأتيها بفعل حرب الاستخفاف التي تشنّ عليها من هنا وهناك. تلك الحرب التي تربط اللغة العربية بما هو دوني وسليبي وعاجز وقديم. فقد لا يكون الآخر الثقافي واللغوي هو العائق الأكبر أمام تحديث العربية اليوم، رغم إدراكنا لما يقوم به الآخر

بقدر ما يكون الوهن الداخلي والقصور الذاتي والشعور بالنقص والاعتقاد الوهمي بأحكام خاطئة بحقها وسوء تقدير أهلها.

إنّه لمن البديهي اليوم أنّه لا يمكن إقامة نظام في المعرفة ولا في التنمية دون إقامة نظام لغوي فاعل وثرى قادر على الوصف الدقيق والتوصيل السليم والتداول الشامل. ويحتاج ذلك إلى إرادة تمثّل القناعة الراسخة بأهميتها وضرورتها وكونها مكوناً من مكونات الهوية، وتتجلّى هذه القناعة في الاعتزاز والافتخار بالانتماء إليها والدفاع عنها حين تكون عرضة لعدوان، وتحتاج كذلك إلى تعليمها بأحدث وسائل التعليم المناسبة لها والمنسجمة مع خصوصيتها، كما تحتاج إلى حلّ مشكلات الوضع اللغوي الذي تسيطر عليه اللهجات العاميات الهجينة واللغات الأجنبية وإلى إعادة موقعة اللغة العربية في الإعلام وفي الإدارة وفي بقية المؤسسات وفي مجالات الحياة العامّة وإلى قوانين تحميها كما تفعل الدول الكبرى في حماية لغاتها.

العربية خير -كما قلنا- وهذا من خلال الأحداث الكبرى التي تعيشها؛ بدءاً من الاحتفاء باليوم العالمي للغة العربية الذي يُعدّ حدثاً حضارياً بالغ الأهمية، وهذا الحدث كان حلماً ذات قرن مضى، والآن أصبح حقيقة ويشاركنا الكثير في رسم هذا الحلم الذي يكبر ويتوسّع سنوياً؛ بأنّ المجلس الأعلى للغة العربية يحتفي بهذا اليوم الخالد منذ سنة 2012. وبنالنا الشرف بأنّ هذا اليوم المخصّص للعربية يُحتفى به خارج الدول العربية، وبنال استعراضات لغوية قويّة من الناطقين بغير العربية، ولكنّ حبّهم دفعهم لتمجيد العربية كما تقدّر تلك الأيام الخاصّة باحتفائية لغات الأمم المتّحدة: اليوم الدولي للفرنكفونية في 20 مارس. يوم اللغة الصينية تخليداً لذكرى (سانغ جيه) مؤسس الأبجدية الصينية في 20 أبريل. يوم اللغة الانجليزية تخليداً لويليام شكسبير في 23 أبريل. يوم اللغة الروسية في الذكرى السنوية لميلاد الشاعر الروسي ألكسندر بوشكين. يوم 12 أكتوبر ذكرى يوم الثقافة الإسبانية. كما بنال الشرف العربية أن تتال العربية موقعاً بين لغات الأمم؛ حيث يُحتفى بها سنوياً في 21 فبراير وهو اليوم العالمي للغة الأمّ. والعربية لغة أمّ للاعتبارات التالية: لغة أمّ قياساً على اللغات الست المعتمدة لدى الأمم المتّحدة. لغة

أمّ وهي لغة رسمية في 60 دولة. لغة أمّ باعتبار الناطقين بها كلغة معيار، ولغة مشافهة، ولغة وظيفية. فكرة التلج عندها تكبر باستمرار، وتنتامي في مختلف المواقع، وهي تنال الرتب المتقدمة.

لا شكّ في أنّ أمام اللغة العربية تحديات لا قبل لها حالياً وفي ظلّ الشروط الراهنة وفي مقدّمتها ما يحدث من انفجارات تكنولوجية وثورات معلوماتية وأنظمة مستحدثة في تسيير الإدارات والبنوك والمؤسسات والاتّصال وتلك كلّها مصحوبة بسيل من المصطلحات التي لا بدّ من بذل جهود إضافية من أجل استيعابها وتمثّلها وترجمتها رغم أنّ ذلك ليس إلّا حلاً مؤقتاً لأنّه يبقى العربية أسيرة المنتجات الغربية ولغتها حين تنقل المنتج ولغته وفي أحسن الحالات تبحث عن بديل لغوي لاسم المنتج، وعليه فإنّه لا بدّ من الإبداع بالعربية وفيها بمعنى الانتقال إلى إبداع المنتج ولغته معاً، وكلّ عملية ترجمة هي حلّ مؤقت وعمل ثانوي رغم حتميته أحياناً. وإنّ صراعات اليوم، وإن اتّخذت طابعاً سياسياً أو اقتصادياً أو عسكرياً، فإنّها في العمق صراعات ثقافية ولغوية أي صراعات هوية، ومن السذاجة أن نتجاهل ذلك أو نتغافل عنه، أو نعتقد أن أحدها يمكن تعويضه أو الاستغناء عنه، إنّ اللغة والثقافة والاقتصاد والدين وغيرها من مكونات الأمة تمثّل وحدة واحدة؛ فإن أصيب أحدها؛ فإنّ البقية تتداعى له.

لقد عملت الدولة الجزائرية على رعاية اللغة العربية بما وفّرت لها من حماية قانونية وبخاصّة ما جاء في دساتير الدولة الناطقة باسم الشعب في المادة الثالثة التي تنصّ على أنّ اللغة العربية هي اللغة الوطنية الرسمية ولا يجوز لأيّ تعديل دستوري أن يمسّ بها. كما وفّرت لها من المؤسسات ما يعمل على تطويرها وترقيتها وتعميمها، واستعادة فاعليتها في الإبداع الفكري والعلمي. وقد أدركت أنّ التعددية اللغوية عامل من عوامل الثراء الثقافي، فسعت إلى ترسيم اللغة الأمازيغية، وإقامة حالة من التعاون بين الشقيقتين، وجعلتهما معاً لغتين رسميتين وطنيتين، وأنشأت لكلّ منهما مؤسسة عليا تهتمّ بشؤونها وتعمل على ترقيتها وتطويرها بما يكفل بناء الذاكرة اللغوية الواحدة الخصبة، وتعميق الحسّ الاجتماعي

والوعي الوطني، بما يخدم الوحدة الثقافية في إطار التنوع الإيجابي والمصلحة الوطنية، كما أدركت أن هناك ضرورة علمية واقتصادية للانخراط في العالم المعاصر، الذي لا يمكن تجاهل تحولاته فشجعت على الانفتاح اللغوي والعلمي عبر تعلم اللغات الأجنبية، أو من خلال الترجمة أو التواصل الثقافي بأشكاله المتعددة، لأنّ عالم اليوم -الذي تحول إلى مساحة واحدة- يتطلب التحوّل والتفاعل فبقدر الحفاظ على الهوية الذاتية بقدر الانفتاح على ما في العالم من خبرات وتجارب تُثري الهوية وتطورها. وبقدر ما للغة العربية من أهمية في بناء الهوية بقدر ما للغات الأجنبية من أهمية في التطور والنقد، ومن هنا، لابدّ من شطب العلاقة التشنجية بين الذات والآخر، وبين المحلي والعالمي؛ أي بين اللغة العربية واللغات الأجنبية؛ تلك العلاقة التي أسّس لها الاستعمار، وبقيت محفورة كالجرح في الذاكرة بعد الاستقلال، على أن تكون اللغات الأجنبية لغة إسهاد لا لغة هوية مع ضرورة تنمية الوعي بالذات ليكون هو الموجّه والمتحكّم والمرشد والمحدّد للأولويات. لا بدّ من بناء علاقة توازن تحفظ الهوية، وتنفيذ من مُجزات العلم الحديث. ويتوهم من يعتقد أنّ ثمة تناقضاً بين الهوية والعلم الحديث فهو إما إيديولوجي مُغرض، وإما على غير علم بما يقول.

ومن الأهمية أن نوّكد دسترة اللغة العربية لتكون بمنأى عن التجاذبات السياسية التي قد تُربك المسألة اللغوية وتعيق تطورها الطبيعي، وإلى ترسيم اللغة الأمازيغية لتكون لغة وطنية ورفيعة درب العربية في تطوير التنمية الثقافية والاجتماعية، وسنعمل الى جانب المجمع الجزائري للغة العربية، ومركز البحوث والتطوير التكنولوجي للغة العربية وعشرات المخابر المنتشرة في الجامعات الجزائرية ذات الصلة باللغة العربية، على خدمة اللغة العربية وتطويرها، والسعي بها لتلحق بالتطورات العلمية المعاصرة الفائقة، دون أن يعني ذلك الانغلاق على الذات والتمركز حولها والاكتفاء بها، بل تصاحب كل ذلك دعوات بنفس الإلحاح والحماسة إلى ضرورة الانفتاح على اللغات الأجنبية وعلومها وثقافتها وفنونها والإفادة منها ومن نتائجها وهذا التحوّل بين اللغات

والثقافات هو ما ينبغي المُرَاهنة عليه لاكتساب شروط الإقلاع اللغوي/ إقلاع النهضة وصولاً إلى الازدهار المنشود.

العربية بخير: فهي محفوظة من الاندثار بفضل القرآن، لكنها ليست مضمونة من الإهمال والتهميش بفعل إهمال أهلها لها، وتكون العربية بخير عندما نعمل على نقلها للأجيال القادمة سليمة، ونواجه بها العولمة بعلمية ونعمل على تدريسها في ذاتها ولذاتها، ويكون لنا الاعتزاز اللغوي، ويخلد في بالنا أنه ما ترقى شعب بدون لغاته.

كلمة أُلقيَتْ

في ملتقى اللغة العربيّة والترجمة[♥]

— مقدمة: إنّ الغرض من هذا الملتقى الوطني تقديم أفكار تطوير المنظومة الترجمية في الجزائر؛ والتي ينبغي عليها اقتراح آليات تفعيل الترجمة من خلال أطروحاتكم وما تقدّمونه من المشاريع الترجمية التي نروم رفعها لمن يهّمه الأمر وهذا سعيّاً مناّ إلى الرفع من مردود القيمة المضافة للترجمة في وطننا، والتي أضحت في جميع اللغات من الرهانات الكبرى للرفع من اللغات الوطنية. وهذا ما سوف نقوم به لجعل العربية ترقى إلى مستويات اللغات العالمية في إنتاج المعارف بدل استيرادها، والعمل على علمية العربية ما دامت تخوض عولمة المعرفة. ولهذا نسعد بكم جميعاً، ونأمل النجاح لهذا الفعل المشترك وأن يكون في مستوى الربط بين مضامين اللغات المنتجة للعلم ومرجعياتها، وخصوصيات العربية التي تقبل الترجمة أخذاً وعطاءً، وفي إطار النفع العلمي المشترك، وأن تكون اقتراحاتكم عالية في المنظومة الرقمية التي يقوم عليها مجتمع المعرفة لخوض الترجمة الآلية بكلّ مضايقاتها، وليس ذلك من الصعوبة؛ حيث النيات صادقة، والعزائم مشدودة وعلى الله تيسير السبل.

ونقف وقفات بسيطات في الحديث عن أهمية الترجمة باعتبارها الوسيلة التي تمكّننا من نقل الفكر ونمو العلم أو هي الجسر بين الثقافات، وليست بين الحضارات؛ لأنّ الحضارة واحدة بثقافات متنوّعة. وخلال هذا الفعل يقع التركيز

♥ أعدت الكلمة للملتقى الوطني حول (اللغة العربية والترجمة) الذي انعقد بمعرض الكتاب الدولي بالصنوبر البحري، سبلا 2017 يومي: 24- 25 ديسمبر 2017 بالمكتبة الوطنية الحامة.

على الصلات الوشيحة بتعريب التعليم، وهي طريقة لتحقيق المعاصرة؛ وهذا ما حصل أيام الامتداد العربي في عصوره المزدهرة؛ حيث أسهمت الترجمة في تطوير المجتمع العربي في عصوره الأولى ونقله إلى مجتمع منفتح أيام العباسيين؛ وهم الذين "عبدوا الطريق السيار بين الثقافات لنقل المعارف واقتصاد المعرفة بمفهومها المعاصر"⁽¹⁾. وفي هذا الوقت الذي تتقاطع فيه العلوم وتأخذ اللغات عن بعضها وبخاصة أننا نعيش عصر اللسانيات الذي يشهد طائفة من المقاربات العلمية، فما محلّ العربية في هذا الغمار اللساني؟ ويبدو لي بأنّ اللسانيات الوصفية هي وحدها القادرة على وضع الأساس التجريبي والمنهجي لنظرية الترجمة وهذا ما يحصل الآن في التباري النظري بين الاتجاه الأمريكي والكندي والصلافي وفي هذه الاتجاهات الثلاثة تحصل بعض الديكتاتوريات الترجمية والاختلافات اللسانية بين المعيارية المفرطة على أنّ الترجمة فنّ وليست علماً، وعلى أنّ الوضع اللساني الجديد يرى بأنّ الترجمة لها المظهر الأدبي الذي تتجاهله أحياناً المعيارية، وفيه ما هو من الممكن، وما هو من المستحيل، ولا يتحقّق إلاّ بتعاضد الاتجاهات الثلاثة. وتعرّضي لمسألة اللسانيات في المقام الأول لما لها من علاقة وثيقة بالترجمة؛ حيث إنّ الترجمة انطلقت من اللسانيات ابتداءً وانبثقت عنها؛ لتُصبح على ما هي عليه كعلم يُدرس في الجامعات والمعاهد، وكمهنة يمتّنها عددٌ من المترجمين وكحقل علم أيضاً يشتغل فيه المنظرون لهذا الميدان المهمّ.

أيّها المترجمون أيّها المختصّون، لا يمكن أن أفتي في مسألة الترجمة وأنتم أدري بأمورها، ولكنّي أريد أن أقف معكم في أهمية التذكير بالترجمة التي حصلت في عصور العرب الأولى، وكانوا السباقين في نقل الثقافات من اللغات العالمية كما نقلوا العربية إلى اللغات الأخرى؛ حيث حدث تعايشٌ إيجابي أدّى إلى ازدهار العربية في مختلف علومها، وكان لها المقام العلي في بغداد وفي الشام وفي

(1) - محمد الحناش "الترجمة والتعريب من الرقمنة إلى مجتمع المعرفة، مبحث في تشريح بنية العربية رقمياً" مجلة اللسان العربي. الرباط: 2015، منشورات مكتب تنسيق التعريب، العدد 75 - ص 58.

المغرب وفي الأندلس بفضل تلك الجهود الفردية، ويخلد لنا التاريخ أهم شخصية عملت في الترجمة وهي حنين بن إسحق، وتابع ابنه إسحق بن حنين بن إسحق المشوار، كما يسجل لنا التاريخ قائمة اسمية بمرجمين كانت لهم أصوات عالمية من أمثال: بشر متى بن يونس + يوحنا بن البطريق + ابن الحمصي + عبد الله بن المقفع + برزويه... وجهود مؤسسة بيت الحكمة التي عملت على ترجمة أمات الكتب في أقل من ثمانين سنة. وكان ذلك نافذة على علوم الشعوب الأخرى، وأفاد منها العرب بقوة، ولا ننسى تلك الإغداقات على المترجمين لدرجة أن عيباً على المأمون الذي يُعطي وزن ما يكتب على الورق ذهباً، فقال: **نعطيهم ما يفنى ويترجمون ما يبقى.**

1- أهمية الترجمة في عصرنا الحاضر: ليس من شك في أن الترجمة من ضروريات العصر، كما كانت في الماضي أساساً لترقية وتطوير العربية، فمنذ أن احتك العرب بالروم والفرس والأحباش، ووقع تبادل المنافع كان من الضروري أن تكون هناك في البداية لغة Linga Franca لتسهيل عمليات المقايضة وبخاصة أن الجزء الذي تمر فيه قوافل الملح والحرير كان مدعاة للتواصل بتلك اللغة الوسيط كأداة للمنافع. كما أن الترجمة هي البوابة الحقيقية للدخول إلى العصر الحديث، بل هي الضمانة الأكيدة لبقاء هذه الأمة حيّة تتنفس هواء الأصالة والمعاصرة والحرية والإبداع والعلوم النافعة من الجهات جميعاً. وهكذا فالترجمة تعني انفتاحنا على كل مكونات العصر، ومن دونها نبقي عاجزين نتهجى سطور المعرفة من دون أن نلج إليها أو نعرف حقيقتها أو نسبر أغوارها.

2- الترجمة واللغة العربية: ما من سبيل لتطوير العربية إلا باحتذاء باب الترجمة التي تنقل لنا الثقافات والعلوم، وتجعلنا نربح الوقت في المقام الأول، وقد سئل طه حسن السؤال التالي: ما هو السبيل إلى تطوير العربية فقال: **ترجموا ترجموا ثم ترجموا.** ومع ذلك فإن الأمل في أن تسهم حركة الترجمة المعاصرة في التحول المنشود نحو العربية العلمية، وأن تفتح لنا أبواب العلوم المختلفة والمعارف والفنون، وأن تخلق في أجوائنا مناخاً ثقافياً غنياً، فيكون العبور إلى الضفة الأخرى

التي نرنو إليها ونحلم أن نصلها بمركب لغتنا الأم، فهو المركب الذي لن يضل بنا السبيل، ولن يطيل بنا الرحيل، وهي الجسر المتين الذي عليه إن سرنا وصلنا، بل السبيل للوقوف نداءً للنداء أمام اللغات الحية.

لقد عرفت الجزائر توجهاً رسمياً في بلادنا نحو الاهتمام بالترجمة، بما نصّ عليه دستور 2016 في المادة الثالثة (3) عند حديثه عن مهام المجلس الأعلى للغة العربية بأنه "يعمل على ازدهار العربية، ويعمل على تعميم استعمالها في العلوم وفي التكنولوجيا، ويعمل على الترجمة لهذا الغرض". ونرى من خلال هذا التنصيص أن الترجمة تعدّ في سلم الأولويات في الخطط التنموية والمعرفية المستقبلية؛ ووضعها في سياقها الحقيقي الزمني. وفي كل هذا لم تغب عنا آليات تقديم استراتيجية وطنية للترجمة ببرنامج وآليات إجرائية مضبوطة قام على تقديم هذه الاستراتيجية ثلّة من المختصين، لدرجة أن تقدّموا بتخصيص مؤسسة ملحقّة بالمجلس مهامها الترجمة فقط.

أيّها المختصّون: لن يكون هذا متحققاً إلا بما تُقدّمونه من اقتراحات تجعل الترجمة تأخذ مجراها التطبيقي بصورة حركية، ولا بدّ أن تكون لكم نظرات آنية واستشرافية، من خلال تبادل الأفكار ذات العلاقة بالموضوع من مثل: ماذا نترجم؟ من المستفيد من الترجمة؟ ما هي أولويات الترجمة؟ ما دور مؤسسات الترجمة؟ ما دور أقسام الترجمة في الجامعات الوطنية؟ ما جدوى الترجمة في ظلّ عدم تعميم استعمال العربية في العلوم؟ وما هي اللغات الأجنبية التي لها أولوية في عملية الترجمة؟ ما مقامنا تجاه ما يجمعنا من لغة في المشرق وبلاد المغرب؟ ... وعلى العموم فالمأمول من خلال ما تطرحونه أن يكون له وقع إجرائي، وتحصل حركة ترجمة واسعة تعمل على ازدهار العربية في كلّ جوانبها بل يحصل التعايش اللغوي الذي ينعش الاختلاف في الرأي والذي لا يفسد للودّ قضية؛ وسنضع في أذهاننا أولويات الاهتمام باللغة الوطنية، بإعادة النظر في مناهجنا وطرائق تدريسنا، وإعداد معلّمين ومتعلّمين يرون لغتهم في كلّ المقرّرات الدراسية حيّة وتتكامل وتنمو من خلال خبراتهم المتجدّدة.. والمأمول كذلك أن تقوم دراسات جادة

في مؤسسات التعليم العالي في الدول العربية لواقع اللغة العربية في هذه المؤسسات؛ لربط حركة الترجمة بحاجات هذه المؤسسات من مصادر التعليم المختلفة، حتى تصبح لهذه الحركة آثار حقيقية ملموسة تضع الكتاب العربي بين يدي المتعلم مقبولا وسهلا وناقلا مستوعبا، وتجعل النص العربي محور عملية التعليم والبحث والقراءة والثقافة.

لقد عملت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على إعداد الخطة القومية للترجمة؛ والتي أقرها المجلس التنفيذي في دورته الثلاثين لسنة 1982، بوضع الخطوط العامة للنهوض بالترجمة في الوطن العربي. وإليك ملامح الخطة المبنية على: المنطلقات + الأهداف + الأسس + الوسائل + المراحل + طرائق التنفيذ⁽¹⁾. بالفعل هناك مشاريع وخطط في الترجمة عرفها العالم العربي في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين وكان للترجمة فيها دور كبير. وبعد أن مرّ العالم العربي بسنوات عجاف نسبياً، في مجالات التفاعل الثقافي والبحث العلمي وتطوير المعارف، فإن حركة الترجمة العربية تشهد منذ مطلع القرن الحالي تأسيس منظمات ومراكز ومعاهد وصلت إلى أعلى درجات النقل من اللغات الأجنبية إلى العربية، وهو الأمر الذي يدلّ على أنّ العالم العربي يلجّ عصراً جديداً من النهضة الفعلية والواعدة؛ وعلى صعيد علمية الكتب المترجمة ورفعة مواضيعها وتخصيص نصوصها. ولكن على الرغم من كلّ هذا لا تزال إكراهات أخرى لم تجد السبل الكفيلة بحلّها، ونشير إلى جملة الإكراهات المتباينة، والتي نجم القول فيها بأنّه على الرغم من وجود المعاجم الثنائية العامة والمتخصصة وعلى الرغم من هذه الجهود التي تبذلها المجامع اللغوية والباحثون المنفردون وعلى الرغم من انطلاقة المعاجم الإلكترونية باللغة العربية نجد أنّ حركة الترجمة في الوطن العربي لم تبلغ بعد الحد الأدنى مما يؤمل منها؛ بسبب الجهود الفردية غير

(1) - الألكسو، الخطة القومية للترجمة. تونس: 1985.

المتناسقة، وعدم ربط الترجمة ربطاً معاصراً مباشراً بإصدارات العالم المتقدم ومعظم الترجمات تنحصر في مجال الإنسانيات. وإذا نظرنا في المحاولات التي بذلت لتحويل هذه الحركة في الاتجاه العلمي لرأينا أنها تقتصر في مجملها على مسألة المصطلح، وكأنّ هذه المشكلة تنحصر في إطار اللغة العربية وفي غياب المفردات العلمية المناسبة. والحقيقة أنّ المشكلة ليست مشكلة لغة أو مفردات وهي لا تلخص بتناقض ما بين العربية والفكر العلمي كما أنّها لا تحلّ بابتداع المصطلح العلمي وحسب، بل هناك أطر تحتاج إلى مراجعة تتمثل في السرعة وكسب الرهان، والمراجعة العلمية الدقيقة، واختيار الترجمات، دون البحث في تقصيرنا - نحن العاملين - على خدمة العربية، ونرميها بالقصور. فهل التقصير في حركة الترجمة في الوطن العربي تقصير في اللغة العربية؟ وهل العربية فقيرة عن أن تعبّر عما تعبّر به اللغات الأخرى؟ بالفعل هناك جملة الإكراهات التي يجب تناولها بالعلمية واقتراح البدائل النوعية، ونكون خاطئين إذا نظرنا إلى اللغة العربية لذاتها ودون التركيز على النشاطات الاجتماعية والعلمية التي تؤدي إلى استعمالها وتفعيل مكنوناتها. ويجب القطع في الأمر بأنّ العربية تحمل من الدلالات الإيحائية ما يختلف عما نجده في أية لغة أخرى، لما تتمتع به من تاريخ، لكنّ هذا يجعلها أكثر استيعاباً وقوة وتمثلاً لكل اللغات.

بالفعل، لا ننكر أنّ الترجمة لها بعض العمليات المعقّدة، حيث لا ترتبط الكلمة ومقابلاتها فحسب، إنّها ترتبط باللغة، وفي اللغة نجد البيئة والثقافة والعُرف والعادات والمسكوكات والأمثال والقيم والدين والسلوك الحضاري وترتبط كذلك بالخطاب وبعملية التواصل بين الأشخاص، بمعنى إنّ المرسل يخلق الخطاب في سبيل التبليغ، وفي سبيل أن يؤثر في المرسل إليه، إما بالدلالة الذاتية المباشرة للكلمات أو بدلالات إيحائية يبيّنها في الكلمات وبين السطور، وإذا كانت عملية الترجمة ترتبط بالألفاظ والمعاني الموجودة في النصّ الأصلي؛ فإنّ الأساس في هذه العملية هو العودة إلى كلّ مكونات هذه المعاني، من الدلالة الذاتية إلى القيم الإيحائية والسياق اللغوي وغير اللغوي. ومن هنا، على المترجم أن لا يعتدّ

بالمعاني المعجمية، بل بالعالم الذي تتكلم عنه بالجملة؛ أي ذلك الكم الكبير من الخصائص والأحداث والصفات وكل متعلقات الخطاب.

- خاتمة: ليس من شك في أنّ الترجمة ضرورة للأمة العربية في هذا العصر فهي البوابة الحقيقية للدخول إلى العصر الحديث، بل هي الضمانة الأكيدة لبقاء هذه الأمة حيّة تنفّس هواء الأصالة والمعاصرة والحرية والإبداع والعلوم النافعة وبقائها تتال موقعا في خريطة العالم. الترجمة تعني انفتاحنا على كل مكونات العصر، ومن دون الترجمة نبقي عاجزين نتهجّى سطور المعرفة من دون أن نلج إليها أو نعرف حقيقتها أو نسبر أغوارها. ولا بدّ أن نكون أو لا نكون؛ فلكي نكون لا بدّ من التزام الحداثة في صورتها العلمية كنظرية لسانية قائمة على مبادئ دقيقة تسهم في رقي ونقاء تسهم في عمليات الترجمة كما قال حبيب مونسي "لقد استهدت نظريات الترجمة باللسانيات التماساً منها إلى سمة العلمية فيها، وابتغاء إضفاء مسحة من اليقين في مُنجزاتها إذا هي ركنت إلى علم لغويّ يتشدد كثيراً في ضبط أدواته ومصطلحاته، بيد أنّ اللسانيات على اختلاف مشاربها ومدارسها، عالجَت الظاهرة اللغوية علاجاً خاصاً، ارتكبت فيه جملة من التجاوزات أحالت الدرس اللساني إلى ضرب المثال البعيد كلّ البعد عن الجاري في الاستعمال، والشائع بين الناس، وأمام إلحاح نظريات جديدة تبحث في التواصل والمقاصد، وتحليل الملفوظات، والخطاب اللغوي كان على اللسانيات أن تُدير دفعةً توجّهها المثالي إلى المُعَاينة السياقية، وأن تخوض غمار الاستعمال لتجدد صلتها باللغة وهي فاعلة في صلب الواقع، فكانت التداولية" ولا بدّ في المقام الثاني من اعتماد برامج الترجمة الآلية الحالية، واعتماد الأنظمة الحاسوبية الحديثة في الترجمة الآلية كوسيلة مساعدة في ظلّ ثورة تكنولوجيا المعلومات. وفي الحقيقة في هذا المنحى، فإنّ العديد من الأدوات المساعدة أصبحت تُترجم ما نسبته من الخطأ قليلاً، وبخاصّة في اللغات الأوروبية وهذا ما يجعل أحياناً الصحفي لا يعيش الإكراهات والمضايقات في نقل الخبر من أيّة لغة، وهذا ما يضمنه بشكل واسع ومُرْضي شريط الترجمة الملحق بمتصفح جوجل كروم/ Google chrome، أو مترجم بينگ/ bing

ونشهد بأنّ مواقع الترجمة الآلية تتنافس في تقديم الأجود من الترجمة. ولكن هذا المخاض الجديد لا يعني الترجمة الشخصية لما لها من دقّة ومعرفة بلغة الهدف ولغة الترجمة، والمهمّ في هذا؛ نروم أن نعمل على تقديم الأفكار التي تجعلنا نعمل جميعاً على ازدهار العربية وعلينا أن نعمل ونعمل ثمّ نعمل، ونسابق الزمان فالطريق تصنعه الأقدام وأقلامكم أقدام الترجمة وأفكاركم دروب سيّارة؛ تسهّل المرور وتوسّعه، فهلا توكّلتُم وتوكّلنا وابتدأتم وابتدأنا.

كلمة بمناسبة إحياء اليوم العالمي للغة العربيّة

إنّ تكريس يوم 18 ديسمبر من كلّ عام يوماً عالمياً للغة العربية نعدّه اعترافاً بالدور الإنساني الذي اضطلعت به وما زالت تضطلع به اللغة العربية وثقافتها به بما أرسنّه من قيم حضارية وما قدّمته من فتوحات فكرية وعلمية، وما نشرته من معاني الأخوة والتسامح والمحبة والتحضّر والرفي عبر تاريخها الطويل وفي كلّ البقاع التي وصلتها. وهو اعتراف أيضاً باللغة العربية بوصفها تراثاً إنسانياً عامّاً ومكوّناً من مكوّنات الثقافة الإنسانية.

قبل أزيد من ستين عاماً، صدر في 4 ديسمبر 1954 قرار الجمعية العامّة لمنظمة الأمم المتّحدة يجيز الترجمة إلى اللغة العربية بشروط معيّنة، وفي عام 1960 قرّرت اليونسكو استعمال اللغة العربية في المؤتمرات الإقليمية، وفي 1966 قرّرت اليونسكو هي الأخرى توفير الترجمة الفورية من العربية وإليها وفي 1973 أصبحت اللغة العربية لغة رسمية في الجمعية العامّة لمنظمة الأمم المتّحدة، إلى أن تمّ سنة 2012 اعتماد يوم 18 ديسمبر يوماً عالمياً للاحتفاء باللغة العربية، وبذلك أصبحت العربية واحدة من اللغات الستّ العالمية.

ويمثّل هذا التاريخ اليوم الذي أصدرت فيه الجمعية العامّة للأمم المتّحدة قرارها رقم 3190، القرار الذي بموجبه أدرجت اللغة العربية بين اللغات الرسمية ولغات العمل في منظمة الأمم المتّحدة والهيئات التابعة لها، وقد كان ذلك باقتراح من الدول العربية في أكتوبر 2012، من خلال المجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو ومن ثمة تقرر تكريس الاحتفاء باليوم العالمي للغة العربية تقديراً لها ولثقافتها وحضارتها، وفي هذا السياق احتفلت اليونسكو عام 2012 للمرة الأولى بها واعتمد بشكل رسمي يوماً عالمياً للغة العربية كأحد العناصر الأساسية في برنامج عملها لكلّ سنة.

إنّ هذا الاعتراف الدولي باللغة العربية لم يأتِ مجانياً ولا صدفةً من صدف الزمان العابرة، بل جاء نتيجة نضالات على مستوى الأفراد والدول والجماعات ومحصلة إرادات الأجيال من المخلصين للغتهم ممّن امتزج لديهم الدفاع عن الوطن بالدفاع عن اللغة والدين والهويّة امتزاجاً كلياً دونما انفصال، ومن خلال تلك الجهود التي بذلتها الدول العربية في مختلف المحافل الدولية.

وقد أصبحت العربية اليوم، رغم حاجتها إلى مزيد من التطوير والترقية لغة ذات وزن حضاري في العالم؛ بحكم الملايين العديدة من البشر التي تنطق بها في كلّ القارات، من عرب وغير عرب بوصفها لغة أولى أو لغة ثانية، إضافةً إلى أكثر من مليار مسلم تشكّل اللغة العربية حضوراً أساسياً في حياتهم وفكرهم من خلال عباداتهم وسلوكهم، وتمثّل وجوداً مقدساً بحكم ارتباطها بالقرآن الذي هو نصّ عربي يتمنى كلّ مسلم عربي أو غير عربي أن يقرأه بلغته. وبفعل حضورها العلمي في معظم جامعات العالم العريقة كلغة دراسة وتدرّيس وهي من بين اللغات الأربع الأكثر استعمالاً في شبكة الإنترنت بكلّ فروعها، في المدوّات الإلكترونية وفي مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها، وبفضل تواجدها في منطقة جغرافية حساسة هي محلّ تجاذبات وصراعات ومخزن ثروات، وبحكم اشتغالها على تراث ديني ارتقى بها إلى أفق أخلاقي رفيع وتراث أدبي سما ببلاغتها إلى نظام جمالي بديع، وتراث فلسفي حرّك في الفكر طاقات التأمل والابداع، وتراث علمي غني ساهم في حلّ مشكلات الإنسان داخل الأمة العربية وخارجها، وشكّل مرجعية للحضارة المعاصرة يشهد التاريخ عليها إلى اليوم. كلّ ذلك يجعلها ترقى إلى مصاف اللغات العالمية، وتتبوأ مكانتها في ساحة الثقافات الكبرى.

من فضائل هذا الاحتفاء السنوي باللغة العربية حفز لها لكي تواصل مسيرتها وتستعيد مكانتها كاملة، وتسائر تحولات العالم الجديد، وتتخرط في الحضارة المعاصرة وتعقيداتها؛ لتقوم بدورها في ميادين الحياة العامّة، وتسهم بما تحمله من تراث وبما تتطلّع إليه من آفاق، في رفد عالم اليوم بما ينبغي أن يسمو به إلى مستوى أرقى وأفضل، في المجالات المادية والروحية، وتحفظ للإنسان توازنه

الذي اختل كما فعلت عبر تاريخها حين كانت جسراً عبرت من خلاله المعارف والعلوم والأفكار والقيم إلى الضفة الأخرى من المتوسط ومنها إلى بقية العالم. إنها مطالبة بالقيام بذلك لتضمن استمرارية وجود ثقافتها ضمن عالم يقوم على التنافس والصراع الثقافي واللغوي.

لقد استطاعت اللغة العربية أن تبذل أدق العلوم والمعارف، وأن تنتج أبلغ الحكم والأشعار، وأن تنقل إلى الثقافة العربية أهم النصوص الأدبية والمنطقية والفلسفية والعلمية من الثقافات المجاورة، وأن تنقل إلى الثقافات الأخرى ما أنتجته أو ترجمته وأن تكون لغة عصرها أو لغة اللغات بلا منازع، وكانت تنمو بوتيرة متسارعة جداً حيث اتسع مجالها باستمرار، بفعل ما تبذره في ميادين المعرفة المختلفة وهي التي كانت قبل ظهور الإسلام مجرد لغة تخاطب وتعبير وصارت لغة علم وفكر وفلسفة ودين فخرجت، بالتالي، من دائرة الأسطورة إلى دائرة الحكمة، ومن حقل المدينس إلى حقل المقدس، ونشأ عن كل علم من علومها مئات المصطلحات والمفاهيم والعبارات وكانت كل معرفة تبذل معرفة أخرى موازية لها أو مناقضة، واشتد التنافس العلمي، وتكاثر الأفكار، وتراكمت الآراء واتسعت جغرافية اللغة فأصبحت لغة أقوام آخرين اتخذوها لهم لغة تخاطب وكتابة كما اتخذوها لغة إيمان وعبادة، فأبدعوا بها وأسهموا في إغناء التراث الإنساني فاتسع المعجم العربي أيما اتساع، وصار من أكبر معجمات اللغات في العالم. وأسست لحواضر ما تزال شاهدة، إلى اليوم، على مدى الرقي الذي بلغته في دمشق وبغداد والقاهرة والقبروان وبجاية وتلمسان وفاس والأندلس وغيرها. ثم لأسباب ذاتية وموضوعية، كتب على هذه اللغة أن تفقد ريادتها وفعاليتها ودورها الحضاري، وقد تعاون الوهن الذاتي والاستعمار الأجنبي على إطفاء شعلتها المنيرة، وإخماد جذوتها المتقدة، وكانت الدورة الحضارية التي تأتي على كل الأمم والحضارات، فتوقفت مسيرتها أو كادت، وصارت تلوك ما كانت قد أبدعته، وتعيد إنتاجه بشكل أو آخر فتقلصت جغرافياً ولغوياً وفكرياً، ثم توقفت وتوقفت معها العقل، وصارت هامشاً من

هوامش التاريخ بعد أن كانت مركزه ومحوره، ممّا يعني أنّ حركة اللغة وحركة العقل واحدة، وأنّه لا يمكن تطوير أحدهما دون تطوير الآخر.

والآن، وبعد هذه الاستفاقة، وبعد العودة النسبية للوعي، لا بدّ من إحياء الروح التي كانت وراء ازدهار اللغة العربية وثقافتها في عصورها الذهبية، تلك الروح القائمة على الإبداع والحرية الفكرية والإخلاص للعلم والصدق في العمل وتزداد المسؤولية اليوم ثقلاً لأنّ ما يقف عائقاً أمام ذلك كثير ودونه خطر القتل.

ولكن، ومن أجل أن تحقّق اللغة العربية دورة حضارية أخرى عليها أن تقاوم أشكال التعطيل الداخلية والخارجية التي تعيق تقدّمها، وتوقف شروط نهضتها وتحول دون انطلاقتها، وبخاصّة تلك العوائق النفسية التي تأتيها بفعل حرب الاستخفاف التي تشنّ عليها من هنا وهناك. تلك الحرب التي تربط اللغة العربية بما هو دوني وسليبي وعاجز وقديم. فقد لا يكون الآخر الثقافي واللغوي هو العائق الأكبر أمام تحديث العربية اليوم رغم إدراكنا لما يقوم به الآخر، بقدر ما يكون الوهن الداخلي والقصور الذاتي والشعور بالنقص، والاعتقاد الوهمي بأحكام خاطئة بحقها وسوء تقدير أهلها.

إنّه لمن البديهي اليوم أنّه لا يمكن إقامة نظام في المعرفة ولا في التنمية دون إقامة نظام لغوي فاعل وثرى، وقادر على الوصف الدقيق والتوصيل السليم والتداول الشامل. ويحتاج ذلك إلى إرادة تمثّل القناعة الراسخة بأهميتها وضرورتها وكونها مكوناً من مكونات الهوية، وتتجلّى هذه القناعة في الاعتزاز بها والافتخار بالانتماء إليها والدفاع عنها حين تكون عرضة لعدوان، وكما تحتاج إلى تعليمها بأحدث وسائل التعليم المناسبة لها والمنسجمة مع خصوصيتها، وكما تحتاج إلى حلّ مشكلات الوضع اللغوي الذي تسيطر عليه اللهجات والعاميات الهجينة واللغات الأجنبية، وكذلك من الضروري إعادة موقع اللغة العربية الهامّ في الإعلام والإدارة وفي بقية المؤسسات ومجالات الحياة العامّة، وتعزدها قوانين تحميها كما تفعل الدول الكبرى في حماية لغاتها.

لا شكّ ولا مزايدة في أنّ أمام اللغة العربية تحديات لا قبل لها بها حالياً وفي ظلّ الشروط الراهنة وفي مقدّمتها ما يحدث من انفجارات تكنولوجية وثورات معلوماتية وأنظمة مستحدثة في تسيير الإدارات والبنوك والمؤسسات والاتّصال وتلك كلّها مصحوبة بسيل من المصطلحات التي لا بدّ من بذل جهود إضافية من أجل استيعابها وتمثّلها وترجمتها، رغم أنّ ذلك ليس إلّا حلاً مؤقتاً لأنّه تبقى العربية أسيرة المنتجات الغربية ولغتها، فحين تتقلّ المنتج ولغته وفي أحسن الحالات تبحث عن بديل لغوي لاسم المنتج، وعليه فإنّه لا بدّ، إلى جانب ذلك من الإبداع بالعربية وفيها، بمعنى الانتقال إلى إبداع المنتج ولغته معاً، وكلّ عملية ترجمة هي حلّ مؤقت، وعمل ثانوي رغم حتميته أحياناً.

إنّ صراعات اليوم، وإن اتّخذت طابعاً سياسياً أو اقتصادياً أو عسكرياً فإنّها في العمق، صراعات ثقافية ولغوية؛ أي صراعات هويّة، ومن السذاجة أن نتجاهل ذلك أو نتغافل عنه، أو نعتقد أنّ أحدها يمكن تعويضه أو الاستغناء عنه، حيث إنّ اللغة والثقافة والاقتصاد والدين وغيرها من مكونات الأُمّة وتمثّل وحدة واحدة فإنّ أُصيب أحدها فإنّ البقية تتداعى له.

لقد عملت الجزائر على رعاية اللغة العربية بما وفّرت لها من حماية قانونية وبخاصّة ما جاء في دساتير الدولة الناطقة باسم الشعب في المادة الثالثة (3) التي تنصّ على أنّ اللغة العربية هي اللغة الوطنية الرسمية، ولا يجوز لأيّ تعديل دستوري أن يمسّ بها. كما وفّرت لها من المؤسسات ما يعمل على تطويرها وترقيتها وتعميمها واستعادة فاعليتها في الإبداع الفكري والعلمي والتعليمي.

وقد أدركت أنّ التعددية اللغوية عامل من عوامل الثراء الثقافي، فسعت إلى ترسيم اللغة المازيغية وإقامة حالة من التعاضد بين الشقيقتين، وجعلتهما معاً لغتين رسميتين وطنيتين، وأنشأت لكلّ منهما مؤسسة عليا تهتمّ بشؤونها وتعمل على ترقيتها وتطويرها بما يكفل بناء الذاكرة الوطنية الواحدة الخصبة وتعميق الحسّ

الاجتماعي والوعي الوطني، بما يخدم الوحدة الثقافية في إطار التنوع الإيجابي والمصلحة الوطنية.

إنّ دولة الجزائر أدركت أنّ هناك ضرورة علمية واقتصادية للانخراط في العالم المعاصر، الذي لا يمكن تجاهل تحولاته، فشجّعت على الانفتاح اللغوي والعلمي عبر تعلّم اللغات الأجنبية أو من خلال الترجمة، أو التواصل الثقافي بأشكاله المتعدّدة، لأنّ عالم اليوم، الذي تحول إلى فضاء واحد، يتطلّب التحاور والتفاعل. فبقدر الحفاظ على الهوية الذاتية بقدر الانفتاح على ما في العالم من خبرات وتجارب تثري الهوية وتطورها. وبقدر ما للغة العربية من أهمية في بناء الهوية بقدر ما للغات الأجنبية من أهمية في التطور والتقدم، ومن هنا لا بدّ من شطب العلاقة التشنجية بين الذات والآخر، وبين المحلي والعالمي وبين اللغة العربية واللغات الأجنبية تلك العلاقة التي أسّس لها الاستعمار، وبقيت محفورة كالجرح في الذاكرة بعد الاستقلال، على أن تكون اللغات الأجنبية لغة إسناد لا لغة هوية، مع ضرورة تنمية الوعي بالذات؛ ليكون هو الموجّه والمتحكّم والمرشد والمحدّد للأولويات. لا بد من بناء علاقة توازن تحفظ الهوية، وتستفيد من منجزات العلم الحديث. ويتوهّم من يعتقد أنّ ثمة تناقضاً بين الهوية والعلم الحديث فهو إمّا أيديولوجي مغرض، وإمّا على غير علم بما يقول.

إنّه من الأهمية أن نشير إلى دسترة اللغة العربية لتكون بمنأى عن التجاذبات السياسية التي قد تربك المسألة اللغوية، وتعيق تطوّرها الطبيعي، وإلى ترسيم اللغة الأمازيغية لتكون لغة وطنية ورفيقة درب العربية في تطوير التنمية الثقافية والاجتماعية والعمل جار لإنشاء أكاديميات للغات الوطنية، وستعمل إلى جانب المجمع الجزائري للغة العربية ومركز البحوث والتطوير التكنولوجي للغة العربية وعشرات المخابر المنتشرة في الجامعات الجزائرية ذات الصلة باللغة العربية وستعمل كلّها على خدمة اللغة العربية وتطويرها والسعي بها لتلحق بالتطوّرات العلمية المعاصرة الفائقة، دون أن يعني ذلك الانغلاق على الذات والتمركز حولها والاكتفاء بها، بل تصاحب كلّ ذلك دعوات بنفس الإلحاح والحماسة إلى ضرورة

الانفتاح على اللغات الأجنبية وعلومها وثقافتها وفنونها والإفادة منها ومن نتائجها وهذا التحوّل بين اللغات والثقافات هو ما ينبغي المراهنة عليه لاكتساب شروط النهوض الشامل في عالم لا يمكن الاكتفاء فيه بعين واحدة.

إنّ الاحتفاء باليوم العالمي للغة العربية يعدّ حدثاً حضارياً بالغ الأهمية فهو اعتراف كوني بإنسانية هذه اللغة ودورها التاريخي وثقلها الثقافي والروحي وقدرتها على دعم الخبرات الإنسانية بقيمها وبما خزنته ذاكرتها من إرث ثقافي يمتدّ إلى ما يقرب من ألف عام، إنّ مكسب للغتنا العربية أن تحتلّ المرتبة الخامسة من ضمن آلاف اللغات، وهو دافع لها لترقى بنفسها ولتستكمل دورها التاريخي في الحضارة العالمية.

إنّ خير ما نشارك به في هذا الاحتفاء العالمي باللغة العربية هو أن نتعامل معها وبها بما يحقق ذلك الفعل الحضاري الذي يليق بها كلغة حضارة إنسانية وأقدم لغة لا تزال تُنتج المعارف، وتعيش التكامل والتطور في مختلف فنون المعرفة. وعهدي بالباحثين والمؤسسات التي تضيف إلى مخزون هذه اللغة ما يدخل في القيمة المضافة للغة الأمجاد، فأعظم بها من لغة!

هذه هي الحقيقة التي يجب نقلها، والتعامل بها في إطار خدمة الهوية اللغوية حسب متطلبات الراهن؛ كي لا نقع في الاجترار، وأن يكون الباحثون واللسانيون والتربويون في تنافس علمي ومنهجي للوصول إلى هدف واحد؛ وهو العمل على تطوير اللغات الوطنية، وليس ذلك بعزیز على باحثينا.

اللغة الوطنية المشتركة والتنمية

— مقدمة: في العادة إنّ اللغة المشتركة هي التي تعمل على التنمية البشرية؛ حيث إنّ القمّة على اتّصال بالقاعدة، والعكس يصحّ، من خلال لغة مشتركة، وتسمى لغة الأمة. ومفهوم كلمة الأمة يعني بها ذلك الكيان الأوسع والشامل في الانتماء الحضاري والثقافي المشترك. وهكذا، فالعربية مجال مشترك ومثال يحتذى؛ فهي الوحيدة التي يأتي عليها مصطلح (اللغة الأمّ + لغة الأمة) بحكم أنّها لغة الأمّ والأمة لا تُعامل معاملة اللّغات الأخرى، فلها التفضيل؛ لما لها من قاسم مشترك، ولا بدّ أنّ الجانب السياسي يُغلّبها على اللّغات الوطنية واللّغات الأجنبية، وهذا يستدعي تدبيراً عقلياً يراعي التعدّد بحسب المقام والذي يحافظ على التماسك والتعايش. ومع ذلك فتتجد أحياناً بعض الفئات تطرح أسئلة الهوية والخصوصيات اللغوية والثقافية والحضارية والقومية والروحية، فهنا نرى اللغة الأمّ - لغة الأمة تأتي في صدارة تلك الأسئلة. ففي واقعنا الجزائري هناك لغة مشتركة في التفاهم بين مكوثات الأمة بمختلف أدائها اللغوية والوظيفية، ولكن نطرح هنا سؤال التنمية الشاملة، فهل التنمية الكاملة المتكاملة تأتي من اللغات المحلية أو من اللغات الأجنبية؟

إنّ التنمية الشاملة تأتي بنفع عام لا شكّ في ذلك، ونقضي إلى تنمية القدرات الذهنية، والرفع من المستوى التعليمي والخبرة والثقافة والوعي، بل إلى زرع الثقة بين المسؤول والمسؤول عليه، بين الراعي والرعية، بين المسيّر والخادم، ليحصل المزج الكلّي بين العقول التي تفكّر وتخطّط، وبين السواعد التي تبني وتعمل. وهكذا، لا يمكن أن تحصل التنمية البشرية في غياب التواصل البيني الذي لا يكون إلّا بلغة مشتركة وهذا ما نلمسه بين المريض والطبيب، فغياب التواصل اللغوي البيني بالمشترك المصطلحي يزيد من عقدة المرض، وإذا حصل التواصل البيني يحصل نصف الشفاء. ولذا، فنروم أن تكون اللغة المشتركة ركيزة أساساً في

التنمية الجمعية، والتي تعتمد: "الرأسمال البشري + الرأسمال المعرفي" + توطين المعرفة⁽¹⁾". وتوطين المعرفة باللغة المشتركة عامل قوي لمزيد من الإنتاج.

وهكذا تساوي العربية لغة التنمية. ولكن في واقعنا المعاصر الذي تقوم الأمور على المصالح المرسلّة من حقّ التاجر/ المعلم/ السائق/ السائح/ الإداري... أن يسأل عن لغة فيها منفعة، وهي أسئلة مشروعة فأين هذه اللغة التي لها وزن في سوق التداول؟ وهذه الأمور من أسئلة واقع المنفعة، ونحن نعيش هاجس الحضارة والتقدم والاستقرار فيمكن أن يهجر الإنسان لغته ويعزف عن توريثها لأبنائه فلا تشغله الهوية بقدر ما يشغله واقع المال والمصلحة الضيقة، ومن هنا، يجب أن لا ننخدع بالتنشيط اللغوي الداعي إلى قبول اللهجات والتي تنتشر إلى محليات، وفي الأخير ينتصر من يضرم النار بين اللغات الأخوات. ونعلم بأنّ سلاح اللغة ذو حدين: يمكن أن يوظّف من أجل لحمّة المجتمع، كما يمكن أن يستعمل لتمزيقه.

ولهذا، ينمو الرأسمال المعرفي بقدر نمو الثقافة الجامعة، والوعي الجمعي، ولا تحقّقه إلاّ اللغة الوطنية المشتركة القادرة على تعميم التعليم، وإنتاج المعرفة ونقلها وتبسيطها وتوطينها وتعميق جذورها في المجتمع؛ لأنّ المعرفة لا تستورد كلّها، بل يمكن استيراد بعضها، وما دام أنّه يستورد بعضها فإنّه عالية على الآخرين أو في حكم غير الموجود فالمعرفة تستتبّ في بيئتها وفي عقول أبنائها، بلغتهم المشتركة لأنّ استيراد المعرفة مكلفة جداً، ثمّ هي متطوّرة دائماً فما هي المعرفة التي تُستورد؟ وكذلك فإنّ استيراد المعرفة يمكن أن تحصل بصورة سطحية، وما هو ليس مُتجذراً يكون سهل الاقتلاع والزوال، واستيراد المعرفة بلغاتها؛ يعني توسيع تلك اللغة في وطنك على حساب اللغات الوطنية؛ ويعني ذلك تبعية لغوية، كما يعني خلق نخبة وفئة راقية تتقن اللغات الأجنبية وتحقّر اللغات الوطنية.

(1) — عبد العلي الودغيري، لغة الأمّة ولغة الأمّ عن واقع اللغة العربية في بيئتها الاجتماعية والثقافية.

بيروت: 2014، دار الكتب العلمية، ص 19-37.

إنّ استيراد المعرفة يكمن في خطرين: خطر التماهي مع لغة واحدة تأخذ منها ويدخل هذا في الاستعمار اللغوي. وخطر الأخذ من كلّ اللّغات (العلم يوجد في كثير من اللغات، فأية لغة يؤخذ منها؟) وهنا يحدث الانشطار أو الانفصام الشخصي للمجتمع الذي يستورد المعرفة، والطريق الأمثل هنا هو نقل المعرفة إلى اللغة الوطنية المشتركة؛ بتكثيف حركة الترجمة وفق برامج مخطّطة تواكب حركة الإنتاج المعرفي والرفع من عدد البعثات، وهضم المعرفة العلمية بلغاتها الأصل ثمّ ترجمتها، وصدق بيرم التونسي الذي قال: "إذا علّمت شخصاً بلغته نقلت العلم إلى تلك اللّغة، أما إذا علّمته بلغة أخرى فلم تزد على أنك نقلت ذلك الشخص إليها". وإنّه ليس هناك من وسيلة لتعميم المعرفة وتطوير سلوك المجتمع إلّا استعمال اللغة الوطنية المشتركة حيث التنمية بعمومها لا تحصل إلّا بتماسك اجتماعي، والمجتمع المنسجم لغوياً هو الأقوى وغير المنسجم يصبح منحلّاً، ويساعد على خلق جو من التبعية، بل ومن الشرخ الجمعي الذي يؤدّي إلى ما لا تحمد عقباه، وهذا بسبب غياب الانسجام الفكري والثقافي والسياسي بين المجتمع. وكلّما حدث انسجام وتناغم بين الناس ازداد تحقيق التنمية والوحدة اللغوية، وارتفعت نسبة الانسجام الجمعي. ولهذا فإنّ اختيار اللغة الرسمية للوطن تراعى فيه مجموعة من الشروط التي لا تحدث الخلل في المجتمع ولا تنزل اللغات الوطنية منزلة واحدة فكلّ لغة حمولة وثقافة وإرث وتراث وحضارة، فيقع الاختيار بين أثقل اللغات الوطنية ولا يمكن التسوية التامة بين اللغات الوطنية، فإذا قبلنا بهذا؛ فإننا لا نقيم فرقاً بين البعوضة والفيل، أو نروج لديماغوجية عمياء بعيدة عن الواقع. ويجب التأكيد بأنّ اللغات الوطنية ليست على درجة واحدة من الكفاءة والتجربة، وبالتالي ليست كلّ اللغات الوطنية صالحة للقيام بكلّ الوظائف، وإذا كان ذلك كذلك فلماذا يتسابق الناس لتعلّم لغة دون أخرى، ولهذا فإنّ اختيار اللغة الرسمية للوطن لا تؤخذ هكذا بل هناك مبررات تأخذها الشعوب، وهي:

- 1- أن تكون اللّغة الأكثر انتشاراً من حيث الاستعمال والأكثر تجذراً في وجدان المجتمع.

- 2- أن تكون حاملة للمعرفة أو مؤهلة لذلك أكثر من غيرها.
 - 3- أن تكون ذات حمولة ثقافية ورمزية وتاريخية وحضارية عميقة وتجربة طويلة.
 - 4- أن تكون الأكثر من بين اللغات المستعملة قدرة على مواجهة اللغات الأجنبية والوقوف في مواجهتها ندّاً للند، وذلك حتى لا يسهل افتراسها والقضاء عليها، كما حدث لعدد من اللغات الصغرى في إفريقيا وغيرها من البلاد حين عجزت تلك اللغات عن الصمود في وجه لغات الاحتلال من مثل الفرنسية والإنجليزية، فانتهت إلى الخضوع التام والاستسلام الكامل.
 - 5- أن تكون صالحة للتواصل بين أكبر عدد ممكن من أبناء الشعوب العربية الإسلامية؛ لأنّ كل بلد عربي هو جزء لا يتجزأ ماضياً وحاضراً ومستقبلاً من هذه الأمة.
 - 6- أن تكون صالحة للاستعمال في التعليم والإدارة والاقتصاد والإعلام، وكل مرافق الحياة العامّة والخاصّة.
 - 7- أن تكون مؤهلة للاستعمال لتستعمل في توطين المعرفة وإنتاجها وتوليدها.
 - 8- أن تكون بمثابة الأمّ الحاضنة للجميع والبيت المشترك الذي يسكنه الجميع وكأنّهم أفراد أسرة واحدة متضامنة، ويتساوى فيه الجميع دون إحساس أحد منهم بالتمييز أو النقص أو الإبعاد. ومن المأثور عن الفيلسوف الألماني (مارتن هيدجر) أنّه كان يقول: اللّغة هي بيت الإنسان الذي يأوي إليه ويقيم فيه⁽¹⁾.
- مرّة ومراراً أقول: إنّ اللغة الوطنية المشتركة هي البيت المشترك، فلها مقامها ووظائفها التي تقوم بها كان علينا صونها والعمل على حمايتها بكلّ ما أوتينا من جهد وقوانين، وأمّا اللغات الأجنبية نحتاجها عند الضرورة، ونلجأ إليها في ربط المجتمع بالعالم الخارجي لمواكبة التطور، ومعرفة الحاجات الملحة والإفادة منها

(1) عبد العلي الودغيري، لغة الأمّة ولغة الأمّ عن واقع اللّغة العربية في بيئتها الاجتماعية والثقافية. بيروت: 2014، دار الكتب العلمية، ص 35.

شرط أن تتم إعادة إنتاج ما يستفاد من اللغات الأجنبية إلى اللغات الوطنية بإعادة التعبير عنها باللغة الجامعة. ونقول: بأن التنمية الشاملة تكون باللغات الوطنية، ولم يثبت أن أمة في العالم ارتقت بغير لغاتها الوطنية. ولكن من الضروري أن يقع الفصل في مصطلح اللغات الوطنية التي يمكن اعتمادها بغية التنمية الشاملة وبخاصة في مجتمع تعددت لغاته الوطنية، فما هي اللغة الوطنية الأوفر حظاً؟ أو هل تؤخذ كل اللغات الوطنية لخدمة التنمية الشاملة؟

تؤكد التجارب الأممية الناجحة على أن المجتمع المتعدد اللغات له الكثير من المحاسن، وفي ذات الوقت هناك بعض الهنات التي يجب أن توضع في الاعتبار من مثل: أياكون المجتمع كله يتقن اللغات الوطنية؟ هذا من الصعوبة، أو تجد فرق الترجمة لحل المسألة، كذلك من الصعب، دون أن نغفل الكلفة المادية الناتجة عن الترجمة بين اللغات الوطنية، دون الحديث عن الترجمة من اللغات الأجنبية، وهي ضرورة ولا بد أن تكون في مجتمع يسعى لنيل مقامه بين الأمم.

ولهذا لا توجد وصفة ناجحة مئة في المئة في هذا الأمر؛ بقدر ما توجد أفكار حسن التدبير للتعدد اللغوي المحلي، وهو:

- 1- التخطيط السياسي واللغوي والتربوي لمجتمع متعدد اللغات.
- 2- التجنيد الجمعي للوعي للمسألة اللغوية التي يجب أن تكون محلّ دراية ونقاش كي يقع الاتفاق الجمعي الوطني.
- 3- الإقرار بأهمية التعدد اللغوي المنسجم مع الخصوصيات الحضارية والثقافية والدينية والتاريخية.
- 4- اعتماد المرجعيات الوطنية في جمع الأمة على الخطوط الحُمر التي لا تكون محلّ جدال إلا في طرائق الوصول إلى الهدف المشترك.
- 5- العمل على التقليل من التعدد اللغوي المحلي.
- 6- السعي إلى التقارب المصطلحي بين اللغات الوطنية، ويفرضه الاستعمال.

- 7- العمل بقاعدة الاختيار اللغوي: لغة مشتركة، تعطى لها بعض الأولويات في الإدارة والتعليم ووسائل الاتصال.
 - 8- عدم احتقار اللغات الوطنية الأخرى مهما كانت ضيقة، بل يعمل على ترقيتها في بعض الجوانب المكملّة للهوية اللغوية.
 - 9- استعمال اللغات الوطنية في المناطق التي تستعمل فيها بقوة واعتمادها في التعليم والإعلام والفنون وفي قضاء المصالح المرسلة بالمواطنين.
 - 10- الاهتمام بالتعدّد اللغوي غير المكلف، سعياً إلى الانسجام الجمعي.
- تلكم بعضُ الموصفات/ الأفكار التي بصُرتُ بها، وأنا أعيش في مُجتمع مُتعدّد للغات، ونرى ظهور أفكار تدعو إلى الاهتمام باللغات القديمة/ الأصلية وهذا طبيعي وهامّ وضروري، ولا يُفسد الانسجامَ الجمعي أبداً، بل يعمل على اللحمة الوطنية عندما يحصل الإقرار بالمصالحة مع الذات اللغوية/ الثقافية.

العربية الفصحى ولا بديل

— مقدمة: إنّ الذي جعلني أطرّس هذه الورقات في حقّ العربية الفصحى هي تلك الدعوات القديمة التي عادت في ثوب جديد، وتقول: من الضروري أن نتحرّر من العربية الفصحى التي أصبحت لا تقدّم العلم كما لا تقدّم التواصل الطبيعي، وأنّ تدريس الدارجة اليوم أكثر من ضرورة للحاق بالركب، وأنّ اللغة الأمّ هي تلك الوسيلة اللغوية البسيطة الدارجة، وليست الفصحى المعيارية فالعربية المعيارية الفصيحة لغة ثانية وهي لغة قديمة، ويضاف إلى ذلك ما يقال عن ضُعف العربية وما نسمعه من منتوج إرهاب المدرسة المعرّبة، إلى غير ذلك من التنادي إلى التعدّد اللغوي الأجنبي الانجذابي الذي يجعلنا ننقطع عن لغاتنا الوطنية، وعن اللغة المشتركة الجامعة، بدعوى العجز والفقر العلمي... تلك دعوات عقدت سُبُل النطاق لتنتهز نهضة المختلس التي تُسوّي ولا تُسوّي. ولكنّ الحقيقة التي لا شيةَ فيها أنّ معظم تلك الأقوال هي جوالب الأوهام، وليست من إنتاجات الأفهام وأنّ زمانها قد ولى، ولكنّ مُناديها لا يعيش المعاصرة، فهم في غشاوة قديمة، ولا يدرون بأنّ العالم قد تغيّر. ومع ذلك قد تكون بعض الأقوال سليمة في نواياها من تقعّر بعض العروبيين؛ تقعّر يعيش الفراغ الإجرائي التطبيقي، والذي يدخل في جعجة كلام ولذا لا نعدم بعض الأفكار التي هي من الصواب، ولكنّها لم تأت في المحال، ولم تقترح الحلول المنال، بل أريد من ورائها الإقصاء، وتلك غاية ضعيفة؛ بل حُجة واهية، فهي حقّ أريد به باطل، وكان يجب أن نبني الأقوال على برهان. وكلّ هذا جعلني أقرع طُنبوب الاجتهاد؛ لكتابة هذا الكلام، والبحث عن حلول علمية لهذه الحالة التي أسودّ منها المشهد اللغوي، وأحاول التفصيل على هذا المنوال:

1- حقّ الاختلاف في المنهج طبيعي: أروم الانطلاق من المقولة التالية:

"العاقل هو الذي يترنّث، والعالم هو الذي يشكّ، بينما الجاهل هو الذي يؤكّد". نحن بحاجة إلى الاختلاف أحياناً لمعرفة ما يخفيه الآخرون في قلوبهم، وقد تجد ما

يجعلك في ذهول وقد تجد ما تتحني له احتراماً. وعلى العموم، فهو لاء القائلون بتخرس الفصحى قد تأخرت ألبائهم عن إدراك غررها ودورها في الماضي والحاضر ويرون بأن الصفاء اللغوي في هذا الزمان كمن يطلب العنقاء المُنجحة فلا ينبغي الانتظار في اتخاذ قرار اعتماد تدريس اللهجة، وإلا نكون خارج دائرة الجغرافيا. ويبدو لي بأن مثل هذا الكلام لا تصريف له ولا شك أنه خديعة واهية يخدع بها الأعتام وسُدج القوم؛ فحججهم داحضة وآراؤهم دُبرية. بقدر ما نقول لهم: لا تستغيثوا الناس في لغتهم، ولا تكونوا من الذين يعملون على التعطيل، فهي كلمات كان يجب أن تقال في منهجيات التطوير، وفي أفضل طرائق التحسين؛ وصولاً إلى هدف مشترك؛ وهو خدمة المواطن اللغوية في صورتها الجامعة.

2- مقولات عفا عليها الزمان: بعضها مقولات قديمة قيلت في أربعينيات القرن الماضي، وليست آنذاك لبوس اللاتينية التي انحرفت عنها اللغات الأوربية. وبحق نقول: إن اللاتينية هي اللغة الأم بالنسبة للغات المنبثقة عنها: الفرنسية + الإسبانية + الإيطالية + المالطية. وهذه اللغات هي لغات أم بالنسبة للناطقين بها في مناطقهم ولكن اللغة الأم الجامعة المشتركة هي اللاتينية. وكذلك الكلام عن العربية فاللغة الأم هي اللغة الفصحى الجامعة وكانت قبل أن تكون الفصحى أكثر من لغات أم في شبه الجزيرة العربية، وكل قبيلة كانت لها لغتها الأم وتوحدت في اللغة الأم؛ وهي الفصحى لغة الشعر الجاهلي، ولغة المكان المقدس (أستار الكعبة) وهي لغة التعامل في مكة؛ باعتبارها مجمعا للدين وللعقائد وللتجارة الداخلية والخارجية ولغة المدينة باسم العصبية العربية (لغة قريش) والتي أصبحت لغة العرب الجامعة، ومن ثم أصبحت لغة الخطاب الرسمي. وهذا الواقع موجود الآن فالخطاب الرسمي والقوانين تنص على لغة مشتركة جامعة، وهي اللغة الأم. ومع ذلك نقول: إن قياس اللاتينية على العربية لا يجوز، فكل خصوصياته، ولذا فالقياس على الخطأ خطأ، وأن القطيعة بين اللاتينية وبناتها كانت بفعل ترهلها وعدم استجابتها للمراحل اللاحقة، فعاشت اللاتينية العزلة التي ولدت اللاتينيات فأصبحت اللاتينية لاتينيات. وأما العربية عند سلفنا لم يسجل عليها التاريخ عجزاً

بل كانت تتمتع بقوة جيدة فاقت كل اللغات، وما تولّد عنها ليس بالعربيات، بل هي مستوى لغوي ليس إلّا، فالعربية عربية، وهي اللغة الأمّ دون القياس على ضعفها الحاضر، ولا علاقة له باللغة الأمّ، فإذا أدركها الخل والنقص فيعود إلى الخلف لا إلى جينات اللغة، فهي سليمة ولود. دون أن نغفل أنّ اللغات التي لا تنقطع عن أصلاتها تحمل الدين، فهل أتاكم نبأ السنسكريتية والعبرية اللتين لم تنقطعاً عن ماضيها إلّا في شقّهما الأسلوبى تطوراً حسب مقتضيات أساليب العصر، وحصل التواصلُ الفعليّ بين لغة الأجداد ولغة الخلف وهل ذلك غيرُ جائز في العربية؟ أليس من الصواب أن تبقى الأصالة متواصلة في ثوب جديد متجدّد، دونما حاجة إلى معجم لكل عصر من العصور أليس في هذا ميزة عقلية علمية؛ حيث يحصل التركيب اللغوي المؤدّي إلى الإبداع؟ وهل من المعقول أن ننقطع عن ماضينا، وفي كل مرة نبدأ من جديد؟

3 - دعوة اللغة الأمّ: وهي من الحقوق اللغوية، ويجب التذكير أنّ الاحتفاء بيوم اللغة الأمّ حقّ سنّته الأمم المتحدة في 21 فبراير من كلّ سنة هو تأكيد عالمي على أهمية اللغة الأمّ التي تستعمل مع المعارف والكلام يجري جرياً خفيفاً دون تكلف، كما أنّ بيني وبين ابن لغتنا تكون أبواب النفس مشرّعة بين الطرفين ذلك أنّ الشخص عندما يتكلّم بلغته الأمّ يكون صادراً عن صميم أناه، ويكون هو في صفاء ذاته. ويمكن التركيز على أهمية اللغة الأمّ باعتبارها تتدفق من متلاغيها اندفاقاً، فلا يمكن أن تكون مثل اللغة الأجنبية حتى لو أتقنها المتعلّم إتقاناً فتكون شخصيته مفتعلة؛ لأنّه حصلها بالدراسة فقط، أما اللغة الأمّ فجاءت دون ترويض فهي عفوية متدفقة، وهي صورة عفوية للوعي الجمعي، وهي تلك اللغة التي يفكر بها ويهرع لاستعمالها أثناء الخوف، ويتعامل بها في الحميميات والتي ازدوجت بها شخصية الإنسان، فأصبحت توأمه، وبقية ما أجاده من لغات لا تعدو أن تكون محفوظات يعود إليها عند الحاجة. وعندما يتكلّف الكلام بلغة غريبة عنه يكون كمن خرج من ذاته، وتلمّس وجهاً آخر أو شاب ذاته الصائبة بعض العكر. أضف إلى ذلك أنّ الشعب الذي يتكلّم لغته يغدو Homogène وإذا تكلم لغة غيره يصبح Hétérogène

أو Disparate؛ لأنّ اللغة هي نفسها الإنسان والوطن والأمة والكيان وهي الحضارة التي تكمل مسيرة السلف. ولهذا، فمفهوم لغة الأم غير محدّد في اللغة الشفاهية أو اللغة التاريخية، بل في اللغة الوظيفية الرسمية والتواصلية والتي يقع بها الإبداع. ومن هنا، نربط لغة الأمّ بتلك اللغات الستّ المقرّرة لغات الأمم المتحدة وهي لغات التواصل الدولي، ويحصل الاحتفاء بها مرتّين: مرّة تحتفي كلّ اللغات الستّ في اليوم المشترك الموافق 21 فبراير، ومرّة تحتفي كلّ لغة أمّية بيومها الخاصّ: يوم 20 مارس للغة الفرنسية بيوم الفرنكفونية ويوم 20 أفريل للغة الصينية تكريماً لمخترع تلك الحروف التي تحمل رسم الصينية (سانغ جيه) ويوم 23 أفريل للروسية تمجيداً بميلاد شاعرها الكبير ألكسندر بوشكين، ويوم 12 أكتوبر ذكرى يوم الثقافة الإسبانية ويوم 18 ديسمبر تكريماً لذلك اليوم الذي أصبحت فيه العربية لغة رسمية أمّية. فاللغة الأمّ هي اللغة الرسمية في بلدها وفي الأمم المتّحدة أيّها الباحثون وبذا تكون العربية لغة دولية ولغة أمّ. فهل من المعقول أنّ الأمم المتّحدة تدعو إلى تخصيص أكثر من 6000 لغة ليكون لها يوم خاصّ باعتبارها لغات أمّ، علماً أنّ هناك (100) لغة فقط هي التي لها شأن في العالم وفي التواصل وفي التعليم. وهذه اللغات الـ (100) سوف تتقلّص إلى الحدّ الأدنى جداً جداً في حدود سنة 2050، بل إنّ بعضهم يُحدّدها في أربع (4) لغات والبعض في لغات الأمم المتّحدة الستّ (6) والباقي يدخل في التاريخ، إذا نرجو الحذر في استعمال كلمة (اللغة الأمّ) بالمفهوم الغلط.

4 - مسألة الدارجة: كلمة حقّ في غير محلّها، فما هي الدارجة المطلوبة؟ ونعلم بأنّ في كلّ حيّ عندنا دوارج، علماً أنّ الدارجة القريبة للفصحى ثابتة وموجودة في أسلوبها البسيط، وفي اختلاصها عن الأصل وفي مستوى أنسبها. علماً أنّه لا توجد لغة في العالم ليس لها المستوى العلمي المتأدّب، وهو الفصحى في العربية (مستوى الخطاب العالي + خطاب الانقباض) والمستوى الثاني الأدنى (مستوى خطاب الأنس) وهو المستوى الدارج البسيط عندنا، ويوجد هذا في أسلوب التواصل وحتى على مستوى القراءات القرآنية، بل في خطابات النّحاة في عصر التدوين. أخطر على

بال أحد أن صاحب الكتاب (سبويه) كان يستعمل المستوى العلمي الرفيع في تواصله مع اللغويين ومع زملائه وطلابه، كلاً، وهذا لم يثبت عنه. ثم من الضروري أن يفرق المتحدث بين الخطابات حسب المقام، والحال ومقتضى الحال، والمتحدث إليه، وهذه سنة كل اللغات. وقد سألتُ فرنسياً وأنا في قلب باريس: *Ou se trouve la Bastille?*، فأجابني: *ché pas*، بدل أن يقول: *Je ne sais pas* إذا مسألة المستويات اللغوية ثابتة في كل اللغات، والناس تميل إلى مستوى الأنس ليس تخلياً عن المستوى العالي بل لدواعي السرعة والحذر والإشمام ومقتضى الحال استدعى التفريق بين المستويين واستعمال الأخف. ثم هل لغة المخترع أو الأديب هي لغة ابن السوق، والإنسان العادي؟ كلاً لكّله مستوى لغوي ينتهجه. ألا يخطر ببالنا لماذا كل اللغات سُميت بلُغوي أو بمسرحي أو بفنان، ولم تنسب إلى صاحب السوق أو حرفه ساقطة، أو إلى عالم ذرة، أو ميكانيكي، أو صاحب مخترع الطائرة النفاثة؟ لأن اللغة في أصلها أسلوب ونمط عيش، وفي ذاتها تحمل ثقافة أمة، وحضارة مجتمع. ولهذا نجدها تُنسب إلى المبدعين في المجال الأدبي: لغة فولتير + لغة شكسبير + لغة كوتة + لغة الفيدا + لغة سبويه + لغة سي أمحمد أو محمد + لغة سينج + لغة بوشكين... ولغات تنسب إلى الدين الذي تحمله: لغة الفيدا + لغة القرآن + لغة التلمود. وظهرت بعض الألقاب المعاصرة التي تحمل مضامين ذات اللغة من مثل: لغة العلم + لغة الشعر + لغة الكهنوت + لغة المنطق...

5 - العربية لغة قديمة: إن العربية قُدمى قديمة، وهذا ما أكسبها العلم والحضارة، فقام فيها فكر الإنسان العربي أولاً، ثم فكر الإنسان في عمومه ثانياً؛ لأن العربية خدّمتها الحضارة الإنسانية. قام فيها الفكر الإنساني يسجل حصائله وينقل موارد المعرفة من جيل إلى جيل، وبكثير من اللغات، وذلك النقل صنع تراثاً إنسانياً ضخماً حملته الحرف العربي في المقام الأول، وأدت مضامينه بشكل لا مثيل له لبعض اللغات الأخر وهذا من مفاخر لغة العرب؛ حيث تضخم التراث العربي الإسلامي بصدق الدلالة في ضبط علاقة الفكر بالمجتمعات العربية وغير العربية، وسجل مختلف التقلبات في المسيرة الطويلة بين المتناقضات بين الدقة

والصرامة وعمق الرؤية. إنها العربية الفصحى اللغة التي استوعبت عقيدة الإسلام تأملاً ونظراً واعتباراً، ونقلت الإنسان العالمي بما تفتح لها من أفق معرفي عام من شطف حياة العربي البسيطة إلى عمق فكره الحرّ المُنفَتَح المُتفاعل أخذاً وعطاءً وما كان ليتسنّى ذلك لو لم تكن العربية الفصحى لغةً حيّةً ومتطوّرةً ومتفاعلةً مع محيطها، ومستفيدةً من الآخر في غير ما ضُعب، ومستوعبةً للجديد دون التفرّيط في خصائصها. والآن يدعوننا إلى التخلّي عن العربية الفصحى؛ هذا الكنز الكبير وإلى اتّخاذ لغة العوام، على أنّها أحسن لسان أليس هذا من العار والشنار؟ وتقولون هذا من المنار. فهلاً فكّرتم في ما هو من المزداد لا الانتكاسة والعودة إلى ما كان من المُراد، ولم يتحقّق ذاتَ زمان فحملتم الدعوة دون بُرهان، ويا ليتكم بحثتم في المُفيد وصولاً إلى غاية تستزيد. ويا ليتكم عملتم على إحياء العربية من داخلها، لا برصّف كلمات نقدٍ وتجريحٍ من صنّع الآخر، وهي كلمات تعمل على التعطيل ليس إلّا، أمّا ليس لدينا الوقت لمزيد من التأخير، فمتى نلحق الركب بهذه المطبات التي تعمل على التأخير.

واعجباً، نطعن في الفصحى العتيقة، هذا الحصن الذي بقيَ واقفاً في بحر العولمة الجارف، بعدما رأينا الخرقَ يتسع على الراقع، من تدنّي الهمم، واحتقار الذات، حيث كنّا ننظر إلى اللغة على أنّها وسيلة للتواصل لا غير وننسى أنّ اللغة مفتاحٌ لإصلاح عقولنا، ومادةٌ لنخبة أفكارنا، وإكسيرٌ لإشباع حاجتنا، وانتماءً اجتماعي، وليست مُجرّد أداة للاتّصال، وإنّها وجهة نظر الناطقين بها في طريقة إدراك العالم، ووضع تصوّراتهم الذهنية، فاللغة الفصحى تحمل قيمهم الخصوصية والاجتماعية والثقافية. وهكذا يقولون: تخلّوا عن فصاحة العربية تكونوا متقدّمين بلغة الدهماء والغوغاء يريدوننا أن نتخلّى عن فصاحتها التي أبهرت اللغات، وعن سرّ بقائها حيّة وعن جمالها وعلمها وأسرارها لتحصل القطيعة والتحنيط، فهل هذا من النصيحة أم من الخديعة؟ يدعوننا إلى التخلّي عن العربية التي تحمل القرآن وهو أسمى كتاب سماوي والذي جعلها ترتقي، ولم تكن شيئاً، حتى رفع سُمكها وزاد من متانتها، وهي تكبر به وفيه، لما يحمل من أساليب لا مثيل لها في كلّ اللغات.

6 - العربية الفصحى بفصاحة القرآن: كثير من الذين يجهون بأن المتحكم في اللغة لا يخلو ثقله من حمولة القرآن، وهذا ما أثبتته الأبحاث التي قمنا بها مع طلابنا ومع تلك الأطاريح التي أنجزناها، فقد أثبتت بأن الحافظين أو الحاملين للقرآن، أو الذين انتموا إلى الكتاب هم المتفوقون في التحصيل وفي كل العلوم وينبئنا هذا بما نراه في قائمة المتسابقين في مختلف المسابقات، فهم يتصدرون. ولهذا فالعهدة في هذا أن يقع الاهتمام بالتحصيل القرآني في بعض أبعاده، ولا يعني الدعوة إلى حفظ أحزابه، بل إلى الاهتمام بأساليبه؛ على أن تكون شواهد في الكتاب المدرسي، وأن تكون بعض الأجزاء من المحفوظ الذي يرقى لغة التلميذ/ الطالب. وما نقوله ليس بدعة في المجال، ويكفينا الحال بأن متصدري المسابقات وطنياً ودولياً هم حفظة القرآن أو بعض أجزائه كما أن المتألقين في البكالوريا كلهم من الحفظة للقرآن أو لبعض أجزاء القرآن. ولكن هذا الأمر يعنونه بعض النقص في التوجيه الإعدادي وفي البكالوريا، فنحن نوجه التلاميذ/ الطلاب المتفوقين إلى المواد العلمية، ونشترط أعلى العلامات، ونوجه الحاصلين على العلامات الدنيا إلى الآداب أو الحقوق أو علم النفس، فتلك ليست من العدالة اللغوية ولا المعرفية بل تحمل في ذاتها تحقير هذه المواد، كما تغرس في نفسية المتوجهين إليها سقط المادة التي اختارها أو وجه إليها. فإذا أردنا للعربية مكاناً أن يقع توجيه المتفوقين ونشترط العلامات العليا ومن ثم تأتي النوعية، وعند ذلك لا نشك في الفقر اللغوي في العربية.

7 - مهلكة العربية: صحيح إن هذا الكلام ما كان ليُقال لو أن أصحاب العربية في وقتنا الراهن عملوا على تخير النصوص المانعة التي تخلب الأبواب وعملوا على وضع دعائم المناخ اللغوي السليم الذي يمكن للفصحى أن تكون لغة الفكر التي تؤد الأعمال الخالدة كما حصل في سالف الزمان. ولكن الأمر المبكي لمهلكة العربية أنه قبلنا ببعض السلوكات اللغوية والنصوص العلمية والأدبية التي بزُل فيها الفساد، وتركناها على عواهنها دون علاج، وقبلنا بالقول الفاسد "الخطأ المشهور أفضل من الصواب المهجور". ونرى القوم يغمسون ألفاظاً شعثاً غبراً ويعتتلون أساليب الفساد اللغوي غير المفهومة، ولم يعد للحذاقة والفصاحة وجود فنرى

العربية في مأزق المهلكة تصحيح من التحنيط، ومن قلة الاستعمال، وهذا لا يذهب بها بعيداً؛ بل يزيدُها تقهقراً. وإننا ندري وندري أننا ندري؛ بأنَّ الخطأ المشهور ليس أفضل من صواب مهجور، حيث اللغة بنت الأمة وعنوانها وآخرة وأمرها وطبعها الخاص؛ فالخطأ المشهور غلط لا بدّ من تصويبه أو ردّه إلى منواله ولا ينبغي أن نضع على أعيننا عُصاباً يعمش عمى يُحال للفصحى في السرّ وفي العلن من أبناء جلدتنا؛ حتى يصبح الخطأ عادةً في الطباع. ولكن البعض قد يعذر، حيث لم نستدّرع آفات المعاجم لتمييز الكلام الفصحى عن الكلام الرغوة في ما نتقوه به من الأساليب التي برّز فيها الفساد، بقدر ما قبلنا العجمة في شوارعنا وقنواتنا ومحلاتنا وفي مدارسنا كما قمشنا بعض أساليب العربية من مصانع اللغات الأجنبية فطارت الفصحى، واختلط الكلام الفصحى بغير الفصحى ولم نعمل بمقولة من يقول: "من أراد الفصحى وسعى سعيها فليرجع إلى تلك الحصاد الجميلة ويرتفع في رياضها الزفرة، كما رتع الأوائل الذين يتخيرون الأماكن التي تنزل فيها كل لفظة مع ضريبها، لكل عبارة مع لفقها". طارت الفصحى لأننا لم نعتمد الصواب اللغوي من خلال لغة القرآن الذي ألبس العربية أبهى حلّة وصانها من العبث وصفها من الأكدار، وحفظها من الهجر، ولذا فارتباطها به حتمّ لازم. ولا بدّ من توجيه الكلام للمبدعين فأين تلك الأقلام المضيفة على هذي السلف؟ أقلام تقول: أنا العربية ولا فخر أين من يُعيد للعربية قُبعتها العالية كما قال فيكتور هوجو: "أنا الذي ألبس الأدب الفرنسي القبعة الحمراء". نريد مُبدعين مُنتجين يَنحَوْنَ أو يواصلون مسيرة الكبار الذين يعملون من أجل لغاتهم دون احتقار بامتلاك الفصحى صحيحة في معاييرها وهي المنوال ولا يكون بالدوارج التي لا تنتقل من جيل إلى جيل ولو بسلطان. اللغة تنتقل بالصفاء اللغوي، وباللغة الأدبية كما قال (جون غرومان): "أحاول أن تكون لغتي فرنسية خالصة مُصفاة، هناك شيء شغلي باستمرار هو: ما هي المعاني والظلال التي تعبّر عنها مختلف التراكيب اللغوية؟ فأنا أعمل على إدراك عبقرية اللغة الفرنسية والبنية الذهنية لهذه اللغة، وليست الفرنسية إذا ما أقصينا لغات أهل الجنوب وأصحاب الأقدام السوداء ولغات كل المتعلّمين الذين

درسوا اللاتينية في المدارس وأولئك الذين درسوا الانجليزية واستعملات الذين درسوا الفلسفة الألمانية، وأيضاً مستعملي اللغة العامية المسماة (largo لارغو) لغة الشارع... وإذا أقصينا كل هذه اللغات وجدنا الفرنسية".

8 - احذروا الهجين اللغوي: يؤكد الراسخون في العلم بأسرار العربية إذا بدأ الهجين فشاً، وإذا شاع انتشر في جسم اللغة انتشار النار في البترول، فلا يبقى لها من الصفاء والنصاعة إلا ما يُبقيه الوشم في ظاهر اليد. وإنّ الهجين اللغوي ينقل العربية إلى أرض يباب لا تنتج أكلها كل حين. وكما يمسّ الأمر الدارجة فهي ناقصة، ولا يمكن أن تكون مُبلّغة وواضحة وعلمية بقدر ما تحمل في متنها من ضعف وقلة حيلة ونُدرة في الأساليب، فلا هي تحمل المعنى المُعبّر، ولا تستطيع التعبير عن الجانب الأدبي أو العلمي فلا خير في لغة لا يدلّ فيها الكلام على المعنى كما قال الجاحظ "لا خير في كلام لا يدلّ على معناها، ولا يشير إلى مغزاها ولا إلى الصمود الذي إليه قصدت والغرض الذي إليه نزلت".

9 - تمسكوا بالفصحى: وأحسنُ مبدأ في التمسك بالفصحى هو قرع الاجتهاد لإبادة الفساد اللغوي، وسدّ الثقوب والهتات؛ لأنّ المأساة تبدأ من مُستصغر الأمور فعلياً رمي الحجر في بركة اللحن لعلّه يعود إلى الصواب، وإنّ تلك الأحجار كما تُرمى في البركة تتسع دائرتها على الدوام؛ فتأخذ حجمها في كلّ زمان. وسيكون ذلك هو الرأي الراجح القارح الذي يستعيب هذا الصدع، فلا خير في كلام يُرجيه قائله قضيباً عارياً عن الحسّ اللغوي، لا ترى فيها عوجاً ولا نبواً. وإنّه ليس من باب التذكير بأنّ العربية لغةٌ حملت عراس الألفاظ الأ Bakar والتي أخرست بدائع العبارات التي جعلت الخزامى في أنف كلّ عربي مَفوّهًا بليغاً عارفاً بأسرار البلاغة، وفي تنضيد الألفاظ، وهي لغة مُرصّعة مُتتابعة كما رصّعت حبات الجلبان في سنيها ورأسها الطباع، وعمودها السماع. العربية لغة بزّت كلّ اللغات وتدنصرت وبقيت صامدة رغم الكثير من الهزّات ألا يوجد ما يعضدها ويدفع بها إلى الأمام؟ ونحن أباعدُ عنها، والغرباء يعشقونها وتقول فيها المستشرقة الألمانية (زيغرد هونكه): "كيف يستطيع الإنسان أن يُقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم

وسحرها الفريد؟ فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحر تلك اللغة..." وقال المستشرق الألماني (أوجست فيشر): "وإذا أستثنينا الصين فلا يوجد شعب آخر يحق له الفخر بوفرة كتب علوم لغته غير العرب". وقال (كارل بروكلمان): "بلغت العربية بفضل القرآن من الاتساع، مدى لا تكاد تعرفه أية لغة أخرى من لغات الدنيا. وقال الفرنسي (وليام مرسيه): "العبارة العربية كالعود إذا نقرت على أحد أوتاره رنّت لديك جميع الأوتار وخفقت، ثم تحرّك اللغة في أعماق النفس من وراء حدود المعنى المباشر موكباً من العواطف والصور". وقال الفرنسي (لويس ماسينيون): "اللغة العربية هي التي أدخلت في الغرب طريقة التعبير العلمي والعربية من أنقى اللغات، فقد تفرّدت في طرائق التعبير العلمي والفني". وإنّ هؤلاء قالوا هذا الكلام لأنهم أدركوا بحصافة ألبابهم أنّ العربية الفصحى لا بديل لها، فهي الجامعة التي يعلو شأنها. ولا تكون الدوارج بديلاً عن الفصحى، فالدارجة ضعيفة هزيلة، لا يمكن أن تعبّر عن العلم، وعن الدقّة وعن الإبداع، فهي لغة دارجة عرجاء لا تلبس لبوس الإنتاج والرقى الذي يوجد في الفصحى، وفي المستوى المتأدّب أو العلمي الموجود في كلّ لغات العالم.

لا بديل عن الفصحى؛ لأنّ الفصحى من الكلام هو "... ما وافق لغة العرب، ولم يخرج عما عليه أهل الأدب ولتصحيح ذلك وُضع النحو، ولجمعه وُضعت الكتب في اللغة، وذكر المستعمل منها، والشاذ والمهمّل، وحقّ من نشأ في العرب أن يستعمل الاقتداء بلغتهم، ولا يخرج عن جملة ألفاظهم، ولا يقنع من نفسه لمخالفتهم فيخطئونه ويلحنوه، واللحن ما خالف اللّغة العربية، وخرج عن استعمال أهلها، وما بنى عليه إعرابها، وهو مصعب عند الأدباء في الجملة، وعلى من يأخذ نفسه بالإعراب، ويتكلّم بالغريب من لغة الإعراب أعيب، ويروى أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يضرب على اللحن. "فأما العرب فإنّ لحن الواحد منهم...

سقطت عند أهل اللغة منزلته ودفعت ورفضت لغته⁽¹⁾. بالفعل فإنَّ عسل الاستعمال يكمن في الفصحى وبالفصحى نطرس معالي الكلام؛ رغبة في بلوغ الكمال والجمال. حتى إنَّ بعض العرب يُوصون أبناءهم قائلين: "يا بني أصلحوا ألسنتكم فإنَّ الرجلَ تتوبه الثانيةُ فيتجملُ فيها، فيستعير من جيرانه دابة، ولكن لا يجد من يعيره لسانه.

10 - ما هي وصفة ازدهار العربية الفصحى؟ تفرضُ العربيةُ وجودَها بقوةً متكلمِها وإرادتهم الصادقة في استعمالها، وبعث الحياة فيها من جديد، قد يكون ذلك صعباً في البداية، ولكن علينا أن نبدأ، فالطريق تصنعه الأقدام، ويبدأ طريق الحماية في الاعتزاز بها واستعمالها، والاعتزاز يبدأ من حسن التوجيه، ومن اختيار الكفاءة من النجباء، ويقع اشتراط الشروط التي نطلبها في المواد العلمية. علماً أنَّ الاهتمام في المراحل القاعدية يقع على: اللغة + الرياضيات، فقط. ولماذا؟ لأنَّ التلميذ في هذه المرحلة يحتاج إلى منطق يفهم بها الأشياء بالتعليل لا بالنقل دون الوعي، ولا يوجد المنطق إلا في اللغة والرياضيات. وفي المراحل اللاحقة تتوسَّع الموادُ الإضافية أو المُكمِّلة، والتي يحتاجها المتعلِّم، ولكن يكون قد استوعب المنطق في فهمها ويسهل بعد ذلك التواصل مع كلِّ المواد. وحرِّي بنا الاهتمام بالمادتين في توجيه تلاميذنا بدءاً من المرحلة الأولى، ويعني هذا أنَّ مُعدِّل المادتين يكون أعلى المُعدِّلات، هذا في المقام الأوَّل، وفي المقام الثاني لا نركنُ إلى الاهتمام باللغة دون التمسك بمحورية القراءة، وتخيَّر ما نقرأ، وانتقاء الأفضل من النصوص والبداية من النصوص القديمة التي هي عُمدة الكلام؛ لأنَّ اللغة العربية بخصوصياتها هي الكلام القديم الذي يعود إلى مُدوِّنة العصر الجاهلي، وما تلاه من عصور الفصاحة. ولا نعدم النصوص الحديثة، بل هي مُكمِّلة للنصوص الفصيحة، شرط أن تكون فصيحة وفي مُستواها العالي. وفي كلِّ هذا نرى محورية تخيُّر نصوص القراءة

(1) - قدامة به جعفر، نقد الشعر. بيروت، 1982، دار الكتب العلمية، ص 142 - 143.

التي تُربّي الملكة اللسانية، ويعني هذا محورية القراءة في كل إصلاح تربوي نرومه، فنسعى سعينا في أثناء إعداد البرامج التعليمية إلى تأمين الأجواء والبيئات التعليمية التي تُدرك محورية إصلاح تربوي تعليمي يقرّر اصطناع المعارف الضرورية لتضميد عجيب الثقافة العربية وبناء صرح لغوي مَرصوص لا يتوصّله أيّ مُتزيّد مُرتاب عن طريق تلك النصوص المُتخيّرة التي تضيف ولا تنيف. علينا الاستهداء بالطرائق التعليمية الناجحة التي تُرشدنا إلى كيفية الحفاظ على صيانة **لغتنا الفصحى**، وأن نسير على مناهج علمائنا الذين أوتوا الكلمة وفصل الخطاب وعلى خيرة الخبراء المهرة الذين حولوا وجهاتهم للتقنية الرقمية لا تتدّ عنهم صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحاطوا بها علماً، وذلك ما يجب تشجيعهم والشدّ على عضدهم لمزيد من علمية العربية، دون إغفال أفكار فقهاء اللغة الذين أيقظوا أوطاب الفصحى، فنستفيد من منتوجهم والذين يضيفون عليها سهولة فهمها أو اختراع مناهج توظيفها، نعمل على تطوير مناهجهم. وعلينا أن نكثر من الندوات العلمية والملتقيات الفكرية، ومن تأسيس المجامع اللغوية والمؤسسات الترجمية وأن نجعل العربية تستفيد من شعرائها المُفلقين، ومن خطبائها المُفوهين ومن أساتذتها المُبرزين، ومن صحافييها اللوذعيين ومن حرقبيها الماهرين، ومن مهندسيها الحاذقين، وعلينا العمل بالمشاريع الجماعية، بدل الركون إلى جهود الأحاد، وأن تتولّى المؤسسات العلمية واللغوية استعمال قوّة القانون في تطبيق العربية تعليمًا وتعلّمًا واستعمالًا. وكل هذا لا يمكن أن يكون ذا جدوى إلاّ إذا استحكم فينا التخطيطُ المرحلي المبني على: التقويم ثمّ التقييم، ويكون متّبعًا بالثواب/العقاب.

— خاتمة: الآن وصلنا إلى حرف النهاية، وحطّ الزورق شراعه، ولم يبقَ عندي ما أقول، فقد تعب الكلام من الكلام. وما قلته كلام بسيط ولكنه آني معيش، وأعتبره من شعاع شمس المعرفة باللغة العربية، وأرجو أنني أصبتُ كبدَ الطّبي في ما أومأتُ إليه من معلومات؛ وقد اجتلبتها من معادنها الأصلية واحتطببتها من الحذاقين الذين مَخَضُوا أوطاب الفصحى، ومَخَرُوا عُباب الأولين وهذا عُربون حبيّ للدفاع عن هذه

اللغة التي أراها تعلّق عليها المضايقات، وترمى بالترّك، ونشدان غيرها من الأجنبيات، ونتناسى أنّه ما افتخرت أمة إلاّ بلغتها وما تقدّمت أمة في العالم بغير لغاتها. ألم يقل مصطفى صادق الرافعي في كتابه وحي القلم: "ما ذلّت لغة شعب إلاّ ذلّ ولا انحطّت إلاّ كان أمره في ذهاب وإدبار. ومن هذا يفرض الأجنبيّ المستعمر لغته فرضاً على الأمة المستعمرة، ويركبهم بها ويشعرهم عظمتها فيها ويسألحهم من ناحيتها فيحكم عليهم أحكاماً ثلاثة في عمل واحد: أمّا الأول: فحبس لغتهم في لغته سجنًا مؤبداً. وأمّا الثاني: فالحكم على ماضيهم بالقتل محوًا ونسياناً. وأمّا الثالث: فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي صنعها، فأمرهم من بعدها لأمره تبع".

فهل نقبل بأن نضيع؟ ألا يأتي يوم يُقال عنا: ابكوا على لغتكم كالأمّهات، فلم تكونوا رجالاً لتحافظوا عليها. ويلّ لذلك اليوم الذي تصيح فيه الناس: وأمّصبتاه من جيل ترك لغته! والتجأ إلى لغة ليست لغته وهي لا تقبله حتى لو أبدع فيها وعمل على ترقيتها فيبقى منفيّاً فيها، ويتأسّف ذات زمان ويكون قد فاتته الوقت ويقول: ليتني قدّمت جهدي في ترقية مواطني اللغوية، ولا يسجل عليّ التاريخ أنني أنكرت تاريخي وهويتي. وهكذا نقول: ويلّ لجيل يستبدل الذي هو أعلى بالذي هو أدنى.

المثقف وخدمة الشأن العام

— مقدمة: لقد اخترنا الكتابة في هذا الموضوع بغية القول بأن المثقف في معناه المجتمعي، هو خادم الناس؛ باعتباره منتج الأفكار، وموجه الأنظار، وتعدّه الناس من الأخيار، أضف إلى ذلك أنه يعمل على تقديم المبادرات ومكانته بين العامة في المفضليات، ومعروف أنه يؤثر في غيره في كل الوضعيات. ذلك هو المثقف الذي ينال الإجماع، عندما ينشد العدالة والحرية بلا قناع، وله بصمة البقاء في خدمة الناس فهو سيدهم في كل بأس؛ سيدهم باعتباره ابن بيئتهم ولسان حالهم يشعر بما يفرحون ويتضايق مما أصابهم، ويدافع عن رفع الضيم عنهم. وأما الشأن العام فنقصد به كل مصلحة أو خدمة أو عمل يُفيد الغير، أو كل عمل للجماعة أو للوطن فهو يدخل في الشأن العام؛ فالمثقف الذي يُنير الرأي العام بما يُنتجه من أفكار فإنه يخدم الشأن العام وكذا من يعمل على حماية البيئة فإنه يخدم الشأن العام، ومن يقوم على حماية المستهلك فهو يقدم خدمات للشأن العام، ومن يدافع ضدّ التّصحر، وكذا من يعمل على التنوير... فكلّهم يعملون من أجل الشأن العام. فالشأن العام مصلحة جماعية يقتضيها المجتمع ويقوم بعضهم -كفاية- على خدمتها أو تأديتها أو حمايتها في إطار وظيفي وقانوني تتطلّبها الجماعة وواقع الحال. وأما العلاقة بين المثقف والشأن العام فيتمثّل ظهورها في **المثقف العضوي**؛ أي ذلك المثقف المندمج في مجتمعه ضمن التزامات المثقف الفكرية، ويسمّيها (محمد عابد الجابري) بـ "التزامات المثقف بقضايا الفكر والشأن العام". فالفائدة من وراء هذا؛ كيف يكون المثقف العضوي وفيّاً لمقتضيات مجتمعه فما الفائدة من المثقف إذا لم يشمّ هموم المجتمع وينقل معاناتهم ويعبر عنها، فالقرب من المجتمع حالة واقعية ومسؤولية أخلاقية. ولذا فإن مقتضيات الحال تستدعي من هذا المثقف أن يكون فاعلاً في مشاريع التطوير التي يحتاجها مجتمعه، ويكون صوتاً لهم للتعبير عن

همومهم؛ لأنّ المثقّف -في الحقيقة- فاعلٌ اجتماعي عليه أن يدسّ أنفَه في الشّأن العامّ، ويحاول التأثيرَ في وعي المجتمع، ويحمل هموم الآخرين ويحاول التأثيرَ في المجتمع وفي السّلطة وفي أجهزة المنظمات المدنية؛ مستثمراً وسائط الإعلام ومؤسسات المجتمع والحال هذه تدعو المثقّف أن يكون كالواعظ ينزل إلى المحال العموميّة، ويتكلّم للنّاس وينصح لهم.

1- المثقّف: شخصٌ يحمل ثقافةً تختلف عن ثقافة الآخرين، فهو ليس من العوامّ ولا من الدّهماء والغوغاء ولكنه رجلٌ صاحب حياةٍ غير عاديّة؛ والحياة غير العاديّة حركةٌ واستمرارٌ وتواصلٌ، وهذا التّواصل عند المثقّف يتمّ على بُعدين: بُعدُ التّواصل مع الآخر لنقل المعرفة إليه، وبُعدُ نقل المعرفة منه، فيكون عند ذلك المثقّف هو المتّصل بالمعرفة التي تفعل فعل الخميرة. ومن هنا فمثقّف الشّأن العامّ ينماز عن المثقّفين الآخرين؛ بأنّه يُسهّم في تنوير النّاس بقضاياهم، ويكشف عن النّقائص وينخرط في حركة المستقبل. فأتصوّره قائداً نهضةً، وزعيماً تثويرياً يُمارس عملية الاتّصال مع الجماهير عن طريق التعبير عن همومهم. فمثقّف الشّأن العامّ ملتزم ومبدع يكتب للنّاس عن النّاس، ويعمل على تجسير العلاقة بينه وبين السّياسيّ بما يخدم المصلحة المشتركة، وينخرط في المهام الرّئيسة التي كان يجب أن يكون فيها مثلما كان مثقفو الشّعوب المتقدّمة في قلب الثّورات والتحوّلات السّياسية: سارتر/ غاندي/ فيخته/ مالرو/ غيفارا... فنزل مثقفوها ومبدعوها من بروجهم ومن فردانياتهم، وعاشوا الأحداث وشاركوا في التّغيير؛ فنالوا الاستحقاق والأوسمة، فخلّدت أسماؤهم لأنّهم خلّدوا شعوبهم.

2- المثقّف والشّأن العامّ: وكما قلنا، فإنّ مثقّف الشّأن العامّ يعمل على التّغيير ويتحمّل مسؤوليات عمليّة وأخلاقيّة لمواجهة المجتمع بكلّ ما يحمل من تناقضات وله دوره في البناء وفي الممارسات الحقيقة لكلّ أشكال التّواصل البيني، بما تحمل الممارسات من برامج لتحسين ثقافته وأمنه الثقافيّ، وفي ذات الوقت يكشف عن غياب الدّيمقراطيّة، وعدم وجود المؤسسات، وعن تصرّفات الحاكم التسلّطية وممارسات أهل النّفوذ. ذلك هو المثقّف المجتمعي بامتياز، وتتمّ تصرّفاته هذه عن

الغيرة الوطنية، فهو مثقف يتفاعل ولا يذوب، يتميز ويُضيف، يُصارع من أجل البقاء على أرضه. ذلك المثقف الذي نسميه (مثقف الشأن العام) مثقف جماهيري غير مُتعالٍ؛ ينظر إلى علاقاته مع الناس كمن ينظر إلى أفراد بيته، متفانٍ في إنكار الذات خدمةً للمصلحة الوطنية، مثقف يجمع إلى المعرفة حُسن الطويّة وبساطة القوة. لا نتصور أن يكون هذا المثقف معصوماً، بل ننظر إليه من زاوية عملية أقرب ما تكون إلى ملامسة الواقع بموضوعيّة، مثقف يتخلّى عن التّظير، وأنموذج العصر ويكون مليئاً بالمعلومات، وله إرادة ومقومات شخصية قادرة على الإدارة وتحمل المسؤولية.

3- وَهْمُ المَثَقَّفِ العربي: علينا الإقرار بأنّ الكثير من المثقفين العرب لم يخرجوا بعدُ من أوهامهم فلا يزالون في وحلّ السقوط والتراجع، كما لم يَعمُوا آليات القرن الحادي والعشرين، وبَقَوْا يعيشون في الأحلام التي تلدها أوهامهم الوردية وبذلك انقطعوا عن الواقع؛ لأنّهم لم يحملوا همومَه. نعم لقد بقيَ مثقفونا يقيسون الحاضر على الماضي ويُردّدون سؤال النّهضة الملتويّ تحت مُكوّنات اللّغة والوعي والتّاريخ والنّهضة والإصلاح والتزام الدّين، وهو سؤال قديم كان مثقفو السّبّعينات يرفعونه ويستشهدون بقرون التّوير الأولى، فبقَوْا كذلك يعيشون طيف فكرٍ قديم، على أنّ النّهضة ستعود ذات يوم إذا امتثلنا تلك الأيام. أليس من الأجدر بنا قبل أن نندب حظنا العاثر، أن ندعَ الماضي الزّاهر، وننقل ثقافتنا من مرحلة الماضي ومن الارتحال الحاليّ إلى مرحلة الحاضر والممارسة الفعلية؟ ونعمل على تقديم التّضحيات كي نحسّ أننا مواطنون لا أرقاماً، ولنا مسؤوليات تجاه هذا المجتمع. ليرفع المثقف العربي هاجس النّهوض ضمن سياق العصر وفي إطار نهضة إبداعية وخصوصية معادلة وجامعة للأبعاد الحضارية والفكرية والجغرافية وهذا بجرّة قلم مُنبّهة تشبه الصّعفة المذهبية لكلّ ذهول، أليس المثقف مُبدعاً؟ ويملك الرّأس مال الرّمزيّ، وعن طريقهما يعمل على تقديم ثقافة وحضارة ولا فرق بين التّقافة والحضارة باعتبار أنّ التّقافة ترسم مكانة الأمّة وقيمها الحقيقية والحضارة وهي معالم التّواصل والبناء في إطار المشاركة الإنسانيّة. أليس من مهام المثقف أو

النخبة العربية إبراز النشاط الثقافي الذي يرسم الصورة الحقيقية لما تقوم به تلك الأمة من مشاركة في الحضارة الإنسانية، وباعتبار الثقافة هي التنمية التراكمية للأجيال وخاضعة لعمليات الطفرة، وبين التراكم والطفرة تتحرك الثقافة فيحصل الإبداع والإنسان محرّك كل ذلك باعتباره مثقفاً "الإنسان مخلوق ثقافي، وثقافة كل شعب هي التي تحدّد شخصيته وتثبت هويته؛ لأنّ الثقافة بدورها من صنع المجتمع ومن خلقه، إنّ هذا التلازم بين الثقافة والمجتمع يجعل منها حقيقة واحدة متكاملة⁽¹⁾". إذاً كان على المثقفين العرب الالتزام بأبعاد مجتمعاتهم عن طريق التفعيل ضمن الثقافة ومواجهة الثقافات، ويكونون في موقع النديّة كي لا يحصل ضيغ الثقافات الأجنبية على ثقافتنا؛ ولهذا نروم منهم أن يضعوا الثقافة الوطنية والحضارة في خانة واحدة، ويعملوا على سدّ الفجوات المخلّة بسوء أداة الترجمة أو الثقافة. وكان على مثقفينا أن يكونوا ملتزمين بسدّ الفراغ الثقافي والخواء الفكري، واستيعاب عناصر الهوية الثقافية، والدعوة إلى صيانتها وتعزيزها وهي ليست دعوة إلى الانعزال أو الانكماش بقدر ما هي الوقوف في موقع النديّة.

ومرّة أخرى نقول: إنّ سوء الحظّ - أنّ بعض المثقفين العرب تخلّوا عن الإبداع النقديّ الذي يحمل مرجعيّات الإصلاح، كما تخلّوا عن دورهم في خضمّ التحوّلات المعاصرة، وأصبحوا لا يبذلون جهداً تجاه مصالح الآخرين؛ فانكفّوا على أنفسهم، فلم يُصبحوا أولئك المثقفين الذين يُشكّلون امتداداً للمثقفين النقديّين؛ والذين كانوا يلعبون دورهم في كشف الممارسات السلبية، بل نجد الآن الصّحافيّين أكثر جرأة من أولئك المثقفين النخبة الذين يتفرّجون وينتظرون الفرصة المتاحة للظهور والتي لا تأتي دون حراك. أين الثورة على النفس ومراجعة الذات أيّها المثقف؟ أين الهزّة الفكرية أيتها النخبة؟ أين المثقف المبدع الذي يُحسّ بالمشكلة ويمتلك آليات تحليلية للتجديد والتقدّم وصياغة القيم وحلّ المعضلات؟ إنّ بعض

(1) — محمد صالح الجابري "قراءات في واقع الثقافة العربية" المجلة العربية للثقافة. تونس: 1998

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، العدد 11، ص 101.

الفئات من المثقفين العرب بقوا في مفاهيم اللغويّ بعيدين عن الدمج أو الاختلاط بسبب عامل اللغة، وهذه الفئة في الحقيقة يصعب أن تُعبّر عن تطلّعات المجتمع بلغة المستعمر السابق؛ لأنّ التعبير باللغة الأجنبية يجعلها في شبه قطيعة مع المجتمع المحليّ، وفي عزلة أو عدم قدرة على الإبلاغ والتواصل معه، بل كثيراً ما تكون قيمها وتوجهاتها الثقافيّة مرتبطة أكثر بالغرب منها بالأمور الوطنيّة. وإنّ الهوية الثقافيّة لكلّ أمة تقتضي عدداً من العناصر منها:

— "وجود تراث روحيّ - ماديّ يشعر كلّ فرد أنّه جزء منه، وأنّه مكوّن له في الوقت نفسه؛

— انتماء إلى ثقافة معيّنة يشعر كلّ فرد بالوجود ضمن إطارها وبالتوحد معها وبالمشاركة فيها وبالحرية ضمن أجوائها؛

— وجود شخصيّة اجتماعيّة محدّدة تربط أفراد الأمة بعضهم مع بعض في لغة واحدة، وعادات وتقاليد متشابهة، وخصائص في العمل، والتذوّق في الإبداع الفكريّ والفنيّ متماثلة، ومنظومة القيم الروحيّة والأخلاقيّة والجماليّة واحدة.

بهذا كانت ثقافة الأمة العربيّة قوام شخصيّتها والمعبر الأصيل عن تطلّعاتها والدّعمة الحقيقيّة لوحدها الشّاملة وكان الحفاظ على تراثها وانتقاله بين الأجيال وتحديدده هو ضمانته تماسكها ونهوضها بدورها الإبداعيّ المتجدّد⁽¹⁾. ويمكن التعلّيق على هذا بالقول: إنّ لا يمكن أن تحصل الهوية الوطنيّة في ظلّ الاختراق الذي نعيشه على كثير من الصّد، كما لا يمكن أن تحصل الطفرة المنشودة في إطار البيئات الذي نعيشه بفضل عمليّات التّوكل التي أُتخِمن بها في إطار المكتوب الذي نحتجّ به في كلّ عمليّات الفشل: فشل في بناء منهجية خاصّة، فشل في التّتمية فشل في التعريب، فشل في القضاء على الأمية، فشل في الإصلاحات التّربويّة، فالإلى

(1) — المنظّمة العربيّة للتّربية والثقافة والعلوم "الثّقافة مستودع الهوية والأصالة" مجلة المنظّمة. تونس:

1990، عدد: الخطّة الشّاملة للثقافة العربيّة، ص 50-51.

أين المصير؟ ومن هنا فما نصيب المثقف في هذا الفشل؟ لا يمكن أن نخرج المثقف من تحمل بعض من هذا الفشل، أو من تلك الإعاقات المحققة، بل إنه شريك في كثير من العمليات؛ لأنه لم يعمل على اقتراح ما يراه من حلول، فأصبح وجهاً من وجوه الفشل؛ لأنّ النخبة الساكنة نخبة لا فائدة منها، بل هي شريكة في صنع الفشل.

قد يُعذر المثقفون الذين تمسّهم هذه الأمور، وهم يعيشون عالماً غير العالم المرئي وفي لغة الآخر، بل يحاولون أن يُرسوا قواعد النهضة المفترضة؛ لكن يصعب أن تجد أفكارهم أعشاشها، وقد نعذرهم من جهة بسبب أن "... الحاكم مُستبدّ، والمُؤسّسات مُنعمة، والرعيّة مُضطهدة، والدستور مُعطّل والمواطن جاهل ومغلوب على أمره؛ يكابد العناء والانتكاس⁽¹⁾". ومع هذا لا نعذرهم من جهة أخرى أن المثقف مبدع وله رسالة ودور، ألا ينظر إليه المجتمع على أنه صاحب المبادرات في اقتراح الخطط الثقافيّة؟ أليس من مهامه أن يعمل على جمع مكونات الثقافة بعناصرها في مجال التّميّة، أليس له أدوار في إشاعة الوعي بثقافته لدى الناشئة والمجتمع؟ ألا يُنظر إليه على أنه يعمل على العناية باللغة العربيّة ألم يحن الوقت أن يهتم بذوقه وفنه في الرّفيع من قيمة الإبداع في كلّ المجالات دون أن ننسى دوره في مجابهة التّحدّي الثقافي بوصفات مُهذّبة ومتجانسة مع التّحدّي المُواجه...؟

نعم لا ننكر أنه لدينا مثقفون، ولكنّ الكثير منهم لا يحملون مشاريع القوم فهم زهقوا من تلك الحالات التي تضع المتعلّم في المرتبة التي يديرها غير الأكاديمي؛ وهذا الأخير يتضامن مع المسؤول؛ فلا تُفتح له الأبواب؛ فزهد المثقفون وهم يعلمون عمق المأساة ويعون كيفية الخروج أو التصدّي لعواملها؛ إلّا أنهم يرفضون أن يرفعوا وثيقة لمن لا يعترف بهم. هي مفارقة كبيرة تجعل المثقف غير جاهز

(1) — نور الدين الصّغير "القوميّة والحداثة في المجتمع العربيّ زمن الإصلاحية الأولى XIX ومطلع ق XX، مجلة التّوير. تونس: 1993، المعهد الأعلى لأصول الدين بجامعة الزيتونة العدد 1، ص 71.

للرّمي في حقل مشبوه، وفي مكان سُحبَ منه البساط، وسُرّق منه الأمن، وهو يلاحظ بعض التّناقض في ضوء التّصوّر بإرساء دولة القانون والاعتراف بحقوق الإنسان، وإنشاء المؤسسات والشرعيّة المعاصرة للثقافة من جهة، ومن جهة أخرى يجد العثرات لا تزال، وإرادة الإصلاح غائبة؛ وهذا يعني أنّه وُجدت هياكل دون روح، وُجدت قوانين دون تطبيق. وأما الحديث عن الثقافة التي وُضعت في الثّلاجة فهو مؤجّل إلى أجل لا يأتي، إن لم يتحسّس المسؤول مسدّسه عند فتح ملف الثقافة بلة الحديث عن الممارسة اللاديمقراطية، فهذا هو المُعوق الماديّ الذي يجعل المثقّف ينكمش على نفسه ويقول: أنا ونفسي/ أنا وبعدي الطوفان، المطار والهجرة دون تذكرة العودة. فلا أجنب الصّواب إذا قلتُ: إنّ النّخب العربيّة (المثقّفة) مُترهّلة تواكليّة وعاجزة عن اقتراح استراتيجيات وطنية وغير قادرة على الوقوف في وجه التحدّيات العاتية، وتكره الإزعاج، وتنشد السّهل ولا تشدّ وعيها الاستراتيجيّ بمفاهيم وأساليب وآليات جديدة للتعامل مع الأزمات ومع التحوّلات المتسارعة، كما أنّها لا تنشُد مُناقفة مُتكافئة، فترى في التّفوق خيراً، وفي السّكوت معيشة وأمناً، فلا داعي لوجع الرّأس.

4- المثقّف والمواطنة: ما أحوّجنا في هذا الوقت إلى مثقّف مُواطن، بمعنى مثقّف يقدّس المواطنة في صورتها المثاليّة، من حيث هي الوعي بالمسؤوليّة الأخلاقيّة والأدبيّة تجاه تأدية الواجبات قبل المطالبة بالحقوق فالمثقّف في هذا المجال مثله مثل المعلّم الذي يحمل خطاباً ديداكتيكياً ويسهر على تبليغه بما أُوتِيَ من حكمة وحكمة وسهولة وبأسر الطرائق، وكذا المثقّف النّبیه، فهو يتلمّس الحدّ الأقصى المشترك من المحافظة على الثّوابت الوطنيّة، وبخاصّة الشّأن العامّ ويعمل على الخروج من اليوميّات السّطحيّة إلى عمق النّهوض، واستثمار العناصر الكلّية وفق نموذج اجتماعيّ حضاريّ؛ ينطلق من قيمه الإسلاميّة ويعيد بناء مستقبل حضاريّ بتنزيل تلك القيم على الواقع، وكأنّه يحمل رسالة التّطوير التي ترتقي بسلوك (الجماعة الأمّة) إلى مستوى وقيم الاجتهاد والجهاد والإخلاص. فالمثقّف صاحب الشّأن العامّ يعمل على تبليغ رسالة المواطنة دون إهمال أو عدم اكتراث

"عدم الاكتراث أو خلو الذهن من كل شعور بروح المواطنة يؤدي إلى إهمال كل إخلاص بل اهتمام بالشأن العام وذلك لهيمنة المصالح الفردية على تفكير وسلوك الشخص بحيث يغلب عليه منطق الأنانية وحب الذات⁽¹⁾". وإن هذا هم من هموم النهوض عند المثقف المجتمعي الذي هو ارتفاع عن الواقع نحو موقع أعلى وآفاق أوسع أو عمل دائم لجعل الحياة لدى الآخرين عطاءً حاضراً، ضمن آليات التحديات التي يعيشها المثقف بدل أن ينكفي على نفسه دون وعي أصالته بالذات "الأصالة وعي بالذات وحقيقتها الوجودية، وإدراك لحدودها الزمانية والمكانية وتفاعل مع تحديات اللحظة الراهنة وانطلاق منها لاكتشاف الماضي وتشوف المستقبل"⁽²⁾. ولن يكون هذا بمتحقق إلا بوجود مثقف مُشارك وفعال يعي هويته وأصالته دون أن يكون نسخة لغيره. ولكن هناك معطيات جعلت المثقف العربي غائباً أو مُغيباً وهو لم يلعب دوره، فهُمش وما عاد له كلام. وإذا ذكرنا الحقيقة فإن المثقف العربي لم يشارك في صنع القرار لم يع متطلبات الجماهير، لم يُطور الحياة اليومية للمواطن البسيط، لم يشدّ الهمم...

عَدَميات كثيرات، فأين المثقف الذي يعمل على توليد ثقافة النهضة وإحداث إصلاحات ثقافية واجتماعية وأين المثقف المشروع، أو أين المثقف الذي استلهم مشاريع الرّعيّل الأوّل من النّهضويّين: الطهطاوي/ الكواكبي/ محمد عبده/ خير الدين التونسي/ ابن باديس/ رشيد رضا/ مالك بن نبي/ مولود قاسم... وحاول أن يطرح ما استلهم من تلك المشاريع للمسؤول، أين المثقف الذي يعي آليات النّجاح من الغرب الذي قدّم لنا منهاجاً حديثاً لقراءة تراثنا. فنريد مثقفاً يحمل مشروعاً

(1) — محمد الإدريسيّ المشيشي "دعم المواطنة بتأهيل المواطن المسؤول في دولة الحق" مجلة الأكاديمية. الرباط: 2006، مطبوعات الأكاديمية الملكية المغربية، سلسلة (ندوات) عدد يتناول أعمال ندوة (الوطن والمواطنة وآفاق التنمية البشرية) ص 174.

(2) — لؤي صافيّ "المثقف والنّهضة جدليّة الأصالة والنّهوض" مجلة الاجتهاد. بيروت: 2002 العددان:

ويكون فاعلاً وسياسياً وينزل إلى حياة الناس، ويتفاعل مع مشاكلهم ويشمّ ما يشمونه من غبار ويكون قائد مسيرة الإصلاحات والتّغييرات، ومهمّته إحداث نقلة ثقافية تعيد للإنسان وعيه ومسؤولياته ويكون رجل أمة يعمل على توليد مجتمع المدنية ذي النزعة الإنسانية، ويرفض التّفوق العقديّ، مثقّف يحمل فكر الحوار وفلسفة التّعايش مع الآخر.

وانّه جاء الوقت الذي نقول فيه: إلى متى حضورنا غياب، وغيابنا ذهاب دون إياب؟ إلى متى نقرأ المستقبل بعيون الماضي؟ هل يلذّ لمتقّينا أن يبقوا في أبراجهم متفرّجين على واقع مهترئ بالعدميات وإذا اشتدّ بهم الحال فإنّ حقائبهم جاهزة للتّوجّه إلى بلاد الجنّ والملائكة، فهل هؤلاء من النّخبة الحاملة للشّأن العام؟ نحن في وقت لا نحتاج مثقّفاً سلبياً، فنريده مثقّفاً يحمل هاجس النّهضة؛ مثقّفاً يوظّف الوسائل المعاصرة ويستلهم أفكار التّجارب النّاجحة، وهذا هو فصل المقال الذي يحتاجه المثقّف للاتّصال وليكون ذلك حال إجراء نهضتنا على واقعنا ولردم معوقات التّخلف المتمثلة في التّربية والاقتصاد والتعليم وإدارة الشّأن العامّ والمعتقد، فنعمل على الجمع بين شروط النّهضة المتمثلة في الجانب الرّوحيّ العقليّ والشّروط السّياسيّة الاجتماعيّة، وبين شروط حمل هاجس النّهوض المعاصر لتحقيق السّيادة "... وإذا كان العرب والمسلمون يريدون أن يكون لهم وزن دوليّ فعليهم أن يستمدّوا من منزلتهم في الإسلام ما يؤهلهم بالمثال الذي يقدمونه ليؤدّوا دوراً في تحرير العالم الإسلاميّ ممّا تردّى إليه من انحطاط روحيّ وماديّ، وتقديم مثال أعلى للإنسانيّة بجعلهم بحقّ شهداء على العالمين، ولا يكون ذلك إلاّ بتحقيق شروط النّهضة؛ وهما: **الوحدة والقوّة**؛ حيث إنّ الوجود الرّائد للحضارة العربيّة الإسلاميّة تحقّق عندما امتلك عبد المالك بن مروان رمزي السّيادة: التّعريب والعُلمة⁽¹⁾". وليست النّهضة عصيّة علينا إذا اعتمدنا ثقافة أصيلة، ووقع الاتّكال

(1) — أبو يعرب المرزوقي "النّهضة المستحيّلة: قراءة المستقبل بعيون الماضي" قراءة: رضوان زيادة،

على زمن الحاضر، وقياس الحاضر على الحاضر؛ قياس العرب على أوروبا الحالية وتجاوزنا العثرات، وإيديولوجيا الإحباط والهزيمة التي انتشرت في خطاباتنا، ووقع التركيز على حيوية عربية وعلى مبشرات النهضة وتصورنا إمكانية النهوض في جدلية نهوض العرب مع وجود الآخر. وإنه ليضعنا الوقت الحاضر -نحن المثقفين- تحت مسؤوليات بخصوص تحمّل تبعات الأزمات المعيشة وعدم فلاحنا في تقديم علاج لها، فلم نقدّم الوصفات الحضارية للخروج من الأزمات، كما لم نقدّم وصفات التنمية الوطنية؛ فبقيت بلداننا متخلفة وتزداد تخلفاً، ونشاهد ذلك في تقارير التنمية البشرية، فلم نقدّم مشاريع بناء المؤسسات في الوقت الذي جاءت بعدنا دولٌ فبنت مؤسساتها "فقد بنت دولٌ شرقي آسيا منذ الستينيات مؤسسات كان لها اليد الطولى في النهوض الاقتصادي. وهي تختلف وتتشابه بين مؤسسات التخطيط وأخرى لتشجيع الاستثمارات، وثالثة للبحث والتطوير ورابعة للتمويل⁽¹⁾" وهذه الدول لم تغرق في البحث عن الحداثة بل اختارت هدفاً هو التقدم والتقدم يحصل بـ: الاقتصاد واللغة والأصالة؛ فعملت على جمع أسباب نجاحها مجتمعة فحققت بذلك حداثة تستحق أن تُحتذى. دولٌ حديثة بنّت اقتصادها عن طريق استيراد الأفكار والنظريات، ونشدان الأمل من الدول المتقدمة، وصولاً إلى نظرية مُدمجة، لها طابع الخصوصية، فيزّت في ذلك دول قديمة في الصناعات بل إنّ هذه الدول النامية تفرّدت في صناعة النانوتكنولوجي. وأما في المجال اللغوي فلم تبحث مسألة الاستغناء عن لغتها بل لم تحاول التفكير في دمج لغاتها بلغات الغير أو كتابة حروفها بحروف غيرها فعملت على تطوير لغاتها بما اقتضته الأبحاث فأنّجت فيها وبها. كما أنّها حافظت على أخلاقها التقليدية فلم تُتمدج مجتمعها بمقاييس لا يقبله المزاج ولا التاريخ ولا الأصالة، فكان كلّ ذلك من جوانبة آسيوية؛ باعتماد النسخ بتصرف عن المتقدمين. وبكلّ ذلك حصلت لها

(1) - الفضل شلق "الدولة السياسية والدولة الاقتصادية" مجلة الاجتهاد. بيروت: 2002، العددان: 55 -

طفرات في الصناعات الدقيقة، وفي بناء الأبراج وناطحات السحاب، وبناء الحداثة في بلاد الماء والضباب والزلازل.

5- المثقف والإصلاح: إن الإصلاح ليس عصاً سحرية عاجلة، بل هو البداية الصحية، والخطوة التاريخية لفتح أبواب تُمهد الطريق لمسيرة التصحيح والمُهم أن نبدأ في التوجّه الصحيح نحو هدف الإصلاح الشامل دون تأخير وتسويق، فمسيرة الإصلاح هي الإصرار والصبر والتخطيط. والإصلاح أفضل من الثورة والتثوير فنرغب أن يكون هناك مشروع إصلاحي ناضج في هذه اللحظة التاريخية التي بدأنا نستعيد فيها مواطنتنا فالإصلاح مسؤولية وتضحية من الحكّام واستعداد للتغيير والتطور والتّلاقى مع الشعوب في منتصف الطريق وكلّ تأجيل إصلاح هو موت غير مُعلن؛ ويدخل في الرداءة وفرض الأمر الواقع المرّ.

وإننا نملك من الحكمة والتّجربة ما يجعلنا بمنأى عن إعادة المغامرات الثّورية التي ما حصدنا منها إلّا التّخلف والتّبعيّة، وكان علينا في هذا المقام أن نأخذ بتجارب الغرب؛ وبخاصّة تجارب أوروبا النّاجحة فنأخذ منهم ما يقبله عقلنا ونترك ما يقبّحه عقلنا، ففي الفكر الغربيّ ثروة نحن بحاجة إليها نستمدّ منها في مرحلة نهوضنا وضعفنا مصلحة وفائدة، ولا مانع أن نقبس عنهم الأفكار وقيام المؤسسات، وهذا غير مخالف لشرعنا ولا لعاداتنا، فالعمل على قيام المؤسسات شيء جيّد، بل هي حدود لسلطة الحاكم أو هي الشّراكة بين الحاكم والمحكوم وفي ذات الوقت سلطة القانون. كما لا ننكر أن أوروبا متقدّمة علينا، وإنها لم تنهض إلّا بفعل تلك التّأثيرات العميقة والجذريّة التي أدخلتها الثّورات الفكرية لعصر التثوير فلذا من الضّرورة الاستفادة من الخبرة الغربيّة مع الحفاظ على مقوّمات حضارتنا الروحية حتّى نحصّن أصالتنا؛ لأنّ الأصالة إسمنت قوًى تضمن الاستمرارية والتميّز، ولا مانع أن نأخذ العلوم بلغتهم فالحكمة ضالة المؤمن يأخذها من أية لغة تعلّمها، ودراسة العلوم الحديثة لازمة؛ لأنّ العلوم الدّنياويّة واجبة بغية العمران والدّينية هامة بغية الفضيلة. ولهذا يُعتبر التعلّم الخطوة الأولى في عملية الإصلاح بل هو رهان التّحدّي، أو أساس في عمليات النهوض ولا يكون التعلّم جيّداً إلّا

بالتجديد في المناهج وفي طرائق التبليغ وفي المضامين. وإن الإصلاح التربوي باب لإصلاح المجتمع، فهل نتعظ بأن الدول الآسيوية تراهن لحد الآن على هذا القطاع لأنه حسّاس ومنه تخرج إطارات التسيير فكيف الحال إذا بقي الوضع على ما هو عليه من الرداءة. وإنه لمن المؤخزي أنه بعد حصول الدول العربية على استقلالها وبعد تلك الشعارات المرفوعة خلال الستين الطويلة نشهد تراجعاً في كلّ الميادين، وعلى سبيل المثال في المجال الثقافي فقد بقي انحسارُ المجالات العربية داخل مؤسساتها المنتجة لها، ومن المؤسف أن الدول العربية لا تدفع مادياً ومعنوياً للثقافة إلاّ النزر اليسير، في الوقت الذي نسرف في الدفع على كُرة قدم "إن العرب يدفعون بسخاء من أجل كرة قدم، ولا يدفعون شيئاً من أجل خلق مناخ ثقافي عربيّ جاد يصنع الوطن الحرّ والأمة الحرة والوعي المحرّر، ويجعل الربّاح الأول هو الثقافة العربية والحضارة العربية على مرّ التاريخ، تلك التي خلّدتها وأبقتها في ذاكرة الأجيال والزمن الكلمة أكثر ممّا خلّدتها (الكرة) التي ندفع لها ونندفع وراءها⁽¹⁾". أليس من المؤسف أن تزداد الأمور سوءاً كلّ يوم؟ فتبدو لنا أساليب التواصل ضعيفة أو مشلولة، وما نزال نسيج الحدود ونشتري الأسلحة المتطورة لمحاربة عدو وهمي، أو للتعدّي على بعضنا البعض، ونستورد الثقافات ولا ننتجها ومن ينتجها منّا يعاني الولايات "فمنتج المادة الثقافية يعاني من مناخ الإبداع والتواصل والإفصاح؛ ذلك المناخ المسكون بالقلق والرّهق وانعدام الأمان والاطمئنان، فبين تخلّق الكلمة وبدء نبضها في الوجدان، وبين تحولها إلى كائن حيّ منطلق من شفة مبدعها أو قلمه ينبت عدد من المخافرات تتحكّم بمساراتها، فتصبح تلك المسارات عدماً، كما تتحكّم بحمولتها فتتفحصها تأثيراً وتفسيراً، وكلّ ذلك يتمّ في ضوء رصيد الخبرة ومعايير الوقت واحتمالات الأوان ويتأثر بما أخذ ينصبّ

(1) — علي عقلة عرسان، دراسات في الثقافة العربية. ليبيا: د ت، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ص 188.

من فخاخ التّرهيب والتّرهيب بفعل ميل الذات وأنواع المؤسّسات⁽¹⁾. وبذا نرى الأزمات تزداد والحلول مُوجّلة والمُتقف مَشدوه، فمن يُعلّق الجرس؟

6- التخوّف على المثقّفين: بصراحة لقد بصرنا بأنّ الأمّة العربية سوف تخرج من صمتها في القريب وتقول لمثقّفيها: لا بديل لكم إلّا التخلّي عن الحيل السابقة التي حملتموها، وكنتم تظنّون أنّنا نصدّقكم، أو همتمونا بالأفكار المسنودة برشقات من المعلومات الاقتصادية، وبحزمة من العلائق القائمة والمضمرة ومصطلحات الحادثة وما بعد الحادثة، والأصالة والإسلاموية والداعشية... وتوهمون أنفسكم بأنّكم تبصرون وأنتم عُمّة صُماة وحالكم يُرثى له، وتعاني الشعوب من تنظيركم، وسوء أدائكم، فلا تزالون تُراوحون في الماضوية، وتعيشون الحادثة دون مشاريع، وتُحيون المعاصرة في آليات القرن السادس للهجرة وتُمارسون الحضارة بوعي بداية عصر البخار. أليس هذا من المهازل، فأنتم لستم من الوعاظ الذين تجتمع عليهم العامّة في السوق، ولستم من المشرّعين الذين يعملون على نشر منتوجهم في العمق، فمن تكونون بربّكم، أفيدونا؟

وإنّ الجماهير لتعلم بأنّ بعض النخبة المثقّفة التي تدّعي اليسار، ولم تخرج من فكر الإلغاء الممارس في سبعينيات القرن الماضي، وتوهم نفسها أنّها بلغت المُبتغى، فهي في الماضي وستبقى تنشد الماضي وأما التي تدّعي الأصالة؛ فهي تعمل على تمثّل عصر الخلفاء، فتقول ما لا تؤمن به، ولا تعمل به أبداً، فهي تعيش الأحلام وتُراهن على حصان خاسر. كلتا النخبتين المثقّفتين تعملان على إعداد مليشيا من الأتباع وتترك تلك المليشيات أنّ النخبة المثقّفة تكذب عليها ولهذا يذهب إعدادهم وتكوينهم وتجيشهم في صدى الرياح، كلام على كلام فماذا نحصد من كلّ ذلك؟ نحصد الأصفار وراء الأصفار.

(1) — علي عقلة عرسان، دراسات في الثقافة العربية. ليبيا: د ت، منشورات جمعية الدّعوة الإسلاميّة العالمية، ص 177-178.

أيُّها الذين يدَّعون النخبة المثقِّفة، اخرجوا من الأوهام، ومن كلام الكهانة والعرافة والنبوة، اتركوا الشباب مرتاح البال؛ ليفرج همَّه بنفسه، لقد فشلتم، فليس لدينا وقت للثرثرة والأوهام على ما أدبرتم. لا تسحرونا بأفكاركم: الحادثة وأنتم لستمُ حدثيين، وما بعد الحادثة، وأنتم ما تزالون تحملون العيش في الحادثة. فكيف تجاوزتموها إلى ما بعد الحادثة؟ ما أطرفَ كلامكم الزائف الذي لا يصنع المسمار! أيُّتها النخب أنتم جلاميد العصر، فلا نريد أصناماً، لا تترعوا فينا الهزال العلمي ولا البسيكو الثقافي ولا العائق الذهني، دعونا نعمل على التغيير لا نحتاج إلى النخبة غير العضوية، لا نريد نخبة تحلم بما لا يكون. يا من يدَّعي النخبة المثقِّفة نحن مع الذين يؤثرون ويتصدَّرون ويقدمون ما يعمل على إزالة قوى التخلف. أيُّتها النخبة العربية لا تدوروا على أنفسكم فنحن بحاجة إلى نخبة حقيقية قادرة على إحداث قطيعة معرفية تدفع المواطن العربي إلى التصالح مع ذاته ولغته وحياته وحضارته؛ نخبة مثقِّفة واعية عضوية فاعلة لا تدفن رأسها وتترك مؤخرتها للمشاهدة، بل نخبة مثقِّفة رافعة رأسها، بصيرة باحضرها واعية بمستقبلها، مُقدِّمة مشاريعها، مُنجزة تصوُّراتها.

أيُّتها النخبة المثقِّفة نريدكم أن تبقوا كما كنتم لممارسة البيات، فلا تخرجوا من هزالكم وابقوا على أحلامكم وابعثوا عن الأفكار التي شرَّدت منكم، وكرِّروا في تلك الأفكار التي تأتي من خارج المكان كي لا تتال الموقع والمكان، ولا تبني إلاّ العلاقات الهشة الزائلة، ولا تعلم عن أيّ تنظير مقصود. أيُّتها النخبة انشدوا أفكار الماضي السحيق التي تصنع لكم الشعب حسب الطلب، وابعثوا عن دولة مُستوردة لا تحمل الأدوات المنهجية الجديدة والتي تخلو من المفاهيم الإجرائية المفتاحية في حلّ المشكلات الاجتماعية. أيُّتها النخبة ابعثوا دائماً عن الأفكار التي لا تجد موقعاً في المنهج النقدي العقلاني المؤطر للثورات العربية، واجتهدوا في العمل على عدم سدّ الفجوات، وتجزئة المُجزأ. أيُّتها النخبة لا تعملوا على ملامسة الواقع الاجتماعي عيشوا في الأعالي وانقطعوا عن الشأن العام، واعزِّفوا عن تقديم الوصفات العلاجية للواقع وابقوا مُتعبِّين ومُبالغين في الخطاب حول الظواهر المعاصرة

من: إسلاموفوبيا/ تطرفية/ بربرية/ جهوية/ فرعونية/ عبرانية/ زبديّة/ وهابية/ قبطية/ داعشية... أيتها النخبة ابقوا في تزيين الواقع لصاحب القرار ودلّوه على موطن الهدم، وساعدوه في التخطيط للعودة إلى الصفر... أيّها المثقّفون النخبة أخاف عليكم أن تقول الشعوب لكم: لا نريد المثقّفين؛ لأنّ مثقّفينا واهمون راعون يحلمون بالمطار، وعيونهم بغير منظار، فلا هم أصحاب ولا هم أقوياء فأين يُصنّفون أيّها الأصغياء؟

— خاتمة: ومع كلّ هذه الصّعوبات والنقائص، فإنّني لا أطلب من المثقّف النخبة أن يحمل خاتم النبوة، أو ينفي الوصيّة، ولا أرغمه أن يأخذ بمقولة زولا (Zola) (إنّي أتهم) خياراته عديدة، وليست محدودة إذا كان محافظاً على الجدّة والقيمة والموضوعيّة، لأنّ المثقّف مُبدع، والمُبدع قادر على الذّهاب بعيداً في التّجديد وفي التّقدّم وفي حلّ المشكلات. فنريد مثقّفًا يصوغ الرّؤى الجديدة، ويعمل على إشعاعها وتطبيقها في الواقع نريد مثقّفًا نقدياً يملك آليات الكاتب النّزيه. فما أحوّجنا إلى مثقّف يُعالج قضية تشويه واقعا! مثقّف لا يستهزئ بكلّ ما هو عربيّ وبالتّاريخ العربيّ مثقّف يحمل أسلوب الخطاب النّقافيّ المتّصل بالحياة اليوميّة مثقّف يتحدّى للنّجاح، مثقّف يعمل على إحداث نقلة نوعية في الأداء النّقافيّ. فلا يُطلب من المثقّف أن يكون ضحية المواجهات الجسديّة ولكنّه بكلمة يستطيع أن يكون ضدّ تيارات الغزو والمحو والإلحاق وفرض التّبعيّة، مثقّف يخرج من إطار المركزية الغربيّة المتعصّبة والتي تفرض نفسها البديل والنّمودج المُحتذى. كما لا نقول إنّ التّقافة العربيّة تكتمل بنفسها؛ فهذا مُحال، فهي تكتمل بغيرها من التّقافات التي عاصرتها؛ فتأخذ منها وتعطي لها، فالمثقّف العربيّ يجد نفسه لا محالة مع ثقافة غربيّة وآسيوية؛ وعليه أن يستفيد منها، فالعالم هذا عالم التّقافة والتّقانة والأخذ والعطاء ومُجتمع المعرفة الذي يقوم على التّفكّح والتّبادل فماذا يُقدّم المثقّف العربيّ من عطاء، وماذا يفتح من آفاق، وهل يخرج من ثقافة الخرافة وقياس الحاضر على الماضي، والتّحدّي الخطير سيرتبط بالّلغة العربيّة ومدى تواجدها في الشّابكة وفي سوق الاستعمال، فكيف تصمد وتعيش في لقاء المزاحمة، وما مدى

استعداد المثقفين العرب لممارسة التبادل اللغوي من موقع التأثير والأثر دون الذوبان فهل يهزم المثقف العربي، أم يُقاوم ويُسجل حضوراً ثقافياً وعلمياً متطوراً فاعلاً ومشرقاً وما موقف المثقف العربي الأخلاقي والإنساني من قضايا أمته ومواطنيه وقضايا الإنسان، وهل يبقى المثقف العربي في تلك الغوغائية التي ألبستنا الهزيمة، فهل يخرج من خطاب المنافحات، ولغة الكتابة من الطابق الأخير في أفخم فنادق الخمسة (5) نجوم؟ وهل ينظر المثقف العربي إلى رجله أين يضعها؟ ليرى تلك الحفرة التي يسير فوقها، بدل أن يعلق بصره في عالم افتراضي لعدّ الأوهام وكيف للمثقف العربي معالجة الثقافات القطرية التي تتجلى بأشكال مختلفة بالتّمام، والخروج من سوق الكلام ومن سلعة لا تُباع؛ حتى في محال الاتباع؟

شيخ اللسانيّات المغفور له عبد الرحمن الحاج صالح

— كلمة وفاء: يقول تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٧٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٧٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٧٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّاتِي ﴿٨٠﴾﴾ نعظم الأجر لأنفسنا وللجزائر التي فقدت قامة سامقة في ميدان اللسانيّات، وهذا التعظيم لا يعني أن يكون لنا موقف من ردّ القضاء وإنما نقول: هذا ممّا كتبه الله على البشر، فلا خلود في هذه الدنيا ولا رادّ لقضائه، وكما يقول الشاعر:

وإذا خشيت من الأمور مُقدَّراً وفررت منه فنحوه تتوجّه

وانطلاقاً من قول رسول الله ﷺ "اذكروا محاسن موتاكم" فكلّمة وفاء أقولها في حقّ شيخي الذي لولاه لما كنت في العلم ما كنت عليه، وهو من بين المسهمين في أن تعلّمت وأخذت عنه، ومما أخذت أعطي منه، وكما يُقال: الوعد وجه والإنجاز محاسنة والوعد سحابة والإنجاز مطره. هي رشفات من تلك الينابيع التي نهلت منها، وهي نظرات في المؤلّفات التي صنّفها، فلقد عثرت في أعماله على فجّ من فجاج البحر وعلى عرصة من العرصات المليئة بالجواهر، وقد أفادتني في حياتي المهنية. ويبقى الوفاء لشخص أستاذنا كما كان حياً ويتواصل وهو من الرموس مع أعماله وطلابه وأبحاثه ومنجزاته. أستاذنا من العقول الراقية التي تتكلّم في الأفكار وفي بناء المشاريع ويبتعد في الكلام عن الأحداث، فهو الذي ينصح ويقول: أنزلوا الناس منازلهم وابتغوا للنفوس مقاماتها، واهتموا بالأبدان، وابتغوا لها الطرائف فإنّ النفوس ملال، والآذان مجابة، وفي السكوت والانتقال تطيب وتنشيط، وابتغوا لها الحكمة في التعليم؛ فإنّ تدمير الأمّة يكمن في تخفيض التعليم، ولن تقوى الأمّة دون أن تتعلّم ولا تتعلّم دون أن تخطئ ولن تتجح دون أن تفشل، وسيروا على قدر

علمائكم، ولا تكونوا مع الذين يقولون: سيروا على قدر الضعاف فالزمن لا ينتظر وإنّ عدم معالجة أوضاع التحسين يؤدّي إلى التّدجين.

— **الحاج صالح واللسانيات:** إنّهُ شيخ اللّسانيات؛ فهو الذي فتح هذا المجال أواخر الستينيات، ويومها لم يظهر هذا العلم في صورته المعاصرة، وكان الباحث يلقي دروسه في هذا العلم الجديد ويربطه بالبحث في فقه اللغة، وكان يسميه آنذاك (علم اللسان) باعتبارها يعالج الظواهر اللسانية من عدة جوانب، وأهمّها الرياضيات والمنطق الرياضي في قسمة التراكيب الخاصّة Combinatoire. وبالحقّ كان الأستاذ المؤسّس لهذا العلم الذي نظر إليه من خلال علم المعلومات؛ حيث تحدّث آنذاك عن العمل الجادّ لتقليص الفجوة الرقمية بعاملين:

1— تعميم استعمال الحاسوب/ الكبتار.

2— انتقاء المتميّزين من التلاميذ ويخصّص لهم تكوين عالٍ في الحاسوبيات، ثمّ العمل على تعميم العمل بالحواسيب لتحصل النقلة المطلوبة.

وفي هذا المجال، فقد طُرِح عليه سؤال "ما هي السبل الكفيلة في نظركم بإنجاح مشروع الإصلاح اللغوي العربي؛ نقصد تحديداً أهمّ القضايا التي يجب أن تتركز عليها البحوث اللسانية العربية إن أرادت مسيطرة الركب والانتقال من مرحلة الاستهلاك إلى مرحلة الإنتاج؟ فأجاب: "سبق أن قلت هنا أنّه يجب أن لا نعطي للسانيات أكثر ممّا تستحقّه من الأهمية، فلماذا نريد أن يكون دورها أهمّ من أخواتها في العلوم الإنسانية، ثمّ قد تكون اللسانيات الغربية عائقاً؛ ونعني النظريات الكثيرة والمتضاربة، وتصبح مثل المذاهب الدينية تبني على الإيمان والاعتقاد أكثر ممّا تبني على التجربة والاستدلال".

— **الحاج صالح والبحث العلمي:** لا يمكن الحديث عن الحاج صالح إلّا وتجد له موقعاً ضمن البحث العلمي المضيف في إطاره المنيف، من حيث السمات التي يتّصف بها، وهي:

— الصرامة الأكاديمية والوقار العلمي؛

- المتابعة المستمرة للوصول إلى النتائج المضمونة؛
- البحث في التراث العربي القديم؛
- البحث في الفكر اللغوي الغربي؛
- إجراء الدراسات التقابلية؛
- الوصول إلى نقد النظريات الغربية، وكشف بعض النقائص في بعضها من حيث خلوّ بعضها من المنطق الرياضي: ضعف منطق لغوي في البنية + اقتصار الوظيفية على اللغة الفرنسية، وافتقارها إلى صفة الشمول؛
- استخلاص نظرية تراثية حديثة تراعي الخصائص الطبيعية للغات، وما يمكن أن يدخل في التكيف اللغوي حسب مقتضيات العلم المعاصر. وهي النظرية الخيلية الحديثة.
- الحاج صالح والنظرية الخيلية الحديثة: وهي نسبة إلى الشيخ الكبير (الخليل بن أحمد) مُنظّر العربية، وصاحب ثلث اللغة، فهو الرياضي الأول الذي أعطى تشجيرات نحوية في صورة منطق اللغة حسب ما كان البدوي يتلأغى بهذه اللغة التي قامت في ذهنه أنماطها التجريدية. ويأتي أتباعه من مثل (سيبويه) لمواصلة درب بناء مسار المنطق الرياضي اللغوي، في مدرسة سمّاها مدرسة الخليل بن أحمد. والحاج صالح استخلص منها منهج نظرية قائمة بذاتها لما لها من صفات النظرية المبنية على القواعد المعتدّ بها في الدرس اللساني المعاصر وهي:
- الاتساق والمنطق.
- الشمول.
- الامتداد في الزمان + المكان.
- تكوين المربين.
- قبول النظرية للتكيف.

وأمام هذا، فلا مندوحة بأنّ الشمول للنظرية اللغوية يُعطي لها أبعادَ النظرية التي لا تموت، بل يكون لها صفة الديمومة، وخاصةً عندما يعمل المُريدون على

تطويرها وفق المستجدات، وتثال التطبيق في الواقع، وهذا ما هو حاصل في النظرية الخيلية الحديثة. وهو الذي يقول عن هذه النظرية بأنها العلاج التحليلي للغة العربية ولكن يجب أن تتال النقد الذي يعمل على تحسينها "... فنريد أن يكون نقداً بناءً لكل ما ظهر إلى الآن من النظريات ومشروعاً -لا مذهباً- أساسه الاختبار بكل الوسائل العلمية والاختبار عندنا هو أكثره تطبيق، فكلما نجحت فكرة في التحليل بأن شملت عدداً كبيراً من الظواهر وأقبل عليها المهندسون من أهل العلاج الآلي للغة استبشرنا بها، فإن لم يكن هذا معمولاً به في جميع البلدان العربية، فهو على كل حال شيء منه عندنا في مدرستنا الخيلية الحديثة، وهو يوجد أيضاً في البحث في جهات كثيرة من الوطن العربي، والحمد لله دون أن تكون الأفكار هي هي، فالذي أنتقده وأنفر منه هو التهجم الشديد على نحائنا دون أن يجرى بحث دقيق في ذلك يدوم السنين كما أنفر من الاعتماد الكلي المطلق على مذهب واحد أو على نظرية واحدة، ونبذ سواها نبذاً مطلقاً".

ويمكن التركيز على معالم هذه النظرية الخيلية الحديثة وفق دراستنا لها من حيث معالمها الكبيرة، وهي:

- اللغة وضع واستعمال؛
- مفهوم الباب؛
- مفهوم المثال؛
- مفهوم القياس؛
- مفهوم الأصل والفرع؛
- مفهوم الانفصال والابتداء؛
- مفهوم اللفظة والعامل.
- عالمية الأستاذ الحاج صالح: تكمن عالمية الأستاذ الحاج صالح في ما يلي:
- دراساته في الجامعة الفرنسية، ثم في الأزهر الشريف؛
- تدريسه في المغرب، ومروره على مختلف المراحل التعليمية؛

- إتقانه الفرنسية والإنجليزية؛
 - حصوله على جائزة الملك فيصل للغة العربية؛
 - مشاركاته العالمية؛
 - إشرافه على طلاب من سوريا، أمريكا، فرنسا؛
 - إشرافه على مئات الطلاب من الطلبة الجزائريين في الماجستير والدكتوراه؛
 - تنقلاته العلمية في الداخل وفي الخارج؛
 - عضويته في أربعة مجامع عربية؛
 - مشاريعه العالمية التي تعدت حدود الوطن؛
 - ما تركه من تنظيم عالمي.
- **الحاج صالح والمشاريع الكبرى:** إنه صاحب المشاريع الكبرى، وأذكر معالمها الكبرى:

1 - حوسبة العربية: وكان ينادي لهذا المشروع منذ 1969 باستخدام الحاسوب في صورته الكبيرة آنذاك وكان يعتمد على الجُذات في البداية واستطاع من خلال ذلك حصر القرآن الكريم، وحوسبة المدونة الأولى في التراث العربي بمسح العصر الجاهلي إلى نهاية عصر الفصاحة.

2 - تحديث النظرية العربية: وهذا بالربط بين الأصالة والحداثة من خلال التأسيس للحوسبة والرقمنة، وهذا منذ أوائل السبعينيات.

3 - جمع الرصيد الوظيفي المغربي: بمعية (أحمد العايد) من تونس و(الخضر غزال) من المغرب، وأنجز هذا العمل سنة 1979، وكان غرضه توحيد الألفاظ والمصطلحات التي يستعملها التلميذ في البلاد المغربية؛ وصولاً إلى لغة مشتركة. وكان هذا العمل يدخل في إطار توحيد الجهود المغربية لإحلال العربية المقام الأول في التعريب.

4 - جمع الرصيد اللغوي العربي: وانتهى العمل منذ سنة 1984، وكان مسح هذا الرصيد على مستوى 16 دولة عربية، وغرضه الدفع بهذه المصطلحات إلى

وزارات التربية في الوطن العربي، وإدماجها في الكتاب المدرسي، بغية توحيد لغة التلميذ باعتبارها لغة القاعدة، فإذا توحدت القوالب القاعدية حصل الانسجام اللغوي بقواسم مشتركة. وكان هذا العمل القومي يدخل في مواصلة التعريب الذي كانت الأمة العربية تستهدفه من خلال الدفع بمشاريع التعريب أن تبدأ من تهيئة المدرسة.

5 - الذخيرة اللغوية: وهو مشروع عربي كبير، غرضه جمع كل التراث العربي من مرحلة ظهور اللغة العربية في صورها الأولى، من أرومة اللغات الحامية السامية وكيف تطورت الألفاظ والمسكوكات والأمثال والحكم، وهذا على مستوى الاستعمال بالفعل في البداية؛ لأن اللغة وضع ثم استعمال. وهذا المشروع هو شراكة عربية غرضه أن ينتفع به كل باحث متقص علم حيث يفيد سريعا بكل ما يخطر على بال المستعمل للغة العربية، ومهما كان مستواه، بل يجيبه الذكاء الصناعي عن كل ما يخطر في البال من أسئلة بخصوص العربية في كل حقولها. وهذا المشروع ليس من الهين؛ بل هو عمل قومي جبار يحتاج إلى أرمادة من الوسائل والإمكانات المادية وإلى المناطق المعاصرة التي تعمل على حوسبة التراث العربي الكبير والمتوزع في كثير من اللغات.

إن الحديث عن هذا العالم الكبير، الحاج صالح، حديث عن الأفكار التي زرعها فينا، وعن تلك الطرائق العلمية التي كان يوصينا بها، وهو الذي يفصل بين العلم كعلم له أطره التي لا تسامح فيها، لأن العلم له محدّداته الغائبة التي لا بد أن تتحقق عند الخاصة من الباحثين، وعليه فإن المحدّدات التي كان يوصينا بها هي:

- التحكم في الأصالة في ظلّ الانفتاح على الحداثة: فمن تحكم في المتن اللغوي القديم يسهل عليه التحكم في الممارسة المعاصرة. وأما العكس فيصعب أن يحصل ذلك. وهذا ما كان يقوله بأنّ ما أخذه من جامعة Bordeaux/ بوردو لم يمكنه التمكن الجيد إلا بعد أن درس بالأزهر، واستوعب آمالي الخليل؛ وبخاصة كتاب سيبويه، وخرج بنظرية سمّاها (النظرية الخليلية الحديثة).

— الانتقال بالعربية من وضعها النحوي إلى وضعها الاستعمالي: وهو ما كان العرب المؤسسون يسمّوه الوجود بالقول يكون عن طريق الوجود بالفعل، وهو ما يجب أن يكون عليه (القول) إلى وضعه الفعلي (الاستعمال) في صورة تكاملية تدريجية، حيث اللغة وضع واستعمال؛ فإذا تعارض القانون اللغوي، يُلتجأ إلى الاستعمال؛ يعني المزج بين التمكن بالفعل، وصولاً إلى الاستعمال اللغوي العفوي الطبيعي بمراعاة المستويات اللغوية. ولكل لغة أكثر من مستوى. وشيخ اللسانيات يجسد ذلك في أن العربية لها مستويان يتقاربان في المواقف، وهما:

1- مستوى خطاب الانقباض؛ ويستعمل في الخطاب الرسمي، وعندما يرفع إلى من هو أعلى حيث يتشخص المتحدث؛ بالرفع من خطابه باحترام حرمة المقام والمتحدث إليه.

2- مستوى خطاب الأنس: وهو مستوى أدنى من المستوى الانقباض وهو يميل إلى الاختلاس والحدّر، وهذا موجود لدى العرب في مرحلة التدوين واستعمل هذا الخطاب في القراءة الحذرية للقرآن الكريم. وهذا المستوى يحصل عندما يأتي الخطاب من أعلى إلى من هم أدنى. أو لمن هم في نفس المستوى

— مُرسل ← مُتلق.

— مُتلق ← مُرسل.

فالخطاب بصفة عامة له هذان المستويان، وفيهما يحصل الإبداع البلاغي في توظيف نوع الخطاب والاختيار بين مُحسنات فنون القول. وفي هذا المجال تعيش العربية مجموعة من المشكلات، ويمكن علاج هذه المشكلات باقتراح أفكار التحسين وهذا ما رآه عندما أجاب عن السؤال التالي: "ما هي الإشكالات التي يمكن أن تطرحها العربية بوصفها لغة الإنتاج الإبداعي والتواصل القطاعي المكتوب، لا لغة التداول اليومي؟ فقال: "سبق أن قلنا بأن لجميع لغات البشر مستويين من التعبير المُستَرسِل والمنقبض، وقد يبتعدان كثيراً أحدهما عن الآخر بأسباب تاريخية (تأثير لغة على أخرى باختلاط الناطقين بها) فيكون ردّ الفعل لأصحابها غالباً بإقصاء

المستوى المُسترسِل عن التكوين والاستعمال الكتابي؛ وذلك بنفي صفة الإدراج من التعليم وإزالة صفة الاقتصاد الذي يتّصف به التخاطب اليومي، فنقد بذلك لغة الثقافة بالنسبة إلى العربية عفويتها. وقد بدأ ذلك في أداء النصّ القرآني (وتقليد الأعراب في زمان الجاحظ والتشّدق الذي حاربه) فأصبح المُعلّمون يُبالغون في مدّ الحركات الإعرابية أكثر من اللازم في تلقينهم إياها لتلاميذهم. ولكي تقترب الفصحى من لغة التخاطب في عصرنا هذا يجب أن لا نكتفي بتفصيل الملحون العفوي؛ بل أن نعيد الاعتبار الاستعمالي للأداء الذي يستلزمه التخاطب العفوي صفاته العفوية كما وصفها العلماء الذين شافوها فصحاء العرب. وهذا يحتاج إلى إقناع المسؤولين على التعليم، وعلى تعليم العربية في المدارس الآن ألا يقتصروا على تعليم المستوى المنقبض وحده في المدارس. فقد تمّ إهمال المستوى المُسترسِل من الفصحى منذ زمان بعيد؛ وهو لا يقلّ عن أهميّة عصر المشافهة الذي نحن فيه فالفصحى العفوية وهي عربية قد وصفها النحاة الأولون وقرأ بها القرآن (ويسمّى بالحدّر، ويقابله الترتيل) ويتّصف خاصّة باختلاس الحركات وكثرة الإدغام (بين آخر كلمة وبداية أخرى مثلاً) والتسكين حيثما جاز وقصر المدّ، وغير ذلك ممّا تمتاز به لغة المشافهة... وعلى هذا فسنقترح على الهيئة العليا المُشرفة على مشروع الذخيرة العربية مشروعاً فرعياً لتهيئة الظروف لإدماج المستوى المُسترسِل في تعليم العربية (إعداد كتاب خاصّ في الأداء بتمارين شفاهية) وإعداد كتاب خاصّ بالمعلّم في هذا الإطار، وإدخال ذلك قبل كلّ شيء في مدارس تكوين المُعلّمين والمُذيعين في الإذاعة والتلفزة.

— التحكّم في اللغات الأجنبية: باعتبارها نافذة على التقانات والعلوم ومختلف أنواع السلوكات اللغوية وكان يقول: "على الجيل الجديد أن يفتح على اللغات المتقدّمة للإفادة من متنها، والعمل بها في تطوير العربية. فالتحكّم في لغة واحدة عبارة عن أعرج هذا الزمان". ويشيد بأهمية التحكّم في اللغات الأجنبية بصورة تدريجية؛ بدءاً من المرحلة الثانوية إلى الجامعة التي يجب أن يحصل التمكن للغات الأجنبية حسب أقطابها ويجب أن لا تتقطع الجامعة عن توظيف نفعي للغات

الأجنبية. وهو الذي يقول: "من الخطأ أن ندرّس كل المواد العلمية في مسابقات البحوث الجامعية بلغة واحدة، بل أن تدرّس العلوم الأساسية باللغة الرسمية (العربية) ثم تكون هناك مادتان في كل سداسي تُدرّس بلغة القطب حيث العلم لا يتواجد في لغة واحدة، وكان على الجامعة خوض غمار هذه اللغات كي يحصل التحكم فيها".

- التعلّم الناجح: يقول قدماء اللغويين العرب: اللغة وضع واستعمال، ويرى أستاذنا بأنّ اللغة يحفظها اللّغوي وأحياناً يحنّطها، والذي يطورها هو المبدع والمستعمل العفوي فاللغة استعمال جماعة وفق نمط وراثي احتياطي، ووفق قواعد مبنية على عُرْف استعمالٍ حازَ على الكثرة (التواتر) وتلك هي الفصاحة. ومن هنا يقول: "اللغة استعمال وعبر عنها بـ (الحمام اللغوي)" فاللغة تُؤخَذ من الاستعمال وبخاصّة الاستعمال العفوي وكان يقول: "إنّ عدم تحكّم الأجانب في اللغة العربية يعود إلى أنّهم لم يعيشوا حدّث الاستعمال العفوي" وكما كان يقول: "كان علينا إيجاد حمام لغوي مصطنع، ووضع المتعلّم في هذا الحمام؛ حتى يعيش أحداث اللغة بمختلف مقاماتها ولما ترسّخ فيه تلك الاستعمالات العفوية يستطيع وحده الانتقال من كلام الأنس إلى كلام الانقباض، أو العكس ثم سيُراعي المتحدّث مختلف ما يُحيط بالخطاب من: مقام-حال-متحدّث إليه-مقتضيات الخطاب". ومع هذا لا ينكر ضعف المستوى العام لأداء مؤسسات التعليم. وفي إجابة عن سؤال حول الموضوع يقول: "نجد اليوم شبه إجماع على ضعف العربية في مؤسسات التعليم في مختلف الأسلاك، وهو وضع ينذر بالكارثة" وهذا ما يلمس في الوقت المعاصر الذي تفرض فيه مُعطيات الاستعمال صوراً معكوسة تماماً، ولا يرى هذا إلّا الخطر في الوضع اللغوي إن لم يعالج في القريب. وطُرح عليه سؤال حول تشخيص النظرية التي تقوم على حراسة ثغور العربية، فأجاب: "ما نلاحظه من ضعف المستوى في اللغة العربية لا تختصّ به العربية؛ بل هو يعمّ عندنا في الجرائر كلّ اللغات، وحتى المستوى العلمي. وقد يمتاز تعليم العربية بشيء من الضعف وهذا راجع للمستوى الضعيف لا للمعلّم وحده؛ بل حتى الأطر التي فوقه.

والمشكل يعمّ كلّ البلدان العربية بحسب ما رأيته وسمعتُه والله أعلم". ومن خلال هذا الردّ نعلم ما كان يُرافع عنه في مختلف المحافل العلمية والتربوية الوطنية من ضرورة الاهتمام بالمدرسة، وهو ما جعلَ أولي الأمر يُسندون إليه أمرَ إصلاح المنظومة التربوية، بغرض الانتفاع من أفكاره.

— **الإبداعية اللغوية:** يقول اللغة في ذاتها تحمل التجديد، وهذا التجديد يأتي وفق مقتضيات النحو ومِعارية اللغة، فالإبداع يحصل من خلال ما يبدعه المستعمل للغة ضمن التواتر الجمعي، وهنا يلتقي مع (Noam Chomsky/ نعوم تشومسكي) في أنّ اللغةَ بحدودها الحرفية ضيقة، ولكنّها لا تنتهي في استعمالات أساليبها، فهي لا نهائية وهذا هو التميّز بين لغة البشر التي يتغيّر أسلوبها وثابتة في حروفها وكذلك يميل منتها النحوي إلى الثبات، ولكنّها تحمل صفة الإبداع، وبين لغة الحيوانات مثلاً فهي محدودة ولا إبداع فيها؛ فهي لغة غريزية. فالمتكلم المثالي هو المستعمل العفوي للغة؛ والذي يجعلها تتضخّم في مناويلها، وتسير دائماً إلى الإبداعية؛ دون التنازل عن نحوها العرُفي الذي تحميه الجماعة الناطقة بتلك اللغة.

بوخلخال العظيم[♥]

في البداية كلّ الشكر والعرفان للذين فكّروا في إهداء هذا العمل لرجل العلم فأكبر بهم! فهم من الكبار فلا يقوم بهذا الفعل إلا صاحب الفضل والشأن فأنعم بكم يا أصحاب الفضل! فأنتم تحيون السنن الحميدة التي لا نروم أن تموت؛ بقدر ما نريد أن تترسخ فينا قيم ردّ الأفضال لنوحيها، والعمل بمنظومة (أنزلوا الناس منازلهم).

وإني شاكر لكلّ الذين اقترحوني لكتابة **هذا التقدير**، في أستاذ ترك بصماتٍ كثيراتٍ وله أفكار نيراتٍ وسبقٌ في كثير من المهمات، فأنعم به من رجل عظيم! وأبشّر به من أستاذ كريم! وإني ممنون لمن جعلني عضواً هذا الكتاب الذهبي الذي توزعت فقراته على إحدى عشرة (11) مقالة تجمع بين اللغة والأدب والحدائث والنقد؛ وكلّها مقالات دُبجت من أصحابها الأفاضل، فهم في الساحة العلمية معروفون وفي الإبداع متميزون فأفلامهم سيّالة، وأفكارهم سديدة، وبعملهم هذا ازداد الكتاب وزناً، وبأفكارهم سيكون عوناً، ونأمل أن يتحقّق وزنه ذهباً، بل إن لم يكن زمرّداً. وهكذا حقّ علينا أن نخلد بهذا الكتاب باحثاً أُحيل على التقاعد بعد خدمة الوطن لسنواتٍ كثيرات.

سأحاول تحبير هذا التقدير في حقّ شيخنا العظيم، ابن سيرتا النوميدي عبد الله بوخلخال، الذي يستحقّ أن يكتب فيه أكثر من كتاب ذهبي، لما قدّم للوطن من خدمات لا يمكن حصرها، وما أصعب أن تكتب **كلمة تقدير**! في شخص له أفضال عليك كثيرة ولكن ما أسهل أن تكتب! عندما تأتي الكلمات من القلب لتبلغ إلى القلب وهي كلمات أكتبها في حقّ أستاذي العظيم ابن جبل الوحش أ د عبد الله بوخلخال صانع الجيل ومربي الأجيال.

— **العرفان للعلماء والباحثين:** إنّ العرفانَ جوهرٌ كلّ فنّ رائع وعظيم، فمديونة الإنسان ليست فضيلة وإنّما السداد فضيلة. وتبدأ الفضيلة عندما يكرّس الإنسان

♥ — كلمة تقدير في حقّ الأستاذ (عبد الله بوخلخال) في الكتاب الذهبي الذي طرّست مقدمته بهذه الكلمات.

نفسه بنشاط للعرفان بالجميل، وعرفان الجميل شيمة الأرواح النبيلة، وعلينا ألا ننسى أن أقصى درجات التقدير لا تتمثل في نطق الكلام، وإنما في تطبيقه والتطبيق في ممارسة التقدم للأمام، وهي التي تشكل خطوة في اتجاه تحقيق أفضل مما نحن عليه حالياً. وهذا هو الأمر الجميل، بل هو العرفان بالجميل الذي يُنتج الشكر لمن أدّى الأمانة، وبلغ الرسالة وكان من المخلصين. وإنّ العرفان بالجميل يذهب النكرات، ويزيل الأحقاد، فهو صورة تضمحل فيها علامات احتقار العاملين وتُربى كفاية الحاجة، وزرع المحبة، وحصد الشكر. إنّ العرفان بالجميل عفاف وإجلال. فشكراً لكلّ الذين حضّروا وكتبوا هذا الإضر الكبير في حقّ الشيخ القدير. شكراً للمريدين لما قدّموه من أعمال في حقّ شيخهم وكذلك تُربى المشيخة وتُبنى المَعْلَمَة، وإنّ الثراء لا يُقاس بالمال وإنما بالمُريدين.

سيدي رئيس جامعة الأمير عبد القادر، ليس هناك أجمل من الاعتراف بفضل شخص علينا والأفضل من هذا تكريمه أيّما تكريم؛ تكريم يليق بالمعلّم المضحى في سبيل عمله، تكريم المعلّم العظيم الذي قيل فيه:

قم للمعلّم وفّه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

ومن خلالكم نقوم بتوجيه رسالة معبرة مليئة بكلمات شكر وتقدير، تُعبّر عن صدق المشاعر بداخلنا وامتناننا لما يقوم به المعلّم من أجلنا، وقد تكون موجّهة للزملاء أو للطلاب بضرورة غرس ثقافة الاهتمام بعلمائنا وباحتينا، وكان حقاً علينا نحن المعلمين - التسابق في تدبيح عبارات الشكر لمن يستحقّها وكذلك تُربى ثقافة التقاضل والتراتب العلمي. بوسعنا أن نقول للنجاح مُبارك، وللعالم أنت البارِع وللمنتج تستحق التشجيع، ولمن أحيل على التقاعد واصل العطاء، فنحن بحاجة إليك. هكذا صفات النجاح تعرض على الجمهور، ولا يحصل فيها تثبيط العزائم هكذا نعمل على عقد الشكر للذي يستحقّه، وعهدي أن من بذل جهداً فحصد النجاح يحتاج إلى نصب كبير ولمن ناله النصب؛ علينا أن نرفع من عزمه ونشدّه، ونقول له واصل وسوف تصل ونزرع فيه السعي المشكور بالعمل والأمل.

سيدي رئيس الجامعة: نعرف أن الأستاذ عبد الله بوخلخال قد أمضى شطراً كبيراً من حياته في تسيير هذه الجامعة العتيقة، وترك فيها بصمات مديدة، وهل لا يستحق الثناء؟ كلاً، إن فعلكم هذا لمن المنارات التي تهدي الآخرين؛ ليعملوا على احتذاء هذا المنوال. ومن خلال فعلكم هذا، أُرْجى تهنئة شكر لكم؛ عرفاناً لما تقومون به من سدّ فراغات بعضنا في جلد ذواتنا دون تقدير أعمالنا، فمن حقّي كباحت أن أقول: إنّ سعيكم مشكور، وعملكم محمود.

— كيف عرفتُ عبد الله بوخلخال؟ عرفتُ الأستاذ الدكتور عبد الله بوخلخال ذات صائفة/ جويلية 1988 في جامعة القاهرة، وكنتُ في زيارة علمية لشهر وقد حضرت مناقشة ماجستير لزميل (سالم سعدون) إشراف أ د سهير القلماوي والزميل (عبد الله لقديم) إشراف: محمود فهمي حجازي، ورأيت طالباً كثير الحركة يأمر ويتصرف وينظّم وكان حريصاً على الطلبة الجزائريين، وسألت من يكون هذا؟ ف قيل لي: إنّهُ الطالب عبد الله بوخلخال من جامعة قسنطينة، وهو يُحضّر أطروحة الدكتوراه بإشراف: أ د محمود فهمي حجازي. تعرّفت عليه، فأحاطني برعايته وسهّلت عليّ عشرته، ولما عرف سبب مجيئي، طلب مني حضور مناقشة الدكتوراه بعد أسبوع وتأسّف لأنّ الشهر لم يبقَ منه إلا ثلاثة أيام، ولم أحضّر المناقشة. هكذا كانت بداية معرفتي بهذا الشخص المحبوب والتي تواصلت في الجزائر في لقاءات علمية وفي مؤتمرات وفي مناقشات إلى غاية اقتراحه عضواً في لجنة الدكتوراه التي ناقشتها بجامعة مولود معمري سنة 1993. وعرفته فصيحاً ذكياً سريع البديهة، وكان يناقشني ويهدي لي العيوب بكلّ ابتساماته ويقول: سوف أدغدغك قليلاً لتعيدَ النظرَ في ما كنت تحمله من أفكار. وتواصلت الأيام وكنت زميله في مناقشات مشتركة؛ وبالخصوص مع طلابه في جامعة منتوري وهكذا إلى اليوم، فسنبقى تجمعنا المحبرة حتى المقبرة.

— تقدير المكرّم: يا أيّها الأستاذ، هي سنّة الاعتزال بعد النجومية، وكان عليّ قول الحقيقة بأنكم وفّيتم وكفّيتم يا دكتور بوخلخال، وكنتم ولا تزالون تُعطون وأنتم دائماً تُعطون، ولو جُحِدتُم، فأنتم اليد العليا، واليد العليا أفضل من اليد السفلى، بقيتم واقفاً أيام المحن، وفي أوقات عصفت رياح الطلبة عليكم، وما رميتم المنشقة، وما قلتُم (أنا وبعدي

الطوفان). سي عبد الله الأستاذ المعطاء أينما حلّ وارتحل؛ فكان قادراً على الإبداع والبقاء، وقد شهدت له الساحة اللغوية بما له من أفكار، وبما تركه من بصمات وأرجو من ربّ الأرباب أن يفتح المغاليق من الأبواب، يتمكن الأستاذ من مواصلة العمل.

أستاذنا الفاضل، لك منا كلّ الثناء والتقدير، ونقول لكم صادقين، هي كلمات شكر بعدد قطرات المطر وألوان الزهر، وشذى العطر، على ما قدّمتموه من أجل الطلاب والبحث العلمي، ومن أجل الرقي بجامعاتنا. يقول المثل: للنجاح أناس يقدرّون معناه؛ وللإبداع أناس يحصدونه" لذا نقدرّ جهودكم المضنية، فأنتم أهل للشكر والتقدير، فمهما وقع إطرأنا عليكم، فلا يساوي حجم عطائكم اللامحدود؛ فمنكم تعلّمنا أنّ للنجاح قيمة ومعنى، ومنكم تعلّمنا كيف يكون التفاني والإخلاص في العمل، ومعكم آمنّا أن لا مستحيل في سبيل البحث لذا فرضتم أنفسكم لهذا التكريم.

الشيخ عبد الله، إنّ عشرتكم لا تُملّ، فأنتم الرجل الذي قال فيه الخليل: ضيف لا يملّ، فأنتم الغارس للأفكار الملهمة بالعطاء، ومن طلابكم تأتي هذه الأصداة فيقولون: منه تعلّمنا منهجية البحث، منه تعلّمنا فنون الدراية بالتسيير منه فقهنّا فقه الواقع المتغيّر منه عرفنا فنّ المعاملة، منه عشقنا الحياة، منه عرفنا كيف نتغلّب على المشكلات... ألسنت من ينطبق عليه (يحترق من أجل الآخرين) ألم تُثر درب الطلاب، بعطائك وآمالك وتضحياتك؟ من أجل الوصول إلى الأسمى.

الأستاذ الفاضل والمفضل، الأستاذ المرح، وصاحب القلب الصافي والعطاء الوافي وهو عنوان إخلاصكم الكامل، فمما لا شكّ فيه أن أولى الناس بهذا التبجيل والإجلال هو المعلّم لأنّ اسمه مشتق من العلم ومنتزع منه، فالمعلّم يصيد في بحر علمه على الأرض القاحلة، فتغدو خضراء يانعة، ولذلك يتحتّم على كلّ طالب وطالبة النظر بعين الاحترام والإجلال والإكرام والتواضع للمعلّم (عبد الله بوخلخال) فتواضعك أيّها الأستاذ عزّ ورفعة لك.

— **بوخلخال المعلّم:** إنّ أشرف مهنة هي التعليم، ودور المعلّم دور هامّ وخطير فالرسول معلّم جاء يعلمنا ويخرجنا من الظلمات. والمعلّم كذلك، فهو مصنع

القيادات وأطر المستقبلات، ومن خلال هذه المهنة التي أنتمي إليها أزجي لأستاذي العظيم (معلم الجيل = عبد الله) عبارات الاحترام والتقدير في تلك المهنة الشريفة التي خطا بها خطواته الأولى في مدينة المصلحين، من مدرسة الكتانية إلى معهد عبد الحميد بن باديس، إلى مهنة التعليم في الابتدائية والمتوسطة والثانوية فالجامعة، هي مراحل تراتبية أُتيحت للأستاذ التعرف على نظام التعليم في الجزائر، وأكسبته التجربة الواقعية والنجاح في التسيير. فأجمل به من معلم ناجح! وهذا ما يؤكد أهمية دور المعلم، فالمعلم رسول لنقل العلم وتعليمه.

ومن خلال هذا التقدير أرفّ التحية العطرة للمُحتفى به في هذا الكتاب ولكلّ المعلمين الذين يحترقون من أجل البقاء، وأبعث لأستاذي (عبد الله) كلمات تقدير وحبّ وأقول له: أنتم شمس أنرتم دروبنا، ولولاكم ما كتبت هذه السطور. فقد أجدتم عليّ إجادة السحابة على الأرض، فلکم مني كلّ الثناء والتقدير، فقد أعطيتم وأجزلتهم وسقيتم ورويتهم بعلمكم. لكم هذا التكریم يا معالي الأستاذ الذي جمعت فيكم زين الخصال، وأنتم أهل لكلّ التكریم، فمهما قلنا فلن نفیکم حقكم فعذراً عن نقصيرنا.

قد يقول قائل: قد أطلت المدح، وفي الحقيقة ليس مدحاً، بل هو حق لا بدّ أن يُقال بل أريد زرع فضيلة احترام المشيخة، فمن لا شيخ له، فالشيطان شيخه وبذا يمكن أن نقول: إننا عملنا على غرس ثقافة الشكر فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله. سيدي عبد الله؛ سيظل احترامي لكم ساكناً في قلبي، مُمسكاً بكلّ مشاعري بروحك المرحّة، فلکم كلّ معاني المديح. وما أجمل العيش بين أناس احتضنوا العلم وعشقوا الحياة، وتغلّبوا على مصاعب العلم ! فمنكم أخذنا هذا الفنّ من فنون فقه الواقع.

— يقولون في عبد الله بوخلخال:

1 — أستاذ من الطراز الذي ترتاح إليه من أول وهلة. هو كذلك لأنّ روحه البشوشة هي التي تجلب المستمع، وترتاح إلى تلك النفس الأبية، من بلد قسنطينة المازيغية وموطن أول دولة مازيغية ماسينسية.

2 - أستاذ مقل في التأليف: هو كذلك، ولكني أسأل أيهما أكثر قوة، من ألف كتباً أو من ألف رجالاً فعبد الله ألف طلاباً في مختلف المستويات، ومثله مثل عبد الحميد بن باديس الذي قيل له: لم لم تؤلف الكثير من الكتب؟ فقال: ألفت الكثير من الرجال. ونعلم أن عبد الله له كتابه اللساني التحليل الصوتي للتغيرات الصرفية عند النحاة العرب حتى نهاية القرن الثالث للهجرة. فهو يمثل ذخيرة عليا من ذخائر البحث اللساني ألم يترك سيبويه كتاباً واحداً، ولم نستطع تجاوزه؟

3 - عبد الله مسير أكثر منه باحث: في هذا الأمر الكثير من المغالطات فإن الأستاذ كان باحثاً ناجحاً ودرايته بالبحث هي التي أكسبته الدربة بالتسيير وقد جمع بين الحُسنين، وهذا لا يكون في متناول الباحث أحياناً. فعبد الله ليس من ذلك النوع الذي إذا خرج من مخبره هلك مصالح الناس.

4- درايته بفنّ الواقع: صحيح بأن عبد الله من ذلك النوع بامتياز، فهو يعرف من أين تؤكل الكتف ويعرف لكل مقام مقال، ولكل نجاح مصدره، وهذا هو سرّ نجاحه. ويتمثل لي في ذلك المؤمن التقى الحافظ للآيات يلهج بها ليل نهار بالشكر فنال حبّ الناس جميعاً. ويا سعدك يا أستاذ ممّا أسداه عليك المولى، فغدوت سعيداً فهنيئاً لكم ما نلتُم. فلا أجد تلك العبارات التي تمس مكرماتكم؛ لأنكم النخلة الشامخة التي تعطي بلا حدود، وجزاكم الله عنا أفضل ما جزى العاملين المخلصين، وبارك الله لكم، وأسعدكم أينما حطّت بكم الرحال.

- خاتمة: جميل من الإنسان أن يكون شمعة ينيّر دربَ الحائرين، ويأخذ بأيديهم؛ ليقودهم إلى برّ الأمان؛ متجاوزاً بهم أمواج الفشل والقصور. هي رسالة أبعثها لكلّ المسيرين، وأقول: علينا ترسيخ مبدأ الشكر، وردّ الأفضال لذويها وليس أكثر توثيقاً من المناصحة، لنجعل منها درباً نسير فيها إلى الفلاح، ولنجعل أهدافنا مشتركة في هذا المجال، ومن لا يكرم لا يُكرم.